مجموعة رسائل اللكنوي

الإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي
ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بإخراجه وتقديمه
نعيم أشرف نور أحمد



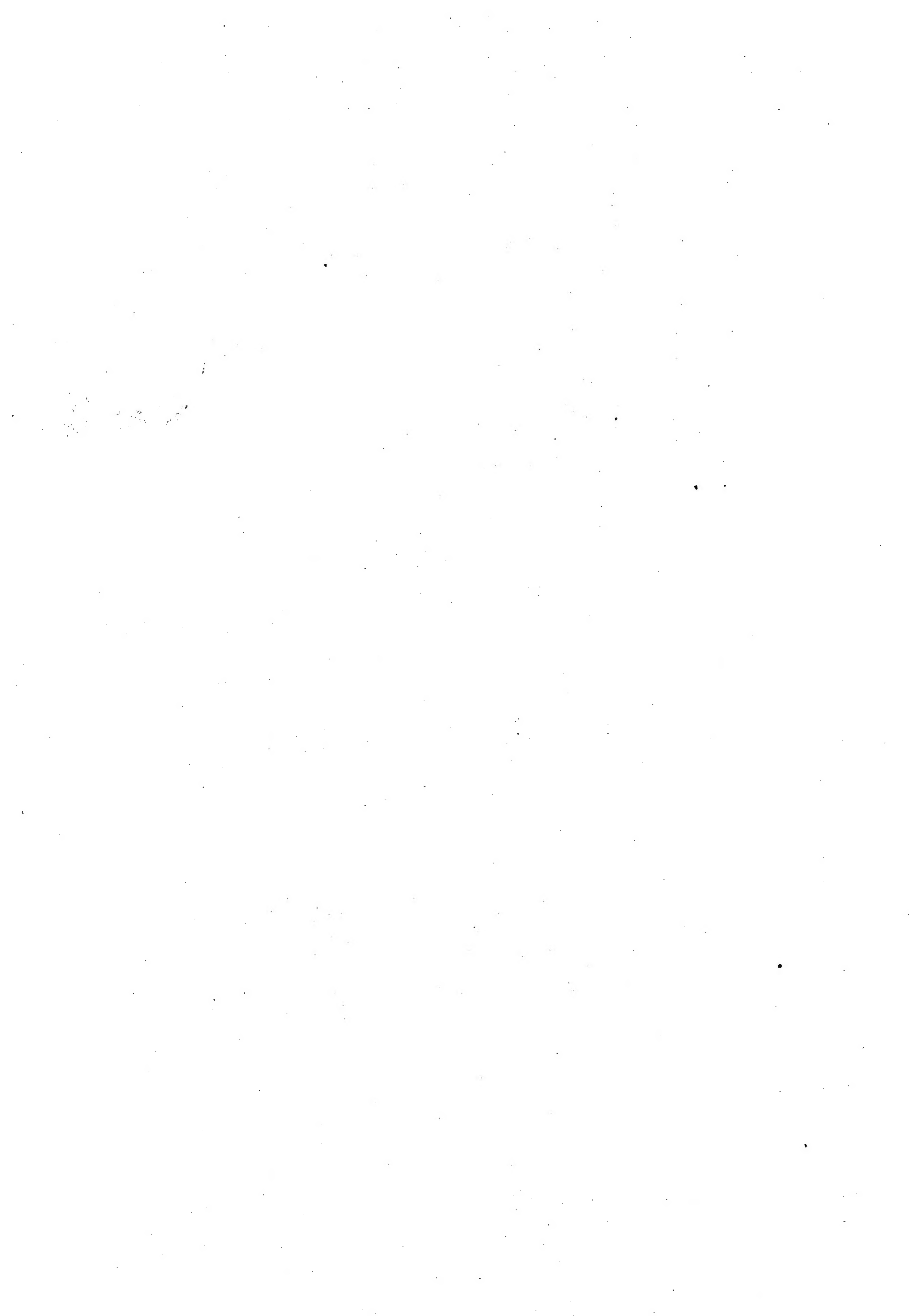
* مجموعة الخطب المكتوبة
* إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة
* القول المنثور في هلال خير الشهور
* الفلك الدوار في رؤية الهلال بالنهار
* قوت المغتذين بفتح المقتدين
* ترويح الجنان بتشريح حكم شرب الدخان
* زجر أرباب الريان عن شرب الدخان
* ردع الإخوان عن محدثات آخر جمعة رمضان
* الإنصاف في حكم الاعتكاف

المجلد الثاني

من منشورات:
إدارة القرآن
كراتشي - باكستان
المكتبة الإمدادية
باب العمرة - مكة المكرمة

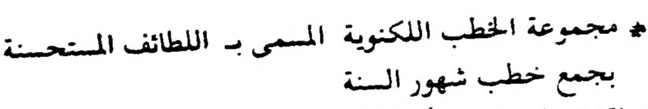
مجموعة رسائل اللكنوي
الإمام المحدث الفقيه
محمد عبد الحي اللكنوي
رحمه الله تعالى
٢
إدارة القرآن
كراتشي







للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي



رحمه الله تعالى



* مجموعة الخطب اللكنوية المسمى بـ اللطائف المستحسنة بجمع خطب شهور السنة
* إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة
* القول المنشور في هلال خير الشهور
* الفلك الدوار في رؤية الهلال بالنهار
* قوت المغتذين بفتح المقتدين
* ترويح الجنان بتشريح حكم شرب الدخان
* زجر أرباب الريان عن شرب الدخان
* ردع الإخوان عن محدثات آخر جمعة رمضان
* الإنصاف في حكم الاعتكاف مع حاشيته الإسعاف بتحشية الإنصاف

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

المجلد الثاني

الناشر

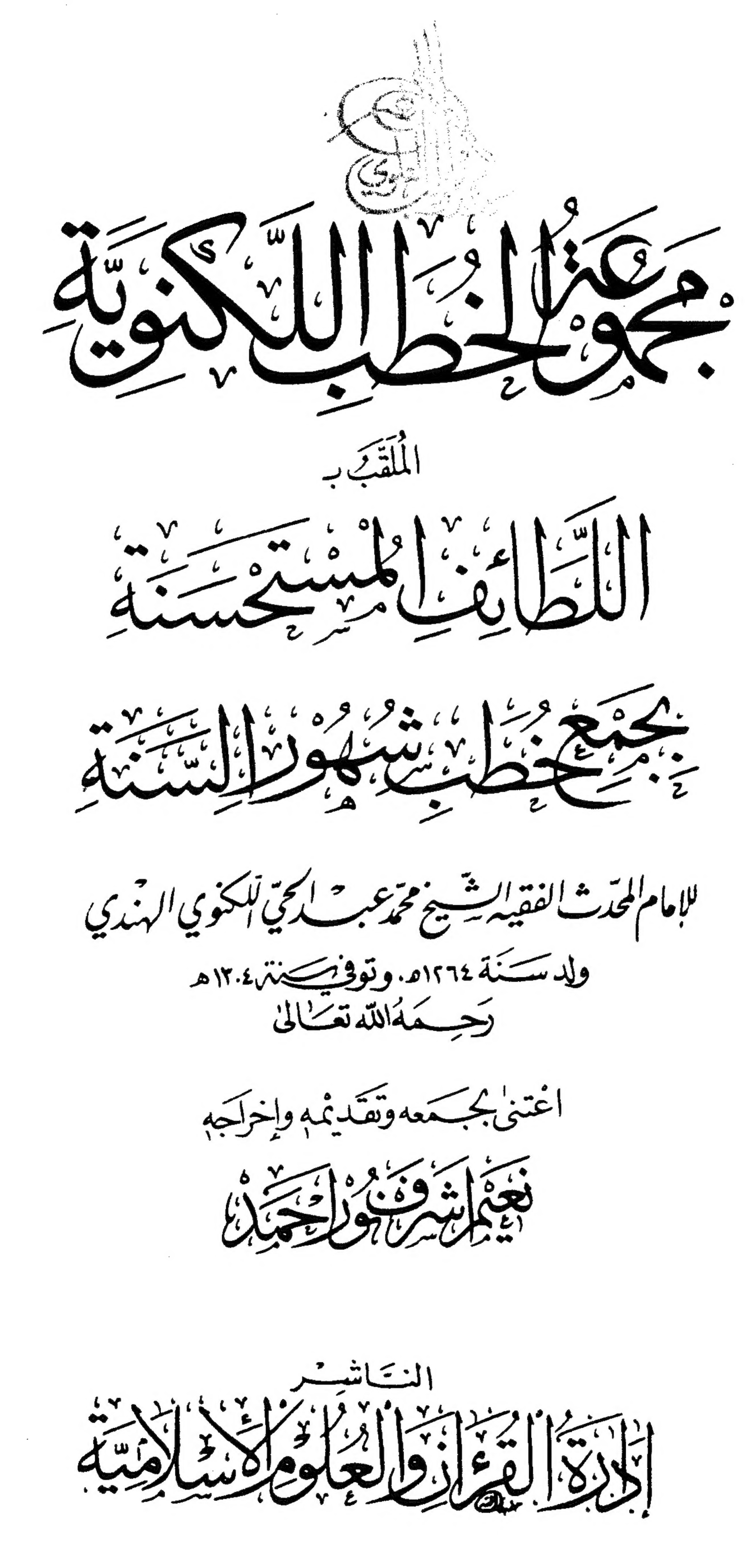


بعض منشورات العربية القيمة لإدارة القرآن كراتشي

آثار السنن مع شرح العلامة الكشميريؒ
ابو حنیفہ واصحابہ المحدثون
أحکام القرآن تھانوی ۵ جلد
الاشباه والنظائر ابن الملقن ۲ جلد محقق طبع أولى
اعلاء السنن اعلى ۲۲ اجزاء ۱۸ ج مع فهارس
اعلاء السنن عام ۲۲ اجزاء ۱۸ ج مع فهارس
تسهیل القطبی تصحیح واضافہ
تبييض الصحيفه بمناقب امام ابو حنيفه
تفسير المظهری طبع اول کمپیوٹر ۱۰ جلد
الجامع الصغير مع النافع الكبير
درهم الصرة بوضع اليدين تحت السرة
الديباج شرح صحيح مسلم ۲ جلد
شرح الزيادات لقاضی خانؒ ۶ جلد
شرح الحموی على الاشباه والنظائر ۳ جلد جدید
شرح الطيبى على المشكوة ۱۲ جلد مع فهارس
شرح العينى على الكنز مع شرح الطائی ۲ جلد
شرح شرح المنار فی اصول الفقه للعلامة الشامیؒ
شرح مقامات الحريرى للشريشى
صحيح مسلم ۱۸ جلد مع شرح نووی
العقائد الوثنيه فی الديانة النصرانيه
عنوان الشرف الوافی فی النحو والتاريخ والعروض
غنية الناسک فی بغية المناسک طبع جدید
فتاوی تاتارخانیہ ۵ جلد، قاضی سجاد حسینؒ
الفهرس الموضوعی لآيات القرآن الكريم
فوائد فی علوم الفقه

الفوائد البهية فی تراجم الحنفيه علامه عبد الحئ لکھنویؒ
فهارس اعلاء السنن (فهرست موضوعات)
قاموس الفقهی (لغة واصطلاحاً)
قواعد فی علوم الحديث
كتاب السير والخراج والعشر
كتاب الآثار مع الايثار ابن حجر
كتاب الاصل المعروف بالمبسوط ۵ جلد
كتاب الديات لابی
كشف الحقائق شرح كنز الدقائق ۲ جلد
كشف الدجى عن وجه الربا مجلد
كنز الدقائق مع حاشيه طبع جدید ٹائپ
کوکب الدری على جامع الترمذی ۴ جلد
المبسوط لسرخسی ۳۱ اجزاء مع فهرست
مجموعه رسائل الكشميری ۴ جلد اول طبع کامل
مجموعه رسائل عبد الحئ لکھنویؒ
المحاضرات فی النصرانيه
مختصر القدوری مع حاشیہ معتصر الضروری
المحيط البرهانی الموسوعه الفقهيه النادره
مشكلات القرآن مع مقدمة البنوری
مكانة الامام ابو حنيفه بين المحدثين، د۔ حارثی
مناسک ملا علی قاری مع ارشاد الساری
مصنف عبد الرزاق ۱۲ جلد مع فهرست
مصنف ابن ابی شیبہ ۱۶ جلد
النكت الطريفه فی التحدث عن ردود ابن ابی شیبہ
الهدايه مع شرح عبد الحئ لکھنویؒ ۸ جلد

ادارة القرآن والعلوم الاسلامیه
۴۳۷/ ڈی گارڈن ایسٹ نزد لسبیلہ چوک کراچی نمبر ۵ فون: ۷۲۱۶۴۸۸ فیکس: ۷۲۲۳۶۸۸
E-Mail:quran@digicom.net.pk



مجموعة الخطب اللكنوية

الملقب بـ

اللطائف المستحسنة

بجمع خطب شهور السنة

للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

الطبعة الأولى: .... ١٤١٩ هـ

الصف والطبع والإخراج: .... بإدارة القرآن كراتشي

اعتنى بإخراجه الفني وتصميمه على الكمبيوتر .... نعيم أشرف نور أحمد

أشرف على طباعته: .... فهيم أشرف نور

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D/ ٤٣٧ گاردن ايست كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٧٢١٦٤٨٨ فاكس: ٠٠٩٢٢١-٧٢٢٣٦٨٨

E. Mail: quran@diggicom.net.pk

ويطلب أيضا من:

المكتبة الإمدادية .... باب العمرة مكة المكرمة - السعودية

مكتبة الإيمان .... السمانية، المدينة المنورة - السعودية

مكتبة الرشد .... الرياض - السعودية

إدارة إسلاميات .... انار كلي لاهور - باكستان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا بإرسال الرسل وإنزال كتبه العلية، وبين لنا الحلال والحرام وأوضح السبل المرضية، أشهد أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الفضائل الجلية والخفية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه صلاة دائمة بعدد السموات والأرض والمخلوقات السنية، وبعد: فيقول الراجى عفو ربه القوى أبو الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى تجاوز الله عن ذنبه الجلى والخفى ابن بحر العلوم مخزن الفهوم صاحب التحقيقات الشامخة، والتدقيقات الراسخة، مولانا الحافظ الحاج محمد عبد الحليم أدخله الله دار النعيم: هذه مجموعة نفيسة جامعة لخطب جُمَع السنة والأعياد وغيرها ألفتها لما رأيت أكثر الخطباء يوم الجمعة وغيرها جاهلين غير قادرين على جمع كلمات عربية، ومن ثم ترى بعضهم يخطبون باللسان الفارسية والهندية، وبعضهم يخلطون اللسان العربية باللسان العجمية، غافلين عن أنه خلاف السنة والطريقة المرضية، كما أوضحته فى رسالتى "آكام النفائس فى أداء الأذكار بلسان الفارس"، وبعضهم التزموا خطبة واحدة فى كل جمعة غافلين عن أن الخطبة إنما شرعت للتذكير، وهو إنما يحصل بتجديد المواعظ والنصائح كل مرة، وقراءة

خطبة واحدة لا ينفع فى التأثر والتأثير.

فأردت تسهيل الأمر عليهم، وصنفت عليهم لكل شهر من شهور السنة خمس خُطَب لخمس جُمَع، فقد تقع فى شهر جمعة خامسة، وألفت الخطبة الثانية أيضًا متعددة، فإن لكل جديد لذة، وقد أكثرت فيها إيراد جمل النصائح والمواعظ، ينتفع بها كل سامع وواعظ.

والاقتباس من كتاب الله القديم وأحاديث نبيه الكريم عليه ألف صلوات والتسليم من غير تكلف القوافى والأسجاع، وإيراد ألفاظ مستبشعة تنفر عنها الأسماع، ومن غير إيراد كلمات مستغربة وجمل معضلة يحتاج فى فهم معانيها إلى نظر الكتب اللغوية، ومهارة الفنون الأدبية، فإن إيراد أمثال ذلك لا يليق بهذه الخطب التى وضعت لأن يتنبه بها كل عالم وجاهل، ويتيقظ كل فاضل وعاقل.

وأدرجت فى كل خطبة ما يناسب الشهر الذى تقرأ فيه من الأحكام والفضائل، وتجنبت عادة المنفرين والمتبخترين من اختصار مخل وتطويل بلا طائل.

فقد سنَّ رسول الله ﷺ أن تطول الصلاة وتقصر الخطبة، وجعل تطويل الخطبة إلى حد يفضى إلى حد النفرة من أشراط الساعة، وإلى الله المشتكى من هذا الزمان زمان شر وطغيان، عكس الناس الأمر المشروع، وعكفوا على ما لم يثبت شرعًا مع غاية الولوع، فصارت السنة فيما بينهم بدعة، والبدعة سنة، وظنوا المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

ومن ثم تراهم إذا هداهم أحد إلى الطريقة السنية، تنفروا عنه ونسبوه إلى الطريقة القبيحة، وهذه فتنة لعمرى عمياء وداهية دهياء يربو فيها الصغير، ويشيب فيها الكبير، ولئن ساعدنى التوفيق، وفسح الله فى عمرى وجعله خير رفيق، لأؤلف رسالة أبحث فيها عن منكراتهم التى أحدثها قراء الخطبة وسامعوها

ومخترعاتهم التى اخترعتها مصنفوها وواضعوها.

وليس غرضى من هذا التأليف وسائر تأليفاتى أن يدرج اسمى فى المصنفين، أو يشتهر رسمى فى العالمين، وإنما المقصود وكفى بالله شهيداً عليه أن يحصل بها النفع والفلاح لكل مطالع ومستفيد، وأن تكون ذريعة لنجاتى بعد مماتى فى يوم الحساب الشديد.

واللهَ أسأل سؤال الضارع الخاشع أن يجعلها مقبولة وخالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها عباده بالنفع العميم، وقد سميت هذه المجموعة بـ:

«اللطائف المستحسنة بجمع خطب شهور السنة»

ولقبتها بـ:

«إزالة الغفلة والسِنَة بتأليف خطب السّنَة»

وأرجو من كل من يقرأ هذه الخطب، ومن يسمعها، ومن يطالعها وينتفع بها أن يدعو لى بالمغفرة وشمول الرحمة وبخير الدنيا والعقبى، وأن ينسانى فى دعواته الخالصة، فى أوقاته الخاصة.

والمرجو من الناظرين الكرام أن لا يتتبعوا عوراتى وأن يستروا على زلاتى، فرحم الله امرءاً نظر فيها بنظر اللطف والكرم، وعفا عن زلة القدم أو طغيان القلم، فإنى لست ممن يدعى العصمة، من كل خطأ وزلة، ولا ممن ينسب إلى نفسه الفصاحة والبراعة، أوالبلاغة والمهارة ﴿وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾ وهذا أوان الشروع فى الجمع والترصيف، متوكلا على من منه الهداية وإليه النهاية، وبه الاعتماد فى كل تصنيف.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من المحرّم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ لا تَصِلُ إلى دَرْكِ حَقِيْقَتِهِ الأَفْهَامُ. وَلا تُدْرِكُ كُنْهَهُ الْعُقُوْلُ وَالأَوْهَامُ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيْرًا عَلى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَهُوَ الْعَلِيْمُ العَلامُ. وَنَشْكُرُه عَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَهُوَ شَدِيْدُ الانْتِقَامِ، فَسُبْحَانَه مَا أَعْظَمَ شَأْنَه، نَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، يُدَبِّرُ الأَمْرَ بَيْنَ السَّموَاتِ وَالأَرْضِيْنَ، وَهُوَ مُتَفَرِّدٌ فِيْ تَدْبِيْرِهِ لا نَظِيْرَ لَه فِي الْعَالَمِيْنَ، يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ. وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ بَيَّنَ لَنَا الْحَلالَ وَالْحَرَامَ. وَأَوْضَحَ مُشْتَبِهَاتِ الأَحْكَامِ.

أَمَّا بَعْدُ: إِخْوَاتِيْ وَخُلانِيْ! أُشْكُرُوا اللهَ عَلى نَعْمَاءِه، وَاحْمَدُوْهُ عَلى آلاءِه فَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوْهَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُوْدِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكَرَمِ وَالْجُوْدِ، وَرَبَّاكُمْ حِيْنَ كُنْتُمْ أَجِنَّةً فِي الأَرْحَامِ. خَلَقَكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ. ثُمَّ جَعَلَكُمْ عَلَقَةً وَّمُضْغَةً، وَصَوَّرَكُمْ بِأَحْسَنِ صُوَرِهِ، وَكَسَاكُمُ اللَّحْمَ وَالْعِظَامَ. وَأَدَارَ عَلَيْكُمْ زَمَانًا وَّقَسَّمَه عَلَى السِّنِيْنَ وَالشُّهُوْرِ وَالأَيَّامِ. وَوَضَعَ لَكُمْ فِيْهِ شُهُوْرًا مُّتَبَرِّكَةً، وَأَيَّامًا مُّتَشَرِّفَةً بَدَأَ بِالْمُحَرَّمِ وَخَتَمَ بِذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ. فَمَا لَكُمْ لا تَتَذَكَّرُوْنَ، وَمَا لَكُمْ لا تَتَفَكَّرُوْنَ، تَرْغَبُوْنَ عَنِ الْحَسَنَاتِ، وَتَنْهَمِكُوْنَ فِي اللَّذَّاتِ، وَتَرْتَكِبُوْنَ الْخَطَايَا الْجِسَامَ، وَلا تَعْتَبِرُوْنَ بِمَنْ مَّضى مِنْ آبَاءِكُمْ وَأَجْدَادِكُمْ، أَيْنَ أَحْبَابُكُمْ وَأَقْرَانُكُمْ، أَيْنَ جُلَسَاءُكُمْ وَأَحِبَّاءُكُمْ، أَيْنَ سَلاطِيْنُكُمْ وَخَوَاقِيْنُكُمْ، أَفْنَاهُمْ كَرُّ اللَّيَالِيْ وَمَرُّ الأَيَّامِ. وَسَيَمُرُّ عَلَيْكُمْ زَمَانٌ تَكُوْنُوْنَ فِيْهِ كَمَا كَانُوْا، وَتَتَحَسَّرُوْنَ كَمَا تَحَسَّرُوْا، وَمَا تُفِيْدُكُمُ الْحَسْرَةُ عِنْدَ ذلِكَ إِلا الآلامُ. فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَاجْتِنَابِ

كُلِّ خَطِيئَةٍ وَّمَعْصِيَةٍ، لا سِيَّمَا فِي الأَيَّامِ الْعِظَامِ، وَهٰذِهِ سَنَةٌ جَدِيْدَةٌ قَدِ اسْتَقْبَلَتْكُمْ فَطُوْبى لِمَنْ وَّدَّعَ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ بِحُسْنِ الأَعْمَالِ، وَاسْتَقْبَلَ هٰذِهِ السَّنَةَ بِكَرَائِمِ الأَفْعَالِ، وَتَجَنَّبَ الْمَعَاصِيَ وَالآثَامَ. وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا الشَّهْرِ الْحَرَامِ. شَهْرِ الْمُحَرَّمِ ذِي الْعِزِّ وَالاحْتِرَامِ. شَهْرٌ نَجَّى اللهُ تَعَالَى فِيْهِ سَيِّدَنَا مُوْسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ وَأَلْقَاهُ فِي الظَّلامِ. فِيْهِ يَوْمُ عَاشُوْرَاءَ، وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا يَوْمُ عَاشُوْرَاءَ، يَوْمٌ فَضِيْلٌ فَضْلُهُ جَمِيْلٌ مَنْ وَّسَّعَ فِيْهِ عَلَى عِيَالِهِ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ تَمَامَ السَّنَةِ كَذَا أَخْبَرَ بِهِ سَيِّدُ الأَنَامِ. يَوْمٌ صَامَ فِيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالصِّيَامِ، يَوْمٌ اهْتَمَّ الصَّحَابَةُ بِصِيَامِهِ وَأَمَرُوا النَّاسَ بِصِيَامِهِ حَتَّى الأَطْفَالَ وَاهْتَمُّوْا فِيْهِ غَايَةَ الاهْتِمَامِ. يَوْمٌ رُّزِقَ فِيْهِ سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ ابْنُ عَلِيٍّ ابْنُ بِنْتِ رَسُوْلِ اللهِ وَمُتَبَنَّاهُ، غَايَةَ مُتَمَنَّاهُ، وَظُلِمَ ظُلْمًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الأَسْمَاعُ، وَيَتَنَفَّرُ عَنْهُ الطِّبَاعُ، حُبِسَ الْمَاءُ عَنْهُ أَيَّامًا عَدِيْدَةً، وَحُصِرَ فِي كُرْبَةٍ شَدِيْدَةٍ، وَذٰلِكَ فِي مَوْضِعٍ يُسَمّى بِكَرْبَلاءَ، مَوْضِعِ كَرْبٍ وَبَلاءٍ، صُبَّ فِيْهِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُوْلِ اللهِ كُلُّ هَمٍّ وَّغَمٍّ وَّبَلاءٍ، حَتَّى شَرِبَ شَرَابَ الشَّهَادَةِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ، وَصَارَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْكِرَامِ. فَرَحِمَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَاصِرِيْهِ، وَنَقَمَ عَلَى ظَالِمِيْهِ وَمُذَكِّرِيْهِ، فَمَنْ ذَكَرَ هٰذِهِ الْمُصِيْبَةَ الْعُظْمى وَاسْتَرْجَعَ فَازَ بِالْمَرْتَبَةِ الْعُظْمى وَعُدَّ مِنَ الصَّابِرِيْنَ يَوْمَ الْقِيَامِ، فَلازِمُوْا عَلَيْكُمُ اسْتِقْبَالَ هٰذَا الْيَوْمِ بِالْحَسَنَاتِ وَالتَّوْبَةِ عَنِ الْخَطِيْئَاتِ وَتَرْكِ الآثَامِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَتَشْمَلُكُمْ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ دَارَ السَّلامِ. وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ بَاسِطِيْنَ أَكُفَّ السُّؤَالِ إِلَى مَنْ بِهِ الاعْتِصَامُ. اَللّٰهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ. نَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْمُذْنِبُوْنَ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوْبِنَا فَارْحَمْنَا رَحْمَةً تُغْنِيْنَا عَمَّا سِوَاكَ وَأَدْخِلْنَا بِغَيْرِ حِسَابٍ دَارَ السَّلامِ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْكَرِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه، إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من المحرّم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَسَطَ الأَرْضَ بِلا مَدَدٍ وَّرَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَدَوَّرَه. وَخَلَقَ الْخَلْقَ بِلُطْفِه وكَرَمِه وَبِأحْسَنِ الصُّوَرِ صَوَّرَه. هُوَ الَّذِي كَرَّمَ وُلْدَ آدَمَ عَلى مَا سِوَاهُ وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ عَلى سَائِرِ الْمَخْلُوْقَاتِ وَجَعَلَ آدَمَ وَمَنْ دُوْنَه تَحْتَ لِوَاءِه وكَمَّلَه. نَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا عَلى أنْ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ الَّذِيْ عَظَّمَه وبَجَّلَه. لَمْ يَتْرُكْ كَمَالا إلا أعْطَاهُ إلا الْقَتْلَ فِي الْمَعْرَكَةِ فَخَصَّ بِه سَيِّدَنَا الْحَسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَّهُوَ ابْنُ بِنْتِه ومُتَبَنَّاهُ فَكَمَّلَه بِه وَسَجَّلَه. وَنَشْكُرُه عَلى أنْ جَعَلَنَا مِنْ سَالِكِي الدِّيْنِ الْقَوِيْمِ، وَالطَّرِيْقِ الْمُسْتَقِيْمِ، رَدَّ مَا سِوَاهُ وَتَقَبَّلَه. وَنَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه وَلا ضِدَّ لَه وَلا نِدَّ لَه، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الْمَبْعُوْثُ إلى كَافَّةِ الْخَلْقِ فَمَا أَحْسَنَه وَمَا أكْمَلَه، أمَّا بَعْدُ: عِبَادَ اللهِ إنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ لا تَبْقى فِيْهَا بَقِيَّةٌ دَارُ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ، دَارُ الأكْدَارِ وَالْحَزَنِ، دَارٌ غَدَرَتْ بِالْحُسَيْنِ وَالْحَسَنِ، دَارٌ زَيَّنَهَا اللهُ تَعَالى لامْتِحَانِ عِبَادِه فَمَنْ تَرَكَهَا كَرَّمَه، وَمَنْ طَلَبَهَا ذَلَّلَه. سُبْحَانَه مَا أعْظَمَ شَأنَه مِنْ أيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ نُّطْفَة، خَلَقَه فَقَدَّرَه ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَه وَهَدَاهُ إلى سَبِيْلِ الْهِدَايَةِ وَسَهَّلَه، وَوَكَّلَ بِكُلٍّ مِّنَ الأنَاسِيِّ مِنْ عِبَادِهِ الْكِرَامِ الْبَرَرَة. يَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ وَيَكْتُبُوْنَ مَا يَفْعَلُوْنَ فِيْ صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوْعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ، وَأرْسَلَ عَلى خَلْقِه رُسُلا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَجَعَلَ مِنْ سَادَاتِهِمْ خَاتَمَ الرُّسُلِ خَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ وَسَجَّلَه، وَبَيَّنَ الْحَرَامَ وَالْحَلالَ وَزَجَرَ عَنِ الْمَعَاصِيْ وَعَنْ صُحْبَةِ الْعَاصِيْ نَهَرَه. فَيَا أيُّهَا الْعَاقِلُ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالى فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَصَرْفِ عُمْرِكَ فِي الْعِبَادَةِ وَالانْزِجَارِ عَنِ الْمَعْصِيَة. وَألْزِمْ عَلَيْكَ طَاعَةَ الْمَوْلى وَافْعَلْ مَا تُؤْمَرُ وَانْتَهِ عَمَّا تُنْهى عَنْهُ وَأسْكِنْ قَلْبَكَ مَحَبَّتَه، وَعَلَيْكَ بِالْتِزَامِ أدَاءِ الصَّلَوَاتِ مَعَ الْجَمَاعَاتِ فَمَنْ شَذَّ عَنِ الْجَمَاعَةِ شَذَّ فِي الضَّلالَةِ،

بِالْتِزَامِ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ مَعَ الْجَمَاعَاتِ فَمَنْ شَذَّ عَنِ الْجَمَاعَةِ شَذَّ فِي الضَّلالَةِ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُطِيعَ الأَقْرَانَ، فَإِنَّهُمْ أَفْسَدُوا الزَّمَانَ، يَضْحَكُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ، وَيَأْكُلُوْنَ لُحُومَ الإِخْوَةِ بِالأَسْنَانِ، يَتْرُكُوْنَ الصَّلَوَاتِ، وَيَفِرُّوْنَ مِنَ الْجَمَاعَاتِ، يُحَقِّرُوْنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَلا يُصْلِحُوْنَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، يَتَكَلَّمُوْنَ بِأُمُوْرِ الدُّنْيَا فِي الْمَسَاجِدِ، وَيَطْعَنُوْنَ عَلَى الْمُهَاجِرِ وَالْمُجَاهِدِ، يَكْثِرُوْنَ الطَّعَامَ وَالْمَنَامَ، وَيُبَالِغُوْنَ فِيْ فُضُوْلِ الْكَلامِ، اتَّخَذُوْا جُهَّالَهُمْ عُلَمَاءَ، وَسُفَهَاءَهُمْ فُقَهَاءَ، فَاسْتَفْتَوْا مِنْهُمْ وَهُمْ أَفْتَوْا، فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا وَلَمْ يَخْشَوْا، اتَّخَذُوا الْبِدْعَةَ سُنَّةً فَعَلَيْهِمْ وِزْرُهُمْ وَوِزْرُ مَنِ اقْتَدى بِهِمْ، وَالسُّنَّةَ بِدْعَةً فَعَلَيْهِمْ وَبَالُهُمْ وَوَبَالُ مَنْ تَأَسّى بِهِمْ، تَبَاغَضُوْا بِالْقُلُوْبِ وَتَحَابُّوْا بِالأَلْسُنِ وَأَفْشَوُا النِّفَاقَ بَيْنَهُمْ فَإِنِ اقْتَدَيْتَ بِهِمْ فِيْ هذِهِ الْخَصَائِلِ فَقَدْ أَفْسَدْتَ عَلَيْكَ وَإِنْ خَالَفْتَهُمْ نِلْتَ الدَّرَجَاتِ الْعُلى وَالْغُرُفَاتِ الْعَلِيَّةَ فِي الْجَنَّةِ. أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعَالى يَطَّلِعُ عَلى مَعَاصِيْ عِبَادِهِ وَلا يَخْفى عَلَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، ثُمَّ لا يَفْضَحُهُمْ وَيَسْتُرُ عُيُوْبَهُمْ وَإِنْ تَابُوْا يَغْفِرْ ذُنُوْبَهُمْ فَمَا أَجْهَلَ الْخَلْقَ وَمَا أَغْفَلَه، أَمَا تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالى يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ، وَمَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ قَادِرٌ عَلَى الْحَشْرِ وَالنُّشُوْرِ، وَيُحْضِرُ فِي الْمَحْضَرِ الْعَامِّ، وَيُنَاقِشُ كُلا مِّنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ، وَيَسْأَلُه عَنْ مَّالٍ فِيْ مَا اكْتَسَبَه وَعَنْ عُمْرٍ فِيْ مَا أَفْنَاهُ وَعَنْ وَّقْتٍ فِيْ مَا ضَيَّعَه، فَهَلْ تَقْدِرُ عِنْدَ ذلِكَ عَلَى الْجَوَابِ، أَوْ تَنْفَعُكَ الرِّسَالَةُ وَالْكِتَابُ، أَوْ تَنْفَعُكَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِيْنَ إِلا أَنْ يَّرْحَمَكَ رَبُّكَ فَيَنْظُرُ إِلَيْكَ بِنَظَرِ الْمَغْفِرَةِ. أَقُوْلُ قَوْلِيْ هذَا وَأُفَوِّضُ أَمْرِيْ إِلَى اللهِ إِنَّه بَصِيْرٌ بِمَا نَفْعَلُهُ، هذَا تَذْكِرَةٌ لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَّتَذَكَّرَ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَه، اَللّهُمَّ إِنَّا عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْمُجْرِمُوْنَ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَلا تَجْعَلْنَا مِنَ الْخَاسِرِيْنَ وَاجْعَلْنَا مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. آمِيْن، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَه، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَه مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَه فَقَدَّرَه. ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَه، ثُمَّ أَمَاتَه فَأَقْبَرَه ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَه﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من المحرّم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِىْ نَزَّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ، وَجَعَلَ لَنَا طُرُقَ الْهِدَايَةِ وَالأَسْبَاب. نَحمَدُه عَلى أنْ جَعَلَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا وَّجَعَلَ أَصْلَهَا التُّرَابَ، سُبْحَانَه مَا أَعْظَمَ شَأْنَه خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثى وَجَعَلَه شُعُوْبًا وَّقَبَائِلَ فَمِنْهُمُ الْعُصَاةُ وَمِنْهُمْ أُولُو الأَلْبَابِ، نَشْكُرُه عَلى أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا نَبِيًّا وَّجِيْهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، شَفِيْعًا لأَهْلِ الْكَبَائِرِ فِى الآخِرَةِ، وَانْتَخَبَه حَقَّ الانْتِخَاب.

وَنَشْهَدُ أَنَّه لا إله إلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَه الْعَزِيْزُ الْوَهَّابُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه الْمُؤَيَّدُ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِيْنِ السَّاطِعَةِ وَفَصْلِ الْخِطَاب.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! اُنْظُرُوْا إلى بَدَائِعِ صُنْعَةِ رَبِّكُمْ وَعَجَائِبِ حِكْمَةِ مَوْلاكُمْ كَيْفَ خَلَقَكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثى ثُمَّ جَعَلَ شُعُوْبًا وَّقَبَائِلَ شَتّى، وَبَعَثَ عَلَيْكُمْ رُسُلا وَّأَنْبِيَاءَ وَاجْتَبى مِنْكُمُ الأَصْفِيَاءَ وَالأَحْبَابَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ طَرِيْقَ النَّجَاةِ وَالْفَلاحِ، وَيَسَّرَ سَبِيْلَ الْهِدَايَةِ لِلنُّفُوْسِ وَالأَرْوَاحِ، وَبَيَّنَ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ، وَأَوْضَحَ مُشْتَبِهَاتِ الأَحْكَامِ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوْدًا فَمَنْ تَعَدّى حُدُوْدَ اللهِ فَأُولئِكَ مِنْ أَهْلِ الْعَذَاب.

فَيَا أَيُّهَا الشُّيُوْخُ سَيَأْتِيكُمْ هَاذِمُ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ فَقَدْ ذَهَبَ الشَّبَابُ، فَاتْرُكُوا اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ وَانْحَرِفُوْا عَنِ الْمَسَرَّةِ وَالطَّرَبِ لِتَنَالُوْا حُسْنَ مَآبٍ، مَا هذِهِ الْغَفْلَةُ وَقَدْ أَتَاكُمُ الزَّاجِرُ، وَمَا هذِهِ الْغِشَاوَةُ وَقَدْ نَهَرَكُمُ النَّاهِرُ، وَهُوَ الشَّيْبُ بَعْدَ الشَّبَابِ، اُتْرُكُوا الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ فَإِنَّهَا جِيْفَةٌ وَّطُلابُهَا كِلابٌ، زُيِّنَ لَكُمْ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ذلِكَ

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ، وَيَا أَهْلَ الشَّبَابِ ذَهَبَ أَوَانُ الصِبَا، وَفَاتَ زَمَانُ الْمُسَامَحَةِ وَالْغِنَا، وَجَاءَ وَقْتُ التَّكْلِيْفِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَقْصُرُوْنَ عَنِ الطَّاعَةِ فِيْ هٰذَا الْوَقْتِ فَفِي أَيِّ زَمَانٍ تُطِيْعُوْنَ. وَإِنْ تَصْرِفُوْا هٰذَا الْوَقْتَ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَفِي أَيِّ وَقْتٍ تَتَيَقَّظُوْنَ، اِغْتَنِمُوْا أَرْبَعًا قَبْلَ أَرْبَعٍ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالصِّحَّةَ قَبْلَ الْمَرَضِ وَالْغِنَا قَبْلَ الْفَقْرِ وَقَبْلَ الْمَشِيْبِ الشَّبَابَ، لِئَلا تَقُوْلُوْا حِيْنَ الشَّيْبِ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُوْدُ وَهُوَ لا يَعُوْدُ إِلى أَنْ يَقُوْمَ يَوْمُ الْحِسَابِ، عَلَيْكُمْ بِقِلَّةِ الطَّعَامِ وَقِلَّةِ الْمَنَامِ، وَقِلَّةِ الْكَلامِ وَهِجْرَانِ الْمَعَاصِيْ وَالآثَامِ، وَمُوَاظَبَةِ الصِّيَامِ وَدَوَامِ الْقِيَامِ، وَاحْتِمَالِ الْجَفَاءِ مِنَ الأَنَامِ، وَتَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ وَالْعَوَامِ. وَصُحْبَةِ الصَّالِحِيْنَ وَالْكِرَامِ، وَأَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَحَاسِبُوْا نُفُوْسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا فَإِنَّ اللهَ تَعَالى سَرِيْعُ الْحِسَابِ، يُحَاسِبُكُمْ عَلى كُلِّ ذَرَّةٍ، وَيُنَاقِشُكُمْ عَلى كُلِّ خَصْلَةٍ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِكُمْ وَعِنْدَه عِلْمُ الْكِتَابِ، اُتْرُكُوا الذُّنُوْبَ بِأَسْرِهَا، وَتُوْبُوْا مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ بِكُلِّهَا، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْ لِّسَانِه وَيَدِه وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَاجَرَ مَا نَهى اللهُ وَرَسُوْلُه وَتَذَكَّرَ حِسَابَ يَوْمِ الْحِسَابِ، وَإِيَاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَقَعُوْا فِي الْغِيْبَةِ فَإِنَّهَا أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا وَانْصُرُوْا إِخْوَانَكُمْ فَإِنَّ السَّاكِتَ شَرِيْكُ الْمُغْتَابِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيْه كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُّعْتِقَه مِنَ النَّارِ فَمَنِ اغْتَابَ أَوْ سَمِعَهَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهَانًا مَّخْذُوْلا مُّحَاطًا مَّسْؤُوْلا وَّكَانَ مَآبُه شَرَّ مَآبٍ»، اَللّٰهُمَّ يَا مَالِكَ الرِّقَابِ، وَيَا مُفَتِّحَ الأَبْوَابِ، نَحْنُ الْعُصَاةُ الْمُجْرِمُوْنَ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوْبِنَا فَلا تُنَاقِشْنَا فِي الْحِسَابِ، وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿حم تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من المحرّم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِىْ خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ طِيْنٍ، وَجَعَلَه نُطْفَةً فِيْ قَرَارٍ مَّكِيْنٍ، وَجَعَلَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَجَعَلَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا، وَشَكَّلَهَا بِالشَّكْلِ الْحَسِيْنِ، وَفَضَّلَه عَلى سَائِرِ مَخْلُوْقَاتِه، وَشَرَّفَه بِكَرِيْمِ خِطَابِه، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِيْنَ. نَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا وَّنَشْكُرُه شُكْرًا جَمِيْلا وَّنَسْتَغْفِرُه، وَنَتُوْبُ إِلَيْهِ تَوْبَةً تُنجِّيْنَا مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِيْنِ، أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه خَاتِمُ الأنْبِيَاءِ وَالْمَرْسَلِيْنَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ.

أَمَّا بَعْدُ: إخْوَانِيْ وَخُلانِي! أُشْكُرُوا اللهَ عَلى نَعْمَاءِه، وَاحْمَدُوْا عَلى آلاءِه، وَلا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا، فَلَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِيْنَ، وَتوَكَّلُوْا عَلَيْهِ فِيْ كُلِّ الأُمُوْرِ، وَلا تُضَيِّعُوْا الأعْمَارَ فِيْ طَلَبِ الأرْزَاقِ، فَإِنَّه هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِيْنُ. أما قَرَعَ سَمْعَكُمْ قَوْلُه تَعَالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٍ﴾، وَلازِمُوا الطَّاعَةَ، وَاتَّقُوْهُ حَقَّ تُقَاتِه، وَلا تَمُوْتُنَّ إلا وَأَنْتُم مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ، فَمَنِ اتَّقى نَجَا، وَمَنْ خَالَفَه طَغى، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَتَزَوَّدُوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى﴾، وَقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾. وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوى مِلاكُ الْحَسَنَاتِ، وَرَأْسُ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ الْمُنْجِي مِنَ الْبَلِيَّاتِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ، وَقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَنْ يَّتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَه مَخْرَجًا وَّيَرْزُقْه مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه﴾.

وَعَلَيْكُمْ بِالْتِزَامِ عُمُدِ الإِسْلامِ وَأَرَاكِيْنِ الدِّيْنِ، لا سِيَّمَا الصَّلاةُ الَّتِيْ هِيَ أَرْبَحُ الْبِضَاعَاتِ، وَأَفْضَلُ الطَّاعَاتِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اَلصَّلاةُ عِمَادُ الدِّيْنِ فَمَنْ أَقَامَهَا أَقَامَ الدِّيْنَ وَمَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّيْنَ»، وَقَالَ ﷺ: «بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإسْلامِ

تَرْكُ الصَّلاةُ»، وَقَالَ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ مُتعَمِّدًا فَقَدْ كَفرَ»، وَلازِمُوْا أداءَهَا بِالْجَمَاعَةِ فَإنَّهَا سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ، فَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُم فِيْ بُيُوْتِكُم لَترَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، لَضَلَلْتُمْ وَاسْتَحْقَقْتُمُ الْعِتَابَ الْمَهِيْنَ. وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَكَاسَلُوْا فِيْهَا فَمَنْ تَكَاسَلَ فِيْهَا وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا حُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُوْنَ وَرُؤَسَاءِ الشَّيَاطِيْنِ، وَتَذَكَّرُوْا يَوْمَ السَّاعَةِ الْحَاقَّةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ؟ يَوْمٌ عَظِيْمٌ كَرْبُه شَدِيْدٌ هَوْلُه يَفْتَضِحُ فِيْهِ الْعُصَاةُ وَالْمُجْرِمُوْنَ، وَيَنْدَمُ فِيْهِ الْبَاعِدُوْنَ الْمُتَخَلِّفُوْنَ، يَوْمٌ تُحَاسَبُ فِيْهِ عَلَى كُلِّ نَقِيْرٍ وَّقِطْمِيْرٍ، وَيُنَاقَشُ فِيْهِ كُلُّ صَغِيْرٍ وَّكَبِيْرٍ، فَكَمْ مِّنْ شَابٍّ يُّنَادِيْ وَا شَبَابَاهْ، وَكَمْ مِّنِ امْرَأَةٍ تُنَادِيْ وَا فَضِيْحَتَاهْ، وَكَمْ مِّنْ ذِيْ شَيْبٍ يُّنَادِيْ وَا مَشِيْخَتَاهْ يَوْمُ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، يَوْمُ الْفَضِيْحَةِ وَالْغُرْبَةِ، يَوْمُ ازْدِحَامِ الْخَلائِقِ فِيْ صَعِيْدٍ وَّاحِدٍ أَجْمَعِيْنَ. فَمَا حَالُكَ إِذَا حَضَرْتَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُقْتَدِرِ وَعَرَضَ عَلَيْكَ كُلَّ صَغِيْرٍ وَّكَبِيْرٍ مُّسْتَطَرٍ فِيْ دَفَاتِرِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِيْنَ، فَإِذَا نَظَرْتَ فِيهَا رَأَيْتَهَا سُوْدًا مِّنْ ذُنُوْبِكَ وَقُلْتَ: مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَّلا كَبِيْرَةً إِلا أَحْصَاهَا، فَنَكَسْتَ رَأْسَكَ وَنَدِمْتَ، وَعَلِمْتَ أَنَّكَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ. ثُمَّ سَأَلَكَ رَبُّكَ عَنْ مَّالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَ، وَعَنْ عُمْرِكَ فِيْمَا ضَيَّعْتَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَيْقَنْتَ بِالْهَلاكِ إِلا أَنْ يَّرْحَمَكَ رَبُّكَ وَيَغْفِرَ ذُنُوْبَكَ أَغْفَرُ الْغَافِرِيْنَ، فَاللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ وَلا تَكُوْنُوْا مِنَ الْغَافِلِيْنَ. مَا هٰذِهِ الْجُرْأَةُ عَلَى الْمَعَاصِيْ وَمَا هٰذِهِ الْغَفْلَةُ بِارْتِكَابِ الْمَنَاهِيْ أَلَكُمْ بَرَاءَةٌ مِّنَ النَّارِ أَمْ أَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَالِدِيْنَ. وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمٰنُ يَا جَوَادُ نَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْمُجْرِمُوْنَ، بِذُنُوْبِنَا مُعْتَرِفُوْنَ، وَعَمَّا اكْتَسَبْنَا نَادِمُوْنَ، فَاصْفَحْ عَنَّا وَارْحَمْنَا وَاعْفُ عَنَّا وَلا تَجْعَلْنَا مَعَ الظَّالِمِيْنَ، وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّيْنَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من المحرّم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عِمَادٍ، وَبَسَطَ الأَرْضَ فِرَاشًا وَّخَلَقَ لَهَا الأَوْتَادَ، سُبْحَانَه مَا أَعْظَمَ شَأْنَه خَلَقَ الْخَلْقَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَأَحْكَمَ الْعَالَمَ بِغَايَةِ الإِحْكَامِ، ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ اسْتِوَاءً يَّلِيْقُ بِشَأْنِه، وَهُوَ الْكَرِيْمُ الْجَوَادُ، أَحْمَدُه حَمْدًا عَلى إِنْعَامِه، وَأَشْكُرُه شُكْرًا عَلى إِحْسَانِه، خَلَقَ الْخَلْقَ، وَاصْطَفى مِنْهُ بَنِيْ آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعِبَادَ.

نَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالأَنْدَادِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِيْنَ، خَاتِمُ الْمُرْسَلِيْنَ سَيِّدُ كُلِّ حَاضِرٍ وَّبَادٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه صَلاةً دَائِمَةً إِلى يَوْمِ التَّنَادِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه، وَحَاسِبُوْا نَفْسَكُمْ فِيْ صَبَاحِه وَمَسَاءِه، وَتَيَقَّظُوْا مِنَ الْغَفْلَةِ وَالرُّقَادِ، إِلى مَتى هذِهِ الْجُرْأَةُ إِلى مَتى هَذِهِ الْغَفْلَةُ إِلى مَتى هَذَا الرُّقَادِ، تَنَبَّهُوْا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ لا تُلْهِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ الأَمْوَالُ وَالأَوْلادُ وَالأَحْفَادُ.

أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَّعُبُوْرٍ، كُلُّ شَيْءٍ فِيْهِ فَانٍ بِمُرُوْرِ الدُّهُوْرِ، إِلا وَجْهَ خَالِقِ الْعِبَادِ، أَمَا تَعْتَبِرُوْنَ بِمَنْ مَّضى قَبْلَكُمْ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ أَيْنَ شَدَّادُ وَنُوْشِيْرَوَانُ أَيْنَ ثَمُوْدُ وَعَادُ، أَيْنَ سَلاطِيْنُ الدَّوْرَانِ وَجِبَالُ الزَّمَانِ، أَيْنَ الَّذِيْنَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ، أَيْنَ رُؤَسَاءُ الْبَلَدِ الَّتِيْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ، أَيْنَ أَحْبَابُكُمْ وَأَقْرَانُكُمْ، أَيْنَ أَصْحَابُكُمْ وَأَمْثَالُكُمْ، أَيْنَ الآبَاءُ وَالأَجْدَادُ.

أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ، سَتَمُوْتُوْنَ كَمَا مَاتَ

مَنْ قَبْلَكُمْ وتفُوتُوْنَ كَمَا فَاتَ مَنْ كَانَ مَعكُمْ، اَلدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَالآخِرَةُ بَاقِيَةٌ، أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاكُمْ لا تَخفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَأَنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمِرْصَاد.

أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ تُحْضَرُوْنَ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ كُلِّ مَا فَعَلْتُمْ، وَيُحَاسِبُكُمْ عَلى مَا اكْتَسَبْتُمْ، وَيُنَاقِشُكُمْ عَلى مَا جَرَحْتُمْ، فَإِنْ أَنْكَرتُمْ شَهِدَتْ عَلَيْكُمْ أَعْضَاءُكُمْ عَلى رُؤُوْسِ الأَشْهَاد.

فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَّنَدَامَةٍ تَقُوْلُوْنَ عِنْدَ ذلِكَ: لَئِنْ رَّجَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ، فَيُنَادِيْكُمْ مُّنَادٍ هَذَا رَجْعٌ بَعِيْدٌ الآنَ، وَقَدْ عَصَيْتُمْ مِنْ قَبْلُ، وَكُنْتُمْ مِّنْ أَرْبَابِ الْفَسَادِ، فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ وَامْتَثِلُوْا بِأَوَامِرِه وَانْتَهُوْا عَنْ مَّنَاهِيْهِ وَتُوبُوْا مِمَّا مَضى لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُنَجِّيْكُمْ مِّنَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْمِيْعَادِ، وَاسْتَغْفِرُوْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَّادْعُوْهُ وَأَنْتُمْ مُّوْقِنُوْنَ بِالإِجَابَةِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ مُخُّ الْعِبَادَةِ، وَبِهِ يُرْحَمُ الْعِبَادُ، وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَاد.

يَا اللهُ يَا رَحْمنُ نَشْكُوْ إِلَيْكَ قَسْوَةَ قُلُوبِنَا وَكَثْرَةَ ذُنُوْبِنَا وَتَكَاسُلَنَا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَهُجُوْمَنَا عَلَى الْمُخَالَفَاتِ، فَاعْفُ عَنَّا وَاصْفَحْ عَنَّا وَارْحَمْنَا يَوْمَ التَّنَاد، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْحَلِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من صفر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْجَلِيْلِ الأكْبَرِ، لا رَادَّ لِمَا قَضَاهُ وَلا دَافِعَ لِمَا قَدَرَ، نَحْمَدُه عَلى أنْ كَمَّلَنَا خَلْقًا وَفَضَّلَنَا خُلْقًا مِّنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَنَا فَقَدَّرَنَا ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَنَا وَبِأحْسَنِ الصُّوَرِ صَوَّرَ، نَشْكُرُه عَلى أنْ بَعَثَ عَلَيْنَا نَبِيَّنَا هُوَ سَيِّدُ الأنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، فَأخْرَجَنَا مِنْ حُفْرَةِ الْهَالِكِيْنَ وَطَهَّرَ، نَشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه صَاحِبُ الْقُوى وَالْقَدَرِ، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْجَاهِ وَالْقَدْرِ الأبْهَرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأرْضُ وَدَارَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

أمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْحَاضِرِيْنَ تَيَقَّظُوْا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَاعْتَبِرُوْا بِمَجِيْءِ الشَّهْرِ بَعْدَ الشَّهْرِ قَدْ مَضى شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ وَجَاءَ شَهْرُ صَفَرَ، وَهَلْ هٰذَا إلا عَلامَاتُ الرَّحِيْلِ وَالسَّفَرِ، أفَلا تَتَدَبَّرُوْنَ أنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ وَّالأخرى دَائِمَةٌ، وَالْحَيَاةُ فَانِيَةٌ وَّالْقِيَامَةُ قَائِمَةٌ، وَكُلُّ مَنْ فِيْهَا عَلى جَنَاحِ السَّفَرِ، فَطُوْبى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاه لآخِرَتِه، وَمِنْ حَيَاتِه لِمَوْتِه، وَمِنْ شَبَابِه لِهَرَمِه، وَمِنْ صِحَّتِه لِسَقَمِه، وَبُشْرى لَه يَوْمَ الْمَحْشَرِ.

أيُّهَا الشَّبَابُ! هٰذَا أوَانُ تَحْصِيْلِ الْحَسَنَاتِ وَاكْتِسَابِ الطَّاعَاتِ وَإطَاعَةِ الْعَلِيِّ الأكْبَرِ، فَإذَا ذَهَبَ شَبَابُكُمْ تَحَسَّرْتُمْ عَلى مَا فَاتَكُمْ وَتَمَنَّيْتُمْ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُوْدُ وَهُوَ لا يَعُوْدُ إلَى الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ، وَاحْذَرُوْا مِنْ فِتْنَةِ شَبَابِكُمْ، فَإنَّه مِنْ مَّصَائِدِ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِه، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَّضْمَنْ لِي اثْنَيْنِ أضْمَنْ لَّهُ الْجَنَّةَ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْه»، فَإيَّاكُمْ ثُمَّ إيَّاكُمْ أنْ تَنْهَمِكُوْا فِي اللَّذَّاتِ، وَتَتَّبِعُوْا

الشَّهوَاتِ وتَرتكِبُوا الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ.

وَيَا أيُّهَا الشَّيُوخُ! ذَهبَ الشَّبَابُ، وَجاءَ الْمَشيْبُ الْمُخبِرُ بِقُرْبِ الأجَلِ الْمُقَرَّرِ، فَتَوجَّهُوا بِطِيْبِ نُفُوسِكُمْ إلى مَوْلاكُمْ، وَاستَغْفِرُوْهُ بِالصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَالسَّحَرِ، وَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ وَاطْلُبُوْا رِضَاءه فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أكْبَرُ.

وَأقِيْمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُوْمُوْا رَمَضَانَ، وَحَجُّوْا قَبلَ أنْ لا يُحَجَّ الْبَيْتُ، وَقَبْلَ أنْ تُفَاجِئَكُمُ الدَّوَاهِيْ هِيَ أدْهى وأمَرُّ، وَطَهِّرُوْا قُلُوبَكُمْ مِّنَ الرَّذَائِلِ الْخَبِيْثَةِ وَالأوْصَافِ الدَّنِّيَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكِبْرِ وَالْبُغْضِ وَالْفَخْرِ، فَمَنْ صَلُحَ قَلْبُه صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّه، وَمَنْ فَسَدَ قَلْبُه فَسَدَ جَسَدُه كُلُّه، وَاسْتَحَقَّ السَّقَرَ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوكُّلِ فِيْ كُلِّ الأمُوْرِ عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى، فَعِنْدَه أمُّ الْكِتَابِ مَكْتُوْبٌ فِيْهِ مَا كَانَ وَمَا يَكُوْنُ إلَى الأجَلِ الْمُقَدَّرِ، لا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إلا بِإذْنِه، وَلا تُصِيْبُ مُصِيْبَةٌ إلا بِأمْرِه خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ.

وَإيَّاكُمْ مِّنَ الشِّرْكِ وَالطِّيَرَةِ، وَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أحَدٍ إلا وَهُوَ مُبْتَلًى بِهَا، وَلكِنَّ اللهَ يُذْهِبُه بِالتَّوَكُّلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْفَالَ الْحَسَنَ، وَيَكْرَهُ التَّطَيُّرَ، وَقَالَ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ»، فَاقْتَدُوْا بِسِيْرَةِ نَبِيِّكُمْ وَاسْلُكُوْا سَبِيْلَ مَنْ سَلَكَ مِنْ خِيَارِكُمْ لِتَنَالُوا الْحَظَّ الأوْفَرَ، فَمَنِ اقْتَدى بِنَبِيِّه وَصَحْبِه اهْتَدى، وَمَنْ خَالَفَهُمْ طَغى، مَنِ اتَّبَعَهُمْ نَجَا، وَمَنْ خَالَفَهُمْ غَوى، وَصَارَ سَيِّئَ الْمَقَرِّ.

حَفِظَنَا اللهُ وَإيَّاكُمْ مِّنَ الطِّيَرَةِ وَالشِّرْكِ الأكْبَرِ وَالأصْغَرِ، وَتَجَاوَزَ عَنْ ذُنُوبِنَا وَذُنُوْبِكُمْ، وَرَحِمَنَا وَرَحِمَكُمْ يَوْمَ الْعَرْضِ الأكْبَرِ، وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَلَقَدْ أنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من صفر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْجَلِيْلِ، اَلَّذِي بَعَثَ عَلَيْنَا رُسُلًا وَّأَنْبِيَاءَ وَأَوْضَحَ لَنَا السَّبِيْلَ، نَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا وَّنَشْكُرُه شُكْرًا جَمِيْلًا عَلى أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ حَبِيْبِه وَصَفِيِّه، وَخَيْرِ خَلْقِهِ الْمَوْصُوْفِ بِالْكَرَامَةِ وَالتَّبْجِيْلِ، أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلٰه إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه تَفَرَّدَ بِوَحْدَانِيَّتِه، وَتَنَزَّهَ عَنِ الشَّرِيْكِ وَالْمَثِيْلِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه الْمُخْتَصُّ بِفَصْلِ الْخِطَابِ وَفَضْلِ التَّنْزِيْلِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه، وَمَنْ سَلَكَ سَوَاءَ السَّبِيْلِ.

أَمَّا بَعْدُ: يَا ابْنَ آدَمَ يَا غَرِيْبَ الدُّنْيَا يَا عَابِرَ سَبِيْلٍ! كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيْلٍ، إِلى مَتى هَذَا التَّوَانِي إِلى مَتى هَذَا التَّعلِيْلِ، مَا يَمْضِي زَمَانٌ إلا وَيَنْقُصُ فِيْهِ عُمْرُكَ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ أَجَلُكَ، وَمَا بَقِيَ مِنَ الْعُمْرِ إلا قَلِيْلٌ.

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا كَأَحْلَامِ نَوْمٍ أَوْ ظِلٍّ زَائِلٍ، أَوْ سَنَادٍ مَّائِلٍ، أَوْ سَمٍّ قَاتِلٍ، كَمْ قَتَلَتْ مِنْ قَتِيْلٍ، أَمَا تَعْلَمُ مَا سَيَمُرُّ عَلَيْكَ مِنَ الآفَاتِ وَالسَّكَرَاتِ عِنْدَ الرَّحِيْلِ، كَيْفَ بِكَ إِذَا أَحَاطَتْ بِكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، وَوَصَلَتْ إِلَيْكَ شَدَائِدُ الْفَوْتِ، وَحَضَرَتْكَ الْمَلائِكَةُ الْمُنَادُوْنَ بِالرَّحِيْلِ، فَإِذَا ارْتَحَلْتَ عَجَّلَ فِي تَكْفِيْنِكَ وَتَدْفِيْنِكَ كُلُّ حَبِيْبٍ وَّخَلِيْلٍ، وَأَنْتَ تُنَادِيْهِمْ أَيْنَ تَذْهَبُوْنَ بِيْ إِلى دَارِ الْوَحْشَةِ دَارِ الْغُرْبَةِ، أَيْنَ تَتْرُكُوْنَنِي فِي بَيْتِ الْحَسْرَةِ وَالظُّلْمَةِ، وَهُمْ لا يَسْمَعُوْنَ وَيَهْتَمُّوْنَ بِالتَّعْجِيْلِ.

فَإِذَا أَقْبَرَكَ الأَصْحَابُ، وَوَلّى عَنْكَ الأَحْبَابُ، أَتَاكَ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ فَظَّانِ غَلِيْظَانِ، فَيَسْأَلانِكَ عَنْ دِيْنِكَ، وَعَنْ نَبِيِّكَ، وَعَنْ رَبِّكَ الْجَلِيْلِ، فَإِنْ أَجَبْتَهُمْ بِالصَّوَابِ، ظَفَرْتَ بِالثَّوَابِ، وَإِنْ زَلَّتْ لِسَانُكَ عَذَّبُوْكَ بِالْعَذَابِ الْوَبِيْلِ، فَالْعَجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ يَا مِسْكِيْنُ! أَنْتَ مَعَ ذلِكَ مُنْهَمِكٌ فِي اللَّذَّاتِ، وَمُصِرٌّ عَلَى السَّيِّئَاتِ، لا تُبَالِي بِقِلَّةِ الزَّادِ وَالْحَسَنَاتِ، وَلا تَخْشَى الْمَوْلَى الْجَلِيْلَ. أَمَا إِنَّ وَرَاءَكَ نَارًا

تَنْزِعُ اللَّحْمَ، وَتَخْرِقُ الْجَسَدَ كُلَّمَا نُضِجَتْ جُلُوْدُ أَهْلِ النَّارِ بُدِّلُوْا جُلُوْدًا غَيْرَهَا لِيَذُوْقُوا الْعَذَابَ الْوَبِيْلَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَكْثُرُ الْبُكَاءُ وَالنَّحِيْبُ، وَتَعُمُّهُمُ النَّارُ وَاللَّهِيْبُ، وَيَكُوْنُ الْعَزِيْزُ فِي الدُّنْيَا كَالْعَبْدِ الذَّلِيْلِ، فَحِيْنَئِذٍ تَتَأَسَّفُ يَا لَيْتَنِيْ كُنْتُ تُرَابًا، أَوْ تَقُوْلُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَبَابًا، أَوْ تَقُوْلُ: يَا لَيْتَ أُمِّيْ لَمْ تَلِدْنِيْ فَيُنَادِيْكَ مُنَادٍ هٰذَا مَا وَعَدَ رَبُّكَ، فَهَلْ وَجَدْتَّ مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ حَقًّا هٰذَا جَزَاءُ مَا اكْتَسَبْتَه، وَضَيَّعْتَ الْعُمْرَ الْقَلِيْلَ، فَيَا أَخِي! أَنْصَحُكَ، وَالدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ بِتَقْوَى اللهِ خَالِقِ الْبَرِيَّةِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَنْ نَوَاهِيْهِ، كَمَا يَنْقَادُ الْعَبْدُ الذَّلِيْلُ لِلْمَوْلَى الْجَلِيْلِ. وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ مِنْ ذُنُوْبٍ مُّهْلِكَاتٍ، وَعُيُوْبٍ مُسْقِطَاتٍ، لا سِيَّمَا الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّحَاسُدِ وَالتَّنَافُسِ وَالسُّخْرَةِ بِالْمُسْلِمِيْنَ، وَالشِّرْكَةِ فِيْ إِيْذَائِهِمْ، وَتَحْقِيْرِهِمْ وَالتَّذْلِيْلِ، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ فِيْ كُلِّ صَبَاحٍ وَّمَسَاءٍ، وَنَاقِشْ نَفْسَكَ عِنْدَ كُلِّ غَدَاةٍ وَّعَشَاءٍ، وَابْكِ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيْلِ، فَمَنْ نَّدِمَ عَلَى مَا اكْتَسَبَه وَتَحَسَّرَ عَلَى خَيْرٍ فَاتَه، وَبَكَى عَلَى نَفْسِه، وَتَابَ إِلَى رَبِّه فَازَ بِالثَّوَابِ الْجَمِيْلِ. وَعَلَيْكَ بِالاسْتِغْفَارِ فِيْ ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَذٰلِكَ وَقْتٌ يَّنْزِلُ فِيْهِ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَيَقْضِي حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِيْنِ، وَيَرْحَمُ عَلَى كُلِّ تَائِبٍ وَّذَلِيْلٍ. وَعَلَيْكَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّه دَأْبُ الصَّالِحِيْنَ وَطَرِيْقَةُ الْفَالِحِيْنَ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يَقُوْمُ مِنَ اللَّيْلِ». وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيْ صَلاةِ اللَّيْلِ بِالتَّرْتِيْلِ، لَعَلَّ اللهَ يَسْلُكُ بِكَ خَيْرَ سَبِيْلٍ، وَقُوْلُوْا مِنْ خَالِصِ الْفُؤَادِ قَوْلَ الْعَبْدِ بِحَضْرَةِ الْمَوْلَى الْجَلِيْلِ. يَا اللهُ، يَاسَتَّارُ، يَا جَمِيْلُ اغْفِرْ لَنَا وَعَافِنَا، وَاعْفُ عَنَّا، وَنَجِّنَا مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وَّتَعَبٍ وَّهَمٍّ ثَقِيْلٍ، وَالْحَمْدُ للهِ ذِي الْفَضْلِ الْعَمِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ فَيَقُوْلُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِيْ هٰؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيْلَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من صفر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ عَلى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَعَلى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ يَطَّلِعُ عَلَى الْعُصَاةِ، وَهُمْ فِي مَعَاصِيْهِمْ، فَيَتُوْبُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتُرُ عُيُوْبَهُمْ، وَهُوَ كَثِيْرُ الْغُفْرَانِ، خَلَقَ الإنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَهَدَاهُ بِإرْسَالِ الأنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ذَوِي الْعَزْمِ وَالشَّأْنِ، أحْمَدُهُ عَلى أنْ بَعَثَ عَلَيْنَا سَيِّدَ الأنْبِيَاءِ خَاتِمَ الرُّسُلِ، وَأنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ، وَوَعَدَنَا بِالْمُبَشَّرَاتِ وَالْكَرَامَاتِ، وَدُخُوْلِ الْجِنَانِ.

وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا عَلى أنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عِمَادٍ وَّبَسَطَ الأرْضَ، وَوَضَعَ الْمِيْزَانَ، أشْهَدُ أنَّه لا إلَه إلا هُوَ وَحْدَه لا ضِدَّ لَه، وَلا نِدَّ لَه، وَهُوَ الْكَرِيْمُ الْمَنَّانُ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه لَوْلاهُ لَمَا كَانَ مَا يَكُوْنُ وَمَا كَانَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا دَارَ الْقَمَرَانِ.

أمَّا بَعْدُ: فَيَا أيُّهَا الثَّقَلانِ، مِنْ بَنِي الإنْسِ وَالْجَانِّ، أُنْظُرُوْا إلى هذَا الزَّمَانِ، زَمَانِ شَرٍّ وَّطُغْيَانٍ، نَشْكُو الْغَلاءَ، وَضِيْقَ الْمَعَاشِ وَالْهَوَانِ، وَلا تَلْتَفِتُ إلى مَا يَصْدُرُ مِنَّا مِنَ الذُّنُوْبِ وَالْعِصْيَانِ، قَدِ انْتَهَتْ أشْرَاطُ السَّاعَةِ إلى نِهَايَتِهَا، وَلَمْ تَبْقَ عَلامَةٌ مِنْ عَلامَاتِ الْقِيَامَةِ إلا بَلَغَتْ أقْصَاهَا كَمَا أخْبَرَ بِهَا سَيِّدُ الإنْسِ وَالْجَانِّ، أُتُّخِذَتِ الأمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَلُبِسَ الْحَرِيْرُ، وَكَثُرَ الشِّرِيْرُ، وَأطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَه، وَبَرَّ صَدِيْقَه، وَجَفَا أبَاهُ وَأمَّه، وَقُطِعَتِ الأرْحَامُ، وَظُلِمَتِ الأيْتَامُ، وَبَلَغَتِ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ الْعَالَةُ رِعَاءُ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي الْبُنْيَانِ، قَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وَرُفِعَتِ الأمَانَةُ، وَقُبِضَ الْعِلْمُ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ، وَالْتُمِسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الأصَاغِرِ وَالْجُهَلاءِ، وَارْتَفَعَ الصِّدْقُ، وَكَثُرَ الْكَذِبُ، وَانْهَمَكْنَا فِي الذُّنُوْبِ

وَالطُّغْيَانِ، تَدَابَرْنَا وَتَحَاسَدْنَا وَتَبَاغَضْنَا وَتَنَافَسْنَا، وَكَثُرَ فِيْنَا الرِّيَاءُ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَارْتِكَابُ الزِّنَا، وَسَمْعُ الْمَزَامِيرِ وَالْغِنَا، وَشُرِبَتِ الْخُمُوْرُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلان.

فَوَ اللهِ لَوْلا حُرْمَةُ سَيِّدِ بَنِي عَدْنَانٍ لَغَضِبَ عَلَيْنَا الرَّحْمَنُ، وَخَسَفَ بِنَا الْمَكَانُ، وَنَزَلَ بِنَا الْقَذْفُ وَالْمَسْخُ وَالْخَسْفُ وَالزَّلازِلُ وَالْهَوَانُ، وَلَوْلا مَشَايِخُ رُكَّعٌ وَّصِبْيَانٌ رُّضَّعٌ وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ لَّعُوقِبْنَا بِإِحْرَاقِ النِّيْرَانِ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ بِخُلُوْصِ النِّيَّةِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ بِصِدْقِ الطَّوِيَّةِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنَا، وَيَغْفِرُ ذُنُوْبَنَا، وَيُدْخِلُنَا دَارَ الْجِنَانِ، وَلا تَغْتَرُّوْا بِحِلْمِ اللهِ وَرَحْمَتِه، فَإِنَّه تَعَالى شَدِيْدُ الْبَطْشِ قَوِيُّ الأَخْذِ لا يُعْجِزُه شَيْءٌ دُوْنَ شَيْءٍ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيْ شَأْنٍ، وَلا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَتِه إِنَّه يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا، إِنَّه هُوَ الْغَفُوْرُ الْمَنَّانُ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ، أَوْ تُفَاجِئَكُمُ الْعَلامَاتُ الْكُبْرى، وَأَنْتُمْ فِي اللَّذَّاتِ مُنْهَمِكُوْنَ، فَتَكُوْنُوْنَ كَمَنْ قَالَ اللهُ تَعَالى فِيْ حَقِّه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِيْ غَفْلَةٍ مُّعْرِضُوْنَ﴾، فَهذَا زَمَانٌ قَرُبَ مِنْهُ قِيَامُ يَوْمِ الْقِيَامِ، وَاقْتَرَبَ ظُهُوْرُ الإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ إِمَامِ آخِرِ الزَّمَانِ، وَمَا أَدْرَاكُمْ لَعَلَّه يَظْهَرُ فِيْ هَذِهِ الْمِائَةِ، وَيَخْرُجُ فِيْ عَصْرِهِ الدَّجَّالُ، وَخُرُوْجُه وَقْعَةٌ دَاهِيَةٌ شَدِيْدُ الامْتِحَانِ.

مَا مَضَى نَبِيٌّ مِّنَ الأَنْبِيَاءِ إِلا أَنْذَرَ قَوْمَه مِنْ فِتْنَتِه، وَدَاوَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى التَّعَوُّذِ مِنْ فِتْنَتِه فِيْ صَلاتِهِ، وَأَخْبَرَنَا عَنْ أَحْوَالِه وَعَلامَاتِه، وَأَنَّه يَخْرُجُ مِنْ نَّوَاحِي خُرَاسَانَ، يَتْبَعُه جَمٌّ غَفِيرٌ مِّنْ يَّهُوْدِ أَصْبَهَانَ، عَلَيْهِمُ الأَرْدِيَةُ وَالطَّيْلَسَان.

وَيَدَّعِي الرُّبُوْبِيَّةَ وَتَصْدُرُ عَنْهُ خَوَارِقُ الْعَادَاتِ امْتِحَانًا لِّلإِنْسِ وَالْجَانِّ، فَيَأْمُرُ السَّحَابَ أَنْ تُّمْطِرَ، فَيُمْطِرُ وَالأَرْضَ يَزْرَعُ، فَيَخْضَرُّ مَعَه جَنَّةٌ وَّنَارٌ مَّنْ كَفَرَ بِه أَدْخَلَه نَارَه، وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَمَنْ آمَنَ بِه أَدْخَلَه جَنَّتَه وَهُوَ النِّيْرَانُ، عَنْ شِمَالِه وَيَمِيْنِه مَلَكَانِ، فَيَقُوْلُ لِلنَّاسِ: أَتُؤْمِنُوْنَ إِنْ شَهِدَ بِرُبُوْبِيَّتِي الْمَلَكَانِ، فَيَقُوْلُوْنَ: نَعَمْ، فَيَقُوْلُ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، فَيَقُوْلُ مَلَكُ الْيَمِيْنِ: كَذَبْتَ، وَلا يَسْمَعُهُ النَّاسُ، وَيَقُوْلُ

مَلَكُ الشِّمَال لِمَلَكِ الْيَمِيْنِ: صَدَقْتَ، وَيَسْمَعُهُ النَّاسُ، فَيَظُنُّوْنَ أَنَّه صَدَّقَ الدَّجَّالَ، فَيُؤْمِنُوْنَ بِه، فَيَا لَه مِنْ خُسْرَانٍ.

يَسْبَحُ فِى الأَرْضِ سَبْحًا، وَيَسِيْرُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ فِيْ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَبَاقِي الأَيَّامِ كَأَيَّامِكُمْ إِلى أَنْ يَنْزِلَ سَيِّدُنَا عِيْسى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَيَقْتُلُه، وَيُنَجِّيْ مِنْ بَلاءِه أَهْلَ الإِيْمَانِ، فَعِنْدَ ذلِكَ يَكُوْنُ الدِّيْنُ كُلُّه لله يَرْفَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيْرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيْبَ، وَلا يَقْبَلُ إِلا الإِيْمَانَ.

وَقَدْ أَوْصَانَا النَّبِيُّ ﷺ عَلى مَا وَرَدَ عَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمُحْكَمِ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَه مِنْكُمْ فَلْيُبَلِّغْ سَلامِيْ عَلَيْهِ، وَكَذلِكَ أَوْصى أَبُوْ هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَجِلَّةِ الصَّحَابَةِ أَنْ يُبَلِّغَ سَلامَه إِلَيْهِ، فَاحْفَظُوْا هذِهِ الْوَصِيَّةَ، وَبَلِّغُوْهَا إِلى أَوْلادِكُمْ وَمَنْ يَخْلُفُكُمْ، فَمَنْ بَقِيَ إِلى زَمَانِه، وَأَدْرَكَ أَوَانَه، فَلْيُبَلِّغْ سَلامَ نَبِيِّنَا ﷺ وَصَاحِبِه أَبِيْ هُرَيْرَةَ إِلى سَيِّدِنَا عِيْسى عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه صَلاةُ الرَّحْمنِ، وَقُوْلُوْا مِنْ خُشُوْعِ الْقَلْبِ وَصِدْقِ اللِّسَانِ، اَللّهُمَّ يَا رَحْمنُ يَا مَنَّانُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ يَا عَمِيْمَ الْغُفْرَانِ، اِغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَلا تُهْلِكْنَا بِذُنُوْبِنَا، وَنَجِّنَا مِنَ الْبَلاءِ وَالْخُسْرَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْكَرِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من صفر يذكر فيها قدوم الحجّاج

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْكَرِيْمِ التَّوَّابِ، مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ وَمُفَتِّحِ الأَبْوَابِ، الَّذِي اصْطَفَى لِجَنَّتِهِ عِبَادًا، وَعَهِدَ مَوَاسِمَ وَأَعْيَادًا، لِقُرْبِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَنَابِ.

نَحْمَدُهُ حَمْدًا عَلَى أَنْ جَعَلَ الْبَيْتَ الْعَتِيْقَ قِبْلَةً لِّلأَنَامِ، وَنَادَى بِلِسَانِ خَلِيْلِهِ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَأَجَابُوْهُ مِنْ كُلِّ مَرْمًى سَحِيْقٍ وَّوَعَدَ لَهُمْ جَزِيْلَ النِّعَمِ وَأَحْسَنَ الثَّوَابِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ سَهَّلَ لَهُمُ الطَّرِيْقَ فَتَرَكُوا الأَوْلادَ وَالأَحْفَادَ، وَوَصَلُوْا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ وَّنَالُوْا حُسْنَ مَآبٍ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً تُدْخِلُنَا دَارَ الثَّوَابِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ تَشَرَّفَ عُنْصُرُه وَطَابَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِه أُولِي الأَلْبَابِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! هَنِيْئًا لِّمَنْ وَّفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى بِحَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ فِيْ هذِهِ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، وَشَرَّفَه بِزِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّه وَحُضُوْرِ ذلِكَ الْجَنَابِ، وَسَهَّلَ لَهُ السَّبِيْلَ، وَيَسَّرَ عَلَيْهِ السَّفَرَ الطَّوِيْلَ، فَتَرَكَ الأَمْوَالَ وَالأَوْلادَ وَالأَحْبَابَ، فَوَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ، وَنُوْدِيَ عِنْدَ طَوَافِه، إِنَّكَ مِنَ النَّارِ عَتِيْقٌ، وَّإِنَّكَ نَاجٍ مِّنَ الْعَذَابِ، وَأَقَامَ فِي الْحَرَمِ الْمُحْتَرَمِ، فَقُبِلَتْ حَسَنَاتُه، وَحُطَّتْ سَيِّئَاتُه، وَفَازَ بِلَطَائِفِ النِّعَمِ وَحُسْنِ الثَّوَابِ، وَرَاحَ فِيْ أَيَّامِ الْمَوْسَمِ إِلَى مِنًى، فَظَفَرَ بِالْمُنَى، ثُمَّ إِلَى عَرَفَاتٍ، فَنُوْدِيَ بِغُفْرَانِ السَّيِّئَاتِ وَالتَّبِعَاتِ، وَأَدَّى أَرْكَانَ الْحَجِّ عَلَى مَا أَمَرَهُ اللهُ وَرَسُوْلُه، فَصَارَ كَيَوْمٍ وَّلَدَتْهُ أُمُّه آمِنًا مِّنَ الْعِقَابِ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَدَاءِ الْمَنَاسِكِ حَرَّكَ نَوْقَ الشَّوْقِ، إِلَى زِيَارَةِ مَنْ بِزِيَارَتِه يُرْحَمُ

الْكِبَارُ وَالصِّغَارُ، وَيَحْصُلُ لِزَائِرِهِ الْعِزُّ وَالْفَخَارُ وَشَرَفُ الْخِطَابِ، فَوَصَلَ إِلى تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْمَنِيْعَةِ، وَفَازَ بِزِيَارَةِ تِلْكَ الأَمَاكِنِ الشَّرِيْفَةِ بِالدَّرجَاتِ الرَّفِيْعَةِ، وَعُدَّ مِمَّنْ طَهُرَ مِنَ الذُّنُوْبِ، وَصَفى قَلْبُه مِنَ الْعُيُوْبِ، وَدُعَاءُه مُجَابٌ، ثُمَّ يَسَّرَ اللهُ لَهُ الْعَوْدَ إلى مَوْطِنِه، وَسَهَّلَ لَهُ الرُّجُوْعَ إلى مَسْكَنِه، وَتلاقِيَ الأَقْرَانِ وَالأَحْبَابِ، فَطُوْبى لَه وَبُشْرى لَه بِنَيْلِ الثَّوَابِ.

فَيَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ تَخَلَّفُوْا عَنِ اكْتِسَالِ هذِهِ الْفَضِيْلَةِ! تَلَقُّوْهُمْ أَحْسَنَ لِقَاءٍ وَحَيُّوْهُمْ أَحْسَنَ تَحِيَّةٍ، وَقُوْمُوْا بِخِدْمَتِهِمْ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِتِلْكَ الأَمَاكِنِ الْعَلِيَّةِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَيُخَفِّفُ عَنْكُمُ الْحِسَابَ، وَاطْلُبُوْا مِنْهُمُ الاسْتِغْفَارَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُسْتَجَابٌ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ.

وَيَا أَيُّهَا الْحَاجُّ! أُوْصِيْكَ كُلَّ الْوَصِيَّةِ، أن لا تُدَنِّسَ حَجَّكَ بِالْخَطِيْئَةِ، وَأَنْ لا تُضَيِّعَ عُمْرَكَ فِي اكْتِسَابِ السَّيِّئَةِ، وَالْزَمِ الْجِهَادَ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، فَهُوَ عَلامَةُ قَبُوْلِ الْعِبَادَةِ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُوْنَ الآنَ كَمَا كُنْتَ قَبْلَ الْحَجَّةِ، وَتَكْسِبَ مَا كُنْتَ تَكْسِبُه قَبْلَ الزِّيَارَةِ، فَإِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْبَطْشِ سَرِيْعُ الْحِسَابِ، وَاغْتَنِمُوْا أَرْبَعًا قَبْلَ أَرْبَعٍ، الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالصِّحَّةَ قَبْلَ الْمَرَضِ، وَالْغِنَاءَ قَبْلَ الْفَقْرِ، وَقَبْلَ الْمَشِيْبِ الشَّبَابَ، لِئَلا تَقُوْلُوْا حِيْنَ الشَّيْبِ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُوْدُ، وَهُوَ لا يَعُوْدُ إلى أَنْ يَقُوْمَ يومُ الْحِسَابِ، وَارْفَعُوْا أَكُفَّ السُّؤَالِ إلى حَضْرَةِ الْمُتَعَالِ قَائِلِيْنَ، اَللّهُمَّ يَا كَرِيْمُ يَا تَوَّابُ. اِغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَارْزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿حم تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من صفر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ دَلَّتْ كُلُّ ذَرَّةٍ عَلى قُدْرَتِه الْقَدِيْمَةِ، وَشَهِدَتْ كُلُّ نَمْلَةٍ بِصُنْعَتِهِ الْحَكِيْمَةِ، أمَرَ الشَّمْسَ فَتَطْلُعُ وَتَغِيْبُ، وَأنْبَتَ فِي الأرْضِ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ تَبْصِرَةً وَّذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍ.

نَحْمَدُهُ سُبْحَانَه وَتَعَالى مَا أحْلَمَه كَيْفَ يَعْصِيْهِ الْخَلْقُ، وَهُوَ لا يَقْصُرُ فِي التَّرْتِيْبِ، وَاشْكُرُه شُكْرًا كَيْفَ يَطَّلِعُ عَلى ذُنُوْبِ الْخَلْقِ، وَيَحْلُمُ وَهُوَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ قَرِيْبٌ، نَشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه يَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاهُ وَيُجِيْبُ، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه يَشْفَعُ ذُنُوْبَنَا وَهُوَ فِي حَقِّنَا طَبِيْبٌ.

أمَّا بَعْدُ: أيُّهَا النَّاسُ! يَأْتِيْ عَلَيْكُمْ شَهْرٌ وَّيَذْهَبُ شَهْرٌ وَّهـذَا مِنْ عَلامَاتِ الرَّحِيْلِ وَالسَّفَرِ، وَهَا قَدْ أذِنَ مِنْكُمْ فِي الرَّحِيْلِ الصَّفَرِ، وَآذَنَكُمْ بِقُرْبِ الرَّحِيْلِ وَالسَّفَرِ، وَسَيُظِلُّكُمْ شَهْرُ رَبِيْعِ الأوَّلِ شَهْرٌ وُّلِدَ فِيْه سَيِّدُنَا مُحَمَّدُنِ الشَّفِيْعُ الْحَبِيْبُ، فَاتْرُكُوا التَّكَاسُلَ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَاقْصُرُوْا عَنِ الْخَطِيْئَاتِ، فَمَنْ تَابَ وَأنَابَ، فَازَ بِحُسْنِ الْمَآبِ، وَمَنْ غَفَلَ وَنَامَ بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مَغْمُوْمٌ كَئِيْبٌ.

عَلَيْكُمْ بِإقَامَةِ الأرْكَانِ، وَاسْتِقَامَةِ اللِّسَانِ، مَا تَلْفِظُوْنَ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ، عَلَيْكُمْ بِتَرْكِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالتَّوَجُّهِ إلى خَالِقِ الْبَرِيَّةِ.

أمَا قَرَعَ سَمْعَكُمْ مَا قَالَ نَبِيُّكُمْ وَهُوَ لِمَرَضِكُمْ طَبِيْبٌ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأنَّكَ غَرِيْبٌ»، عَلَيْكُمْ بِجَمْعِ الزَّادِ لِسَفَرِ الآخِرَةِ، أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَه تَعَالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْهَا وَمَا لَه فِي الآخِرَةِ مِنْ نَّصِيْبٍ﴾.

أيُّهَا الشُّبَّانُ! أمَا تَنْظُرُوْنَ إلى تَقَلُّبِ الزَّمَانِ، يَمُوْتُ أحْبَابُكُمْ فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، وَتُصِيْبُكُمُ الْمَصَائِبُ وَالْبَلايَا مَوْجًا بَعْدَ مَوْجٍ، أفَلا تَعْتَبِرُوْنَ إنَّ هذَا لأمْرٌ عَجِيْبٌ.

وَيا أَيُّهَا الشُّيُوْخُ! أَمَا تَنْظُرُوْنَ الْبَيَاضَ بَعْدَ السَّوَادِ، قَدْ أَتَاكُمْ مَّا يُؤْذِنُكُمْ بِقُرْبِ زَمَانِ الْمَوْتِ، وَدُنُوِّ أَوَانِ الْفَوْتِ، لا يَبْيَضُّ شَعْرٌ إلا قَالَ لِقَرِيْنِهِ اسْتَعِدَّ لِلرَّحِيْلِ أَيُّهَا الْغَرِيْبُ، وَأَنْتُمْ فِي الْغَفَلاتِ لاعِبُوْنَ، وَفِي اكْتِسَابِ السَّيِّئَاتِ مُنْهَمِكُوْنَ، إِنَّ هٰذَا لأَمْرٌ عَجِيْبٌ.

تَفَكَّرُوْا فِيْ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا أَقْبَرَكُمُ الأَحْبَابُ، وَوَلّى عَنْكُمُ الأَصْحَابُ، وَجَاءَكُمُ الْمَلَكَانِ الأَزْرَقَانِ الأَسْوَدَانِ السَّائِلانِ مَنْ رَّبُّكَ؟ وَمَا دِيْنُكَ؟ شَكْلُ كُلٍّ مَّهِيْبٌ، فَمَنْ مَّاتَ تَائِبًا مِّنَ الذُّنُوْبِ، نَجَا مِنَ الْكُرُوْبِ، وَنَامَ كَنَوْمِ الْعَرُوْسِ لا يَبْعَثُهَا إِلا الْكَرِيْمُ الْمُجِيْبُ، وَمَنْ مَّاتَ مُتَلَطِّخًا بِالرَّذَائِلِ، تَحَيَّرَ عِنْدَ الْمَسَائِلِ، وَصَارَ كَالْمَهْمُوْمِ الْمَغْمُوْمِ الْمَحْزُوْنِ الْكَئِيْبِ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ، وَبُعِثَ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ، حَضَرَ كُلٌّ عِنْدَ الْمَلِكِ الْحَسِيْبِ، هُوَ يَوْمٌ عَظِيْمٌ كَرْبُهُ، شَدِيْدٌ هَوْلُهُ، فَكَمْ مِّنْ شَابٍّ يُّنَادِيْ وَا شَبَابَاه، وَكَمْ مِّنِ امْرَأَةٍ تُنَادِيْ وَا فَضِيْحَتَاه، وَكَمْ مِّنْ وَّجْهٍ صَبِيْحٍ وَّلِسَانٍ فَصِيْحٍ يَّقُوْلُ: وَا وَيْلاه، وَكَمْ مِّنْ شَيْخٍ يُّنَادِيْ وَا مَشِيْبَاه.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لا يَنْسى هٰذِهِ الأَحْوَالَ، وَيَتْرُكُ مُحَقَّرَاتِ الأَفْعَالِ، وَيَتَذَكَّرُ يَوْمًا الأَرْضُ فِيْهِ مَهِيْلٌ كَثِيْبٌ، وَلا تَظُنُّ بَعْدَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، فَقَدْ ظَهَرَتِ الْعَلامَاتُ الصُّغْرى، وَلَمْ يَبْقَ إِلا الْبَطْشَةُ الْعُظْمى، وَهُوَ بَطْشَةُ الدَّجَّالِ الأَعْوَرِ، فَمَا أَدْرَاكُمْ لَعَلَّهُ يَخْرُجُ فِيْ هٰذِهِ الْمِائَةِ الْحَاضِرَةِ، فَيَأْخُذُكُمْ وَيَطْلُبُ مِنْكُمْ تَصْدِيْقَهُ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ فَازَ بِأَعْلَى النَّصِيْبِ.

فَهَلْ مِنْ مُّسْتَغْفِرٍ يَّسْتَغْفِرُ؟ وَهَلْ مِنْ تَائِبٍ يَّتُوْبُ؟ وَهَلْ مِنْ لَّبِيْبٍ؟ اَللّٰهُمَّ إِنَّا عِبَادٌ ضُعَفَاءُ مُجْرِمُوْنَ لا تَأْخُذْنَا بِذُنُوْبِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا، يَا سَامِعَ الدُّعَايَا وَهُوَ قَرِيْبٌ. وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ذِي اللُّطْفِ الْعَمِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿اَللّٰهُ الَّذِيْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيْزَانِ وَمَا يُدْرِيْكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيْبٌ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من شهر ربيع الأوّل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَرسَلَ فِيْ هَذِهِ الدَّارِ النُّفُوْسَ الدَّاعِيَةِ، وَهَدى بِهِمِ الأُمَمَ الطَّاغِيَةَ، فَسُبْحَانَه مِنْ إِلهٍ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوْهُ، مَا يُرِيْدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِّزْقٍ وَّمَا يُرِيْدُ أَنْ يُّطْعِمُوْهُ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رُسُلًا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ رَهَّبُوْهُمْ مِّنَ النَّارِ وَرَغَّبُوْهُمْ إِلَى الْجَنَّاتِ الْعَالِيَةِ.

أَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا، وَأَشْكُرُه شُكْرًا جَمِيْلًا عَلى أَنِ اخْتَارَ مِنْ بَيْنِهِمْ سَيِّدَ وُلْدِ آدَمَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ذَا الْحُجَجِ السَّاطِعَةِ، فَلَوْلاهُ لَمَا خُلِقَ مَا سِوَاهُ وَلَمَا دَارَتِ الأَفْلاكُ الدَّائِرَةُ، وَلا طَارَتِ الطُّيُوْرُ الطَّائِرَةُ، نَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، فَضَّلَ نَبِيَّنَا عَلى جَمِيْعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَفَضَّلَ أُمَّته عَلى سَائِرِ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه مَا وَلَدَتِ امْرَأَةٌ مِّثْلَه وَلا تَلِدُ نَظِيْرَه الْوَالِدَةُ.

أَمَّا بَعْدُ: عِبَادَ اللهِ! اُشْكُرُوْا عَلى نَعْمَاءِ اللهِ إِذْ كُنْتُمْ عَلى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ، فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا وَأَوْرَثَكُمُ الْجَنَّةَ الْعَالِيَةَ، وَجَعَلَكُمْ مِّنْ أُمَّةِ نَبِيِّه وَحَبِيْبِه، وَخَصَّكُمْ بِمَزِيْدِ فَضْلِه وَلُطْفِه، فَكُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَصِرْتُمْ أُمَّةً وَّسَطًا لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا يَّوْمَ الْمَحْشَرِ. فَيَا لَه مِنْ نِّعَمٍ مُّتَوَالِيَةٍ وَّمُتَتَالِيَةٍ، وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِه لَوْ كَانَ كُلُّ شَعْرَةٍ لِّسَانًا وَّكُلُّ جُزْءٍ جَنَانًا لَّمَا قَدَرْنَا عَلى شُكْرِه لِهذِهِ النِّعَمِ السَّائِلَةِ، وَلَقَدْ أَظَلَّكُمْ هذَا الشَّهْرُ شَهْرُ رَبِيْعِ الأَوَّلِ شَهْرٌ وُّلِدَ فِيْهِ الْحَبِيْبُ الشَّفِيْعُ الأَكْمَلُ عَلى أَصَحِّ الأَقْوَالِ الرَّاضِيَةِ. فَأَكْثِرُوْا فِيْهِ الصَّلاةَ وَالسَّلامَ عَلى سَيِّدِ الأَنَامِ، وَأَلْزِمُوْا طَاعَتَه فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، فَمَنْ أَطَاعَه نَجَا، وَمَنْ خَالَفَه وَاتَّبَعَ الْهَوى سَلَكَ إِلَى النَّارِ مَعَ الأُمَمِ الطَّاغِيَةِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ إِلا لِيُطَاعَ

بِإِذْنِ اللهِ﴾، وَقَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ وَالرَّسُوْلَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيْقًا﴾. فَهٰذِهِ نُصُوْصٌ أَوْجَبَتْ إِطَاعَةَ الرَّسُوْلِ، وَدَلَّتْ عَلى وُجُوْبِ اتِّبَاعِهِ بِالدَّلالَةِ الظَّاهِرَةِ، فَأَلْزِمُوْا عَلَيْكُمُ اتِّبَاعَ شَرِيْعَةِ نَبِيِّكُمْ، وَاتْرُكُوْا مَا مَالَ إِلَيْهِ هَوَاكُمْ وَطَبْعُكُمْ، فَمَنْ آثَرَ عِبَادَةَ نَفْسِهِ وَتَرَكَ طَاعَةَ رَبِّهِ وَرَسُوْلِهِ حُشِرَ مَعَ الأَشْقِيَاءِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ حُشِرَ مَعَ نَبِيِّهِ، وَنَالَ الرِّفَاقَةَ الْعَالِيَةَ. وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَاكُمْ أَنْ تَأْخُذُوْا بِالْبِدْعَاتِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيْلَ مِنْ سُنَّةٍ خَيْرٌ مِّنْ عَمَلٍ كَثِيْرٍ فِيْ بِدْعَةٍ وَّاهِيَةٍ، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكى مِنْ هٰذَا الدَّهْرِ، دَهْرِ الْفَسَادِ وَالشَّرِّ، أَطْبَقَ الْجَهْلُ الْعَالَمَ، وَمَاتَ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ الْعَالَمُ، اتَّخَذَ النَّاسُ جُهَّالَهُمْ فُقَهَاءَ، وَظَنُّوْا مَنْ لا فِقْهَ لَه مِنَ الْعُلَمَاءِ، تَرَى النَّاسَ يَسْتَفْتُوْنَ مِنَ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّيْنَ، مُعْتَقِدِيْنَ أَنَّهُمْ مِنَ الْهَادِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ، وَهُمْ يُفْتُوْنَهُم بِغَيْرِ هَادٍ وَّدَلِيْلٍ، فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا كَثِيْرًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ. تَرَى النَّاسَ وَقَعُوْا فِي الْوَرْطَةِ الظَّلْمَاءِ، وَالْوَقْعَةِ الصَّمَّاءِ، وَتَمَسَّكُوْا بِالْبِدْعَاتِ الْفَاشِيَةِ، يَقُوْلُوْنَ: كَيْفَ نَتْرُكُهَا وَكَانَ آبَاءُنَا يَفْعَلُوْنَ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لا يَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَّلا يَهْتَدُوْنَ. تَرَى النَّاسَ زَعَمُوا الْبِدْعَةَ سُنَّةً فَالْتَزَمُوْهَا، وَالسُّنَّةَ بِدْعَةً فَهَجَرُوْهَا، فَالآنَ قَدْ تَوَالَتْ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ الآتِيَةِ، وَسَيَفْجَأُكُمْ خَبَرُ خُرُوْجِ الدَّجَّالِ الأَعْوَرِ وَخُرُوْجُه وَقْعَةٌ دَاهِيَةٌ. فَيَا إِخْوَانِيْ! تَضَرَّعُوْا إِلَى اللهِ، وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ: اَللّٰهُمَّ إِنَّا لَسْنَا بِرَاضِيْنَ مِمَّا يَفْعَلُوْنَ، فَلا تَأْخُذْنَا بِذُنُوْبِهِمْ، وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّاتِ الْعَالِيَةَ.

وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنِّيْ ظَنَنْتُ أَنِّيْ مُلاقٍ حِسَابِيَه، فَهُوَ فِيْ عِيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِيْ جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوْفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من شهر ربيع الأوّل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ بِحِكْمَتِهِ اسْتَقَرَّتِ الأَرْضُوْنَ وَاسْتَقَلَّتِ السَّموَاتُ، خَلَقَ خَلْقًا لا يَعْلَمُه إلا هُوَ وَأَسْكَنَه فِي الطَّبَقَاتِ، فَسُبْحَانَه وَتَعَالى مِنْ مَّلِكٍ لَّمَا قَالَ: كُنْ ذَلَّتْ لَهُ الأَرْضُوْنَ وَالسَّموَاتُ. نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ لَنَا الأَرْضَ مَسْكَنًا وَّمَدْفَنًا مِّنْهَا خَلَقَنَا، وَفِيْهَا يُعِيْدُنَا، وَمِنْهَا يُخْرِجُنَا، وَخَلَقَ لَهَا أَوْتَادًا تُسَكِّنُهَا، وَهِيَ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ. وَنَشْكُرُه عَلى أَنْ قَدَّرَ لِعِبَادِهِ الْمَوْتَ يَصِلُ كُلٌّ إلى جَزَاءِ مَا اكْتَسَبَه، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فَيَدْخُلُ الأَبْرَارُ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فِيْهَا نِعَمٌ لا عَيْنٌ رَّأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَتْ فِي الْمَدْرِكَاتِ. وَنَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لاشَرِيْكَ لَه، بَعَثَ عَلَيْنَا نَبِيًّا رَّءُوْفًا رَّحِيْمًا سَيِّدَ وُلْدِ آدَمَ وَأَشْرَفَ الْمَخْلُوْقَاتِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ شَهِدَتْ بِرِسَالَتِهِ الأَشْجَارُ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ الأَحْجَارُ، وَأَقَرَّ بِفَضْلِه مَنْ فِي الأَرْضِ وَمَنْ فِي السَّموَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ: إِخْوَانِي وَخُلانِي! مَا هَذِهِ الْغَفْلَةُ؟ وَمَا هذِهِ النِّيَامُ فِيْ هَذِهِ الدَّارِ، دَارِ الْمِحَنِ وَالأَكْدَارِ؟ دَارٌ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ فِيْهَا مِنْ بَابٍ، إلا خَرَجَ مِنْ بَابٍ، دَارٌ لا يَبْقَى فِيْهَا أَحَدٌ بِمُلْكِهِ، وَلا يَخْلُدُ فِيْهَا أَحَدٌ بِفَضْلِه.

أُنْظُرُوْا إِلَى الأُمُوْرِ الْفَانِيَاتِ، أَيْنَ آبَاءُكُمْ وَأَبْنَاءُكُمْ؟ أَيْنَ أَحْبَابُكُمْ وَأَقْرَانُكُمْ؟ أَيْنَ مَنْ كَانَ يُصَاحِبُكُمْ وَيُجَالِسُكُمْ؟ أَيْنَ مَنْ كَانَ مَعَكُمْ فِي الأَيَّامِ الْمَاضِيَاتِ؟ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ؟ أَيْنَ شَدَّادُ وَنُوْشِيْرَوَانُ؟ أَيْنَ بُخْتُ نَصَّر وَإِسْكَنْدَرُ الزَّمَانِ؟ أَيْنَ الْحَكِيْمُ لُقْمَانُ وَالنَّبِيُّ سُلَيْمَانُ؟ هَلْ مَنَعَ أَحَدٌ مَّلَكَ الْمَوْتِ؟ هَلْ دَفَعَتِ الْقُوَّةُ وَالسَّلْطَنَةُ عَنْهُمُ الْفَوْتَ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ اِسْمٌ وَّلا رَسْمٌ إلا الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ.

وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لا يَتْرُكُ مَلَكُ الْمَوْتِ أَحَدًا بَارًا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، عَاشَ آدَمُ

أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنَ الدُّنْيَا هَاجِرًا، وَعَاشَ نُوحٌ أَزْيَدَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ لَمْ يَسْتَأْخِرْ زَمَانًا وَّلا آنًا وَّلَوْ أَنَّه بَقِيَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا لَبَقِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ صَاحِبُ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ، قَدْ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يَخْتَارَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ أَنْ يَخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ تَعَالى، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَه، وَآثَرَ عَلَى الْحَيَاةِ الْمَمَاتَ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الأَخْبَارِ عَنِ الأَئِمَّةِ الْكِبَارِ، أَنَّه أَتَاهُ جِبْرِيْلُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! اَلْجَنَّةُ لَكَ تَزَيَّنَتْ وَأَبْوَابُ النِّيْرَانِ غُلِّقَتْ، وَالْحُوْرُ الْعِيْنُ لَكَ انْتَظَرَتْ، فَقَالَ جِبْرِيْلُ: مَا حَالُ أُمَّتِي بَعْدِيْ مِنَ الْعُصَاةِ؟ فَطَارَ الْمَلَكُ الْجَلِيْلُ إِلَى الْمَلِكِ الْخَلِيْلِ وَعَادَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُوْلُ: أَغْفِرُ مِنْهُمْ مَّنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِه بِشَهْرٍ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيْلُ! مَنْ يَّعْلَمُ أَنَّ حَيَاتِي بَاقٍ؟ فَذَهَبَ جِبْرِيْلُ وَعَادَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُوْلُ: أَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ إِنْ تَابُوْا قَبْلَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، فَلَمْ يَرْضَ بِه وَأَعَادَه فَعَادَ وَجَاءَ، بِأَنَّ اللهَ يَقُوْلُ: أَغْفِرُ إِنْ تَابُوْا قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ، فَفَرِحَ النَّبِيُّ ﷺ. وَأَذِنَ مَلَكَ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوْحِه، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ! خَفِّفْ عَلى أُمَّتِيْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَإِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! افْرَحْ، فَلا أَشْدُدُ عَلى أُمَّتِكَ، فَفَرِحَ وَأَذِنَ، فَطَارَ رُوْحُهُ الْمُعَلَّى إِلَى الْعَرْشِ الأَعْلى، وَاتَّصَلَ الْحَبِيْبُ بِالرَّفِيْقِ الأَعْلى، وَكَانَ ذلِكَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيْعِ الأَوَّلِ عَلى أَصَحِّ الرِّوَايَاتِ، فَعِنْدَ ذلِكَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا وَبَكَتِ الأَرْضُ وَالسَّمٰوَاتُ، فَوَا مُصِيْبَتَاهْ عَلى رِحْلَةِ الشَّفِيْعِ الْمُشَفَّعِ لَوْ صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَ مُظْلِمَاتٍ.

إِخْوَانِي! مَنْ أَنَا وَأَنْتَ؟ يَا مِسْكِيْنُ! كَيْفَ بِكَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، وَأَحَاطَتْ بِكَ الْحَسَرَاتُ، فَلْيَتَنَبَّهِ الْعَاقِلُ، وَلْيَتُبْ مِمَّا كَسَبَ مِنَ الْخَطِيْئَاتِ، اَللّٰهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِه مَلَكُوْتُ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ، نَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ، فَلا تُعَذِّبْنَا بِذُنُوْبِنَا، وَأَدْخِلْنَا مَعَ حَبِيْبِكَ الرَّوْضَاتِ الْعَالِيَاتِ.

وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من شهر ربيع الأوّل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيرِ الأكْبَرِ، اَلْمَالِكِ الْحَكِيْمِ اَلَّذِيْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَّقَدَّر، وَخَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَبِحِكْمَتِهِ دَبَّرَ.

أَحْمَدُهُ عَلى أَنْ قَسَّمَ الْمَخْلُوْقَاتِ عَلى طَبَقَاتٍ وَّ جَعَلَ أَفْضَلَهَا الْبَشَرَ، وَأَشْكُرُه عَلى أَنْ كَرَّمَهُمْ بِشَرِيْفِ الْخِطَابِ، وَسَهَّلَ لَهُمْ طَرِيْقَ الصَّوَابِ وَيَسَّرَ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه لا دَافِعَ لِمَا أَرَادَ، وَلا مَانِعَ لِمَا شَاءَ مِنْ نَّفْعٍ أَوْ ضَرَرٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ الْمَخْلُوْقَاتِ مِنْ مَّلَكٍ وَّجِنٍّ وَّ بَشَرٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه مَا أَضَاءَتِ الشَّمْسُ وَنَوَّرَ الْقَمَرُ.

أَمَّا بَعْدُ: يَا مِسْكِيْنُ! يَا مَنْ هُوَ بِعَمَلِه رَهِيْنٌ، تَنَبَّهْ مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ وَتَذَكَّرْ، وَائْتَمِرْ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ وَأَمَرَ، وَتَجَنَّبْ مَا نَهَاكَ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَاعْتَبِرْ بِمَنْ مَّضى مِنَ الأَسْلافِ وَتَدَبَّرَ، كَمْ مِّنْ مُّتَنَعِّمٍ تَنَعَّمَ عَلى فِرَاشِه فَفَاجَأَتْهُ الْمَنِيَّةُ، وَأَسْكَنَتْهُ تَحْتَ التُّرَابِ وَالْمَدَرِ.

أَيْنَ الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ؟ أَيْنَ الأَوْلادُ وَالأَحْفَادُ؟ أَيْنَ الْمَعْشَرُ؟ أَيْنَ الأَحْبَابُ وَالأَصْحَابُ؟ أَيْنَ الإِخْوَانُ وَالْخُلانُ الأَكْبَرُ وَالأَصْغَرُ؟ تَفَكَّرْ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَمَنْ مَّاتَ قَامَتْ قِيَامَتُه، وَوَرَاءَهُ الْعَرْضُ الأَكْبَرُ، تَفَكَّرْ فِيْمَا يَمْضِيْ عَلَيْكَ فِي الْقَبْرِ مِنَ الضَّغْطَةِ وَالْوَحْشَةِ، وَسُؤَالِ نَكِيْرٍ وَّمُنْكَرٍ، مَا مِنْ يَّوْمٍ إِلا وَيُنَادِيْ فِيْهِ الْقَبْرُ، أَنَا بَيْتُ الْوَحْشَةِ، أَنَا بَيْتُ الظُّلْمَةِ، أَنَا بَيْتُ الْمَسْكَنَةِ، أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ، أَنَا الْمَسْكَنُ وَالْمَوْطِنُ وَالْمَقْبَرُ.

فَهَلْ مِنْ مُّسْتَغْفِرٍ يَّسْتَغْفِرُ؟ وَهَلْ مِنْ مُّتَبَصِّرٍ يَّتَبَصَّرُ، كَيْفَ بِكَ إِذَا وَرَدَ بِكَ

هَاذِمُ اللَّذَّاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجماعَاتِ، فوَقعْتُ فِي الْحَسَرَاتِ، وَصَارَتْ صُوْرَتُكَ تَتَغَيَّرُ، وَتنْفَصِلُ الْمَفَاصِلُ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَتَتكَسَّرَ، وَسَالَتْ مِنْكَ الْعُيُوْنُ بِالدُّمُوْعِ وَسَاءَ الْمَنْظَرُ، وَصَارَ جَسَدُكَ بَعْدَ الْحُسْنِ يَتَغَيَّرُ، ثُمَّ عَجَّلَ بِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ حَبِيْبُكَ إِلَى الْحُفْرَةِ الضَّيِّقَةِ، وَأَلْقَوْا عَلَيْكَ التُّرَابَ وَالْحَجَرَ، فَبَقِيْتَ وَحِيْدًا مُتَحَسِّرًا فَرِيْدًا مُتَحَيِّرًا بَاكِيًا عَلى مَا فَاتَ وَمَا صَدَرَ.

أَفَلا يَعْتَبِرُ الْعَاقِلُ مِنْ هَذِهِ الأَحْوَالِ وَشَدَائِدِ الأَهْوَالِ أَفَلا يَتَدَبَّرُ؟ أَلَكَ عَهْدٌ بِالْخُلُوْدِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَزِيْزِ الأَكْبَرِ، كَلا وَاللهِ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوْسَةٍ إِلا وَهِيَ مَقْبُوْضَةٌ وَتُدْفَنُ وَتُقْبَرُ، وَإِذَا جَاءَ أَجَلُهَا لا تَسْتَقْدِمُ وَلا تَتَأَخَّرُ، وَتَبْقَى رَهِيْنَةً بِمَا كَسَبَتْهُ وَتَتَأَسَّفُ وَتَتَحَسَّرُ.

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَرَحِيْلٍ لَمْ يَأْتِ فِيْهَا أَحَدٌ إِلا وَهُوَ عَلَى جَنَاحِ السَّفَرِ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ الْفَوْتُ إِلا الْخَالِقَ الأَكْبَرَ، وَلَوْ بَقِيَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا خَالِدًا لَبَقِيَ نَبِيُّنَا سَيِّدُ الْجِنِّ وَالْبَشَرِ.

أَمَا تَعْرِفُ أَنَّهَا لَيْسَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْهَمِّ وَالْغَرَرِ، أَمَا سَمِعْتَ مَا يُمْضِي عَلَيْكَ بَعْدَ الْبَرْزَخِ يَوْمَ الْمَحْشَرِ، يَوْمَ يُحَاسَبُ عَلَى كُلِّ صَغِيْرٍ وَكَبِيْرٍ وَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مُسْتَطَرٍ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُوْلُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ حِيْنَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ! مَا لَكَ؟ وَهَذِهِ الشَّدَائِدُ سَتَمُرُّ عَلَيْكَ وَهِيَ أَدْهَى وَأَمَرُّ، فَهَلْ لَكَ عَلَيْهَا مُصْطَبَرٌ؟ أَمْ أَنْتَ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ؟ فَإِنَّ الْحَجَرَ يَنْشَقُّ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ وَيَتَفَجَّرُ مِنْهُ النَّهْرُ، وَيَلِيْنُ جِسْمُهُ وَيَتَأَثَّرُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا تَعْلَمُ وَتَسْمَعُ مَا تَسْمَعُ، وَلا يَلِيْنُ قَلْبُكَ وَلا يَتَأَثَّرُ، أَصَمٌّ فِي أُذُنِكَ أَمْ عَمًى فِي الْبَصَرِ.

اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمنُ يَا خَالِقَ الْقُوَى وَالْقَدَرِ، اِرْحَمْنَا وَاعْفُ عَنَّا، وَسَامِحْنَا وَنَجِّنَا مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿كَلا لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من شهر ربيع الأوّل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْكَبِيْرِ الْوَهَّابِ، اَلْغَفُوْرِ الْعَظِيْمِ التَّوَّابِ، أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ مَالِكُ الأمَمِ وَالرِّقَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ أُوْتِيَ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِه، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إلى يَوْمِ الْحِسَابِ.

وَبَعْدُ فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ! اِتَّقُوا اللهَ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَّآنٍ، وَاحْذَرُوْهُ فِيْ كُلِّ لَمحَةٍ وَّزَمَانٍ، وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْبَطْشِ شَدِيْدُ الْعِقَابِ، وَلا تَغْتَرُّوْا بِسَعَةِ رَحْمَتِه، وَلا تَحْسَبُوْهُ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُه أَهْلُ مَخَالَفَتِهِ، فَإِنَّه يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيْهِ الأَبْصَارُ وَهُوَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ.

وَتَنَبَّهُوْا مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ، وَاتْرُكُوا الانْهِمَاكَ فِي اللَّذَّةِ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمُ الْحِسَابَ وَالْكِتَابَ، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ فِيْ كُلِّ سَاعَةٍ، فَقَدْ كَثُرَتْ فِيْنَا الأَعْمَالُ الرَّدِيْئَةُ، فَشَا الرِّبَا وَالزِّنَا وَالْحِقْدُ وَالْحَسَدُ وَالْبُهْتَانُ وَالنَّمِيْمَةُ، وَأَكْلُ الْحَرَامِ وَاللَّوَاطَةُ، وَأَقْبَحُهَا الْغِيْبَةُ، وَقَدِ ارْتَكَبَهَا كُلُّ شَيْخٍ وَّشَابٍّ.

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ﴾، أَمَا قَرَعَ سَمْعَكُمْ مَّا أَخْبَرَ بِه نَبِيُّكُمْ: «دِرْهَمٌ مِّنَ الرِّبَا يَأْكُلُه الرَّجُلُ أَشَدُّ مِنْ ثَلاثٍ وَّثَلاثِيْنَ زِنْيَةً أَدْنَاهَا أَنْ يَّزْنِيَ الرَّجُلُ بِأُمِّه»، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ عِرْضِ الْمُسْلِمِ.

أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الرِّضَى بِالْغِيْبَةِ كَالْغِيْبَةِ، وَالسَّاكِتُ شَرِيْكُ الْمُغْتَابِ، فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ زَمَانٍ كَالْجِيْفَةِ وَأَهْلُه كَالْكِلابِ، فَإِنْ كُنْتَ كَلْبًا أَكَلْتَ مَعَهُمْ وَإِلا

أَكَلَتْكَ الْكِلابُ، أُمَرَاءُهُمْ سِبَاعٌ وَّوُزَرَاءُهُمْ ذِئَابٌ، اغْتَرُّوْا بِالدُّنْيَا مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّها سَرِيْعُ الزَّوَالِ شَدِيْدُ الانْقِلابِ، كَمْ قَتَلَتْ قَتِيْلا، وَدَمَّرَتْ مَثِيْلا، وَأَهْلَكَتْ نَبِيْلا، وَأَفْسَدَتْ عَقِيْلا كَمْ نَقَضَتْ عَهْدًا وَّهَدَمَتْ مَجْدًا وَّجَدَّدَتِ الْحُزْنَ وَالالْتِهَابَ.

عُلَمَاءُهُمْ يَتَكَلَّفُوْنَ بِعِمَارَةِ الظَّاهِرِ وَبَاطِنُهُمْ خَرَابٌ، لا يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ، وَلا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتَابَ، فَمَا عُذْرُهُمْ عِنْدَ الْعَزِيْزِ الْوَهَّابِ، إِذَا دُفِنُوْا تَحْتَ التُّرَابِ، وَوَلّى عَنْهُمُ الأَصْحَابُ وَالأَحْبَابُ، وَحَضَرَتْهُمْ مَّلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُوْنَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَحَسَّرُوْا عَلى مَا صَدَرَ مِنْهُمْ، وَنَدِمُوْا عَلى مَا ضَيَّعُوْا أَعْمَارَهُمْ، وَعِنْدَ ذٰلِكَ لا يُقْبَلُ عُذْرُهُمْ، وَدُعَاءُهُمْ لا يُجَابُ، وَوَرَاءَ ذٰلِكَ يَوْمُ الْمُنَاقَشَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ يَوْمٌ تُحْضَرُ فِيْهِ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَّشَهِيْدٌ وَّكِتَابٌ، يَوْمٌ تُوْزَنُ فِيْهِ الأَعْمَالُ، وَتَظْهَرُ فِيْهِ قَبَائِحُ الأَفْعَالِ، وَيُنَاقَشُ فِيْهِ كُلُّ شَيْخٍ وَّشَابٍّ.

فَاللهَ اللهَ إِخْوَانِي! هٰذِهِ أَهْوَالٌ عِظَامٌ تَأْتِي عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ إِلَى الآنَ غَافِلُوْنَ، وَفِي بَحْرِ اللَّذَّاتِ غَافِرُوْنَ، تُوْبُوْا إِلَى اللهِ جَمِيْعًا، وَّاسْتَغْفِرُوْهُ صَبَاحًا وَّمَسَاءً لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَيُسْعِدُكُمْ، وَيُخَفِّفُ عَنْكُمْ شِدَّةَ الْحِسَابِ، جَعَلَنِيَ اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِّمَّنْ تَابَ وَأَنَابَ، وَأَدْخَلَنِي وَإِيَّاكُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَنَجَّانِيْ وَإِيَّاكُمْ مِّنْ سُوْءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَآبِ.

وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْحَلِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿حم تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من شهر ربيع الأوّل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أجرى بِحِكْمَتِهِ مَقَادِيْرَ الأمُوْرِ، وَدَبَّرَ السَّموَاتِ وَ الأرْضِيْنَ عَلى مَمرِّ الدُّهُوْرِ، أحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا، وَأشْكُرُه شُكْرًا خَطِيْرًا فِي الْعَشَايَا وَالْبُكورِ.

أشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَهُوَ عَدْلٌ فِيْ قَضَاءِه لا يَجُوْرُ، أشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه شَفِيْعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ النُّشُوْرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه وَصَحْبِه مَا أضَاءَ النَّهارُ وَأظْلَمَ الدَّيْجُوْرُ.

أمَّا بَعْدُ: إخْوَاتِيْ وَخُلانِي! تفكَّرُوْا فِيْ خَلْقِ اللهِ وَتَدَبَّرُوْا فِيْ آيَاتِ اللهِ، إنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ، وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأولِي الألْبَابِ وَالشُّعُورِ، أنْظُرُوْا إلى سُرْعَةِ انْقِضَاءِ الزَّمَانِ وَفَنَاءِ الدُّهُوْرِ، مَا مِنْ لَمْحَةٍ تَمْضِيْ إلا وَتَكْثُرُ فِيهَا ذُنُوْبُكُمْ، وَفِيْ عُمْرِكُمْ قُصُوْرٌ.

إنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأنْتُمْ خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَه لَهُ الْمُلْكُ، وَإلَيْهِ تَرجِعُ الأمُورُ، أيْنَ آبَاءُكُمْ وَأجْدَادُكُمْ؟ أيْنَ أبْنَاءُكُم وَأحْفَادُكُمْ؟ أيْنَ أصْحَابُكُمْ وأقْرَانُكُمْ؟ أيْنَ أحْبَابُكُمْ وَأمْثَالُكُمْ؟ أيْنَ أصْحَابُ الدِّيْوَانِ وَالإيْوَانِ؟ أيْنَ أرْبَابُ الأمْوَالِ وَالْقُصُوْرِ؟ ذَهَبَ بِهِمْ هَاذِمُ اللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ مِنْ سَعَةِ الدُّنْيَا إلى ضِيْقِ الْقُبُوْرِ، أفْنَاهُمْ مَرُّ الزَّمَانِ وَكَرُّ الشُّهُوْرِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إلا رَسْمٌ أوِ اسْمٌ، وَقَصَصُهُمْ عَلَى الألْسِنَةِ تَدُوْرُ.

فَطُوبى لِمَنِ اعْتَبَرَ وَتَفَكَّرَ فِيْمَا سَلَفَ وَمَا غَبَرَ، وَاجْتَنَبَ سَيِّئَاتِ الأمُوْرِ، يَا مِسْكِيْنُ! يَا مَنْ نُفْسُه بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ، مَا لَكَ لا تَخْشَى الأهْوَالَ الَّتِيْ تَرِدُ عَلَيْكَ

وَشَدَائِدَ الدُّهُوْرِ فَوَا أَسفَاه عَلَى التَّكَاسُلِ فِي الطَّاعَاتِ وَارْتِكَابِ الْفُجُوْرِ، أَمَا تَعْتَرِفُ بِالْمَمَاتِ بَعْدَ الْحَيَاةِ، وَإِنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيْلٍ عَلَى قَنْطَرَةِ الْعُبُوْرِ.

أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ مَا يَمُرُّ عَلَيْكَ فِي الْقُبُوْرِ، إِذَا دَفَنَتْكَ الأَعِزَّةُ وَأَقْبَرَتْكَ الأَحِبَّةُ، وَبَقِيْتَ وَحِيْدًا فَرِيْدًا مُتَوَحِّشًا مُتَنَغِّصًا تُرِيْدُ الرَّجْعَةَ وَمَا تَنَالُهَا وَأَنْتَ مَجْبُوْرٌ، أُذْكُرْ ضَغْطَةَ الْقَبْرِ، فَإِنَّهَا لَوَقْعَةٌ شَدِيْدَةٌ وَّمُصِيْبَةٌ عَظِيْمَةٌ تَخْتَلِفُ مِنْهَا أَضْلاعُكَ، وَتَتَكَسَّرُ بِهَا أَعْضَاءُكَ، فَأَنْتَ مَقْهُوْرٌ وَّمَكْسُوْرٌ. وَالْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِّنْ مَّنَازِلِ الآخِرَةِ مَنْ نَّجَا فِيْهِ فَمَا بَعْدَه أَيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ هَلَكَ فِيْهِ فَمَا بَعْدَه أَشَدُّ مِنْهُ رَوْضَةٌ مِّنْ رِّيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِّنْ حُفَرِ النَّارِ ذَاتِ الشَّدَائِدِ وَالشُّرُوْرِ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَوْمٌ عَظِيْمٌ كَرْبُه شَدِيْدٌ هَوْلُه يَوْمُ الْبَعْثِ وَالنُّشُوْرِ، يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْمُنَاقَشَةِ يَوْمُ الْمُطَالَبَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ يَوْمٌ تُبْعَثُ فِيْهِ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ، تَذَكَّرْ إِذَا جُمِعَتِ الْخَلائِقُ صَفًّا صَفًّا، وَدُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيْءَ بِجَهَنَّمَ ذَاتِ الزَّفْرَةِ وَالشُّرُوْرِ، فَتَرى عِنْدَ ذٰلِكَ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٍ، تَرَاهُمْ سُكَارى مِنْ شِدَّةِ الْهَيْبَةِ، وَمَا هُمْ بِسُكَارى، وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ أَوْقَعَهُمْ فِي الْحَيْرَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يُنَادِيْ كُلُّ نَفْسٍ نَفْسِيْ نَفْسِيْ إِلا مَنْ فَضَّلَهُ اللهُ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمى يَوْمَ النُّشُوْرِ.

فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ! أُتْرُكِ الدَّعْوى وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى، وَاجْتَنِبِ الآثَامَ وَالْفُجُوْرَ، فَمَنِ اتَّقَى رَبَّه وَجَاهَدَ نَفْسَه فَازَ بِالْجَنَّةِ ذَاتِ الْحُوْرِ وَالْقُصُوْرِ، وَنَالَ السَّعَادَةَ الَّتِيْ لا تَفْنى وَدَوَامَ السُّرُوْرِ.

اَللّٰهُمَّ يَا اَللهُ يَا رَحْمٰنُ يَا شَكُوْرُ، اِغْفِرْ لَنَا وَسَامِحْنَا، وَاعْفُ عَنَّا، وَنَجِّنَا مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ النُّشُوْرِ، وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْحَلِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِيْ بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ، اَلَّذِيْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْغَفُوْرُ﴾.

الخطبة الثّانية لجمع المحرّم وصفر وربيع الأوّل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ عَلى كُلِّ حَالٍ، عَلى أنْ رَبَّانَا بِأحْسَنِ الأحْوَالِ، وَأنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصى عَلَى الاتِّصَالِ، وَخَلَقَ لَنَا مَا فِي الأرْضِ جَمِيْعًا وَدَوَّرَ لَنَا الْكَوَاكِبَ، كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ كَالسَّابحِ فِي الْمَاءِ السَّيَّالِ.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَلا ضِدَّ له وَلا مِثَالَ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وَصَحْبِه مَا دَامَت الأيَّامُ وَاللَّيَالِ.

أمَّا بَعْدُ: أيُّهَا النَّاسُ! اِجْتَهِدُوْا فِي الأعْمَالِ الْمُصْلِحَةِ، وَنَقُّوْا قُلُوْبَكُمْ وَأبْدَانَكُمْ مِّنَ الأفْعَالِ الْمُهْلِكَة.

فَطُوْبى لِمَنْ تَابَ مِمَّا مَضى فِي السِّنِيْنَ الْمَاضِيَةِ، وَاسْتَعَدَّ لِتَحْصِيْلِ الْقُرْبى فِي السِّنِيْنَ الآتِيَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِكَثْرَةِ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ على سَيِّدِ الأنَامِ. فَإنَّ مَنْ صَلّى عَلَيْهِ عَشْرًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَحَطَّ عَنْهُ مِنَ الْخَطِيْئَاتِ عَشْرًا وَرَفَعَ لَه مِنَ الدَّرَجَاتِ عَشْرًا، وَكَتَبَ لَه مِنَ الْحَسَنَاتِ عَشْرًا، وَأحَلَّه دَارَ السَّلامِ.

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْخُلُقِ الْعَظِيْمِ وَالإحْسَانِ الْعَمِيْمِ، وَعَلى جَمِيْعِ الأنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِيْنَ، وَصَلِّ عَلى جَمِيْعِ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ، لا سِيَّمَا عَلَى الْمُتَوَّجِ بِتَاجِ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ، اَلْفَائِزِ بِأوَّلِيَّةِ الْخِلافَةِ وَالإمَامَةِ، رَفِيْقِ خَاتَمِ الأنْبِيَاءِ فِي الْغَارِ، اَلْمُشَرَّفِ بِخِدْمَتِه وَصُحْبَتِه آنَاءَ اللَّيْلِ وَأطْرَافَ النَّهَارِ، قُدْوَةِ أرْبَابِ التَّحْقِيْقِ، سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ أبِي قُحَافَةَ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَلى صَاحِبِ الْعِزِّ وَالاحْتِسَابِ، مُزَيِّنِ الْمِنْبَرِ

وَالْمِحْرَابِ، سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَلى كَامِلِ الْحَيَاءِ وَالْعِرْفَانِ، جَامِعِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلى أَسَدِ اللهِ الْغَالِبِ، ذِي الْمَعَالِي وَالْمَنَاقِبِ، سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي اللهُ عَنْهُ، وَعَلى السِّبْطَيْنِ النَّيِّرَيْنِ اَلْكَوْكَبَيْنِ الأَزْهَرَيْنِ، سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَعَلى الْعَمَّيْنِ الْمُكَرَّمَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، سَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَسَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَعَلى بَضْعَةِ رَسُوْلِ اللهِ سَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَعَلى سَائِرِ بَنَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَأَزْوَاجِهِ الْمُطَهَّرَاتِ، وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ إِلى يَوْمِ الدِّيْنِ.

اَللّٰهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ لَزِمَ مِلَّتَه، وَاتَّبَعَ سُنَّتَه، وَأَطَاعَ شَرِيْعَتَه، وَارْزُقْنَا شَفَاعَتَه، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِمَشَايِخِنَا وَلأَحْبَابِنَا وَلأَصْحَابِنَا، وَلِمَنْ لَّه حَقٌّ عَلَيْنَا، وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

يَا بَدِيْعَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ وَرَفِيْعَ الدَّرَجَاتِ، اَللّٰهُمَّ سَامِحْ عَنْ خَطَايَا جَامِعِ هٰذِهِ الْخُطَبِ الْمُذَكِّرَةِ، وَارْزُقْهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، اُذْكُرُوا اللهَ الْعَظِيْمَ يَذْكُرْكُمْ، وَادْعُوْهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ وَلَذِكْرُ اللهِ تَعَالى أَعْلى وَأَوْلى وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَتَمُّ وَأَهَمُّ وَأَقْوى وَأَكْبَرُ.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من شهر ربيع الآخر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِيْ يُجَدِّدُ الأَيَّامَ، وَيَجِيءُ بِالشَّهْرِ بَعْدَ الشَّهْرِ لِيَتَنَبَّهَ كُلٌّ مِّنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ، وَيُهَيِّئُ أَسْبَابَ السَّفَرِ، خَلَقَ مَا لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلى خَلْقِهِ مِنَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، وَصَنَعَ مَا لا يَصْنَعُهُ أَحَدٌ مِّنَ الْمَدَرِ وَالثَّمَرِ، خَلَقَنَا مِنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهَا الأُنْثَى وَالذَّكَرَ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلهٍ دَائِمٍ صَاحِبِ الْقُوَى وَالْقَدَرِ، كَيْفَ أَحْمَدُهُ وَكَيْفَ لا أَحْمَدُهُ؟ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ اَلَّذِيْ نَطَقَ بِرِسَالَتِهِ الضَّبُّ وَخَاطَبَهُ الظَّبْيُ بِأَفْصَحِ كَلامٍ وَّبَكَى لِفِرَاقِهِ الْجِذْعُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ.

نَشْهَدُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَلا ضِدَّ لَهُ وَلا نِدَّ لَهُ، وَلَوْ كَانَ لَمَا دَارَ الْفَلَكُ وَلا الطَّائِرُ تَطَيَّرَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ اَلَّذِيْ بُعِثَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ خَوَّفَ الْمُنَافِقِيْنَ مِنَ النَّارِ وَبِالْجَنَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ بَشَّرَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا دَارَ الْفَلَكُ الْمُدَوَّرُ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرُ الْحَاضِرِيْنَ قَدْ ذَهَبَ شَهْرُ رَبِيْعِ الأَوَّلِ، وَجَاءَ شَهْرُ رَبِيْعِ الآخِرِ، وَمَا هذَا إِلا عَلامَاتُ الرَّحِيْلِ وَالسَّفَرِ، فَيَا مَنْ لَّهُ عَقْلٌ سَلِيْمٌ وَّطَبْعٌ مُّسْتَقِيْمٌ، هذَا أَوَانُ الْعِبْرَةِ وَالنَّظَرِ فَاعْتَبِرْ.

أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَّرَحِيْلٍ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيْلٍ، أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ وَالأَكْدَارِ وَالْحَزَنِ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْمَكْرِ وَالْغَرَرِ.

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَا دَخَلَهَا أَحَدٌ مِّنْ بَابٍ إِلا وَقَدْ عَزَمَ السَّفَرَ، تَذَكَّرْ مَبْدَأَكَ وَانْظُرْ مَا يَمْضِي عَلَيْكَ وَتَفَكَّرْ، كُنْتَ نُطْفَةً قَذِرَةً، فَجَعَلَكَ رَبُّكَ عَلَقَةً، ثُمَّ جَعَلَكَ

مُضْغَةً، فَسَوَّاكَ خَلْقًا كَمَا شَاءَ وَقَدَّرَ، وَكَتَبَ مَا كَانَ وَمَا يَكُوْنُ فِيْ كِتَابٍ، فَلا يَقَعُ إلا مَا هُوَ الْمُقَدَّرُ، وَجَعَلَ عَلَيْكَ مَلَكَيْنِ كَاتِبَيْنِ، وَمُعَقِّبَاتٍ مِّنْ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَمِنْ خَلْفِكَ يَحْفَظُوْنَكَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِذَا أَمْسَى وَبَكَّرَ، وَبَيَّنَ لَكَ طَرِيْقَ الْهِدَايَةِ وَالضَّلالِ، وَهَدَاكَ إِلَى طَرِيْقِ النَّجَاةِ، وَنَحَّاكَ عَنْ سَبِيْلِ السَّقَرِ.

أَيُّهَا الْمِسْكِيْنُ! أَنْتَ بِمَا كَسَبْتَ رَهِيْنٌ، مَا تَفْعَلُ يُكْتَبُ فِيْ رَقٍّ مَّنْشُوْرٍ وَّكُلُّ صَغِيْرٍ وَّكَبِيْرٍ فِيْهِ مُسْتَطَرٌ، أَتَعْصِي الْمَوْلَى وَتَتْرُكُ مَا هُوَ أَوْلَى أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُّتْرَكَ سُدًى، كَلا وَاللهِ إِنَّ هذَا مَا كَانَ مُنْذُ كَانَ الزَّمَانُ، وَلا يَكُوْنُ إِلى يَوْمِ الْمَحْشَرِ، ألا تَتَدَبَّرُ فِيْ أَحْوَالِ السَّاعَةِ الْوَاقِعَةِ الْحَاقَّةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ؟ هِيَ أَدْهَى وَأَمَرُّ، تَذَكَّرْ إِذَا جُمِعَتِ الْخَلائِقُ صَفًّا صَفًّا، وَدُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ، وَبُعِثَ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُّقْتَدِرٍ، فَوَقَعْتَ فِيْ أَنْوَاعِ الْحَسَرَاتِ، فَهَلْ لَّكَ عَلَيْهَا مُصْطَبَرٌ؟ فَإِنْ نَّاقَشَكَ رَبُّكَ وَمَنْ نُّوْقِشَ عُذِّبَ خَذَلْتَ بِحَضْرَةِ الأَكْيَاسِ، وَالْمَحْشَرُ مُزْدَحِمٌ بِالْعَوَامِّ وَالْخَوَاصِّ.

فَقُلْتَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، أَوْ تَقُوْلُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ حَبَابًا، فَهَلْ أَوْ أَنْتَ عَلَيْهِ مُصْطَبَرٌ، خَلَقَ اللهُ نَارًا لَّهَا زَفِيْرٌ وَّشَهِيْقٌ لِّلْعُصَاةِ وَالْمُجْرِمِيْنَ لَهَا طَبَقَاتٌ مُّتَرَاكِمَةٌ، وَفِيْهَا ظُلُمَاتٌ مُّتَطَابِقَةٌ، تَرْمِيْ بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهَا جِمَالاتٌ صُفْرٌ، يُسْحَبُوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوْهِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ذُوْقُوْا مَسَّ سَقَرَ، فَمَا هذِهِ الْجُرْأَةُ عَلَى الْمَعَاصِيْ، وَمَا هذِهِ الْغَفْلَةُ أَيُّهَا الْعَاصِيْ!

هذِهِ أَحْوَالٌ تَرِدُ عَلَيْكَ، وَهذِهِ أَهْوَالٌ تَمُرُّ عَلَيْكَ أَلَكَ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ، أَمْ لَكَ عِلْمُ الْيَقِيْنِ بِدُخُوْلِ الْجَنَّةِ الَّتِيْ تَجْرِيْ تَحْتَهَا النَّهرُ، هِيَ لِمَنْ هَجَرَ الْمَعَاصِيَ وَتَرَكَ الْمَنَاهِيَ وَمَوَاضِعَ الشُّبْهَةِ اجْتَنَبَ وَحَظَرَ.

جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَّزِمَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَمَاتَ عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَنَّبَنِيْ وَإِيَّاكُمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِ وَعِقَابَ السَّقَرِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من شهر ربيع الآخر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ، وَّبَثَّ مِنْهَا النِّسَاءَ وَالرِّجَالِ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَأَ مِنْهُ إلا إلَيْهِ وَبِهِ الْوَال، نَحْمَدُه عَلى أنْ كَمَّلَنَا خَلْقًا وَّفَضَّلَنَا عَلى سَائِرِ الْمَخْلُوْقَاتِ، وَهُوَ الْمُنْعِمُ الْمِفْضَالُ، وَنَشْكُرُه عَلى أنْ فَضَّلَ أرْبَابَ الطَّاعَةِ عَلى أرْبَابِ الْبَطَالاتِ وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْجَلال.

وَنَشْهَدُ أنَّهُ لا إله إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه وَهُوَ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالُ، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ بَيَّنَ لَنَا الْحَرَامَ، وَأوْضَحَ لَنَا الْحَلالَ.

أمَّا بَعْدُ: اِعْلَمُوْا أنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ الْبَقَاءِ، بَلْ هِيَ دَارُ الْفَنَاءِ، فَلا يَغْتَرُّ بِهِ إلا أهْلُ الضَّلالِ، أيْنَ آبَاءُكُمْ وَأجْدَادُكُمْ؟ أيْنَ أمْثَالُكُمْ وَأقْرَانُكُمْ؟ أيْنَ سَلاطِيْنُ الزَّمَانِ وَخَوَاقِيْنُ الدَّوْرَانِ؟ أيْنَ أرْبَابُ الأمْوَالِ؟

هَلْ نَفَعَهُمْ مُلْكُهُمْ أمْ أبْقَاهُمْ سُلْطَانُهُمْ أمْ أحْيَاهُمْ قَدْرُهُمْ أمْ نَفَعَهُمُ الْجَاهُ وَالْمَالُ، كَلا وَاللهِ لَمَّا جَاءَ أجَلُهُمْ لَمْ يُسْتَأْخَرُوْا سَاعَةً وَّلا أمْهِلُوْا بِالْقِيْلِ وَالْقَالِ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَه حُسْنُ الْمَآلِ﴾.

فَيَا أيُّهَا الْخُلانُ! اسْتَعِدُّوْا لِمَا يَمْضِيْ عَلَيْكُمْ مِنَ الأهْوَالِ، وَتُوبُوْا مِنْ جَمِيْعِ الذُّنُوْبِ، واسْتَغْفِرُوا اللهَ غَافِرَ الذُّنُوْبِ، وَلا تَغْتَرُّوْا بِسَعَةِ رَحْمَتِه، فَإنَّه شَدِيْدُ الْبَطْشِ شَدِيْدُ الْمِحَالِ.

وَإيَّاكُمْ وَالْمُوْبِقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ

وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّنافُسِ وَالْهمزِ وَاللَّمزِ، فَمَنِ اكْتَسَبَهَا وَقَعَ فِيْ حُفْرَةِ الضَّلالِ، وَإِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَالاشْتِغَالَ بِالْهزلِ وَالْجدلِ وَالْمِرَاءِ وَالرِّيَاءِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ.

أَمَا تَعلَمُوْنَ أَنَّكُمْ تُحَاسَبُوْنَ عَلى كُلِّ ذَرَّةٍ، وَتُنَاقَشُوْنَ فِيْ كُلِّ خَصلَةٍ وَتَمرُّ عَلَيْكُمْ شَدَائِدُ السُّؤَالِ، فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ تَيَقَّظُوْا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَمُصَاحَبَةِ الْجُهَّالِ، وَلا تَظُنُّوْا أَنَّكُمْ تُتْرَكُوْنَ سُدًى، أَوْ أَنَّكُمْ لا تُسْأَلُوْنَ غَدًا، فَهُوَ أَمْرٌ مُحَالٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالاجْتِهَادِ فِي السُّنَّة.

وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَةَ، فَإِنَّ كُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ لا يَرتَكِبُهَا إلا الْغَفَّالُ، وَاعْلَمُوْا أَنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيْلَ فِيْ سُنَّةٍ خَيْرٌ مِّنْ عَمَلٍ كَثِيْرٍ فِيْ بِدعَةٍ، وَإِنَّ السُّنَّةَ تَهْدِيْ إِلَى الْفَلاحِ وَالنَّجَاةِ، وَالْبِدْعَةَ تَهْوِيْ بِصَاحِبِهَا إلى أسفَلِ الدَّرَكَاتِ، وَيَذْهَبُ بِنُوْرِ الإِيْمَانِ وَحُسْنِ الْجَمَالِ، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَشَرَّفَ بِصَالحِ الأَفْعَالِ، وَتَجَنَّبَ قَبَائِحَ الأَعْمَالِ، وَنَحَّانَا وَإِيَّاكُمْ مِّنْ سُبُلِ الْهَلاكِ وَطُرُقِ الضَّلالِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِيْ شُغُلٍ فَاكِهُوْنَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِيْ ظِلَالٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من شهر ربيع الآخر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَ الإنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، نَحْمَدُه على أنْ أرْسَلَ إلَيْنَا رُسُلا مُّبَلِّغِيْنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ مِنَ النِّيْرَانِ، وَهَدَانَا إلى سَوَاءِ الطَّرِيْقِ وَرَزَقَنَا الإيْمَانَ، وَنَشْكُرُه عَلَى أنْ جَعَلَنَا مِنْ أمَّةِ سَيِّدِ أصْفِيَاءِه وَرَأسِ أوْلِيَاءِه مُحَمَّدِنِ الْمَبْعُوْثِ إلى كَافَّةِ الْخَلْقِ مِنَ الإنْسِ وَالْجَانِّ، أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَأنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْحِكْمَةِ وَالْفُرْقَانِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه مَا دَارَ النَّيْرَانِ.

أمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْخُلانِ! وَحِّدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوْا بِه شَيْئًا وَّاعْبُدُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ، فَإنَّ التَّوْحِيْدَ رَأسُ الإيْمَانِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْتِزَامِ أدَاءِ الأرْكَانِ، اَلصَّلاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَحجِّ بَيْتِ الرَّحْمَنِ، وَأدَاءِ جَمِيْعِ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ وَزَجَرَكُمْ بِالسِّرِّ وَالإعْلانِ، وَإيَّاكُمْ ثُمَّ إيَّاكُمْ أنْ تُضَيِّعُوْا عِبَادَاتِكُمْ بِقَصْدِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَقَعَ فِي الْخُسْرَانِ، وَلا تَخْلِطُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ صَارَتْ صَدَقَتُه هَبَاءً مَّنْثُوْرًا وَّحَصَلَ لَهُ الْحِرْمَانُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيْمٌ، وَعَدَّ مِنْهُمُ الْمُسْبِلَ إزَارَه، وَالْمُنْفِقَ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ سِلْعَته وَالْمَنَّانَ، وَاعْلَمُوْا أنَّ ارْتِكَابَ الْمَنْهِيَّاتِ يُسْخِطُ الرَّحْمَانَ وَيُرْضِي الشَّيْطَانَ، وَيُذْهِبُ الْجَمَالَ وَالْكَمَالَ وَأنْوَارَ الإيْمَانِ.

أيُّهَا الثَّقَلانِ! إلى مَتى هذهِ الْغَفْلَةُ؟ إلى مَتى هذهِ الْقَسْوَةُ؟ إلى مَتى هذَا الانْهِمَاكُ فِي الْعِصْيَانِ؟، أَلَكُمْ بَرَاءَةٌ مِّنَ الْعَذَابِ؟ أمْ لَكُمْ عِلْمُ الْيَقِيْنِ بِحُصُوْلِ

الثَّوَابِ، أَمْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يُؤَاخِذُكُمْ وَلا يُحَاسِبُكُمْ أَمْ عَلِمْتُمْ بِالنَّجَاةِ مِنَ النِّيْرَانِ، فَمَا هَذِهِ الْجُرْأَةُ عَلَى الْمَعَاصِيْ وَمَا هَذِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي الطُّغْيَانِ، تَفَكَّرُوْا فِيْ مَا سَيَمُرُّ عَلَيْكُمْ فِيْمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالأَهْوَالِ الْعَظِيْمَةِ ا لشَّأْنِ، إِذَا تَوَلَّى دَفْنَكُمْ أَحْبَابُكُمْ، وَتَرَخَّصَ مِنْكُمْ أَقْرَانُكُمْ، وَبَقِيْتُمْ بِلا أَنْصَارٍ وَّلا أَعْوَانٍ، وَأَحَاطَتْ بِكُمُ الظُّلْمَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَّضَمَّكُمُ الْقَبْرُ ضَمَّةً تَخْتَلِفُ مِنْهَا أَضْلاعُكُمْ وَحَضَرَكُمُ النَّكِيْرَانِ، فَيَسْأَلانِكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ وَعَنْ رَبِّكُمْ وَّعَنْ نَّبِيِّكُمْ سَيِّدِ الإِنْسِ وَالْجَانِّ.

فَانْظُرُوْا مَا تُجِيْبُوْنَهُمَا بِهِ، وَتَفَكَّرُوْا فِيْمَا تُخَاطِبُوْنَهُمَا بِهِ، فَإِنْ أَجَبْتُمُوْهُمَا بِالصَّوَابِ، فُزْتُمْ بِدَرَجَاتِ الثَّوَابِ وَغُرَفَاتِ الْجِنَانِ، وَإِنْ شَكَكْتُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَعْتُمْ فِي الْمَهْلَكَةِ وَالْخُسْرَانِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ يَوْمٌ يُّحْشَرُ فِيْهِ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ، وَيُبْتَلَى بِشَدَائِدِ النُّشُوْرِ، فَيَقُوْلُ الْكَافِرُوْنَ: يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا، فَيُقَالُ: هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ، يَوْمٌ يُّنْشَرُ فِيْهِ الْكِتَابُ، وَيُكْشَفُ الدِّيْوَانُ، وَيُحَاطُ بِالنَّارِ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهَا بَعْثٌ كَأَمْثَالِ الْكَتَائِبِ مِنْ أَهْلِ الْعِصْيَانِ، فَتَنَبَّهُوْا أَيُّهَا الإِخْوَانُ! تُوْبُوْا إِلَى اللهِ جَمِيْعًا وَّاسْتَغْفِرُوْهُ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ وَّمَكَانٍ، لَعَلَّ اللهَ يَغْفِرُ ذُنُوْبَكُمْ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيُنَجِّيْكُمْ مِّنْ دَرَكَاتِ النِّيْرَانِ، وَقُوْلُوْا بِصَمِيْمِ الْجَنَانِ وَخُلُوْصِ اللِّسَانِ: اَللّهُمَّ يَا مَنَّانُ يَا رَحْمنُ! يَا دَيَّانُ يَا حَنَّانُ! اغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا، وَأَدْخِلْنَا جَنَّتَكَ مَعَ أَهْلِ الإِيْقَانِ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من شهر ربيع الآخر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عِمَادٍ، وَقَوّى أطْرَافَ الأرْضِ بِالْجِبَالِ وَالأوْتَادِ، نَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا عَلى أنْ بَسَطَ لِعِبَادِهِ الْمِهَادَ، وَنَشْكُرُه شُكْرًا جَمِيْلا عَلى أنْ زَيَّنَ الْبِسَاطَ بِالأحْجَارِ وَالأشْجَارِ نَفْعًا لِّلْعِبَادِ، وَنَشْهَدُ أنَّه لا إلٰهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه قَسَّمَ الأرْضَ عَلى أقَالِيْمَ، وَفِي كُلِّ إقْلِيْمٍ كَثَّرَ الْبِلادَ، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ أهْلِ الأمْجَادِ.

أمَّا بَعْدُ: أيُّهَا النَّاسُ! اُشْكُرُوا اللهَ عَلى نَعْمَاءِه كَمَا أنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالأوْلادِ وَالأحْفَادِ، وَأحْرِقُوْا بِنَارِ عِشْقِ الْمَوْلَى الأكْبَادَ، وَلا تُوَافِقُوا الأقْرَانَ فِي كُلِّ شَأْنٍ، فَإنَّه لَيْسَ فِيْهِ مَفَادٌ، وَأطِيْعُوْا اللهَ وَرَسُوْلَه، وَاسْلُكُوْا سُبُلَ السَّدَادِ، وَاجْتَهِدُوْا فِي التَّجَنُّبِ عَنِ السُّخْرَةِ بِالْمُسْلِمِيْنَ، وَإيْذَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ غَايَةَ الاجْتِهَادِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿يا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسى أنْ يَّكُوْنُوْا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسى أنْ يَّكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَرَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ عِرْضُه عَلَيْهِ حَرَامٌ أن يَّخْرِقَه وَلَحْمُه عَلَيْهِ حَرَامٌ أنْ يَّأكُلَه وَيَغْتَابَه وَوَجْهُه عَلَيْهِ حَرَامٌ أنْ يَّلْطِمَه».

وَاعْلَمُوْا أنَّ مَنْ سَخِرَ مِنْ مُّؤْمِنٍ أوْ مُّؤْمِنَةٍ، أوِ اغْتَابَه أوْ آذَاهُ خَاصَمَه يَوْمَ التَّنَادِ، وَمَا أدْرَاكَ مَا يَوْمُ التَّنَادِ، يَوْمٌ يُّحَاسَبُ فِيْهِ عَلى كُلِّ كَثِيْرٍ وَّقَلِيْلٍ، وَيُنَاقَشُ بِكُلِّ حَقِيْرٍ وَّجَلِيْلٍ، وَتُوَفَّى فِيْهِ حُقُوْقُ الْعِبَادِ، كَيْفَ حَالُكُمْ إذَا أحَاطَتْ بِكُمْ خُصَمَاءُكُمْ، وَخَاصَمَكُمْ أحْبَابُكُمْ فَمِنْ قَائِلٍ: إنَّه اغْتَابَنِيْ، وَمِنْ قَائِلٍ: إنَّه سَخِرَ مِنِّيْ، وَمِنْ قَائِلٍ: إنَّه ضَحِكَ مِنِّيْ، وَمِنْ قَائِلٍ: إنَّه دَعَا عَلَيَّ، وَمِنْ قَائِلٍ: إنَّه قَصَّرَ

فِيْ حُقُوْقِ الْوِدَادِ، فَاللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ اَتَّقُوا اللهَ وَلا تَكُوْنُوْا مِنْ أَرْبَابِ الْفَسَادِ.

وَانْظُرُوْا سِيَرَ مَنْ مَّضى مِنَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ، كَانُوْا لا يَخَافُوْنَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَيَجْتَهِدُوْنَ فِيْ طَاعَةِ الْمَلِكِ الدَّائِمِ، فَخَلَفْتُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ أَضَعْتُمُ الصَّلَوَاتِ، وَاتَّبَعْتُمُ الشَّهَوَاتِ، وَرَبَطْتُّمْ بَيْنَ نُفُوْسِكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ رَابِطَةَ الْوِدَادِ، فَتَنَبَّهُوْا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ، وَدَاوِمُوْا عَلى تَطْهِيْرِ النَّفْسِ وَالتَّزْكِيَةِ، وَرَابِطُوْا نُفُوْسَكُمْ عَلَى الأُخُوَّةِ بِجَمِيْعِ الْعِبَادِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمُدَاوَمَةِ عَلى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الأَذْكَارِ وَالأَوْرَادِ، فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ دَوَاءٌ مِّنْ كُلِّ دَاءٍ وَّمُنَقٍّ مِّنَ الْفَسَادِ.

اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمٰنُ يَا رَحِيْمُ يَا مَنَّانُ يَا كَرِيْمُ يَا خَالِقَ الْعِبَادِ وَمُدَبِّرَ الْبِلادِ، اِغْفِرْ لَنَا وَسَامِحْنَا وَاعْفُ عَنَّا وَأَعْطِنَا خَيْرَ مَا يُرَادُ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِيْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من شهر ربيع الآخر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ لَيسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ فِي الْقُدْرَةِ، وَلا شَرِيْكَ لَه فِيْ عَجَائِبِ الصُّنْعَةِ، خَلَقَ الْوَابِلَ وَالطَّلَّ، خَلَقَ الإنْسَانَ وَخَصَّه بِمَزِيْدِ الامْتِنَانِ، وَجَعَلَ النَّحْلَ وَالْبَقَّ وَالْقُمَّلَ، فَسُبْحَانَه وَتَعَالى مِنْ إله لا تُدْرَكُ عَجَائِبُ قُدْرَتِه، وَلا تُحَاطُ بَلَطَائِفِ صُنْعَتِه خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ، وَزَيَّنَ السَّمَاءَ بِمَصَابِيْحَ، وَخَلَقَ لِنَفْعِ الْخَلائِقِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْمِرِّيْخَ وَالزُّحَلَ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَهُوَ الْعَلِيُّ الأجَلُّ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْقُرآنِ وَالْقَوْلِ الْفَيْصَلِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه مَا دَارَ الْكَوْكَبُ وَأَفَلَ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمِسْكِيْنُ! يَا مَنْ نَفْسُه بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ، إنَّ مَوْلاكَ رَبَّاكَ وَرَزَقَكَ وَأَنْتَ جَنِيْنٌ مُعَطَّلٌ، ثُمَّ أَخْرَجَكَ مِنْ دَارِ الْعَدَمِ إلى دَارِ الْوُجُوْدِ وَبِإيْصَالِ الرِّزْقِ تَكَفَّلَ، وَخَتَمَ عَلى نَفْسِه بِالرَّحْمَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَسَجَّلَ، فَمَا لَكَ تَطْلُبُ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ، وَتَصْرِفُ عُمْرَكَ فِي اكْتِسَابِ الأمْوَالِ الرَّدِيْئَةِ وَلا تَتَوَكَّلُ، ألا تَعْتَمِدُ عَلى وَعْدِ اللهِ بِقَوْلِه فِيْ كِتَابِهِ الْمُبِيْنِ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٌ﴾.

أَتَظُنُّ أَنَّه كَذِبٌ أَوْ فِيْه رَيْبٌ وَخَلَلٌ، مَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدُوْهُ مَا يُرِيْدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِزْقٍ وَّمَا يُرِيْدُ أَنْ يُّطْعِمُوْهُ، فَمَا أَغْفَلَ الْخَلْقَ وَمَا أَجْهَلَ.

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحْسَنَ إلَيْكَ حَيْثُ لَمْ يَمْنَعْكَ الرِّزْقَ مَعَ عِصْيَانِكَ، وَلَوْ بَطَشَكَ وَأَخَذَكَ مَنْ يَّفُكُّكَ فَإلَيْه تَبَتَّلْ.

أوْصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ، فَمَنِ اتَّقى وَأَقَامَ الصَّلاةَ أخَذَ بِالْحَظِّ الْوَافِرِ وَكَمَّلَ، وَلا تُؤَخِّرِ الصَّلاةَ عَنْ أوْقَاتِهَا، فَقَدْ سُئِلَ إِبْلِيسُ عَنْ ضَجِيْعِهِ، قَالَ السَّكْرَانُ وَعَنْ أعَزِّ النَّاسِ إِلَيْهِ قَالَ: مَنْ يَسُبُّ أبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَعَنْ أنِيْسِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ: وَعَنْ رَسُوْلِهِ، قَالَ السَّاحِرُ: وَعَنْ قُرَّةِ عَيْنَيْهِ، قَالَ: اَلَّذِيْ يَحْلِفُ بِالطَّلاقِ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا، وَعَنْ حَبِيْبِهِ، قَالَ تَارِكُ الصَّلاةِ، وَعَنْ جَلِيْسِهِ قَالَ اَلَّذِي أخَّرَ الصَّلاةَ وبِأُمُوْرِ الدُّنْيَا اشْتَغَلَ.

وَعَلَيْكُمْ بِاهْتِمَامِ حُضُوْرِ الْجُمَعِ وَالْجَمَاعَةِ، فَمَنْ شَذَّ عَنِ الْجَمَاعَةِ شَذَّ فِي الضَّلالَةِ، وَوَقَعَ فِي الزَّلَلِ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدْعَةِ، فَمَنِ ابْتَدَعَ فَقَدْ ضَلَّ وَأضَلَّ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ مِنْ إِحْدَاثِ شَيْءٍ فِي الدِّيْنِ، فَمَنْ أحْدَثَ فِيْهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ حُبِطَ عَنْهُ ثَوَابُ صَالِحِ الْعَمَلِ، أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ:
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَّمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾
بَارَكَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ فِي الْكَلامِ الأكْمَلِ، وَنَفَعَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالآيَاتِ وَالذِّكْرِ الأفْضَلِ.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من جمادى الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ بَسَطَ بِسَاطَ الأَرْضِ وَأَدَارَ الْفَلَكَ، نَفْعًا لِّلْمَخْلُوْقَاتِ مِنْ إِنْسٍ وَّجِنٍّ وَّمَلَكٍ، فَسُبْحَانَه مِنْ إِلهٍ عَلِيْمٍ بِمَا فِيْ بُطُوْنِ الأُمَّهَاتِ، خَبِيْرٍ بِمَا فِيْ جَوْفِ الطَّبَقَاتِ، حَكِيْمٍ بِصُنْعِه مُدَبِّرٍ فِيْ مُلْكِه مِنَ الأَرْضِ إِلَى الْفَلَكِ، نَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا هُوَ قَائِلِيْنَ أَنْتَ رَبُّنَا لا شَرِيكَ لَكَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه الَّذِيْ نُوْدِيَ فِي الأَزَلِ كَرَّمَكَ اللهُ وَبَجَّلَكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه مَا طَارَ الطَّائِرُ، وَسَارَ السَّائِرُ، وَدَارَ الدَّائِرُ فِي الأَرْضِ وَالْفَلَكِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ الَّذِيْ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِيْ أَيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ، خَلَقَكَ مِنْ مَّنِيٍّ يُّمْنى، ثُمَّ جَعَلَكَ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عِظَامًا وَّلَحْمًا وَّصَوَّرَكَ.

أَيُّهَا الْمُغْتَرُّ بِحُسْنِه وَجَمَالِه، وَالْمُتَفَخِّرُ بِمَالِه وَكَمَالِه هذَا أَصْلُكَ فَتَذَكَّرْ، وَهذَا مَبْدَأُكَ، فَمَا أَجْهَلَكَ، تُخَالِفُ الْمَوْلى الَّذِيْ جَلَّتْ قُدْرَتُه، وَعَمَّتْ نِعْمَتُه الْمَهْدِيَّ وَمَنْ هَلَكَ، وَتَعْصِيْ خَالِقَكَ الَّذِيْ عَزَّتْ حِكْمَتُه وَشَمَلَتْ رَحْمَتُه الْفَاجِرَ، وَمَنْ عَلى سَبِيْلِ السَّوَاءِ سَلَكَ، أَخْرَجَكَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُوْدِ وَهُوَ صَاحِبُ الْكَرَمِ وَالْجُوْدِ، وَفِيْ دَارِ الْبَلاءِ أَمْهَلَكَ، لِيَعْلَمَ الْمُطِيْعَ مِنَ الْعَاصِيْ وَالسَّعِيْدَ مِنَ الْقَاسِيْ، وَيُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ أَحَاطَ بِهِ النُّوْرُ، وَمَنْ حَوَاهُ الْحَلَكُ، مَا خَلَقَ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُوْهُ مَا يُرِيْدُ مِنْهُمْ رِزْقًا وَّمَا يُرِيْدُ أَنْ يُّطْعِمُوْهُ إِنَّه هُوَ الرَّزَّاقُ لِكُلِّ مَنْ دَارَ عَلَيْهِ الْفَلَكُ.

أَيُّهَا الْغَافِلُ! مَا تَتَفَكَّرُ فِيْ أَحْوَالِ مَا بَعْدَكَ إِذَا قَبَضَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوْحَكَ،

فَعَجِّلَ مَنْ هُوَ حَبِيْبُكَ فِيْ تَدْفِيْنِكَ وَكَفَّنَكَ، وَمَنْ هُوَ قَرِيْنُكَ فِي الْحَيَاةِ أَقْبَرَكَ، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَ الْوَحْشَةِ دَارَ الْغُرْبَةِ، جَاءَكَ الْمَلَكُ، وَسَأَلَ عَنْ رَبِّكَ وَعَنْ دِيْنِكَ، وَعَنْ رَسُوْلِكَ وَأَجْلَسَكَ، فَإِنْ أَجَبْتَه بِالصَّوَابِ فَبُشْرَى لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَدَّدْتَ بَطَشَكَ بَطْشَةً وَّعَذَّبَكَ، ثُمَّ بَعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامِ، وَبِحَضْرَتِه أَحْضَرَكَ، فَسَأَلَ عَنْ ذُنُوْبِكَ وَحَاسَبَكَ، وَعَرَضَ عَلَيْكَ عُيُوْبَكَ وَنَاقَشَكَ، فَاللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ، فَإِنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ يَوْمٌ شَدِيْدٌ، مَنْ نَجَا مِنْ شَدَائِدِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنِ ابْتَلَى بِهَا، فَإِلَى قَعْرِ الْجَحِيْمِ سَلَكَ.

عَجَبًا لَّكَ يَا مِسْكِيْنُ! تَعْتَرِفُ بِالْمَمَاتِ، وَتَتَيَقَّنُ بِزَوَالِ الْحَيَاةِ، وَلَا تَتَزَوَّدُ لِدَارِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَتَيَقَّظُ مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ مَا أَغْفَلَكَ، صَرَفْتَ الْأَيَّامَ الْقَدِيْمَةَ فِيْ مُخَالَفَةِ مَوْلَاكَ الَّذِيْ رَبَّاكَ، فَعَلَيْكَ أَنْ لَا تُضَيِّعَ الْأَيَّامَ الْجَدِيْدَةَ، وَتُبْ إِلَى اللهِ مِمَّا فَعَلْتَ وَامْتَثِلْ بِمَا هُوَ لَكَ.

جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ غُفِرَتْ ذُنُوْبُه، وَسُتِرَتْ عُيُوْبُه، وَأَدْخَلَنَا وَإِيَّاكُمْ فِيْ زُمْرَةِ مَنِ اخْتَارَ الطَّرِيْقَ السَّوِيَّ، وَعَلَيْهِ سَلَكَ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ الَّذِيْ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِيْ أَيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من جمادى الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلّذِيْ شَرَّفَ مِنْ بَيْنِ خَلْقِه بَنِيْ آدَمَ، وَزَيَّنَهُمْ بِحُلِيِّ الْكَمَالِ، وَبَعَثَ مِنْهُمْ رُسُلا وَّأَنْبِيَاءَ وَاجْتَبى مِنْهُمُ الأَوْلِيَاءَ وَالأَصْفِيَاءَ، وَخَصَّهُمْ بِمَزِيْدِ الأَفْضَلِ.

أَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا، وَأَشْكُرُه شُكْرًا كَبِيْرًا فِيْ لَمْحَاتِ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَلا نِدَّ لَه، وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْجَلالِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْعِزِّ وَالإِقْبَالِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه خَيْرِ صَحْبٍ وَّخَيْرِ آلٍ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوْا مَا اجْتَرَحْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ، وَحَاسِبُوْا نُفُوْسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا فِي الأَيَّامِ الْبَاقِيَةِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَيُنَجِّيْكُمْ مِّنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، فَإِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَلا إِلى أَمْوَالِكُمْ.

وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ عِنْدَه لِحُسْنِ الأَعْمَالِ، وَعَلَيْكُمْ بِالاحْتِيَاطِ فِي كَسْبِ الأَمْوَالِ، فَلا يَزُوْلُ قَدَمُ عَبْدٍ حَتّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِه فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَّالِه مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَه، وَفِيْ مَا أَنْفَقَه فِي الْحَرَامِ أَوِ الْحَلالِ، وَمَنْ جَمَعَ مَالا وَّجَمَالا وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا كَانَ حَرَامًا وَّبَيْنَ مَا كَانَ حَلالا، لَمْ يَنْفَعْه جَمَالٌ وَّلا مَالٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ أَنَّ مَنْ أَكَلَ لُقْمَةً مِّنْ حَرَامٍ لَّمْ تُقْبَلْ لَّه صَلاةُ أَرْبَعِيْنَ صَبَاحًا وَّوَقَعَ فِي النَّكَالِ، وَعَلَيْكُمْ بِتَصْفِيَةِ الْبَالِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْبُغْضِ وَالْحِرْصِ، وَسَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ الْمُوْرِثَةِ إِلَى الضَّلالِ، فَقَدْ وَرَدَ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّه وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه» وَخَبُثَتْ مِنْهُ الأَفْعَالُ.

وَعَلَيْكُمْ بِحِفْظِ اللِّسَانِ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالسَّبِّ وَالْفُحْشِ وَالْخُصُوْمَةِ

وَالْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، وَسَائِرِ الْمُوْبِقَاتِ الْمُهْلِكَةِ الْمُوْرِثَةِ إِلَى السَّلاسِلِ وَالأَغْلالِ، فَمَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَنَجَا مِنَ النَّكَالِ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الأَمْوَالِ، وَالاشْتِغَالِ بِمَا قِيلَ وَمَا يُقَالُ، فَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْهَا فِي صِحَاحِ الأَقْوَالِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ إِلى خَالِقِ الْبَرِيَّةِ فِي الْبُكُوْرِ وَالآصَالِ، فَطُوْبَى لِمَنْ وَّجَدَ فِيْ صَحِيْفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيْرًا وَّخُفِّفَتْ عَنْهُ الأَثْقَالُ، وَدَاوِمُوْا عَلى ذِكْرِ اللهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَّمَسَاءٍ، وَعَلى كُلِّ أَحْوَالٍ، فَإِنَّ ذِكْرَه دَوَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَشِفَاءٌ مِّنْ جَمِيْعِ الأَمْرَاضِ وَالأَعْلالِ، وَهُوَ حِصْنٌ حَصِيْنٌ مِّنَ الشَّيَاطِيْنِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خُرْطُوْمَه عَلى قُلُوْبِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، فَإِذَا غَفَلُوْا وَسْوَسَ وَإِذَا ذَكَرُوْ اللهَ خَنَسَ وَرَجَعَ بِشَرِّ مَآلٍ، وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ إِلى قَاضِي الْحَاجَاتِ الْمُنْجِي مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ مُخُّ الْعِبَادَاتِ وَرَأْسُ الطَّاعَاتِ وَهُوَ الْمُنْجِي مِنْ هَلَكَاتِ الضَّلالِ، وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْبَالِ: اَللّٰهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا رَحْمٰنُ يَا كَبِيْرُ يَا مُتَعَالُ، اِغْفِرْ ذُنُوْبَنَا، وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا، وَوَفِّقْنَا لِتَزْكِيَةِ الْقَلْبِ وَصِدْقِ الْمَقَالِ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى رَسُوْلِه مُحَمَّدٍ وَّآلِه أَجْمَعِيْنَ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِيْ شُغُلٍ فَاكِهُوْنَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِيْ ظِلالٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من جمادى الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِىْ ظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ فِيْ كُلِّ مَوْجُوْدٍ، وَخَضَعَ لَه كُلُّ شَيْءٍ حَتّى الْوُحُوْشُ وَالطُّيُوْرُ وَالدُّوْدُ.

نُحَمَدُه عَلى أَنَّه يرزُقُ بِغَيْرِ الأسْبَابِ الطِّفْلَ الْوَلُوْدَ، وَنَشْكُرُه عَلى أَنَّه أَلْقى مُحَبَّتَه فِيْ قُلُوْبِ الآبَاءِ وَالْجُدُوْدِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْحَوْضِ الْمَوْرُوْدِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُوْدِ.

أَمَّا بَعْدُ: يَا عِبَادَ الله! اتَّقُوْا يومَ الْقِيَامَةِ وَتَذَكَّرُوْا أَحْوَالَهَا، فَإِنَّه يَوْمٌ عَظِيْمٌ كَربُه كَثِيْرٌ غَمُّه شَدِيْدٌ زِلْزَالُهَا أَقْسَمَ اللهُ بِه عِبْرَةً بِقَوْلِه: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوْجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُوْدِ وَشَاهِدٍ وَّمَشْهُوْدٍ﴾، وَوَرَدَ عَنْ صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُوْدِ إِنَّه قَالَ لِجِبْرِيْلَ: «مَا لِيْ لَمْ أَرَ مِيْكَائِيْلَ يَضْحَكُ فَقَالَ لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ ذَاتُ الْوَقُوْدِ».

تَدَبَّرُوْا فِيْ عَظْمَةِ اللهِ تَخْشَى الْمَلائِكَةُ مَعَ تَقَرُّبِهِمْ، وَتَسْتَعِيْذُ مِنْ أَنْ تَكُوْنَ كَالشَّيْطَانِ الْمَرْدُوْدِ، خَلَقَ اللهُ مَلائِكَةً لا يُحْصِيْ عَدَدَهُمْ إِلا هُوَ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ إِلى يومِ الْقِيَامِ وَمِنْهُم رُكَّعٌ وَّسُجُوْدٌ، تَرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ وَتَقْشَعِرُّ أَجْسَادُهُمْ خَوفًا مِّنَ الْخَالِقِ الْوَدُوْدِ، وَخَلَقَ النَّارَ ذَاتَ الْوَقُوْدِ.

أَمَا زَفِيْرٌ وَّشَهِيْقٌ أُعِدَّتْ لِلْعُصَاةِ مَاكِثِيْنَ فِيْهَا وَلِلْكُفَّارِ عَلى طَرِيْقِ الْخُلُوْدِ، وَبَسَطَ عَلى مَتْنِ جَهَنَّمَ صِرَاطًا فَهُوَ عَلَيْه مَمْدُوْدٌ، أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ يُؤْمَرُ النَّاسُ بِالْمُرُوْرِ عَلَيْه وَهُمْ حَامِلُوْنَ أَوْزَارَهُمْ عَلى ظُهُوْرِهِمْ خَائِفُوْنَ زَلَّةَ أَقْدَامِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَّمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ كَالْفَرَسِ السَّابِحِ، وَمِنْهُمْ

كَالنَّمْلَةِ الْبَطِيْئَةِ فَيَدْخُلُوْنَ دَارَ النَّعِيْمِ، وَلَهُمْ فِيْهَا خُلُوْدٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لا يَقْدِرُ عَلَى الْعُبُوْرِ وَيَسْقُطُ فِيْ أَثْنَاءِ الْمُرُوْرِ، وَيَصِيْرُ فِي النَّارِ كَالْمَفْقُوْدِ، فَتَخْرِقُ النَّارُ جُلُوْدَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ، وَيَلْبَسُوْنَ نِعَالَ النَّارِ يَتَقَطَّعُ بِهَا مِنَ الأَقْدَامِ إِلَى الْخُدُوْدِ، وَلَهُمْ فِيْهَا مَكْثٌ دَائِمٌ لا يَخْرُجُوْنَ وَلا يُخْرَجُوْنَ يَتَمَنَّوْنَ يَا لَيْتَهُمْ كَانُوْا مِنَ الْحَيْوَانَاتِ وَالدُّوْدِ.

فَيَا إِخْوَانِيْ وَخُلانِيْ! إِنَّ اللهَ بَسَطَ عَلَيْكُمْ بِسَاطَ الإِحْسَانِ، وَفَرَشَ لَكُمْ فِرَاشَ الامْتِنَانِ، وَوَهَبَ لَكُمُ الْمُرَادَ وَالْمَقْصُوْدَ، وَرَزَقَكُمْ وَأَنْتُمْ أَجِنَّةٌ وَكُنْتُمْ نُطْفَةً قَذِرَةً، فَجَعَلَكُمْ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَامًا ثُمَّ كَسَاهَا لَحْمًا وَأَنْعَمَ إِنْعَامًا غَيْرَ مَحْدُوْدٍ.

فَاشْكُرُوْا عَلَى نَعْمَاءِهِ، وَاحْمَدُوْهُ عَلَى آلاءِهِ، وَتَدَبَّرُوْا فِيْ مَا سَيَمْضِيْ عَلَيْكُمْ مِّنْ أَهْوَالِ الْيَوْمِ الْمَوْعُوْدِ، وَارْفَعُوْا أَكُفَّ السُّؤَالِ إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُوْدِ قَائِلِيْنَ: اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمٰنُ يَا وَدُوْدُ! إِنَّ صَحَائِفَ أَعْمَالِنَا بِذُنُوْبِنَا سُوْدٌ، فَاعْفُ عَنَّا وَسَامِحْنَا وَارْحَمْنَا يَوْمَ لا يَنْفَعُ الْوَالِدُ وَلا الْمَوْلُوْدُ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيْدٌ إِنَّه هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيْدُ وَهُوَ الْغَفُوْرُ الْوَدُوْدُ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من جمادى الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيْدِ، اَلَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ مُعِيْنٍ وَّنَصِيْرٍ، وَدَبَّرَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ عَوْنٍ وَظَهِيْرٍ، وَهُوَ الْمُبْدِئُ الْمُعِيْدُ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه وَلا نَظِيْرَ لَه وَلا مَثِيْلَ لَه وَهُوَ الْوَاحِدُ الْوَحِيْدُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْفُرْقَانِ الْمَجِيْدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلى يَوْمِ الثَّوَابِ وَالْمَزِيْدِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا مَعَاشِرَ الْحُضَّارِ! إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَّلَهْوٌ وَّزِيْنَةٌ وَّتَفَاخُرٌ وَّتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَالأَسْبَاطِ وَالْحَفِيْدِ، زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ وَاكْتِسَابِ مَا لا يَعْنِيْ وَلا يُفِيْدُ، فَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَغْتَرُّوْا بِهَا فَتَقَعُوْا فِي الضَّلالِ الْبَعِيْدِ.

أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَ لَهَا قَرَارٌ، وَلا لِزِيْنَتِهَا اعْتِبَارٌ، فَمَا هَذَا التَّغَافُلُ؟ أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ الدُّنْيَا غَدَّارَةٌ مَّكَّارَةٌ كَمْ قَتَلَتْ مِنْ قَتِيْلٍ، وَأَهْلَكَتْ مِنْ نَّبِيْلٍ، فَمَا هَذَا التَّكَاسُلُ أَلَكُمْ عِلْمُ الْيَقِيْنِ بِدُخُوْلِ الْجَنَّةِ أَمْ عِنْدَكُمْ بَرَاءَةٌ مِّنَ الْعَذَابِ الشَّدِيْدِ.

أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّه قَدْ وُكِّلَ بِكُمْ عَنْ شِمَالِكُمْ وَيَمِيْنِكُمْ مَّلَكٌ كَاتِبٌ وَّشَهِيْدٌ، مَا تَفْعَلُوْنَ مِنْ فِعْلٍ وَّلا تَتَلَفَّظُوْنَ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ وَّعَتِيْدٌ.

أَمَا قَرَعَ سَمْعَكُمْ مَّا يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْوَعِيْدِ، وَمَا أَدْرَاكُمْ مَّا يَوْمُ الْوَعِيْدِ؟ يَوْمٌ هَمُّه شَدِيْدٌ، يَوْمٌ يُّحْضَرُ فِيْهِ جَهَنَّمُ لَهَا سَبْعُوْنَ أَلْفَ زِمَامٍ كُلُّ زِمَامٍ يَّجُرُّه سَبْعُوْنَ

أَلْفَ مَلَكٍ وَّنُدَارُ عَلَيْكُمْ فِيْ كُلِّ الْجَوَانِبِ غَيْرَ بَعِيْدٍ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَرَى النَّاسَ سُكَارٰى وَمَا هُمْ بِسُكَارٰى، وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيْدٌ، يَوْمٌ يُّحَاسَبُ فِيْهِ عَلٰى كُلِّ حَقِيْرٍ وَّجَلِيْلٍ وَّيُنَاقَشُ فِيْهِ كُلُّ شَقِيٍّ وَّسَعِيْدٍ، يَوْمٌ تَقْشَعِرُّ فِيْهِ جُلُوْدُ الأَنْبِيَاءِ، وَتَتَزَلْزَلُ فِيْهِ أَقْدَامُ الأَصْفِيَاءِ الأَتْقِيَاءِ، وَيُنَادِيْ كُلُّ نَفْسٍ نَفْسِيْ نَفْسِيْ، وَتَذْهَلُ الْمُرْضِعَةُ عَنِ الرَّضِيْعِ وَالْوَلِيْد.

فَاللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ! اتَّقُوا اللهَ فَإِنَّه أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِّنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ، وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَّلا تَفَرَّقُوْا فَمَنْ شَذَّ عَنِ الْجَمَاعَةِ شَذَّ فِي الْقَعْرِ الْبَعِيْدِ، وَحَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَحُضُوْرِ الْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَانْتَهُوْا عَنِ الْمُهْلِكَاتِ وَالْمُوْبِقَاتِ، وَلا تُضَيِّعُوْا الْعُمْرَ الْمَدِيْدَ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ مِّنَ الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَمِنْ نِّسْيَانِ الْعُقْبٰى، فَمَنْ طَغٰى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعُقْبٰى، فَلَيْسَ لَه مَأْوٰى إِلا السَّعِيْرُ ذَاتُ الْحَرِّ وَ الْقَرِّ الشَّدِيْدِ، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَّآنٍ، وَاطْلُبُوْا رِضَاءَه فِيْ كُلِّ مَكَانٍ وَّزَمَانٍ، وَاطْلُبُوْا مِنْهُ الْمَزِيْدَ، وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْبَالِ وَاللِّسَانِ السَّدِيْد.

اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمٰنُ يَا مَجِيْدُ، يَا مَنَّانُ يَا حَمِيْدُ! اغْفِرْ لَنَا وَاعْفُ عَنَّا وَتَجَاوَزْ عَنْ خَطَايَانَا يَوْمَ الْوَعِيْدِ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِه نَفْسُه وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من جمادى الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْمَلائِكَةِ وَالإِنْسِ وَالْجِنَّةِ، عَالِمٍ بِمَا فِي الأَرْحَامِ مِنَ الأَجِنَّةِ، أَحْمَدُهُ عَلى مَا أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ بِحَارِ اللُّطْفِ وَالْمِنَّةِ، وَأَشْكُرُه عَلى مَا كَرَّمَنَا عَلى جَمِيْعِ مَخْلُوْقَاتِه حَتَّى الْمَلائِكَةِ وَالْجِنَّةِ.

أَشْهَدُ أَنَّ لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً تَكُوْنُ لَنَا مِنَ النَّارِ جُنَّةٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الآيَاتِ وَالسُّنَّةِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه وَمَنْ تَبِعَهُمْ صَلاةً تَجْعَلُ النُّفُوْسَ مُطْمَئِنَّةً.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشَرَ الْحَاضِرِيْنَ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوْتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ التَّوْبَةِ، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَّلَمْحَةٍ، وَادْعُوْهُ صَبَاحًا وَّمَسَاءً، فَإِنَّ الدُّعَاءَ مُخُّ الْعِبَادَةِ.

وَاعْلَمُوْا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا اسْوَدَّتِ الْمُضْغَةُ الَّتِيْ هِيَ أَشْرَفُ الأَعْضَاءِ وَرَئِيْسُهَا وَأَوَّلُهَا فِي الْخِلْقَةِ، وَوَقَعَتْ فِيْهَا مِنَ السَّوَادِ نُكْتَةً، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَزَالَ النُّكْتَةَ، وَإِنْ أَصَرَّ عَلَى اجْتِرَاحِ الْخَطِيْئَةِ، وَكَسَبَ سَيِّئَةً بَعْدَ سَيِّئَةٍ، ازْدَادَ سَوَادُ قَلْبِه إِلى أَنْ تُحِيْطَ مِنْ جَوَانِبِهِ الظُّلْمَةُ، فَعِنْدَ ذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى قَلْبِه وَسَمْعِه وَبَصَرِه وَيُخْشَى لَه سُوْءُ الْمَوْتَة.

فَاللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ! رَاقِبُوْا قُلُوْبَكُمْ وَحَاسِبُوْا نُفُوْسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَعَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوْا أَعْمَارَكُمْ فِيْ انْقِيَادِ الشَّهْوَةِ، مَا حَالُكُمْ إِذَا جَاءَكُمُ الأَجَلُ وَانْقَطَعَ الْعَمَلُ، وَوَقَعْتُمْ فِيْ غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ، وَحَضَرَتْكُمْ مَّلائِكَةٌ أُولُو الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ، فَنَزَعُوْا أَرْوَاحَكُمْ بِسَكْرَةٍ بَعْدَ سَكْرَةٍ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَتَحَسَّرُوْنَ وَمَا

تُفِيْدُكُم الْحسْرَةُ، وتَتَضرَّعُوْنَ وَمَا تَنْفعكُمْ الأوبَةُ، ووراءَ ذلكَ فِي الْقَبرِ أهْوَالٌ شَدِيْدَةٌ وَّمصَائِبُ عَدِيْدَةٌ ذَاتُ الْوَحْشَةِ وَالدَّهْشَةِ.

كَيفَ حالُكُمْ؟ إذَا أحَاطَتْ بِكُمْ ظُلُمَاتٌ مُّتَراكِمَةٌ وَّفِتْنَةٌ بعْدَ فِتْنَةٍ، وَضَغَطَ بِكُمُ الْقَبْرُ ضَغْطَةً تَخْتَلِفُ بِهَا الأضْلاعُ وَتَتَوحَّشُ مِنْهَا الأرْوَاحُ وَتَعرِضُهَا الرَّزِيَّةُ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِيْ صِحَاحِ الأخْبَارِ بِرِوَايَةِ الأخْيَارِ، أنَّه لَمَّا تُوُفِّيَتْ سَيِّدَتُنَا زَيْنَبُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه وَسَلَّمَ حَضَرَ رَسُوْلُ اللهِ دَفْنَهَا وَكَفْنَهَا، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ ذلِكَ، وَألْقَى التُّرَابَ فِيْمَا هُنَالِكَ، تَغَيَّرَ لَوْنُه وَاضْطَرَبَ وَجْهُه فَسَألُوْهُ عَنْهُ، فَقَالَ: لَقَدْ رَحِمْتُهَا وَضُعْفَهَا، وَلَقَدْ ضَغَطَتْهَا الْقَبْرُ ضَغْطَةً صَاحَتْ بِهَا، فَسَمِعَ صَوْتَهَا كُلُّ خَلْقٍ إلا الثَّقَلانِ مِنَ الإنْسِ وَالْجِنَّةِ، فَدَعَوْتُ اللهَ أنْ يُّخَفِّفَ عَلَيْهَا الضَّغْطَةَ.

إخْوَانِيْ! تَفَكَّرُوْا فِيْ هذِهِ الْمُصِيْبَةِ، هذَا حَالُ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ صَاحِبِ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْعَلِيَّةِ، فَمَنْ أنَا وَأنْتُمْ أيُّهَا الْعُصْبَةُ، وَوَرَاءَ ذلِكَ فِي الْقَبْرِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَّضِيْقٌ مَّدِيْدٌ وَّظُلْمَةٌ فَوْقَ ظُلْمَةٍ، فَنَوِّرُوْا قُبُوْرَكُمْ بِكَثْرَةِ الأعْمَالِ عَلى طَبَقِ السُّنَّةِ، وَبِاجْتِنَابِ سَيِّئَاتِ الأفْعَالِ وَقَبَائِحِ الْبِدْعَةِ، وَقُوْلُوْا بَاسِطِيْنَ أكُفَّ السُّؤَالِ إلى مَنْ إلَيْهِ الرَّجْعَةُ.

اَللّهُمَّ يَا رَحْمنُ يَا مَنَّانُ! اغْفِرْ لَنَا وَسَامِحْنَا وَنَجِّنَا مِنْ شَدَائِدِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِ الْعُقْبى وَمَكَارِهِ الْبَرْزَخِ الْكُبْرى، وَاجْعَلْ صَالِحَ أعْمَالِنَا لَنَا عُدَّةً، أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أكْفَرَه مِنْ أيِّ شَيْءٍ خَلَقَه مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَه فَقَدَّرَه ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَه ثُمَّ أمَاتَه فَأقْبَرَه ثُمَّ إذَا شَاءَ أنْشَرَه﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من جمادى الآخرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ جَلِيْلِ الصِّفَاتِ رَفِيْعِ الدَّرَجَاتِ كَبِيْرِ الشَّانِ، اَلَّذِيْ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلى أصْنَافٍ شَتّى وَجَعَلَ أشْرَفَهَا الإنْسَانَ، فَسُبْحَانَه مِنْ إلهٍ عَجِزَتِ الْعُقُوْلُ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهِه وَتَحَيَّرَتِ النُّفُوْسُ فِيْ دَرْكِ سِرِّه كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيْ شَأْنٍ.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه تَفَرَّدَ بِتَدْبِيْرِ الْخَلْقِ عَوْدًا وَّبَدْءً مِّنْ غَيْرِ أنْصَارٍ وَأعْوَانٍ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيْلَهُمْ مَّا دَارَ الْقَمَرَان.

أمَّا بَعْدُ: أيُّهَا الإخْوَانُ وَالْخُلانُ! وَمَعَاشِرَ الْحُضَّارِ مِنَ الإنْسِ وَالْجَانِّ! تَدَبَّرُوْا فِيْ آيَاتِ اللهِ وَعَظَمَتِه، وَتَفَكَّرُوْا فِيْ صِفَاتِ اللهِ وَقُدْرَتِه، وَلا تَفَكَّرُوْا فِي اللهِ كَذَا أمَرَنَا خَاتَمُ أنْبِيَاءِ الزَّمَانِ، فَمَنْ تَفَكَّرَ فِيْ خَلْقِه وَصِفَاتِه، ظَهَرَتْ لَه يَنَابِيْعُ الْحِكْمَةِ، وَفَاضَتْ عَلَيْه بِحَارُ اللُّطْفِ وَالامْتِنَانِ، وَمَنْ قَصَدَ دُخُوْلَ لُجَّةِ أسْرَارِ ذَاتِه غَرِقَ فِي الطُّغْيَان.

أُنْظُرُوْا إلى مَبْدَأكُمْ وأصْلِكُمْ كَيْفَ خَلَقَكُمْ مِّنْ قَطْرَةٍ نَّجَسَةٍ، وَغَيَّرَ فِيْ أطْوَارِكُمْ مَّرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، إلى أن ألْبَسَ خِلْعَةَ الْوُجُوْدِ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْمَنَّانُ، خَلَقَكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأنْثى، وَجَعَلَكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَائِلَ شَتّى، لِتَعَارَفُوْا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُمْ، وَإنَّ كُلَّ مَا عَلَى الأرْضِ فَانٍ، فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، إنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ لآيَاتٍ لأولِي الألْبَابِ وَالإتْقَان.

فَعَلَيْكُمْ أنْ تَذْكُرُوْهُ ذِكْرًا كَثِيْرًا وَّتَشْكُرُوْهُ شُكْرًا كَبِيْرًا بِالسِّرِّ وَالإعْلانِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: ﴿فَاذْكُرُوْنِي أذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِي وَلا تَكْفُرُوْنَ﴾، وَقَالَ تَعَالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيْدَنَّكُمْ﴾، وَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه

وَعَلى آلِه وَصَحْبِه وَسَلَّمَ عَن رَّبِّه الْمَلكِ الدَّيَّانِ، مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه ذَكَرْتُه فِي نَفْسِي وَمَنْ ذَكَرَنِيْ فِيْ مَلاٍ ذَكَرْتُه فِي مَلاٍ خَيْرٍ مِّنْهُ وَهُوَ مَلأُ مَلائِكَةِ الرَّحْمنِ.

وَاعْلَمُوْا أَنَّ فِيْ الذِّكْرِ شِفَاءً مِّنْ كُلِّ دَاءٍ وَّحِرزًا مِّنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ ذَكَرَ رَبَّه فَرَّ مِنْهُ عَدُوُّه، وَمَنْ غَفَلَ عَنْ رَّبِّه تَقَرَّبَ إِلَيْهِ عَدُوُّه بِالطُّغْيَانِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالإِكْثَارِ مِنْ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلاةُ عَلى حَبِيْبِ الرَّحْمنِ، فَمَنْ صَلّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلّى عَلَيْهِ عَشْرًا صَلّى اللهُ عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلّى عَلَيْهِ مِائَةً، صَلّى عَلَيْهِ أَلْفًا، وَمَنْ صَلّى عَلَيْهِ أَلْفًا، صَلّى عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفٍ، وَمَنْ صَلّى عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفٍ، كَتَبَ اللهُ لَه بَرَاءَةً وَّأَعْتَقَ رَقَبَتَه مِنَ النِّيْرَانِ.

وَتَذَكَّرُوْا يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ وَتَصِيْرُ كَالدِّهَانِ، وَتَنْكَدِرُ النُّجُوْمُ وَيُكَوَّرُ الْقَمَرَانِ، وَتُحْشَرُ الْوُحُوْشُ وَالطُّيُوْرُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْحَيْوَانِ، وَيُجْمَعُ الْخَلائِقُ فِي صَعِيْدٍ وَّاحِدٍ وَتَخْشَعُ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ، وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً خَائِفَةً مِّنَ الْخَيْبَةِ وَالْحِرْمَانِ.

وَيُنَادِيْ فِيْهِ الْمُقَرَّبُوْنَ نَفْسِيْ نَفْسِيْ لا أَطْلُبُ غَيْرِيْ خَشْيَةً مِّنْ غَضَبِ الرَّحْمنِ، يَوْمَ تُدَكُّ الأَرْضُ وَالآكَامُ، وَيَجِيْءُ الرَّبُّ فِيْ ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ، وَتَصُفُّ الْمَلائِكَةُ حَوْلَ الإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَيُحَاطُ بِالنَّارِ حَوْلَهُمْ.

وَيُنَادِيْ مُنَادٍ يَّا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ! إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوْا لا تَنْفُذُوْنَ إِلا بِسُلْطَانٍ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فَاللهَ اللهَ إِخْوَانِيَ اسْتَعِدُّوْا لِمِثْلِ هٰذَا الْيَوْمَ، وَتَيَقَّظُوْا مِنَ النَّوْمِ، فَمَنْ نَّامَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ إِلا الْحَسْرَةَ وَالْخُسْرَانَ.

وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ وَخُشُوْعِ الْجَنَانِ: اَللّٰهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا رَحْمنُ! اِغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَنَجِّنَا مِنَ النِّيْرَانِ، وَأَدْخِلْنَا مَعَ الصَّالِحِيْنَ غُرُفَاتِ الْجِنَانِ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من جمادى الآخرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الرَّبِّ الْحَكِيْمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ الأَلِيْمِ، اَلَّذِي بَعَثَ لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ رُسُلاً وَّأَنْبِيَاءَ وَخَصَّهُمْ بِمَزِيْدِ التَّكْرِيْمِ، وَجَعَلَ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَرَثَةً لَّهُمْ لَمْ يَرِثُوْا دِيْنَارًا وَّلا دِرْهَمًا وَّإِنَّمَا وَرِثُوْا طُرُقَ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيْمِ، فَسُبْحَانَه مِنْ إِلهٍ لَّمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً مِّنَ الأُمَمِ إِلا بَعْدَ أَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَّنْ يَّهْدِيْهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالسَّبِيْلَ الْقَوِيْمَ، وَلَمْ يَأْخُذْ عِبَادَه عَلى غَفْلَةٍ بَلْ رَّفَعَ عَنْهُمُ الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَهُوَ بِهِمْ رَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيْمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ هُمْ كَالسَّفِيْنَةِ وَالنُّجُوْمِ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِمِ اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ الْمُقِيْمَ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! تَنَبَّهُوْا مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ، وَاجْتَهِدُوْا فِي التَّنَبُّهِ وَالْيَقْظَةِ تَدْخُلُوْا دَارَ النَّعِيْمِ، وَأَطِيْعُوا اللهَ وَالرَّسُوْلَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ إِلَيْهِمَا وَلا تَعْتَمِدُوْا عَلَى الرَّأْيِ السَّقِيْمِ، وَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّيْنِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ وَّمُسْلِمَةٍ، كَذَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَنَدٍ حَسَنٍ سَلِيْمٍ.

وَأَدِّبُوْا أَوْلادَكُمْ وَعَلِّمُوْا أَزْوَاجَكُمْ وَعَشَائِرَكُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْعَذَابِ الأَلِيْمِ، وَمُرُوْا أَوْلادَكُمْ بِالشَّرَائِعِ لا سِيَّمَا الصَّلاةُ الَّتِيْ هِيَ عِمَادُ التَّسْلِيْمِ، مُرُوْهُمْ بِهَا عِنْدَ بُلُوْغِهِمْ سَبْعًا، وَاضْرِبُوْهُمْ عَلَيْهَا عِنْدَ بُلُوْغِهِمْ عَشْرًا، كَذَا ثَبَتَ عَنْ نَّبِيِّنَا صَاحِبِ الآيَاتِ وَالْفَخْرِ الْجَسِيْمِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفَاتِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، فَمَنْ تَرَكَ الأَمْرَ

بِالْمَعْرُوْفِ، وَالنَّهِيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهُوَ مُعْتَدٍ أَثِيْمٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُدَاهَنَةَ فِيْ أَمْرِ الدِّيْنِ وَابْتِدَاعَ مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَّكُلُّ ضَلَالَةٍ تَجُرُّ صَاحِبَهَا إِلى قَعْرِ الْجَحِيْمِ.

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرى، فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِيْ حَتّى تَفِيْءَ إِلَى الطَّرِيْقِ الْمُسْتَقِيْمِ، وَلا تَبَاغَضُوْا وَلا تَحَاسَدُوْا وَلا تَنَافَسُوْا وَلا تَدَابَرُوْا وَكُوْنُوْا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا بِصَادِقِ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ الصَّمِيْمِ.

وَأَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ يَزِدْ بِهِ التَّوَدُّدُ بَيْنَكُمْ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، فَإِنَّ صَلاةَ اللَّيْلِ دَأْبُ الصَّالِحِيْنَ وَطَرِيْقَةُ الْفَالِحِيْنَ، يَرْضى بِهَا الرَّبُّ الْكَرِيْمُ.

وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُفْسِدُوْا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا الأَرْحَامَ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ مَا دَارَ الْقَمَرُ، أَنَّ الرَّحْمَةَ لا تَنْزِلُ عَلى قَوْمٍ فِيْهَا قَاطِعُ الرَّحْمِ مُقِيْمٌ.

وَاعْلَمُوْا أَنَّ الْوَاصِلَ لَيْسَ بِالْمُكَافِئِ إِنَّمَا الْوَاصِلُ مَنْ إِذَا قُطِعَ رَحْمُهُ وَصَلَهُ وَتَشَاغَلَ بِالإِصْلاحِ وَالتَّرْمِيْمِ، وَحَاسِبُوْا نُفُوْسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا، وَأَسِيْلُوْا الدُّمُوْعَ فِي الْخَلَوَاتِ، حَسْرَةً عَلى مَا فَاتَ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَنَدَامَةً عَلى مَا صَدَرَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَيُظِلُّكُمْ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّه تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ الْعَظِيْمِ.

وَادْعُوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً، وَاسْتَغْفِرُوْهُ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَّلَمْحَةٍ، عَسى أَنْ يَّغْفِرَ اللهُ ذُنُوْبَكُمْ وَيُنَجِّيَكُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَلِيْمِ، وَقُوْلُوْا مِنَ الْقَلْبِ الصَّمِيْمِ، اَللّهُمَّ يَا رَحْمنُ يَا رَحِيْمُ! إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيْمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا يَا كَرِيْمُ.

وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من جمادى الآخرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، خَالِقِ كُلِّ مَكَانٍ وَّمَكِيْنٍ، مُدَبِّرِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِيْنَ، أَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا كَحَمْدِ الشَّاكِرِيْنَ، وَأَشْكُرُه شُكْرًا كَثِيْرًا فِيْ كُلِّ حِيْنٍ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَلا نَظِيْرَ لَه وَلا مُعِيْنٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرُ الْحَاضِرِيْنَ! اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلا تَمُوْتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَتَزَوَّدُوْا فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى، وَإنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَ، وَمَنْ يَّتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَه مَخْرَجًا وَّيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَيَجْعَلْهُ مِنَ الْفَالِحِيْنَ.

وَإِيَّاكُمْ وَالشِّرْكَ الأَكْبَرَ وَالأَصْغَرَ، فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فِيْ ذَاتِه أَوْ صِفَاتِه حَبِطَتْ أَعْمَالُه، وَصَارَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ، وَاشْكُرُوا اللهَ عَلى نَعْمَاءِه، وَاحْمَدُوْهُ عَلَى آلاءِه، فَمَنْ كَفَرَ، فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ.

وَتَذَكَّرُوْا يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ مَا سَعى، وَيَتَبَرَّزُ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَّرى يَوْمَ يَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ، ذَاكَ يَوْمٌ تَفْضَحُ فِيْهِ الْخَلائِقُ، وَتَكْشِفُ فِيْهِ أَسْتَارُ السَّاتِرِيْنَ، وَيُسْأَلُ فِيْهِ كُلُّ عَبْدٍ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ وَّقَوْلٍ، وَيُحَاسِبُ عَلى كُلِّ طَوْلٍ وَّحَوْلٍ، وَيُخَاصِمُ فِيْهِ الرَّجُلُ مَعَ زَوْجَتِه وَالأَخُ مَعَ أَخِيْهِ وَالْوَلَدُ مَعَ وَالِدَيْهِ وَالْوَالِدَانِ مَعَ الْبَنَاتِ وَالْبَنِيْنَ، وَيُعْطَى فِيْهِ كُلُّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّه، وَيُوَفَّى كُلُّ مُسْتَحِقٍّ مَّا اسْتَحَقَّه، وَيُنَادِيْ مُنَادٍ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِيْنَ.

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ، وَاسْتَغْفِرُوْهُ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيْنَ، وَلازِمُوْا أَدَاءَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَعَ الْجَمَاعَاتِ، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَه نُوْرًا وَبُرْهَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ حُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُوْنَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ رُؤَسَاءِ الشَّيَاطِيْنِ.

وَصُوْمُوْا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوْا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَحُجُّوْا قَبْلَ أَنْ لا يُحَجَّ الْبَيْتُ، وَائْتَمِرُوْا بِمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِه، وَانْتَهُوْا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَلا تَكُوْنُوْا مِنَ الْغَافِلِيْنَ.

وَتَوَكَّلُوْا عَلَى اللهِ فِيْ كُلِّ الأُمُوْرِ، وَاصْبِرُوْا عَلَى نَوَائِبِ الدُّهُوْرِ، وَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ، وَهَوِّنُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ هُمُوْمَ الدُّنْيَا، فَمَنْ كَانَ أَكْبَرُ هَمِّهِ الدُّنْيَا اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ الْمُهِيْنَ.

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَه تَعَالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٍ﴾، وَقُوْلُوْا: مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ مَعَ التَّضَرُّعِ وَالأَنِيْنِ.

يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ يَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ! نَحْنُ غَرْقَى فِيْ بِحَارِ الْعِصْيَانِ، فَأَخْرِجْنَا مِنْهَا، وَأَدْخِلْنَا جَنَّتَكَ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ.

وَسَامِحْنَا وَاعْفُ عَنَّا وَاسْتُرْ زَلاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا وَاقْضِ حَاجَاتِنَا، وَأَعْطِ أُمْنِيَّاتِنَا، فَإِنَّكَ مُجِيْبُ الدَّاعِيْنَ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من جمادى الآخرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ عَجِزَتْ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهِهِ الْعُقُوْلُ وَالأوْهَامُ، وَتَحَيَّرَتْ فِيْ دَرْكِ سِرِّهِ الْمَدَارِكُ وَالأفْهَامُ، جَلَّتْ قُدْرَتُه وَعَظُمَتْ سَطْوَتُه يُقَلِّبُ اللَّيَالِيَ وَالأيَّامَ، ويُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ، فَسُبْحَانَه مِنْ إلهٍ تَفَرَّدَ بخَلْقِ الْخَلْقِ وَحُسْنِ الانْتِظَام.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه فِي النَّظْمِ وَالإحْكَام، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ إلى يَوْمِ الْقِيَام.

أمَّا بَعْدُ: فَيَا أيُّهَا الإخْوَانُ وَالْخُلانُ! إلى مَتى هذَا التَّمَادِيْ فِي الْغَفْلَة، إلى مَتى هَذا الانْهِمَاكُ فِيْ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ، إلى مَتى هذهِ الْجُرْأةُ فِيْ اكْتِسَابِ الْحَرَامِ، أمَا تَعْتَبِرُوْنَ بِانْقِلابِ اللَّيَالِيْ وَالأيَّام.

أمَا تَتَفَكَّرُوْنَ فِي سِيَرِ مَنْ مَضى مِنَ الْكِرَامِ، كَانُوْا يَجْتَهِدُوْنَ فِي الْعِبَادَةِ غَايَةَ الاجْتِهَادِ، وَيَتَجَنَّبُوْنَ الشُّرُوْرَ وَالْفَسَادَ وَالآثَامَ، كَانُوْا لا يَخَافُوْنَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ وَّلا يُدَاهِنُوْنَ فِيْ أوَامِرِ الْمَلِكِ الدَّائِمِ الْقَيَّامِ، صَرَفُوْا أعْمَارَهُمْ فِي اتِّبَاعِ الشَّرَائِعِ، وَنَقُّوْا أرْوَاحَهُمْ وَأبْدَانَهُمْ مِّنَ الْقَبَائِحِ الْعِظَامِ، وَتَقَرَّبُوْا إلَى اللهِ بِكَثْرَةِ الأوْرَادِ وَالأذْكَارِ، وَلازَمُوْا كَثْرَةَ النَّوَافِلِ وَالسُّنَنِ تَقَرُّبًا إلى الْعَزِيْزِ الْعَلامِ، وَأمْسَكُوْا ألْسِنَتَهُمْ عَنِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالْكِذْبِ وَالْخُصُوْمَةِ وَسَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ الْجِسَام.

وَبَالَغُوْا فِيْ تَصْفِيَةِ قُلُوْبِهِمْ مِّنَ الْبُغْضِ وَالْحَسَدِ وَالْحِرْصِ وَالْحِقْدِ وَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَحُبِّ الْجَاهِ وَالْفَخْرِ وَسَائِرِ الْمُوْبِقَاتِ الْعِظَامِ، فَفَازُوْا بِالْمَرَاتِبِ الْعُلْيَا،

وَنالُوا الْفَضائِلَ الْقُصْوى، وَاسْتَحَقُّوْا دَارَ السَّلام.

فَطُوْبى لَهُمْ وَبُشْرى لِمَنْ تَبِعَهُمْ بِالسَّلامَةِ مِنَ الآلامِ، فَوَا عَجَبًا مِّنْكُمْ تَنْتَسِبُوْنَ إِلَيْهِمْ، وَتَدَّعُوْنَ أَنَّكُمْ مِّنْهُمْ، وَلا تَتَّبِعُوْنَ طُرُقَهُمْ، وَلا تَسْلُكُوْنَ هَدْيَهُمْ، وَتُخَالِفُوْنَهُمْ سَائِرَ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّام.

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبُّه: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُه لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه»، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ مُجَرَّدَ الانْتِسَابِ إِلى أَصْحَابِ الْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ، وَلا يُفِيْدُ يَوْمَ التَّحَسُّرِ وَالآلام.

فَتَنَبَّهُوْا مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ وَاخْشَوْا يَوْمَ الْمُحَاسَبَةِ وَالانْتِقَامِ، وَاسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ فِيْ خَلَوَاتِكُمْ وَجَلَوَاتِكُمْ مِّنَ الذُّنُوْبِ وَالآثَامِ، وَقُوْلُوْا بَاسِطِيْ أَكُفِّ السُّؤَالِ إِلَى الْعَزِيْزِ الْعَلام.

اَللّٰهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ السَّلامُ، حَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلامِ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ السَّلامِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من جمادى الآخرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ رَافِعِ السَّمَاءِ بِغَيْرِ عِمَادٍ، بَاسِطِ الأَرْضِ لِلْمِهَادِ، أَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا عَلى أَنْ زَيَّنَ السَّموَاتِ بِمَصَابِيْحَ، وَجَعَلَهَا رُجُوْمًا لِّلشَّيَاطِيْنِ وَذَرِيْعَةً لاهْتِدَاءِ الْعِبَادِ، وَأَشْكُرُه عَلى أَنْ جَعَلَ مَا عَلَى الأَرْضِ زِيْنَةً لَّهَا، وَسَكَّنَهَا بِالْجِبَالِ الأَوْتَاد.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَهُوَ الْكَرِيْمُ الْجَوَادُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ كُلِّ حَاضِرٍ وَّبَادٍ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! تَفَكَّرُوْا فِيْ تَقَلُّبِ الدُّهُوْرِ وَتَصَرُّفِ الْعُصُوْرِ، أَيْنَ الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ وَالأَحْفَادُ؟ أَيْنَ الأَحْبَابُ وَالأَقْرَانُ وَالأَجْدَادُ؟ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ؟ أَيْنَ قَارُوْنُ وَنَمْرُوْدُ وَشَدَّادُ؟ أَيْنَ الَّذِيْنَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ؟ أَيْنَ الَّذِيْنَ عَذَّبُوْا عِبَادَ اللهِ بِالأَوْتَادِ؟ أَيْنَ الَّذِيْنَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ؟ فَأَكْثَرُوْا فِيْهَا الْفَسَادَ، أَفْنَاهُمْ كَرُّ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ، وَأَهْلَكَهُمْ دَوْرُ السَّبْعِ السِّدَادِ، هَلْ تَجِدُوْنَ مِنْهُمْ سِوى قِصَصِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ؟ هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ مِّنْ آثَارِهِمْ وَالأَجْنَادِ؟

فَتَنَبَّهُوْا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَاخْشَوْا يَوْمَ تَقُوْمُ قِيَامَتُكُمُ الصُّغْرى وَالْكُبْرى، وَيُحَاسَبُ فِيْهِ جَمِيْعُ الْعِبَادِ، وَلا تَغْتَرُّوْا بِبَقَاءِ الدُّنْيَا وَزِيْنَتِهَا، كَمَا اغْتَرَّ بِهَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَهَلَكُوْا وَاسْتَحَقُّوْا الْبِعَادَ، أَتَظُنُّوْنَ أَنَّكُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ.

أَمَا قَرَعَ سَمْعَكُمْ مَّا قَالَ رَبُّكُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُوْنَ﴾، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمِرْصَادِ، فَعَلَيْكُمْ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ وَالانْزِجَارِ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَبِالْتِزَامِ كَثْرَةِ الأَذْكَارِ وَالأَوْرَادِ، فَمَنْ دَامَتْ لِسَانُه رَطْبَةً بِذِكْرِ اللهِ فَازَ بِالدَّرَجَةِ الْعَلِيَّةِ

يَوْمَ التَّنَاد.

وَادْعُوا اللهَ فِيْ كُلِّ بُكْرَةٍ وَّعَشِيَّةٍ، فَإِنَّه مُخُّ الْعِبَادَةِ، وَاسْتَغْفِرُوْهُ فِيْ كُلِّ لَمْحَةٍ، فَإِنَّ مَوْلَاكُمْ كَرِيْمٌ لَطِيْفٌ عَفُوٌّ جَوَادٌ، وَاغْتَنِمُوْا صِحَّتَكُمْ قَبْلَ سُقْمِكُمْ، وَشَبَابَكُمْ قَبْلَ هَرَمِكُمْ، وَغِنَاءَكُمْ قَبْلَ فَقْرِكُمْ، وَعَافِيَتَكُمْ قَبْلَ ابْتِلَاءِكُمْ، وَحَيَاتَكُمْ قَبْلَ مَوْتِكُمْ لِئَلَا تَقُوْلُوْا: لَيْتَنَا نَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، فَنَعْمَلَ فِيْهَا أَحْسَنَ مِمَّا عَمِلْنَا، فَيُقَالُ لَكُمُ الْآنَ: وَقَدْ عَصَيْتُمْ قَبْلُ وَكُنْتُمْ مِّنْ أَرْبَابِ الْفَسَاد.

وَاجْتَهِدُوْا فِيْ ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللهِ حَقَّ الاجْتِهَادِ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْ لِّسَانِه وَيَدِه، وَالْمُهَاجِرَ مَنْ هَاجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَالْمُجَاهِدَ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَه حَقَّ الْجِهَاد.

وَتَجَنَّبُوا التَّدَابُرَ وَالتَّنَافُرَ وَالتَّنَافُسَ وَالتَّبَاغُضَ وَحُبَّ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَانْقِيَادَ أَرْبَابِ الضَّلَالِ وَالْجَدْلَ وَالْحَدْلَ وَالْخَطَلَ وَالزَّلَلَ وَالْعِنَادَ.

وَعَلَيْكُمْ بِتَصْفِيَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ مِنَ الشَّوَائِبِ الرَّدِيْئَةِ، وَإِزَالَةِ الْأَوْصَافِ الذَّمِيْمَةِ وَاخْتِيَارِ الاقْتِصَاد.

فَطُوْبى لِمَنْ تَوَجَّهَ بِقَلْبِه إِلى رَبِّه، وَانْقَادَ صَدْرُه لِشَرْعِه، وَتَرَكَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ الْعِبَادَ، هٰذَا تَذْكِرَةٌ لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ، وَتَبْصِرَةٌ لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَّتَبَصَّرَ، وَهِدَايَةٌ لِّمَنْ سَلَكَ سَبِيْلَ الرَّشَاد.

أَقُوْلُ قَوْلِيْ هٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِيْ إِلَى اللهِ، إِنَّ اللهَ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ، أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّه إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَّلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

الخطبة الثّانية لجمع جمادى الآخرة وما قبلها من الشّهور: جمادى الأولى وشهر ربيع الآخر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الأكْبَرِ، لا رَادَّ لِمَا قَضَاهُ وَلا دَافِعَ لِمَا قَدَرَ، أحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا، وَّأشْكُرُه شُكْرًا كَبِيْرًا وَّ نَستَعِينُه وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إلَيْه عَمَّا صَدَرَ.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه صَاحِبُ القُوَى وَالْقَدَرِ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الْمَبْعُوْثُ إلى كَافَّة الْخَلْقِ مِنَ الأسْوَدِ وَالأحْمَرِ.

أمَّا بَعْدُ: أيُّها الْمُؤْمِنُوْنَ! اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه، وَلا تَمُوْتُنَّ إلا وَأنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ، وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَّلا تَفَرَّقُوْا فَمَنْ شَذَّ عَنِ الْجَمَاعَةِ شَذَّ فِي السَّقَرِ.

وَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدْعَةِ، فَإنَّ السُّنَّةَ تَهْدِيْ إلَى الْجَنَّةِ، وَالْبِدْعَةَ تَهْوِىْ بِصَاحِبِهَا إلَى النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ وَالشَّرَرِ، وَعَلَيْكُمْ بِكَثْرَةِ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ، لا سِيَّمَا فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ وَالْيَوْمِ الأزْهَرِ، فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَّقْبُوْلَةٌ مَّشْهُوْدَةٌ وَّشَافِعَةٌ لَّكُمْ يَوْمَ الْمَحْشَرِ.

اَللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَّعَلى آلِه وَأصْحَابِه وَأزْوَاجِه وَأتْبَاعِه صَلاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، خُصُوْصًا مِّنْهُمْ عَلى أوَّلِ الْخُلَفَاءِ بِالتَّحْقِيْقِ، رَفِيْقِه فِي الْغَارِ بِالتَّصْدِيْقِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ إمَامِ الْمُسْلِمِيْنَ، سَيِّدِنَا أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الأكْبَرُ، وَعَلى ثَانِي الْخُلَفَاءِ رَأسِ الأتْقِيَاءِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ إمَامِ الْمُتَّقِيْنَ سَيِّدِنَا عُمَرَ فَازَ بِالْحَظِّ الأوْفَرِ، وَعَلى ثَالِثِ الْخُلَفَاءِ سَيِّدِ أرْبَابِ الْحَيَاءِ أمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ إمَامِ الأكْرَمِيْنَ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ ذِي النُّوْرِ الأنْوَرِ، نَوَّرَ اللهُ ضَرِيْحَه بِالنُّوْرِ الأزْهَرِ، وَعَلى رَابِعِ الْخُلَفَاءِ أسَدِ اللهِ فِيْ مَعْرَكَةِ الآرَاءِ أمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ إمَامِ الأشْجَعِيْنَ، سَيِّدِنَا عَلِيِّ الْحَيْدَرِ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَه يَوْمَ الْمَحْشَرِ.

وَعَلَى الإمَامَيْنِ الْهُمَامَيْنِ السَّعِيْدَيْنِ الشَّهِيْدَيْنِ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ صَاحِبَي السِّيَادَةِ وَالْقَدْرِ الأَبْهَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَوْمَ الْمَحْضَرِ، وَعَلى بِضْعَةِ رَسُوْلِ اللهِ سَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَأَرْضَاهَا بِاللُّطْفِ الأَكْبَرِ، وَعَلى عَمَّيْهِ الْمُكَرَّمَيْنِ الْمُطَهَّرَيْنِ مِنَ الدَّنَسِ وَالأَرْجَاسِ، سَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَسَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَخَصَّهُمَا بِالْفَضْلِ الأَفْخَرِ، وَعَلى سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ.

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ مُجِيْبُ الدَّعْوَاتِ وَرَافِعُ الدَّرَجَاتِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْقَدِيْرُ الأَكْبَرُ، اَللّٰهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلا تَجْعَلْنَا مِنْهُمْ، وَنَجِّنَا مِنْ حَسَرَاتِ الْعَرْضِ الأَكْبَرِ.

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِجَامِعِ هٰذِهِ الْخُطَبِ وَالنَّصَائِحِ، وَاحْفَظْهُ مِنْ شُرُوْرِ الْمَكَارِهِ وَالْقَبَائِحِ، وَارْزُقْهُ خَيْرًا عَظِيْمًا فِي الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ وَالْمَحْشَرِ، وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، أُذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَادْعُوْهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ وَلَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى أَعْلَى وَأَوْلَى وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَهَمُّ وَأَقْوَى وَأَكْبَرُ.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من رّجب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ بَسَطَ بِسَاطَ الْفَضْلِ فَخَلَقَ الأَنْهَارَ، وَخَلَقَ مَا فِيْهِ مَنَافِعُ وَمَصَالِحُ لِعِبَادِهِ مِنَ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ، هُوَ الَّذِيْ دَارَ بِحُكْمِهِ الدَّوَّارِ، وَالطَّيْرُ بِصَنْعَتِهِ طَارَ.

فَنَحْمَدُهُ عَلى هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيْلَةِ السَّائِلَةِ عَلَيْنَا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَنَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً نَّدْخُلُ بِهَا دَارَ الْقَرارِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ.

أَمَّا بَعْدُ: إِخْوَانِيْ وَخُلانِي! وَا حَسْرَتَاهْ عَلى مَا اكْتَسَبْنَا وَعَلى مَا تَسَاهَلْنَا وَلَمْ نَخْشَ عَذَابَ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ، مَضَتِ الأَيَّامُ الْخَالِيَةُ، وَاللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ، بِذُنُوْبِنَا تَكَاسَلْنَا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَهَجَمْنَا عَلَى الْمُخَالَفَاتِ، فَلَوْ لا عِبَادٌ رُّكَّعٌ وَّصِبْيَانٌ رُّضَّعٌ وَّبَهَائِمُ رُتَّعٌ، لَغَضَبَ عَلَيْنَا رَبُّنَا الْمَلِيْكُ الْجَبَّارُ، وَلَوْلا حُرْمَةُ سَيِّدِ مُضَرَ وَنِزَارَ، لَمَا خَرَجْنَا مِنْ حُفْرَةِ النَّارِ، هَذَا شَهْرٌ مُّبَارَكٌ، اِسْمُه مُبَارَكٌ وَّلَقَبُه مُبَارَكٌ، تُفَاضُ فِيْهِ عَلَيْنَا الأَنْوَارُ، فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ، فَفَضْلُه عَلى سَائِرِ الشُّهُوْرِ كَفَضْلِه عَلى مَا سِوَاهُ، وَشَهْرُ شَعْبَانَ شَهْرُ نَبِيِّنَا، فَفَضْلُه عَلى سَائِرِ الشُّهُوْرِ كَفَضْلِه عَلى غَيْرِه، وَشَهْرُ رَجَبَ شَهْرُ هذِهِ الأُمَّةِ، فَفَضْلُه عَلى بَاقِي الشُّهُوْرِ كَفَضْلِ هذِهِ الأُمَّةِ عَلى أُمَمِ الأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ.

فَيَا أَيُّهَا الْغَرِيْبُ الْمِسْكِيْنُ الْكَئِيْبُ الْحَزِيْنُ! تُبْ إِلَى اللهِ مِمَّا فَعَلْتَ، وَتَحَسَّرْ عَلى مَا فَاتَكَ، وَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ، وَفَرِّطْ فِي الضَّلالَةِ، لَعَلَّ اللهَ تَعَالى يَرْحَمُكَ، وَيَتَجَاوَزُ عَمَّا فَعَلْتَ، إِنَّه تَعَالى حَلِيْمٌ غَفَّارٌ.

وَعَلَيْكَ بِالضَّرْبِ بِالسَّيْفِ، وَإِطْعَامِ الضَّيْفِ، وَالصَّوْمِ فِي الصَّيْفِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ لَيْسَتْ بِدَارِ الْقَرَارِ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيْلٍ، فَإِنَّهَا مَكَّارَةٌ غَدَّارَةٌ لَيْسَ لَهَا الاعْتِبَارُ، أَيْنَ مَنْ كَانَ مَعَكَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، أَيْنَ مَنْ كَانَ مَلَكَ الأَرْضِيْنَ فِي الأَدْوَارِ الْخَالِيَةِ، أَفْنَاهُمْ مُرُوْرُ الزَّمَانِ وَدَوْرُ الدَّوَّارِ، فَلَمَّا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَمْ يَسْتَأْخِرُوْهُ سَاعَةً وَّلَمْ يَسْتَقْدِمُوْا جُزْءً مِّنَ الأَعْصَارِ، فَقَصِّرِ الأَمَلَ، وَاسْتَعِدَّ لِلأَجَلِ، وَأَطِعِ الْعَلِيَّ الأَجَلَّ، وَاتَّبِعِ النَّبِيَّ الأَكْمَلَ، وَاعْمَلْ بِمَا فِي الْقَوْلِ الْفَيْصَلِ، وَاطْلُبِ الْوَقَايَةَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَدْ قَرُبَ يَوْمُ الْحُضُوْرِ، يَوْمٌ تَرْتَفِعُ فِيْهِ الأَصْوَاتُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُوْرِ، يَوْمٌ يُّنْشَرُ فِيْهِ دِيْوَانُ الْمَعَاصِيْ، وَيَخْجَلُ فِيْهِ الْعَاصِيْ، يَوْمٌ يَفِرُّ فِيْهِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيْهِ وَأُمِّه وَأَبِيْهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيْهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ شَأْنٌ يُّغْنِيْهِ، يَوْمٌ لا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ فِيْهِ وَلا يَتَسَاءَلُوْنَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُه، فَأُولائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُه، فَأُولائِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا فِي جَهَنَّمَ خَالِدُوْنَ، يَوْمٌ تَظْهَرُ فِيْهِ الْقَبَائِحُ كَظُهُوْرِ الشَّمْسِ عَلَى رَابِعَةِ النَّهَارِ.

اَللّٰهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ! اغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا، وَتَجَاوَزْ عَنْ خَطِيْئَاتِنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْحَلِيْمُ الْغَفَّارُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الرَّبِّ الْحَكِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَّمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيْزُ الْغَفَّارُ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من رجب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الأحَدِ اَلْوَاهِبِ الْوَالِي الصَّمَدِ، نَحْمَدُه عَلى أنْ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَدَبَّرَه مِنْ غَيْرِ مُعِيْنٍ وَّمَدَدٍ، وَنَشْكُرُه عَلى أنْ جَعَلَنَا مِنْ أشْرَفِ مَخْلُوْقَاتِه، وَأَفَاضَ عَلَيْنَا نِعَمًا لا تُحْصى وَلا تُعَدُّ.

أشْهَدُ أنّه لا إلهَ إلا هُوَ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَّه كَفُوًا أحَدٌ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الْمَبْعُوْثُ إلى كَافَّةِ الْخَلْقِ مِنَ الأحْمَرِ وَالأبْيَضِ وَالأسْوَدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه إلَى الأبَد.

أمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الإخْوَانِ وَالْخُلانِ! أُشْكُرُوا اللهَ عَلى نَعْمَاءِه، وَاحْمَدُوْهُ عَلى آلاءِه، حَيْثُ جَعَلَ لَكُمْ أيَّامًا مُّتَشَرِّفَةً وَّأزْمَانًا مُّتَبَرِّكَةً لِّتَفُوْزُوْا بِالرَّشَدِ، وَقَسَّمَ الزَّمَانَ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِّنْهَا أرْبَعَةٌ حُرُمٌ اَلثَّلاثَةُ الْمُتَوَالِيَةُ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحَجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ الْفَرْدُ، وَوَعَدَ لِمَنْ عَمِلَ فِيْهَا بِالصَّالِحَاتِ بِالأجْرِ الْجَزِيْلِ وَحُسْنِ الْمَدَد.

فَعَلَيْكُمْ أنْ لا تُضَيِّعُوْا هذِهِ الأشْهُرَ الْمُحْتَرَمَةَ، وَلا تَظْلِمُوْا فِيْهِنَّ أنْفُسَكُمْ بِارْتِكَابِ الأفْعَالِ الْخَبِيْثَةِ، فَمَنْ حَفِظَ نَفْسَه فِيْهَا فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَتَذَكَّرُوْا يَوْمَ قِيَامِ الْقِيَامَةِ الصُّغْرى، وَانْقِضَاءِ الآجَالِ وَالْمُدَدِ، وَمَا يَمْضِيْ عَلَيْكُمْ مِّنَ الأهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ فِي الْمَدْفَنِ وَالْمَرْقَدِ، وَوَرَاءَ ذلِكَ يَوْمُ الْعَرْضِ الأكْبَرِ يَوْمٌ لا يَنْفَعُ فِيْهِ مَالٌ وَّلا وَالِدٌ وَلا وَلَدَ، يَفِرُّ فِيْهِ الْمَرْءُ مِنْ أخِيْهِ وَأمِّه وَبَنِيْهِ وَصَاحِبَتِه وَأبِيْهِ، وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ أشَدُّ، يَوْمٌ تَرى فِيْهِ كُلَّ نَبِيٍّ مُّرْسَلٍ وَّمَلَكٍ مُّقَرَّبٍ يَّقُوْلُ: نَفْسِيْ نَفْسِيْ سِوى خَاتَمِ الأنْبِيَاءِ شَفِيْعِنَا صَاحِبِ الْمَقَامِ الأمْجَد.

أَيُّهَا الغَافِلُوْنَ! تَنَبَّهُوْا مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ، وَلا تَسْلُكُوْا سُبُلَ مَنْ تَمَرَّدَ وَتَشَرَّدَ، فَمَنْ تَمَرَّدَ عَنْ إِطَاعَةِ رَبِّهِ هَلَكَ وَأَهْلَكَ وَضَلَّ وَأَضَلَّ وَفَسَدَ وَأَفْسَدَ، وَطَهِّرُوْا نُفُوْسَكُمْ مِّنَ الْخِصَالِ الْمُهْلِكَةِ وَالأَفْعَالِ الْمُقَبَّحَةِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْبُغْضِ وَالْعُجْبِ وَالْفَخْرِ وَالشُّحِّ وَالْحَسَدِ، فَمَنْ طَهَّرَ قَلْبَه مِنَ الأَمْرَاضِ النَّفْسَانِيَّةِ، هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسِيْمُ الأَنْوَارِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَبَلَغَ أَعْلَى مَا يُطْلَبُ وَمَا يُقْصَدُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ بِالسَّنَدِ الْمُسْتَنَدِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِهِ إِلَى الأَبَدِ، أَنَّ الْقَلْبَ مُضْغَةٌ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَتِ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا، وَتَفْسُدُ إِذَا فَسَدَ، وَلا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ رَبَّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى، وَمَنْ هُوَ مُهْتَدٍ وَّمُمَجَّدٍ، وَلا تَغْتَرُّوْا بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَحِلْمِه، فَمَنِ اغْتَرَّ وَجَرَأَ عَلَى الذُّنُوْبِ سَلَكَ فِي الْقَعْرِ الأَبْعَدِ.

وَلا تَظُنُّوْا أَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ سُدًى، أَوْ جُعِلْتُمْ عَبَثًا، أَوْ أَنَّكُمْ لا تَمُوْتُوْنَ، وَأَنَّ لَكُمُ الْبَقَاءَ وَالدَّوَامَ إِلَى الأَبَدِ، كَلا وَاللهِ مَا مِنْ نَّفْسٍ مَّنْفُوْسَةٍ إِلا وَقَدْ قُدِّرَ لَهَا أَجَلُهَا، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهَا لا تَسْتَقْدِمُ سَاعَةً وَّلا تَسْتَأْخِرُ لَمْحَةً، فَإِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ بِالرَّصَدِ، مَا يَمْضِي يَوْمٌ إِلا وَهُوَ يَتَصَفَّحُ الْوُجُوْهَ، فَمَنْ جَاءَ أَجَلُه قَبَضَ رُوْحَه وَفَرَّقَ وَبَدَّدَ.

فَطُوْبى لِمَنْ تَزَوَّدَ لآخِرَتِه مِنْ دُنْيَاه، وَقَصَدَ خَيْرِيَّةَ عُقْبَاه، وَظَنَّ نَفْسَه مِمَّنْ لا يُمْسِي إِذَا أَصْبَحَ، وَمِمَّنْ لا يُصْبِحُ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ الأَسْوَدُ، وَنَدِمَ عَلى مَا اقْتَرَفَ فِي عُمْرِهِ الْمَاضِي مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا أَخْطَأَ مِنْهَا وَمَا تَعَمَّدَ.

اَللّٰهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا رَحْمنُ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ! اِغْفِرْ لَنَا جَمِيْعَ خَطَايَانَا، وَاعْفُ عَنَّا، وَطَهِّرْ قُلُوْبَنَا وَأَجْسَادَنَا مِنَ الذُّنُوْبِ بِرَحْمَتِكَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ.

وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَّمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِيْ كَبَدٍ أَيَحْسَبُ أَنْ لَّنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من رّجب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِىْ خَلَقَ السَّبْعَ الشِّدَادَ، وَجَعَلَهَا سُقُوْفًا مَّحْفُوْظَةً، وَزَيَّنَهَا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجُوْمِ وَالْبُرُوْجِ الْمَشْهُوْدِ، فَسُبْحَانَه مِنْ إلهٍ عَجزَتِ الأَلْسِنَةُ عَنْ مَّدْحِه وَثَنَاءِه، وَتَحَيَّرَتِ الْمَدَارِكُ فِيْ إدْرَاكِ حَقَائِقِ الأُمُوْرِ الْمَقْدُوْرَةِ، خَلَقَ سَبْعَ أرَضِيْنَ، وَجَعَلَهَا فُرُشًا مَّبسُوْطَةً، وَقَوَّاهَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ الْمَضْبُوْطَة.

أحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا، وَأشْكُرُه شُكْرًا جَمِيْلا عَلى مِنَنِه وَنَعْمَاءِهِ الْمَبْثُوْثَةِ، وَأشْهَدُ أَنَّه لا إله إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحْتَ قُدْرَتِه مَقْهُوْرَةٌ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْمَرْصُوْصَةِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه صَلاةً دَائِمَةً كَامِلَةً مَّوفُوْرَةً.

أمَّا بَعْدُ: فَيَا أيُّهَا النَّاسُ! اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه، فَإنَّ التَّقْوى هِيَ الشَّافِعَةُ الْمَشْفُوْعَةُ، وَاحْذَرُوْا مِنْ بَطْشِ اللهِ، فَإنَّ بَطْشَتَه لَشَدِيْدَةٌ مَّوْعُوْدَةٌ، وَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمرَةٍ مَّوْهُوْبَةٍ.

وَاعْلَمُوْا أنَّ اللهَ مَا خَلَقَ النُّفُوْسَ وَالأرْوَاحَ إلا لِتَعْبُدَه فَتَكُوْنَ شَاكِرَةً مَّشْكُوْرَةً، وَوَهَبَ لَهَا مِنَ الْبَقَاءِ أيَّامًا مَّعْدُوْدَةٍ، وَهَدَاهَا النَّجْدَيْنِ، وَعَلَّمَهَا السَّبِيْلَيْنِ، فَإمَّا نَاجِيَةٌ وَّإمَّا مَطْرُوْدَةٌ، ألا تَعْتَبِرُوْنَ بِسُرْعَةِ انْقِلابِ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ الْمَعْهُوْدَةِ، ألا تَنْظُرُوْنَ إلى فَنَاءِ الْمَخْلُوْقَاتِ الْمَنْشُوْرَةِ، أَلَكُمْ خُلُوْدٌ فِي الدُّنْيَا أمْ لَكُمْ أمَانٌ مِّنْ عَذَابِ النَّارِ الْمَعْهُوْدَةِ، أمْ تَغْتَرُّوْنَ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالى وَلا تَتَفَكَّرُوْنَ فِيْ مَا يَمْضِيْ عَلَيْكُمْ فِي الْقَبْرِ، وَيَوْمَ الْحَشْرِ مِنَ الأهْوَالِ الْمَكْرُوْهَة.

كَيْفَ بِكُمْ إذَا جَمعَ بِكُمْ أرْضُ الْمَحْشَرِ، وَجَاءَكُمْ رَبُّكُمْ مَّعَ عَرْشِهِ الأَكْبَرِ،

فَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى الأعْمَالِ الْمَقْبُوْحَةِ، وَتُوْضَعُ لَكُمْ مَوَازِيْنُ الْقِسْطِ، فَلا تُظْلَمُوْنَ شَيْئًا، وَتُعْرَضُ عَلَيْكُمْ كُتُبُ أعْمَالِكُمْ، وَلا تُنْقَصُوْنَ مِنْهَا شَيْئًا، فَتَدْهَش كُلُّ نَفْسٍ مَنْفُوْسَةٍ، وَلَوْ جَاءَتْ بِأعْمَالِ سَبْعِيْنَ نَبِيًّا لَظَنَّتْ أَنَّهَا هَالِكَةٌ مَخْذُوْلَةٌ.

فَطوبى لِنَفْسٍ نَجَتْ مِنْ شَدَائِدِ ذلِكَ الْيَوْمِ، وَكُتِبَتْ مِنَ النُّفُوْسِ الْمَرْحُوْمَةِ وَالْمَغْفُوْرَةِ، تَنَبَّهُوْا أَيُّهَا الغَافِلُوْنَ! وَتَذَكَّرُوْا أَيُّهَا العَاقِلُوْنَ! وَتُوبُوْا إِلَى اللهِ بِالتَّوْبَةِ الْمَبْرُوْرَةِ، وَحَاسِبُوْا نُفُوْسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا كَيْ لا تَصِيْرَ مَمْقُوْتَةً وَمَبْغُوْضَةً.

وَعَلَيْكُمْ بِالسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدعَاتِ الْقَبِيْحَةِ الْمَذْمُوْمَةِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلَّ ضَلالَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْؤُوْلَةٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَه أجْرُهَا وَأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلى يَوْمِ الْمَصَائِبِ الْمَأْثُوْرَةِ.

وَعَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ الَّتِيْ لا يَنْفَدُ ثَوَابُهَا، وَلا تَنْقَطِعُ مَنَافِعُهَا الْمَنْثُوْرَةُ، فَإِنَّ الإنْسَانَ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُه إِلا بِالصَّدَقَاتِ الْمَذْكُوْرَةِ، فَإِنَّهَا لا تَزَالُ مَقْبُوْلَةً وَمَسْطُوْرَةً.

فَطُوْبى لِنَفْسٍ تَزَوَّدَتْ مِنْ دُنْيَاهَا لآخِرَتِهَا، وَمِنْ حَيَاتِهَا لِمَوْتِهَا، وَمِنْ صِحَّتِهَا لِسُقْمِهَا، وَمِنْ شَبَابِهَا لِهَرَمِهَا، وَأَدْخِلَتِ الْغُرُفَاتِ الْمَرْفُوْعَةَ، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَابَ وَأَنَابَ وَغَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَكُمُ الأعْمَالَ الْمَقْبُوْحَةَ.

وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ، أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَه فِيْ صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوْعَةٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من رّجب
يذكر فيها المعراج

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِيْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ الْمُصْطَفى، وَنَزَّلَ عَلَيْنَا الْفُرْقَانَ لِنَخْشى، سُبْحَانَ الَّذِيْ أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمسجِدِ الأَقْصى، وَأَوْصَلَه إِلَى الْعَرْشِ الْمُعَلّى.

نَحْمَدُه عَلى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِيْ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصى، وَنَشْكُرُه على مَا فَضَّلَ عَبْدَه بِإِسْرَاءِه لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، وَنَشْهَدُ أَنَّه لا إِله إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنى، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُوْلُهُ الَّذِيْ تَشَرَّفَ بِرُؤْيَةِ رَبِّه، وَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الْكُبْرى.

أَمَّا بَعْدُ: إِخْوَانِيْ وَخِلانِي! قَدْ شَوَّقْتُكُمْ وَخَوَّفْتُكُمْ وَأَنْذَرْتُكُمْ مِّنَ الدَّرَكَاتِ السُّفْلى، وَأَسْمَعْتُكُمْ قُرْبَ تَرَحُّلِ الشَّهْرِ الْمُرَجَّبِ أَلا فَقَدْ دَنَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلا الأَدْنى، فَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ يُوَدِّعُه بِصَالِحِ الأَعْمَالِ، وَيَبْكِيْ عَلى سَيِّئَاتِ الأَفْعَالِ، وَيَنْظُرُ قُرْبَ الآجَالِ، وَيَتْرُكُ الْهَوى.

وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ يَجْتَنِبُ الطُّغْيَانَ، وَيَجْمَعُ الْبِرَّ وَالتُّقى، هَلْ مِنْ مُّسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُ حَضْرَةَ رَبِّه، وَيَنْدَمُ عَلى مَا كَسَبَ مِنْ ذَنْبِه، وَيُطِيْعُ الْعَلِيَّ الأَعْلى، هَلْ مِنْكُمْ مَّنْ يَّتَوَاضَعُ فِيْ خِدْمَةِ مَوْلاهُ، وَيَتْرُكُ مَا قَدْ مَضى، وَهَا سَتُظِلُّكُمْ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِيْنَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ، وَهِيَ لَيْلَةٌ مُّبَارَكَةٌ قَدْ عَرَجَ اللهُ فِيْهَا بِعَبْدِهِ إِلَى السَّموَاتِ الْعُلى، وَالْتَقى بِهِ الأَنْبِيَاءُ السَّابِقُوْنَ وَالْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُوْنَ، وَأَمَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصى، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامٌ وَّاضِحَاتٌ، وَآيَاتٌ مُّبَيِّنَاتٌ، وَحَصَلَتْ لَه رُؤْيَةُ رَبِّه

رَأى الْعَيْنِ لا كَالرُّؤْيَا.

فَيَا لَهَا مِنْ فَضْلٍ مَّنْ قَامَ فِيْهَا، وَصَامَ نَهَارَهَا حُطَّتْ عَنْهُ أوْزَارُه، وَغُفِرَتْ سَيِّئَاتُه، ووَصَلَ إِلَى الدَّرجَاتِ الْعُلى.

فَطُوْبى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْ صِحَّتِه لِسُقْمِه، وَمِنْ حَيَاتِه لِمَوْتِه، وَمِنْ شَبَابِه لِهَرَمِه، وَمِنْ دُنْيَاه لِلْعُقْبى، وَللهِ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أسَاءُوْا بِمَا عَمِلُوْا، وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أحْسَنُوْا بِالْحُسْنى.

طُوْبى لِمَنْ زَهَدَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ لِدَارِ الْبَقَاءِ، وَتَرَكَ الْكَسْبَ الْحَرَامَ، وَاجْتَنَبَ الآثَامَ، وَجَاهَدَ نَفْسَه فَتَزَكّى، فَإِنَّه لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعى، وَأنَّ سَعْيَه سَوْفَ يُرى. طُوْبى لِمَنْ كَسَرَ نَفْسَه عَنِ الشَّهوَاتِ، وَاعْتَادَ تَحْصِيْلَ الْحَسَنَاتِ، وَتَأهَّبَ لِصِيَامِ رَمَضَانَ بِتَرْكِ الْهَوى.

طُوْبى لِمَن تَرَكَ الْكِذْبَ وَالنَّمِيْمَةَ وَالْغِيْبَةَ، وَنَقّى نَفْسَه مِنَ الْبُغْضِ، وَسُوْءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِيْنَ، وَالْحَسَدِ عَلى مَا أنْعَمَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ، وَخَافَ بَطْشَ رَبِّه، فَإِنَّه شَدِيْدُ الْبَطْشِ شَدِيْدُ الْقُوى، وَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِّمَنْ مَّاتَ قَبْلَ أنْ يَّمُوْتَ، وَفَاتَ قَبْلَ أنْ يَفُوْتَ، وَنَامَ قَبْلَ أنْ يَنَامَ وَانْهَمَكَ فِي اكْتِسَابِ الآثَامِ، وَوَدَّعَه رَبُّه وَقَلى، فَهُوَ الشَّقِيُّ الَّذِيْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أمِّه وَطَغى، فَأمَّا الَّذِيْنَ شَقُوْا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيْهَا زَفِيْرٌ وَّشَهِيْقٌ خَالِدِيْنَ فِيْهَا دَائِمًا أبَدًا، وَأمَّا الَّذِيْنَ سَعِدُوْا فَفِي الْجَنَّةِ يَتَّكِئُوْنَ فِيْهَا عَلَى الأرَائِكِ، وَيَتَنَعَّمُوْنَ فِيْهَا أبَدًا مُّخَلَّدًا.

اَللّهُمَّ يَا مَنْ بَعَثَ عَلَيْنَا النَّبِيَّ الْمُصْطَفى، وَأسْرى بِه مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأقْصى، نَسْألُكَ أنْ تَنْصُرَ مَنْ نَّصَرَنَا، وَتَخْذُلَ مَنْ خَذَلَنَا، وَأنْ تَغْفِرَ لَنَا جَمِيْعَ خَطَايَانَا وَذُنُوْبَنَا، وَأنْ تُيَسِّرَ لَنَا الإقَامَةَ بِبَلَدِكَ إلى أنْ نُّتَوَفّى بِجِوَارِ شَفِيْعِنَا الْمُجْتَبى، وَأنْ تُدْخِلَنَا دَارَ النَّعِيْمِ، وَتُنَجِّيَنَا مِنَ الدَّرَكَاتِ السُّفْلى.

وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ، أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالنَّجْمِ إذَا هَوى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من رجب

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ وَلِيِّ التَّوْفِيْقِ وَالْهِدَايَةِ، اَلَّذِي بَعَثَ عَلَيْنَا لِهِدَايَتِنَا رُسُلاً وَّأَنْبِيَاءَ وَأَوْلِيَاءَ وَعُلَمَاءَ ذَوِي الْفِطَانَةِ وَالدِّرَايَةِ.

أَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيْرًا عَلَى أَنْ بَيَّنَ لَنَا الأَحْكَامَ، وَأَوْضَحَ لَنَا الْحَلاَلَ وَالْحَرَامَ، وَحَفِظَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا كَبِيْرًا عَلَى أَنْ مَّنَّ عَلَيْنَا بِتَضَاعُفِ الْحَسَنَاتِ فِي الأَزْمِنَةِ الْمُتَبَرَّكَاتِ، وَجَعَلَهَا لَنَا حِمَايَةً.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه الْمَبْعُوْثُ بِشَرَفِ السِّعَايَةِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَهْلَ الْفَهْمِ وَالدِّرَايَةِ! أُنْظُرُوْا إِلَى انْقِلاَبِ الزَّمَانِ، وَتَقَلُّبِ الدَّوَرَانِ، كُلَّمَا مَضَتْ لَمْحَةٌ نَقَصَ عُمْرُكُمْ وَقَرُبَ أَجَلُكُمْ، فَمَا هَذَا الانْهِمَاكُ فِي الْجِنَايَةِ، تَفَكَّرُوْا فِيمَا إِذَا لَحِقَ بِكُمُ الْمَوْتُ، وَضُرِبَ عَلَيْكُمْ طَبْلُ الْفَوْتِ، فَوَقَعْتُمْ فِي الْوَصَايَةِ، تَدَبَّرُوْا فِيْمَا إِذَا تَعَجَّلَ أَحْبَابُكُمْ فِي تَدْفِيْنِكُمْ وَأَصْحَابُكُمْ فِي تَكْفِيْنِكُمْ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةٌ وَّلا رِعَايَةٌ، يَذْهَبُ مَعَكُمْ إِلَى مَضْجَعِكُمْ ثَلاثَةٌ: الأَمْوَالُ وَالأَوْلاَدُ وَالأَعْمَالُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى الثَّالِثُ قَرِيْنًا بِكُمْ نَاصِبًا لِّلرَّايَةِ، فَإِنْ كَانَتْ حَسَنَةً فَطُوْبَى لَكُمْ، وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً وَّقَعْتُمْ فِي الْكُنَاسَةِ.

كَيْفَ بِكُمْ إِذَا سَأَلَكُمُ النَّكِيْرَانِ عَنْ رَّبِّكُمْ، وَعَنْ دِيْنِكُمْ، وَعَنْ نَّبِيِّكُمْ، فَتَفَكَّرُوْا فِيمَا تُجِيبُوْنَهُمَا بِه، فَإِنْ أَجَبْتُمْ بِالصَّوَابِ، فَنِعِمَّا هُوَ، وَإِنْ زَلَّ لِسَانُكُمْ وَقَعْتُمْ فِي حُفْرَةِ الْهَلاكَةِ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا ضَغَطَ بِكُمُ الْقَبْرُ ضَغْطَةً تَخْتَلِفُ مِنْهَا أَضْلاعُكُمْ، وَأَظْلَمَتْ عَلَيْكُمْ قُبُوْرُكُمْ، فَوَقَعْتُمْ فِي الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ.

اَلْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِّنْ رِّيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ

وَالشَّرَارَةِ، فَمَنْ صَلُحَتْ أعْمَالُه فُتِحَتْ لَه فِيهَا أبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَوُسِّعَ لَه مَضجعه إلى أقْصَى الْغَايَةِ، وَمَنْ خَبُثَتْ أفْعَالُه وَقَعَ فِي الْعَذَابِ وَالنِّكَايَةِ، تُحِيطُ بِه الْعَقَارِبُ وَالْحَيَّاتُ، وَتُفْتَحُ لَه أبْوَابُ النَّارِ ذَاتَ الطَّبَقَاتِ، وَيُمَزَّقُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَيُفَرَّقُ كُلَّ مُفَرَّقٍ، فَعِنْدَ ذلِكَ يَتَحَسَّرُ، وَلا تَنْفَعُهُ الْحَسْرَةُ، وَيَتُوْبُ وَلا تُفِيْدُ الإنَابَةُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشْرِ أنَّ الْقَبْرَ أوَّلُ مَنْزِلٍ مِّنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَه أيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ هَلَكَ فِيْهِ وَقَعَ فِي الْغَوَايَةِ، وَوَرَاءَ ذلِكَ يَوْمٌ هُوَ لَه شَدِيْدٌ وَّهَمُّه مَدِيْدٌ لا يَنْفَعُ فِيهِ قَرَابَةُ الأخُوَّةِ، وَلا رَابِطَةُ الوِلادَةِ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ فِيْهِ مِنْ أخِيْهِ وَأمِّهِ وَأبِيْهِ، وَصَاحِبَتِه وَبَنِيْهِ، وَعَنْ كُلِّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَه وَبَيْنَه مَوَدَّةٌ وَّرِعَايَةٌ.

فَاللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ وَقُوْلُوْا قَوْلا سَدِيْدًا يُّصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ، فَتُفَاضُ عَلَيْكُمْ بِحَارُ الْعِنَايَةِ.

وَعَلَيْكُمْ بِأدَاءِ الأرْكَانِ مِنَ الصَّلاةِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ، فَمَنْ أضَاعَهَا ضَاعَ نَصِيْبَهَ، وَلَمْ تَكُنْ لَّه وِقَايَةٌ.

وَعَلَيْكُمْ بِاجْتِنَابِ الْمُنْكَرَاتِ، وَالاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ، لا سِيَّمَا فِيْ هذِهِ الأيَّامِ ذَوِي الْعِزِّ وَالشَّرَافَةِ، فَقَدْ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِأنْ جَعَلَ لَكُمْ شُهُوْرًا مُّتَبَرِّكَةً وَّأيَّامًا لَّهَا عِزَّةٌ وَّكَرَامَةٌ، فَلا تَنْتَهِكُوْا حُرُمَاتِ اللهِ فِيْهَا، وَلا تُضَيِّعُوْا أوْقَاتَكُمْ فِيهَا، وَاغْتَنِمُوْا هذِهِ الأوْقَاتَ، فَعَسَى أنْ تُفَارِقَكُمْ فَتَلْحَقُكُمْ حَسْرَةٌ وَّنَدَامَةٌ.

وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ: اَللّهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا رَحْمنُ، يَا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُه عَلى غَضَبِه، يَا مَنْ عَمَّتْ عِنَايَتُه وَمِنَنُه! اِغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَوَفِّقْنَا لاعْمَالٍ حَسَنَةٍ تَكُوْنُ لَنَا مِنَ النَّارِ جُنَّةً وَّوِقَايَةً.

أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أسْرَفُوْا عَلى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا إنَّه هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من شعبان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الإنْسِ وَالْجَانِّ، الْحَلِيْمِ الْغَفُوْرِ لأَهْلِ الْعِصْيَانِ، نَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيْرًا عَلى أَنْ أَوْصَلَ إِلَيْنَا شَهْرَ شَعْبَانَ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا جَمِيْلا عَلى أَنْ بَشَّرَنَا بِقُرْبِ رَمَضَانَ.

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه خَلَقَ الْخَلْقَ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه شَهَادَةً نَّدْخُلُ بِهَا الْجِنَانَ.

أَمَّا بَعْدُ: إِخْوَانِيْ وَخُلانِي! قَدْ مَضَتِ الأَيَّامُ الْمَاضِيَةُ، وَخَلَتِ اللَّيَالِي الْخَالِيَةُ، وَأَنْتُمْ مُّنْهَمِكُوْنَ فِي الْغَفَلاتِ مُتَدَنِّسُوْنَ بِالْعِصْيَانِ، فَيَا لَهُ مِنْ حَسْرَةٍ وَّنُقْصَانٍ، وَهَا قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرٌ مُّبَارَكٌ قَدْ أَحَبَّه حَبِيْبُ الرَّبِّ تَعَالى وَتَبَارَكَ يُدْعى بِشَعْبَانَ، شَهْرٌ تُغْفَرُ فِيْهِ الذُّنُوْبُ وَتُسْتَرُ فِيْهِ الْعُيُوْبُ لأَصْحَابِ النِّيْرَانِ، شَهْرٌ عَظِيْمٌ فَضْلُه بَلِيْغٌ مَّدْحُه بَشِيْرٌ بِمَجِيْءِ رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّدَقَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَتَكْثِيْرِ الْخَيْرَاتِ وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «شَهْرُ رَجَبَ شَهْرُ أُمَّتِيْ فَفَضْلُه عَلى سَائِرِ الشُّهُوْرِ كَفَضْلِ أُمَّتِيْ عَلى سَائِرِ الأُمَمِ وَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ فَفَضْلُه عَلى سَائِرِ الشُّهُوْرِ كَفَضْلِه عَلى مَنْ سِوَاهُ وَشَهْرُ شَعْبَانَ شَهْرِيْ فَفَضْلُه عَلى سَائِرِ الشُّهُوْرِ كَفَضْلِي عَلى مَنْ سِوَايَ مِنَ الْمَلَكِ وَالْبَشَرِ وَالْجَانِّ».

فَيَا أَيُّهَا الْغَرِيْبُ الْمِسْكِيْنُ الْكَئِيْبُ الْحَزِيْنُ! اِغْتَنِمْ هٰذَا الشَّهْرَ الشَّرِيْفَ، وَتُبْ فِيْهِ مِنَ الْمَعَاصِيْ، فَكَمْ قُبِلَتْ فِيْهِ تَوْبَةُ الْعَاصِيْ، وَطَيِّبْ نَفْسَكَ لِصَوْمِ رَمَضَانَ.

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ لَّيْسَ لَهَا بَقَاءٌ، فَإِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ لَهَا بَقَاءً، فَمَا هٰذِهِ الْغَفْلَةُ؟ وَإِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ لَهَا فَنَاءً، فَمَا هٰذِهِ الْجُرْأَةُ؟ أَلَكَ بَرَاءَةٌ مِّنَ النِّيْرَانِ.

أَيْنَ مَنْ كَانَ مَعَكَ فِيْ مِثْلِ هٰذَا الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، أَيْنَ مَنْ كَانَ

مُصَاحِبَكَ وَمُجَالِسَكَ فِي السَّنَةِ الْخَالِيَةِ، أَفْنَاهُمْ دَوْرُ الدَّوَّارِ وَمُرُوْرُ الزَّمَانِ، عَجَباً لَكَ يَا مِسْكِيْنُ! تُلاحِظُ انْقِلابَ الدُّنْيَا وَلا تَعْتَبِرُ، وَتُعَايِنُ زَوَالَ الدُّنْيَا وَلا تَقْتَصِرُ، أَغِشَاوَةٌ عَلى قَلْبِكَ أَمْ عَمًى فِيْ عَيْنِكَ أَمْ صَمٌّ فِي الآذَانِ، فَأَقْصِرِ الأَمَلَ، وَاسْتَعِدَّ لِلأَجَلِ، وَأَطِعِ الْعَلِيَّ الأَجَلَّ، وَالنَّبِيَّ الأَكْمَلَ، وَاعْمَلْ بِمَا فِيْ الْقَوْلِ الْفَيْصَلِ، وَاطْلُبِ الْوِقَايَةَ مِنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ.

فَقَدْ قَرُبَ يَوْمُ الْحُضُوْرِ، يَوْمٌ تَرْتَفِعُ فِيْهِ الأَصْوَاتُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُوْرِ، يَوْمٌ يَخْجَلُ فِيْهِ الْعَاصِيْ، وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الْمَعَاصِيْ يَوْمٌ يَغْضَبُ فِيْهِ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، يَوْمَئِذٍ لا وَلَدٌ يَشْفَعُ وَلا مَالٌ يَنْفَعُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ فِيْهِ مِنْ أَخِيْهِ وَأُمِّه وَأَبِيْهِ، وَصَاحِبَتِه وَبَنِيْهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ شَأْنٌ يُّغْنِيْهِ تَتَزَلْزَلُ أَقْدَامُ أَصْحَابِ الْجِنَانِ، فَمَنْ أَنَا وَأَنْتَ يَا مِسْكِيْنُ! كُلٌّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ، فَلَوْلا حُرْمَةُ سَيِّدِ بَنِيْ عَدْنَانَ، لَغَضِبَ عَلَيْنَا الرَّحْمنُ وَخَسَفَ بِنَا الْمَكَانَ، فَشَتْ فِيْنَا الْكَبَائِرُ، فَضْلاً عَنِ الصَّغَائِرِ، كَثُرَ شُرْبُ الْخُمُوْرِ وَالزِّنَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيْمِ وَالرِّبَا وَاشْتَدَّ الْعُدْوَانُ.

اَللّهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ! نَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْمُجْرِمُوْنَ، فَارْحَمْنَا رَحْمَةً تُغْنِيْنَا عَمَّا سِوَاكَ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَّيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من شعبان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ هَدَانَا سَوَاءَ السَّبِيْلِ، وَجَعَلَ لَنَا التَّوْفِيْقَ خَيْرَ دَلِيْلٍ، نَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِإِنْزَالِ التَّنْزِيْلِ، أَنْزَلَه فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ وَّفَضَّلَه عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ أَكْبَرَ تَفْضِيْلٍ، وَنَشْكُرُه شُكْرًا عَلَى أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا النَّبِيَّ الْجَلِيْلَ، نَبِيّ عَظِيْمٌ قَدْرُه فَخِيْمٌ لُّطْفُه خَصَّهُ اللهُ بِلُطْفِهِ الْعَمِيْمِ وَفَضْلِهِ الْجَلِيْلِ.

وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إله إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ التَّعْظِيْمِ وَالتَّبْجِيْل.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ مَضَتِ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامُ، وَأَنْتُمْ مُّنْهَمِكُوْنَ فِي الآثَامِ، وَصِرْتُمْ إِلَى الْعَذَابِ الْوَبِيْلِ، فَيَا حَسْرَتَاهْ عَلَى مَا فَرَّطْتُّمْ وَوَا وَيْلاهْ عَلَى مَا ارْتَكَبْتُمْ.

أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ رَحِيْلٍ، أَيْنَ الْمُلُوْكُ الأَكَاسِرَةِ؟ أَيْنَ السَّلاطِيْنُ الْجَبَابِرَةُ؟ أَفْنَاهُمْ دَوْرُ الدَّوَّارِ، وَكَذٰلِكَ يَهْلِكُ كُلٌّ كَثِيْرٍ وَّقَلِيْلٍ، مَا نَفَعَتْهُمُ السَّطْوَةُ، وَمَا أَبْقَتْهُمُ السَّلْطَنَةُ، فَمَنْ أَنَا وَأَنْتُمْ إِذَا فَاجَأَنَا مَلَكُ الْمَوْتِ عَزْرَائِيْلُ، أَلا قَدْ جَاءَتْكُمْ لَيْلَةٌ مُّبَارَكَةٌ فَضْلُهَا مَشْهُوْرٌ، وَقَدْرُهَا مَأْثُوْرٌ، هِيَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَتَلَقُّوْهَا بِالْقِيَامِ وَالصِّيَامِ، وَأَكْثِرُوْا فِيْهَا زِيَارَةَ الْقُبُوْرِ وَالدُّعَاءَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ مِنَ الآثَامِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُنَا، وَيُعْطِيْنَا الثَّوَابَ الْجَزِيْلَ، وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُوْمُوْا لَيْلَهَا وَصُوْمُوْا نَهَارَهَا فَإِنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِيْهَا لِغُرُوْبِ الشَّمْسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُوْلُ أَلا مِنْ مُّسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُ لَه أَلا مِنْ مُّسْتَرْزِقٍ فَأَرْزُقُه

ألا مِن مُّبْتَلًى فَأعَافيه ألا مِنْ سَائِلٍ فأعْطيْه حَتّى يطْلُعَ الْفَجر».

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُّ رَسُوْلَ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَخَرَجْتُ أطْلُبُه، فَإذَا هُوَ بِالْبَقِيْعِ رَافِعًا رَّأسَه إلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ! تَخَافِيْنَ أنْ يَحِيْفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُوْلُه، وَقَالَ: إنَّ اللهَ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لأكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ بَنِي كَلْبٍ وَّوَرَدَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَسَاكِرَ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَّسُوْلُ اللهِ فِيْ شَهْرٍ أكْثَرَ صِيَامًا مِّنْهُ فِيْ شَعْبَانَ لأنه تُنْسَخُ فِيْهِ أرْوَاحُ الأحْيَاءِ فِي الأمْوَاتِ.

إخْوَانِيْ وَخُلانِي! هذِهِ لَيْلَةٌ يَخْرُجُ فِيْهَا اسْمُ مَنْ يَّمُوْتُ فِيْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَمَا أدْرَاكُمْ وَمَا أدْرَانَا لَعَلَّ أسْمَاءَنَا تَخْرُجُ فِي الْمَوْتى، وَنَحْنُ فِيْ غَفْلَةٍ عَظِيْمَةٍ كَالْفَصِيْلِ وَالْعَجِيْلِ.

فَتُوبُوْا إلَى اللهِ تَعَالى، وَكُوْنُوْا كَعَابِرِ سَبِيْلٍ، وَأقْصِرُوا الأمَلَ، وَانْتَظِرُوا الأجَلَ، وَاجْتَهِدُوْا فِي الْعِبَادَةِ لِتَكُوْنَ زَادًا لِلرَّحِيْلِ، وَتَذَكَّرُوْا مَا حَالُكُمْ إذَا تَرَكَكُمْ أحْبَابُكُمْ، وَهَجَرَكُمْ أصْحَابُكُمْ، وَدَفَنَكُمُ الأغْيَارُ وَالأجَانِبُ، وَحَضَرَكُمُ الأعِزَّةُ وَالأقَارِبُ.

وَسَارِعُوْا إلى تَغْيِيْبِكُمْ فِي اللَّحْدِ كَأنَّه لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَّوَدَّةٌ، وَالْقُوْا عَلَيْكُمُ التُّرَابَ كَأنَّه لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ألْفَةٌ، فَعِنْدَ ذلِكَ تَتَحَسَّرُوْنَ وَمَا يَنْفَعُكُمُ التَّحَسُّرُ، وَتَتَذَكَّرُوْنَ وَمَا يُفِيْدُكُمُ التَّذَكُّرُ، فَإنْ كُنْتُمْ قَدْ أحْسَنْتُمْ، فَطُوْبَى لَكُمْ، وَإنْ كُنْتُمْ قَدْ أسَأْتُمْ، فَيَا أسَفَى عَلى أنْفُسِكُمْ مِّنْ حِرْمَانِ الْعَطَاءِ الْجَزِيْلِ، اَللّهُمَّ إنَّا عِبَادُكَ الْمُجْرِمُوْنَ زَادُ طَاعَاتِنَا قَلِيْلٌ، فَارْحَمْنَا رَحْمَةً فِي الْقَبْرِ وَبَعْدَ الْحَشْرِ، وَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيْلَ.

أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِيْنِ إنَّا أنْزَلْنَاهُ فِيْ لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِيْنَ فِيْهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيْمٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من شعبان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ مُسَبِّبِ الأسْبَابِ، وَمُفَتِّحِ الأبْوَابِ، خَالِقِ الإنْسَانِ مِنَ التُّرَابِ، وَمُشَرِّفِه عَلى كَثِيْرٍ مِّنْ أُولِي الألْبَابِ، أحْمَدُه حَمْدًا مُّتَوالِيًا على مَا أنْعَمَ عَلَيْنَا، وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْوَهَّابُ، وَأشْكُرُه شُكْرًا مُّتَتَالِيًا وَّهُوَ الْكَرِيْمُ التَّوَّابُ.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَلا مُعِيْنَ لَه وَهُوَ رَبُّ الأرْبَابِ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه شَفِيْعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْحِسَابِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه خَيْرِ آلٍ وَّأصْحَابٍ.

أمَّا بَعْدُ: أيُّهَا الخُلانُ وَالأحْبَابُ! اِغْتَنِمُوْا أرْبعًا قَبْلَ أرْبَعٍ: الصِّحَّةَ قَبْلَ الْمَرَضِ، وَالْفَرَاغَ قَبْلَ الشُّغْلِ، وَالْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَقَبْلَ الْمَشِيْبِ الشَّبَابَ.

وَاجْتَهِدُوْا فِيْ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُوْلِه، وَتَجَنَّبُوْا تَرْكَ أوَامِرِه وَارْتِكَابَ مَنْهِيَّاتِه كَيْ لا يُحِيْطَ بِكُمُ التَّبَابُ، وَاطْلُبُوْا رِضَاءَ اللهِ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَّلَمْحَةٍ، وَاخْشَوْ عَذَابَه كُلَّ سَاعَةٍ، فَإنَّه شَدِيْدُ الْبَطْشِ قَوِيُّ الْعِقَابِ، وَاعْبُدُوا اللهَ، وَلا تُشْرِكُوْا بِه شَيْئًا، فَمَنْ أشْرَكَ بِه حُبِطَتْ أعْمَالُه وَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ. وَوَحِّدُوْهُ فَإنَّ التَّوْحِيْدَ رَأسُ الطَّاعَاتِ وَمِلاكُ الْحَسَنَاتِ، وَهُوَ الْمُنْجِيْ فِيْ الْمَآبِ، فَإنَّه لا يَنْفَعُ عَمَلٌ صَالِحٌ عِنْدَ فَسَادِ الاعْتِقَادِ وَسُوْءِ الانْتِسَابِ، وَلازِمُوْا تَزْكِيَةَ الْقُلُوْبِ مِنَ الْخِصَالِ الرَّدِيْئَةِ، وَلا تَعْتَمِدُوْا عَلى خِصَالِهَا الْعَلِيَّةِ، فَإنَّ الْقَلْبَ شَدِيْدُ الانْقِلابِ، وَادْعُوا اللهَ بِثَبَاتِ الْقُلُوْبِ عَلى دِيْنِه وَتَوَكَّلُوْاعَلَيْهِ فِيْ حُسْنِ الْمَآبِ. وَاغْتَنِمُوْا هذِهِ الأشْهُرَ الْمُتَشَرِّفَةَ، وَالأيَّامَ الْمُتَبَرِّكَةَ، وَلا تَظْلِمُوْا فِيْهِنَّ أنْفُسَكُمُ النَّفِيْسَةَ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِيْ وَأعْمَالِ الْعِقَابِ. وَاشْكُرُوا اللهَ عَلى مِنَنِه وَألْطَافِه حَيْثُ أبْقَاكُمْ إلى هذِهِ الأزْمِنَةِ، وَأمْهَلَكُمْ فِيْ هذِهِ الدَّارِ ذَاتِ الْهَلاكِ وَالْفَنَاءِ وَالتَّبَابِ، وَاعْتَبِرُوْا بِمَنْ مَّضى مِنَ الآبَاءِ وَالأجْدَادِ وَالأوْلادِ وَالأحْفَادِ وَالأقْرَانِ وَالأصْحَابِ.

كَمْ مِّنْ غَافِلٍ كَانَ مَعكُمْ فِيْ مِثْلِ هذهِ الأوْقَاتِ، كَمْ مِّنْ مّتنَعِّمٍ كَانَ يَتَنَعَّمْ مَعكُمْ فِي اللَّذَّاتِ، فَسرَعَ بِهِمْ هَادِمُ اللَّذَّاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجماعَاتِ، فَفَرَّقَ شَمْلَكُمْ وَمزّقَ جمْعَكُمْ وأسْكَنَهُمْ دَار التُّرَابِ، تفَرَّقتْ أوصَالُهمْ، وتَقَطَّعتْ أعْضَاءهُمْ، وَتَمزَّقتْ شعُوْرُهُمْ، وتَعفَّنتْ بُطُوْنُهُمْ، وَسَالَتِ الدُّمُوْعُ مِنْ عيُوْنِهِمْ، وَأكَلَتِ الدِّيْدَانُ خدُوْدَهُمْ، وذَهَبَ مَا كَانُوْا يَغْتَرُّوْنَ بِهِ مِنْ حُسْنِ الشَّبَابِ، وَنَادَاهُمْ مُّنَادٍ مِّنْ زُوَّارِ الْقُبُوْرِ أيُّهَا الْمُقيْمُوْنَ بِالدِّيَارِ الْخَرِبَةِ، وَالْمُعْتكِفُوْنَ بِبُيُوْتِ الْغُرْبَةِ كَيْفَ أصْبَحْتُمْ، وَمَا مَضَى عَلَيْكُمْ أخْبَارُ مَا عِنْدَنَا أنَّه قَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاءكُمْ، وَهُدِمَتْ دِيارُكُمْ، وَقُسِمَتْ أمْوَالُكُمْ بَيْنَ الأعِزَّةِ وَالأحْبَابِ.

فَأخْبِرُوْنَا أيُّهَا الصَّامِتُوْنَ بِأخْبَارِ مَا عِنْدَكُمْ مَّا ذَا مَضَى عَلَيْكُمْ فِيْ هذهِ الشِّعَابِ، فَأجَابُوْا مِنْ دَاخِلِ الْقُبُوْرِ يَا حَسْرَتَاهْ عَلى مَا فَرَّطْنَا، وَوَا وَيْلاهْ عَلى مَا كَسَبْنَا، وَوَا أسَفِي عَلى مَا اجْتَرَحْنَا، وَوَا مُصِيْبَتَاهْ عَلى مَا اقْتَرَفْنَا، لَيْتَنَا نَعُوْدُ إلى دَارِ الدُّنْيَا، فَنَعْمَلَ غيْرَ مَا كُنَّا عَمِلْنَا فَنَفُوْزُ بِالثَّوَابِ، أخْبَارُ مَا عِنْدَنَا أنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا عَمِلْنَا حَاضِرًا وَّتَحَسَّرْنَا عَلى مَا فَاتَنَا نَائيًا، وَّبَكَيْنَا عَلى الْغَفْلَةِ فِي ا لشَّيْبِ وَالشَّبَابِ، أحَاطَتْ بِنَا الظُّلْمَةُ، وَأهْلَكَتْنَا الضَّغْطَةُ، وَأكَلَنَا التُّرَابُ، فَإنْ رَّأيْتُمُوْنَا فَرَرْتُمْ مِّنَّا كَمَا تَفِرُّوْنَ مِنَ الأسْوَدِ وَالْكِلابِ. أيُّهَا السَّائِلُوْنَ عَنْ أحْوَالِنَا وَالْمُتَجَسِّسُوْنَ عَنْ أخْبَارِنَا نَنْصِحُكُمْ وَالدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ، أنْ لا تُهْلِكُوْا أعْمَارَكُمْ الشَّرِيْفَةَ، وَلا تُضَيِّعُوْا أنْفَاسَكُمُ اللَّطِيْفَةَ فِيْ كَسْبِ الْمَعَاصِيْ وَالسَّيِّئَاتِ الْوَاجِبَةِ الاجْتِنَابِ، فَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، وَعِنْدَ الْمُعَايَنَةِ لا تَنْفَعُ حُجَّةٌ وَّلا كِتَابٌ.

فَيَا أولِي الألْبَابِ! نَوِّرُوْا قُبُوْرَكُمْ بِمُدَاوَمَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَبِالصَّلاةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَبِكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى مَنْ بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ تُرْحَمُ الصِّغَارُ وَالْكِبَارُ، وَيُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْحِسَابُ، جَعَلَنَا اللهُ وَإيَّاكُمْ مِّمَّنْ تَابَ وَأنَابَ، وَأدْخَلَنَا وَإيَّاكُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿حم تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من شعبان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ تَحَيَّرَتْ فِيْ إِدْرَاكِ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ الأَفْهَامُ، وَعَجَزَتْ عَنِ الْوُصُوْلِ إِلى حَقَائِقِ سِطْوَتِهِ الْعُقُوْلُ وَالأَوْهَامُ، فَسُبْحَانَه مِنَ إِلهِ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَدَبَّرَه عَلى أَحْسَنِ النِّظَامِ، وَأَوْدَعَ فِيْهِ أَسْرَارًا وَّلَطَائِفَ تَدُلُّ عَلَى الإِحْكَام.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، شَهَادَةً دَائِمَةً بِدَوَامِ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه شَفِيْعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْقِيَامِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَصَحْبِه وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَّإِسْلامٍ.

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الْحَاضِرِيْنَ! تَنَبَّهُوْا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ، وَلا تَكُوْنُوْا مِنَ الْغَافِلِيْنَ النِّيَامِ، فَإِنَّ لَكُمْ نَوْمًا طَوِيْلا بَعْدَ الْمَوْتِ مَعَ الْحَسْرَةِ وَالآلامِ، وَتَيَقَّظُوْا مِنْ نَوْمِ الشِّقْوَةِ، فَمَنْ نَامَ فِي الدُّنْيَا مِنْ دُوْنِ الْيَقْظَةِ وَقَعَ فِي الْمُهْلِكَاتِ الْعِظَامِ.

وَاغْتَنِمُوْا هذَا الشَّهْرَ الَّذِيْ أَظَلَّكُمْ، وَاجْتَهِدُوْا فِيْهِ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، فَإِنَّ شَهْرَ رَجَبَ شَهْرُ زَرْعِ الْحُبُوْبِ، وَشَهْرُ شَعْبَانَ شَهْرُ سَقْيِه وَإِنْمَاءِه، وَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الاسْتِحْصَادِ وَالصَّرَامِ، فَمَنْ زَرَعَ فِيْ رَجَبَ حُبُوْبَ الْخَيْرَاتِ، وَسَقَاهُ فِيْ شَعْبَانَ بِأَمْطَارِ الْحَسَنَاتِ، فَازَ فِيْ رَمَضَانَ بِاللَّذَّاتِ الْبَاقِيَةِ عَلَى الدَّوَامِ، وَمَنْ غَفَلَ فِيْ رَجَبَ عَنْ زَرْعِهِ، أَوْ زَرَعَ فِيْهِ، وَلَمْ يَسْقِهِ فِيْ شَعْبَانَ نَقَصَ نَصِيْبُه فِيْ رَمَضَانَ، وَوَقَعَ فِي الظَّلامِ.

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ، وَتَجَنَّبُوا الْمُشْتَبِهَاتِ وَوَاضِحَاتِ الْحَرَامِ، وَلا تُضَيِّعُوْا أَنْفَاسَكُمُ اللَّطِيْفَةَ، وَلا تُدَنِّسُوْا أَرْوَاحَكُمُ النَّفِيْسَةَ بِارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ الْجِسَامِ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَالاشْتِغَالِ بِقِيلٍ وَّقَالٍ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَارْتِكَابِ الْجِدْلِ وَالْخِصَامِ، فَمَنِ ارْتَكَبَ هذهِ الأُمُوْرَ هَلَكَ بِشِدَّةِ الانْتِقَامِ.

وَتَذَكَّرُوْا يَوْمَ يُجْمَعُ الأَوَّلُوْنَ وَالآخِرُوْنَ وَيُحْضَرُ الْخَوَاصُّ وَالْعَوَامُّ، وَيُحَاسَبُوْنَ عَلى كُلِّ فِعْلٍ وَّقَوْلٍ، وَيُنَاقَشُوْنَ عَلى كُلِّ طَوْلٍ وَّحَوْلٍ، وَتُعْرَضُ عَلَيْهِمْ صَحَائِفُ أَعْمَالِهِمْ مَكَاتِيْبُ الْمَلائِكَةِ الْكِرَامِ، فَإِذَا وَقَعَ نَظَرُهُمْ عَلَيْهَا وَقَعُوْا فِيْ حَسْرَةٍ، لا دَافِعَ لَهَا، وَقَالُوْا: مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَّلا كَبِيْرَةً إِلا أَحْصَاهَا، وَنَدِمُوْا عَلى مَا كَسَبُوْا فِي اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ، وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوْا إِلا أَنْ يَّرْحَمُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ الْحَلِيْمُ الْعَلامُ.

فَطُوْبى لِمَنْ بُشِّرَ فِيْ ذلِكَ الْيَوْمِ بِنَيْلِ السَّعَادَةِ، وَنَادى مُنَادٍ إِنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ سَعِدَ سَعَادَةً لا يَشْقى بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَوَا حَسْرَتَاهْ لِمَنْ خَذَلَ فِيْ ذلِكَ الْيَوْمِ، وَنَادى مُنَادٍ إِنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ شَقِيَ شَقَاوَةً لا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَحَاطَتْ بِهِ غَبَرَةٌ وَّقَتَرَةٌ وَّالظَّلامُ.

إِخْوَانِيْ! تُوْبُوْا إِلَى اللهِ طُرًّا، وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا بِلُطْفِ الاعْتِصَامِ، عَسى أَنْ يَّرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ، وَيُفِيْضَ عَلَيْكُمْ مَّطَرَ السَّلامِ، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِّمَّنْ تَابَ مِنَ الآثَامِ، وَامْتَثَلَ بِأَوَامِرِ الْمَلِكِ الْعَلامِ، وَأَدْخَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ الْجَنَّةَ دَارَ السَّلامِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَّآلِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأخيرة من شعبان.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْغَفُوْرِ لأَهْلِ الْعِصْيَانِ، اَلْحَلِيْمِ الْكَرِيْمِ الْمَنَّانِ، أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، خَلَقَ الْخَلْقَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوْلُه، أَنْقَذَنَا مِنَ الضَّلالَةِ، وَأَخْرَجَنَا مِنْ حُفْرَةِ النِّيْرَان.

أَمَّا بَعْدُ: خُلانِي وَإِخْوَانِيْ! هذَا شَهْرُ شَعْبَانَ، قَدْ آذَنَ بِالرَّحِيْلِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إلا قَلِيْلٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُوَدِّعُه بِصَالِحِ الأَفْعَالِ، وَهَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَجْتَنِبُ فِيْهِ سَيِّئَاتِ الأَعْمَالِ، فَطُوْبى لِمَنِ اكْتَسَبَ فِيْهِ الْحَسَنَاتِ، وَتَرَكَ السَّيِّئَاتِ، وَبُشْرى لَه بِالْجِنَانِ، وَوَيْلٌ لِّمَنْ صَرَفَه بِالْغَفْلَةِ وَلَمْ يَكْتَسِبِ النَّدَامَةَ وَالتَّوْبَةَ، وَاسْتَحَقَّ عَذَابَ النِّيْرَان.

آهٌ عَلى عُمْرٍ ضَيَّعْنَاهُ، آهٌ عَلى عُمْرٍ أَتْلَفْنَاهُ، آهٌ عَلى ارْتِكَابِ الْعِصْيَانِ، تَحَاسَدْنَا وَتَدَابَرْنَا وَتَبَاغَضْنَا وَتَنَاقَشْنَا، وَكَثُرَتْ فِيْنَا الْكَبَائِرُ، وَفَشَتِ الصَّغَائِرُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ، بِاللهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ، لَوْلا حُرْمَةُ سَيِّدِ بَنِيْ عَدْنَانَ، لَغَضِبَ عَلَيْنَا الرَّحْمنُ وَخَسَفَ بِنَا الْمَكَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ! مَضى مَا مَضى، فَتَنَبَّهُوْا فِيْ مَا أَتى وَهذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ قَرُبَ ظِلُّه، وَدَنَا حِلُّه، شَهْرٌ مُّبَارَكٌ فَضَّلَهُ اللهُ تَعَالى عَلى سَائِرِ الشُّهُوْرِ، لَمْ يُوْجَدْ لَه نَظِيْرٌ فِيْ مَمَرِّ الدُّهُوْرِ، كَمْ تُسْتَجَابُ فِيْهِ الدَّعْوَاتُ، وَتُزَادُ فِيْهِ الْحَسَنَاتُ، كَمْ يُحَطُّ فِيْهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيُضَاعَفُ فِي الدَّرَجَاتِ، للهِ فِيْهِ عُتَقَاءُ مِنَ النِّيْرَانِ، فَتَلَقَّوْهُ بِالْحُسْنِ وَالْكَمَالِ، وَاسْتَقْبِلُوْهُ بِالإِكْرَامِ وَصَالِحِ الأَعْمَالِ، لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُكُمْ وَيُجِيْرُكُمْ مِّنَ النِّيْرَان.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّه كَانَ إِذَا دَخَلَ رَجَبُ قَالَ: «اَللّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيْ رَجَبَ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ».

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ تُفْتَحُ فِيْهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ فِيْهِ أَبْوَابُ السَّعِيْرِ وَتُصْفَدُ فِيْهِ الشَّيَاطِيْنُ وَيُنَادِيْ مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ حَتّى يَقْضِيَ رَمَضَانُ».

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّه خَطَبَ فِيْ يَوْمٍ أَخِيْرٍ مِّنْ شَعْبَانَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيْمٌ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فِيْهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ جَعَلَ اللهُ صِيَامَه فَرِيْضَةً وَّقِيَامَ لَيْلِه تَطَوُّعًا مَّنْ تَقَرَّبَ فِيْهِ بِخَصْلَةٍ مِّنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيْضَةً فِيْ مَا سِوَاهُ وَمَنْ أَدَّى فَرِيْضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِيْنَ فَرِيْضَةً فِيْ مَا سِوَاهُ وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ وَشَهْرٌ يُّزَادُ فِيْ رِزْقِ الْمُؤْمِنِ مَنْ فَطَّرَ فِيْهِ صَائِمًا كَانَ لَه مَغْفِرَةً لِّذُنُوْبِه وَعُتِقَتْ رَقَبَتُه مِنَ النَّارِ وَكَانَ لَه مِثْلُ أَجْرِه مِنْ غَيْرِ أَنْ يَّنْقُصَ مِنْ أَجْرِه شَيْءٌ».

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُزَخْرَفُ لِرَمَضَانَ مِنْ رَّأْسِ الْحَوْلِ إِلى رَأْسِ حَوْلٍ قَابِلٍ فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِّنْ رَّمَضَانَ هَبَّتْ رِيْحٌ مِّنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ عَلَى الْحُوْرِ الْعِيْنِ فَيَقُلْنَ يَا رَبِّ اجْعَلْ لَّنَا مِنْ عِبَادِكَ أَزْوَاجًا تَقَرُّ بِهِمْ أَعْيُنُنَا وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بِنَا».

إِخْوَانِيْ! هٰذِه بِشَارَةٌ لِّمَنْ صَامَ وَقَامَ وَتَرَكَ الْآثَامَ، وَأَفْطَرَ عَلَى الْحَلَالِ وَتَجَنَّبَ الْحَرَامَ، وَهٰذِه نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْمُنْعِمُ الْمَنَّانُ، فَاشْكُرُوْا نَعْمَاءَه وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوْهَا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْكُفْرَانِ.

جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِّمَّنْ صَامَ رَمَضَانَ، وَقَامَ لَيَالِيَه، وَصَرَفَ بَقِيَّةَ عُمْرِه فِي الطَّاعَاتِ، وَتَيَقَّظَ مِنْ نَّوْمِ الْغَفَلاتِ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمُ الانْهِمَاكَ فِي اللَّذَّاتِ، وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُمْ مِّنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الرَّبِّ الْعَلِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدٰى وَالْفُرْقَانِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من رمضان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا إلى سَبِيْلِ الْهِدَايَةِ وَالعِرْفَانِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ وَالإِيْقَانِ، نَحْمَدُه سُبْحَانَه وَتَعَالى عَلى أنْ أَظَلَّنَا بِه شَهْرٌ عَظِيْمٌ، وَنَشْكُرُه عَلى أنَّه دَنَا مِنَّا شَهْرٌ جَسِيْمٌ يُدْعى بِرَمَضَانَ، تَرْمَضُ فِيْهِ الذُّنُوْبُ وَتُكْشَفُ فِيْهِ الْكُرُوْبُ، وَللهِ فِيْهِ عُتَقَاءُ مِنَ النِّيْرَانِ. أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ شَهَادَةً تُدْخِلُنَا الْجِنَانَ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! هذَا شَهْرٌ مُّبَارَكٌ قَدْ أَتَاكُمْ مَّنْ صَامَ فِيْهِ إِيْمَانًا وَّاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه، وَمَنْ قَامَ فِيْهِ إِيْمَانًا وَّاحْتِسَابًا، عُتِقَتْ رَقَبَتُه مِنَ النِّيْرَانِ، فَلا تُضَيِّعُوْا بِسَيِّئَاتِ الأَعْمَالِ، وَلا تَسْتَخِفُّوْهُ بِقَبَائِحِ الأَفْعَالِ، وَلا تَصْرِفُوْا أَيَّامَهُ الْفَاضِلَةَ وَلَيَالِيَهُ الْمُبَارَكَةَ فِي اللَّهْوِ وَالْعِصْيَانِ، وَأَمْسِكُوْا أَلْسِنَتَكُمْ عَنِ الْكِذْبِ وَالْغِيْبَةِ، وَنَقُّوْا قُلُوْبَكُمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبِغْضَةِ وَاتْرُكُوا الْبُهْتَانَ، وَلا تَظُنُّوْا أَنَّ الصَّوْمَ هُوَ الإِمْسَاكُ عَنِ الْمُفْطِرَاتِ الثَّلاثَةِ، فَمَنْ أَمْسَكَ عَنْهَا نَالَ الدَّرَجَاتِ الْعُلى فِي الْجِنَانِ. كَلا هِيَ لِمَنْ صَامَ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَتَرَكَ اللَّذَّاتِ، وَسَلِمَ صَوْمُه مِنَ الْمُهْلِكَاتِ، وَلَمْ يَزَلْ لِسَانُه رَطْبًا مِّنْ ذِكْرِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، أَلا وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِه وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّه»، وَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُّدْعى الرَّيَّانُ يُدْعى لَهُ الصَّائِمُوْنَ فَمَنْ كَانَ مِنَ الصَّائِمِيْنَ دَخَلَه وَمَنْ دَخَلَه لا يَضْمَأُ أَبَدًا»، وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِه لَدَعْوَةً مَّا تُرَدُّ». وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ فِيْ هذَا الشَّهْرِ صِيَامَه، وَسَنَّ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ قِيَامَه، فَصُوْمُوْا نَهَارَه وَقُوْمُوْا لَيْلَه، فَطُوْبى لِمَنِ اجْتَهَدَ فِيْهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَاسْتَحَقَّ مَرَاتِبَ الزِّيَادَةِ وَالإِحْسَانِ. وَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِّمَنْ أَدْرَكَه هذَا الشَّهْرُ الْمُبَارَكُ، فَلَمْ يَصُمْ أَوْ صَامَ، وَلَمْ

يَقُمْ أوْ قَامَ، وَكَأنَّه لَمْ يَقُمْ فَكَمْ مِّنْ صَائِمٍ لَيسَ مِنْ صَوْمِه إلا الْعَطَشُ، وَكَمْ مِّنْ قَائِمٍ لَّيسَ مِنْ قِيَامِه إلا السَّهْرُ وَالطُّغْيَانُ. وَتَذَكَّرُوْا يَومَ انْشَقَّتْ فِيْه السَّمَاءُ، فَصَارَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ، وَحُشِرَ كُلُّ مَنْ عَلَى الأرْضِ وَالثَّقَلانِ، وَجَاءَ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَه شَاهِدَانِ، وَنُشِرَ دَفْتَرُ الأعْمَالِ وَالدِّيْوَانِ، وَغَضَبَ الرَّبُّ تَعَالى غَضَبًا تَرْجُفُ مِنْهُ الْفُؤَاءُ وَتُضْرَبُ بِهِ الأكْبَادُ لَمْ يَغْضِبْ مِثْلَه فِيْ حِيْنٍ مِّنَ الأحْيَانِ، وَحَاسَبَ عَلى كُلِّ صَغِيْرَةٍ وَّكَبِيرَةٍ وَّبَسطَ بَيْنَ أيْدِيْكُمْ كِتَابَكُمْ لا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَّلا كَبِيْرَةً وَّنَاقَشَكُمْ بِالسِّرِّ وَالإعْلانِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَخْجِلُ الْعَاصِيْ وَيَنْدِمُ عَلَى الْمَعَاصِيْ، وَيَتَحَسَّرُ عَلى مَا اكْتَسَبَه مِنَ الضُّلالِ وَالطُّغْيَانِ. فَكَمْ مِّنْ شَابٍّ يُّنَادِيْ وَا شَبَابَاهْ، وَكَمْ مِّنْ امْرَأةٍ تُنَادِيْ وَا فَضِيْحَتَاهْ، وَكَمْ مِّنْ شَيْخٍ يُّنَادِيْ وَا مَشِيْخَتَاهْ، وَكَمْ مِّنْ قَائِلٍ وَّا وَيْلاهْ، عَلى مَا فَرَّطْتُ فِيْ طَاعَةِ الْحَلِيْمِ الْمَنَّانِ.

اَللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ! اتَّقُوا اللهَ تَعَالى وَتَزَوَّدُوْا، فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى، وَاتْرُكُوا اتِّبَاعَ الهَوى فَمَنْ طَغى وآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَأْوى، وَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه، وَنَهى النَّفسَ عَنِ الْهَوى، فَإنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأوى ذَاتَ الْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ، وَزَكُّوْا أنْفُسَكُمْ بِالصَّوْمِ، وَرَوِّحُوْا أرْوَاحَكُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي التَّرَاوِيْحِ، وَأقِلُّوا النَّوْمَ، وَلا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ غَفَلُوْا عَنِ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَهَجَرُوْا مُخَالَفَةَ الْهَوى وَالصَّبْرِ، وَتَعَيَّشُوْا فِيْ نَعِيْمِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَفَاتَهُمْ فَضْلُ الآخِرَةِ وَالدَّرَجَاتُ الْعَلِيَّةُ، وَاسْتَحَقُّوْا دَرَكَاتِ النِّيْرَانِ. اَللّٰهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ! لَكَ الْحَمْدُ عَلى أنْ قَرَّبْتَ إلَيْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ، وَقَوَّيْتَنَا عَلَى الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، فَصُمْنَا نَهَارَه وَقُمْنَا لَيْلَه، وَنَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْمُجْرِمُوْنَ إنْ لَمْ تَرْحَمْنَا، فَمَنْ يَّرْحَمُنَا وَإنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا، فَمَنْ يَّغْفِرُنَا، فَأعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَاءِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النِّيْرَانِ، وَاخْصُصْنَا بِمَزِيْدِ فَضْلِكَ وَلَطِيْفِ نِعْمَتِكَ، وَأدْخِلْنَا الْجَنَّةَ مِنَ الرَّيَّانِ. وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْعَلِيْمِ، أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَإذَا سَألَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإنِّيْ قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذَا دَعَانِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من رّمضان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خلَقَ الْخَلْقَ وَجعَلَه سَمِيْعًا بَصِيْرًا، وَهَدَاهُ الطَّرِيْقَ إمَّا شَاكِرًا وَّإمَّا كَفُوْرًا، نَحْمَدُه عَلى أنْ جعَلَنَا مِمَّنْ يَّدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَيَشْرَبُ كَأسًا كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوْرًا.

وَنَشْكُرُه عَلى أنَّه أدَارَ عَلَيْنَا شَهْرًا هُوَ سَيِّدُ الشُّهُوْرِ لَمْ يُوْجَدُ لَه نَظِيْرٌ فِيْ مَمَرِّ الدُّهُوْرِ، وكَانَ شَهْرًا كَبِيْرًا، وَنَشْهَدُ أنْ لاإلهَ إلااللهُ وَحْدَه لاشَرِيْكَ لَه خَلَقَ الْخَلْقَ، فَقدَّرَ تَقْدِيْرًا، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه أرْسَلَه بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا.

أمَّا بَعْدُ: إخْوَانِي! قَدْ ضَيَّعْتُمْ عُمْرَكُمْ وَصَرَفْتُمُ الأنْفَاسَ الْمَعْدُوْدَةَ فِي اللَّغْوِ، وَمَا خِفْتُمْ يَوْمًا كَانَ شَرُّه مُسْتَطِيْرًا، وَقَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرُ الْمَغْفِرَةِ وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، شَهْرُ الصَّدَقَةِ وَالْخَيْرَاتِ، وَالصَّبْرِ عَنِ اللَّذَّاتِ، شَهْرُ التَّوْبَةِ مِنَ الْعِصْيَانِ، أفَأنْتُمْ مُضَيِّعُوْنَ فِيْهِ أوْقَاتَكُمْ، أفَأنْتُمْ لاعِبُوْنَ فِيْهِ بِأنْفَاسِكُمْ، لَوْلا تَتُوْبُوْنَ مِنَ الذُّنُوْبِ وَهلا تَخَافُوْنَ يَوْمًا عَبُوْسًا قَمْطَرِيْرًا، فَتُوبُوْا إلَى اللهِ مِنْ ذُنُوْبِكُمْ، وَأعْزِمُوْا أنْ لا تَعُوْدُوْا إلى مَا ارْتَكَبْتُمْ لَعَلَّ رَبَّكُمْ يُلَقِّيْكُمْ نَضْرَةً وَّسُرُوْرًا.

وَاعْلَمُوْا أنَّ الدُّنْيَا دَارُ الأكْدَارِ وَالْمِحَنِ، دَارُ الْبَلِيَّاتِ وَالْفِتَنِ، لَمْ يَخْلُدْ فِيْه خَالِدٌ، وَلَمْ يَبْقَ وَلَدٌ وَّلا وَالِدٌ، وَكَانَ ذلِكَ قَدَرًا مَّقْدُوْرًا، ألا تَنْظُرُوْنَ كَيْفَ يَرْحَلُ الرَّاحِلُوْنَ، وَيُسَافِرُ الْمُسَافِرُوْنَ. كَمْ مِّنْ غَافِلٍ يَتَنَعَّمُ عَلى فِرَاشِه، وَيَظُنُّ بَقَاءَه إلَى الأبَدِ، فَأدْرَكَهُ الْمَوْتُ، وَجعَلَه هَبَاءً مَّنْثُوْرًا، أتَظُنُّوْنَ أنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْخُلُوْدِ، أمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِّنْ عَذَابِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ، أوْ يُرْسِلُ الْمَوْتُ إلَيْكُمْ مُّخْبِرًا وَّنَذِيْرًا، كَلا وَاللهِ إنَّ الْمَوْتَ لَيُفَاجِئُكُمْ، فَيُفَرِّقُ جَمْعَكُمْ، وَيُشَتِّتُ شَمْلَكُمْ، فَإنْ

كُنْتُمْ مِّنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَطُوْبى لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ، فَعَسى أَنْ يَّرحَمَكُمْ رَبُّكُمْ، وَكَانَ حَلِيمًا غَفُوْرًا.

تَذَكَّرُوْا مَنْ كَانَ مَعَكُمْ فِيْ رَمَضَانَ الْمَاضِيْ، مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، مُجْتَنِبًا لِّلْمَعَاصِيْ، فَفَاجَأَهُ هَاذِمُ اللَّذَّاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، فَحُبِسَ فِيْ سَلاسِلِ الْهُمُوْمِ، وَقُيِّدَ فِيْ أَطْوَاقِ الْغُمُوْمِ، وَجَعَلَه لا يَتَكَلَّمُ وَلا يُخبِرُ صَغِيْرًا وَّلا كَبِيْرًا.

فَاشْكُرُوْا عَلَى النِّعَمِ الْمُتَتَالِيَةِ، وَالآلاءِ الْمُتَوَالِيَةِ، حَيْثُ أَبْقَاكُمُ اللهُ تَعَالى إلى هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِشَهْرِ الْفَضْلِ وَالْقَدرِ وَالْعِزَّةِ، وَقَوَّاكُمْ عَلى صِيَامِ أَيَامِهِ وَقِيَامِ لَيَالِيْهِ، وَحَطَّ عَنْكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ خَطِيْئَاتِكُمْ، وَكَانَ رَبُّكُمْ رَحِيْمًا غَفُوْرًا. فَاعْرِفُوْا قَدْرَ هذَا الشَّهْرِ وَعِزَّتِه، وَاجْتَهِدُوْا فِي الْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَأَطْعِمُوْا فَقِيْرًا وَّأَسِيْرًا، وَزِيْدُوْا فِي الْحَسَنَاتِ، وَاتْرُكُوا السَّيِّئَاتِ، وَاتَّقُوْا عَذَابًا وَّسَعِيْرًا، إذَا رَأَتْكُمُ النَّارُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ سَمِعْتُمْ لَهَا تَغَيُّظًا وَّزَفِيْرًا، وَإِذَا أُلْقِيْتُمْ فِيْهَا دَعَوْتُمْ هُنَالِكَ ثُبُوْرًا، فَأ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَّمَصِيْرًا.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّه صَعِدَ يَوْمًا الدَّرَجَةَ الأولى مِنْ دَرَجَاتِ مِنْبَرِه، فَقَالَ: آمِيْنَ، ثُمَّ صَعِدَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ كَذلِكَ، فَسَأَلَه أَصْحَابُه مَا هَذَا؟ فَقَالَ: إنَّ جِبْرَئِيْلَ عَرَضَ لِيْ، فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغفَرْ لَه، فَقُلْتُ: آمِيْنَ، فَلَمَّا رَقِيْتُ الثَّانِيَةَ، قَالَ: بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَه، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِيْنَ، فَرَقِيْتُ الثَّالِثَةَ، قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ كِبَرَ أَبَوَيْهِ أَو أَحَدِهِمَا، فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِيْنَ.

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: ذَاكِرُ اللهِ فِيْ رَمَضَانَ مَغْفُوْرٌ لَّه وَسَائِلُ اللهِ فِيْهِ لا يُخَيَّبُ، وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: هذَا رَمَضَانُ قَدْ جَاءَ تُفَتَّحُ فِيْهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيْهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُغَلُّ فِيْهِ الشَّيَاطِيْنُ، بُعْدًا لِّمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَه، إذَا لَمْ يُغْفَرْ لَه فِيْهِ فَمَتى.

فَيَا أَيُّهَا الْخُلانُ! انْظُرُوْا فِيْ هذهِ الأخبَارِ كَيْفَ دَعَا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُعْدِ لِمَنْ لَّمْ يُغْفَرْ فِيْ هذَا الشَّهْرِ، فَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَقَعُوْا فِي الشَّهَوَاتِ، وَتَصْرِفُوْا هذَا الشَّهْرَ فِي اللَّذَّاتِ، وَأَنْ لا تَتُوْبُوْا مِنَ الْمَعَاصِيْ وَلا تَخْرُجُوْا مِنْ دَفَاتِرِ الْعَاصِيْ، فَتَكُوْنُوْا مِمَّنْ بَعُدَ بُعْدًا كَثِيْرًا، فَإِنْ لَّمْ يُغْفَرْ لَكُمْ فِيْه، فَفِيْ أَيِّ شَهْرٍ يُّغْفَرُ لَكُمْ، وَإِنْ لَّمْ تَكُوْنُوْا فِيْه تَائِبِيْنَ، فَفِيْ أَيِّ شَهْرٍ تَكُوْنُوْنَ تَائِبِيْنَ وَإِنْ لَّمْ تَكُوْنُوْا فِيْه مُتَيَقِّظِيْنَ فَفِيْ أَيِّ شَهْرٍ تَكُوْنُوْنَ مُتَيَقِّظِيْنَ، أَعِنْدَكُمْ شَهْرٌ آخَرُ يُمَاثِلُه فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ، كَلا هُوَ شَهْرُ اللهِ الْمُكَرَّمُ لَمْ يَكُنِ الآخَرُ لَه مَثِيْلا وَّنَظِيْرًا.

اَللّهُمَّ يَا مَنْ يَّتَرَحَّمُ عَلَى الْمُذْنِبِيْنَ، وَيُجِيْبُ دُعَاءَ الدَّاعِيْنَ، وَيَا مَنْ يُّعْتِقُ رِقَابَ النَّارِيِّيْنَ، وَهُوَ أَغْفَرُ الْغَافِرِيْنَ، نَحْنُ عِبَادُكَ الْعَاصُوْنَ، فَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ عَذَابِكَ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا حَصَّلْنَا مِنْ طَاعَتِكَ، وَكُنْتَ أَنْتَ لِلْعِبَادِ شَكُوْرًا، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْعَلِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِيْ جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوْجًا وَّجَعَلَ فِيْهَا سِرَاجًا وَّقَمَرًا مُّنِيْرًا﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من رّمضان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ نَقّى قُلُوْبَ الصَّائِمِيْنَ، وَرَوَّحَ أَرْوَاحَ الْقَائِمِيْنَ، وَهَدَانَا إِلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ، نَحْمَدُه عَلى نَعمَاءِهِ الْمُتَكَاثِرَةِ وَآلاءِهِ الْمُتَوافِرَةِ فِيْ هذَا الشَّهْرِ الْجَلِيْلِ. وَنَشْكُرُه عَلى أَنْ جَعَلَ لَنَا أَوَّلَه مَغْفِرَةً وَّأَوْسَطَه رَحْمَةً وَّآخِرَه عِتْقًا مِّنَ الْعَذَابِ الْوَبِيْلِ، أَشْهَدُ أَنّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَهُ الْمَلِكِ الْجَلِيْلِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ اللائِقُ بِالتَّعْظِيْمِ وَالتَّبْجِيْلِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الإِنْسَانُ! مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ الَّذِيْ خَلَقَكَ، فَسَوَّاكَ وَسَلَكَ بِكَ سَوَاءَ السَّبِيْلِ، مَا هذِهِ الْغَفْلَةُ؟ وَمَا هذِهِ الْجُرْأَةُ؟ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ رَحِيْلٍ، دَارُ الْبَلِيَّاتِ وَالنَّكَبَاتِ، دَارُ الْبَلايَا وَالْمُصِيْبَاتِ، كَمْ قَتَلَتْ مِنْ قَتِيْلٍ، دَارٌ لَيْسَ لِمَنْ فِيْهَا قَرَارٌ، وَلا لِمَنْ عَاشَ فِيْهَا اعْتِبَارٌ مَنِ افْتَتَنَ بِهَا وَقَعَ فِي الْعَذَابِ الْوَبِيْلِ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيْلٍ، وَعَلَيْكَ بِهذَا الشَّهْرِ الْمبَارَكِ شَهْرِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، شَهْرِ التَّوْبَةِ مِنَ الآثَامِ، شَهْرِ التَّرَاوِيْحِ وَالتَّرْتِيْلِ، فَاغْتَنِمْهُ وَلا تُضَيِّعْهُ، فَإِنَّه قَدِ انْتَصَفَ وَطَلَبَ مِنْكَ الرَّحِيْلَ، قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُه وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إِلا قَلِيْلٌ.

فَهَلْ مِنْكُمْ مَنِ اجْتَهَدَ فِيْهِ لِلْحَسَنَاتِ، وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ هَاجَرَ الْخَطِيْئَاتِ، وَنَالَ الْعَطَاءَ الْجَزِيْلَ، وَهَا سَتُظِلُّكُم لَيْلَةٌ مُّبارَكَةٌ لَّيْلَةُ الشَّرَفِ وَالْعِزَّةِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ هِيَ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوْحُ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَيُصَافِحُوْنَ مَنْ هُوَ مَشْغُوْلٌ بِالْعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيْحِ وَالتَّهْلِيْلِ.

فَاللهَ اللهَ لا تَنَامُوْا فِيْهَا، فَإِنَّ نَوْمَكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ طَوِيْلٌ، وَأَكْثِرُوْا فِيْهَا ذِكْرَ اللهِ وَتِلاوَةَ الْقُرْآنِ بِالتَّرْتِيْلِ، وَاطْلُبُوْهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ هذَ الشَّهْرِ، فَعَسى أَنْ تَجِدُوْهَا، وَيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ فِيْهَا، وَيَغْفِرَ لَكُمْ كُلَّ كَثِيْرٍ وَّقَلِيْلٍ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيْحِ عَنْ صَاحِبِ اللِّسَانِ الْفَصِيْحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه

وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيمَانًا وَّاحتِسَابًا غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه»، وَوَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ أنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُوْلُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ إذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الأوَاخِرَ شَدَّ مِئْزَرَه وَأيْقَظَ أهْلَه وَأحْيَى اللَّيْلَ كُلَّه».

إخْوَانِيْ! هذِهِ اللَّيْلَةُ قَدْ تَكَرَّرَتْ عَلَيْكُمْ وَأظَلَّتْكُمْ فِيْ كُلِّ سَنَةٍ، وَّأنْتُمْ ضَيَّعْتُمُوْهَا وَمَا عَلِمْتُمْ قَدْرَهَا وَفَضْلَهَا، وَهذِهِ سَنَةٌ قَدْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهَا، فَاسْتَقْبِلُوْهَا بِالْخُلُوْصِ وَالْفِعْلِ الْجَمِيْلِ، وَلا تَعْتَمِدُوْا عَلَى السِّنِيْنَ الآتِيَةِ، فَمَا أدْرَاكُمْ أنَّكُمْ وَاجِدُوْنَ، وَمَا أدْرَاكُمْ أنَّكُمْ تُحْيَوْنَ أوْ تَمُوْتُوْنَ، وَمَا أدْرَاكُمْ أنَّ عُمْرَكُمْ قَصِيْرٌ أمْ طَوِيْلٌ، اِعْتَبِرُوْا بِالسِّنِيْنَ الْمَاضِيَةِ، كَمْ مِّنْ قَائِمٍ كَانَ مَعَكُمْ فِيْ السَّنَةَ الْمَاضِيَةِ.

وَكَمْ مِّنْ صَائِمٍ كَانَ مُصَاحِبَكُمْ فِيْ اللَّيَالِي الْخَالِيَةِ، فَجَاءَهُ الْمَوْتُ، وَنُوْدِيَ عَلَيْهِ نِدَاءَ الْفَوْتِ، فَلَمْ يَجِدْ إلا الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ عَلَى الزَّادِ الْقَلِيْلِ، فَلا تَكُوْنُوْا مِثْلَهُمْ وَلا تَغْفُلُوْا كَغَفْلَتِهِمْ، وَلا تَنَامُوْا كَنِيَامِهِمْ، كَيْلا تَتَحَسَّرُوْا كَحَسْرَتِهِمْ، وَاخْشَوْا يَوْمًا عَبُوْسًا وَّهُوَ عَلَى الْمُجْرِمِيْنَ ثَقِيْلٌ، يَوْمٌ تُنْشَرُ فِيْهِ الدَّفَاتِرُ، وَتُحْضَرُ فِيْهِ الأكَابِرُ وَالأصَاغِرُ، وَيُحَاسَبُ عَلَى النَّقِيْرِ وَالْقِطْمِيْرِ، وَكُلِّ كَثِيْرٍ وَّقَلِيْلٍ.

فَأمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه، وَاجْتَهَدَ فِيْ عُمْرِه دَخَلَ دَارَ النَّعِيْمِ، وَوَجَدَ الثَّوَابَ الْجَمِيْلَ، وَأمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَصَرَفَ عُمْرَه فِيْ الْخَطِيْئَاتِ وَانْهَمَكَ فِيْ اللَّذَّاتِ أخِذَ بِالأخْذِ الْوَبِيْلِ.

اَللّهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ! أنْتَ رَبُّنَا وَارْحَمْنَا، وَنَحْنُ عِبَادُكَ الْعَاصُوْنَ الْمُجْرِمُوْنَ، فَارْحَمْنَا وَاعْفُ عَنَّا، وَتَجَاوَزْ عَنْ خَطَايَانَا، وَلا تَبْطِشْنَا فَإنَّ بَطْشَكَ لَشَدِيْدٌ وَلا يَمْلِكُ أحَدٌ كَشْفَ الضُّرِّ عَمَّنْ أخَذْتَه وَلا التَّحْوِيْلَ، وَالْحَمْدُ لله الرَّبِّ الْحَلِيْمِ، أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَاللهُ يَقُوْلُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِيَ السَّبِيْلَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من رّمضان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِى رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَزَيَّنَهَا بِالنُّجُوْمِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ، وَبَسَطَ الأَرْضَ فِرَاشًا وَّمِهَادًا، وَزَيَّنَهَا بِالزَّرْعِ وَالزَّيْتُوْنِ وَالأَعْنَابِ وَالرَّيْحَانِ، نَحْمَدُه عَلى أَنْ خَلَقَنَا، فَحَسَّنَ صُوَرَنا، وَجَمَّلَ سِيَرَنَا، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الإِيْمَانِ. وَنَشْكُرُه عَلى أَنْ أَبْقَانَا إِلى شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ تُفْتَحُ فِيْهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ لِلصَّائِمِيْنَ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ النَّارِ عَلى أَهْلِ الْعِصْيَانِ. نَشْهَدُ أَنَّه لاإِله إلاهُوَ وَحْدَه لاشَرِيْكَ لَه، وَلاضِدَّ لَه وَلانِدَّ لَه فِي السُّلْطَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ شَفِيْعُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْمَحْشَرِ سَيِّدُ الإِنْسِ وَالْجَانِّ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الثَّقَلانُ! وَيَا أَيُّهَا الإِخْوَانُ وَالْخُلانُ! هذَا شَهْرٌ عَظِيْمٌ قَدْرُه، فَخِيْمٌ فَخْرُه قَدْ أَظَلَّكُمْ، ثُمَّ آذَنَكُمْ بِقُرْبِ الرَّحِيْلِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إِلا قَلِيْلٌ مِّنَ الزَّمَانِ، وَقَدْ ذَهَبَ مِنْكُمْ أَوَّلُه وَأَوْسَطُهُ، وَجَاءَكُمْ آخِرُه، أَوَّلُه مَغْفِرَةٌ وَّأَوْسَطُه رَحْمَةٌ وَّآخِرُه عِتْقٌ مِّنَ النِّيْرَانِ، فِيْهِ لَيْلَةُ الشَّرَفِ وَالْقَدْرِ، وَاللهِ لَهِيَ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ قَامَها إِيْمَانًا وَّاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعِصْيَانِ فِيْهِ يُوَفَّى الصَّائِمُوْنَ أُجُوْرَهُمْ، وَيُغْفَرُ الْقَائِمُوْنَ ذُنُوْبَهُمْ، وَتُكْتَبُ لَهُمْ بَرَاءَةٌ مِّنَ النِّيْرَانِ، فَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ صَامَ عَنِ الْحَرَامِ، وَأَفْطَرَ عَلَى الْحَلالِ، وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ جَاهَدَ فِي الْحَسَنَاتِ، وَاحْتَرَزَ عَنِ الْمَعَاصِيْ وَالطُّغْيَانِ، وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ طَهَّرَ قَلْبَه مِنَ الْحَسَدِ وَالْبُغْضِ وَالْعَدَاوَةِ، وَنَقَّى صَدْرَه مِنَ الْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ وَالْقَسَاوَةِ. وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ أَمْسَكَ فِيْ صَوْمِه عَنِ الْكِذْبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ، وَغَضَّ بَصَرَه عَنْ مَّحَارِمِ اللهِ الْعَظِيْمَةِ، وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنِ اسْتَغْفَرَ بِالأَسْحَارِ، وَاجْتَهَدَ فِي تِلاوَةِ كِتَابِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهارِ، وَهَلْ مِنْكُمْ مَّنْ قَامَ فِيْ لَيَالِيْ رَمضَانَ، هَنِيْئًا لِّمَنْ غُفِرَتْ ذُنُوْبُه، وَسُتِّرَتْ عُيُوْبُه، وَقُضِيَتْ حَاجَاتُه، وَأُجِيْبَتْ دَعْوَاتُه، وَكُتِبَ لَه لِقَاءُ الرَّحْمنِ.

وَطُوْبى ثُمَّ طُوْبى لِمَنْ صرَفَ الأَيَامَ الْخَالِيَةَ وَاللَّيَالِيَ الْمَاضِيَةَ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَاجْتَهَدَ فِيْ تَرْكِ الآثَامِ، وَجَاهَدَ فِيْ إِرْضَاءِ رَبِّه الْمَنَّانِ، فَهُمُ الَّذِيْنَ يَرْضى عَنْهُمْ رَبُّهُمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذَنْبَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْغُرُفَاتِ الْعَلِيَّةَ مِنَ الْجِنَانِ، وَالْمَحْرُوْمُ كُلَّ الْمَحْرُوْمِ مَنْ سَوَّى بَيْنَ الشُّهُوْرِ الْمَاضِيَةِ وَشَهْرِ رَمَضَانِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الطَّاعَاتِ وَالْعِصْيَانِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ وَعَصى رَبَّه وأَطَاعَ مَرَدَةَ الْجَانِّ، فَاللهُ يَرْحَمُهُ وَيَغْفِرُ ذُنُوْبَه، وَيَهْدِيْهِ إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ سَبِيْلِ الْجِنَانِ.

اَللهَ اَللهَ عِبَادَ الله! اِتَّقُوا اللهَ تَعَالى مَا هذِهِ الْجُرْأَةُ فِيْ هذهِ الأَيَامِ الْكَرِيْمَةِ؟ وَمَا هذِهِ الْغَفْلَةُ فِيْ هَذِهِ ا للَّيَالِي الْعَظِيْمَةِ؟ إلى مَتى هذَا النَّوْمُ وَالرُّقَادُ إلى متى هَذَ الْبِعَادُ وَالْحِرْمَانُ، اِغْتَنِمُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ، وَتُوْبُوْا مِمَّا مَضى فِيْ مَا مَضى مِنَ الشَّهْرِ، عَسى أنْ يَّرْحَمَكُم رَبُّكُمْ، وَيُعْتِقَ رَقَابَكُمْ مِّنَ النِّيْرَانِ. وَلا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ وَلا تَيْأَسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللهِ، إِنَّه لا يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللهِ إلا أَهْلُ الْكُفْرَانِ، وَلا تَتَّكِلُوْا عَلى سَعَةِ رَحْمَتِه، فَإِنَّ بَطْشَه لَشَدِيْدٌ، إِنَّه هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيْدُ، وَيُحَاسِبُكُمْ عَلى مَا اكْتَسَبَتْهُ الْجَوَارِحُ وَمَا حَدَّثَ بِهِ الْجَنَانُ، وَقُوْلُوْا رَافِعِيْنَ أَكُفَّ السُّؤَالِ إلى حَضْرَةِ الرَّبِّ الْمُتَعَالِ. اَللّهُمَّ يَا حَنَّانُ يَا رَحْمَنُ، يَا دَيَّانُ يَا مَنَّانُ! إِنَّا قَدِ امْتَثَلْنَا أَمْرَكَ، وَتَجَنَّبْنَا نَهْيَكَ وَصُمْنَا الأَيَامَ، وَقُمْنَا لَيَالِيَ رَمَضَانَ، وَنَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْمُجْرِمُوْنَ قَدْ غَلَبَتْ ذُنُوْبُنَا عَلى حَسَنَاتِنَا، وَعَلَتْ سَيِّئَاتُنَا على طَاعَاتِنَا، وَأَنْتَ رَبُّنَا وَغَافِرُنَا وَرَاحِمُنَا، فَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا فَمَنْ يَّغْفِرُ لَنَا، وَإِنْ لَّمْ تَرْحَمْنَا، فَمَنْ يَّرْحَمُنَا وَإِنْ تَطْرُدْنَا فَمَنْ يُّقَرِّبُنَا وَإِنْ تُبَعِّدْنَا، فَمَن يُّؤْوِيْنَا، فَلا تُهْلِكْنَا بِذُنُوْبِنَا، وَاغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَظْهَرْنَا وَمَا أَخْفَيْنَا، وَاكْتُبْ لَنَا بَرَاءَةً مِّنَ النِّيْرَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْكَرِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

خطبة وداع رمضان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ فَضَّلَ عَلى كَثِيْرٍ مِّنْ خَلْقِهِ نَوْعَ الإنْسَانِ، وَخَصَّ مِنْهُمْ بِمَزِيْدِ فَضْلِهِ أُمَّةَ حَبِيْبِهِ سَيِّدِ بَنِيْ عَدْنَانَ نَحْمَدُهُ عَلى أَنْ جَعَلَنَا مِنْهُمْ وَنَزَّلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ، وَوَهَبَ لَنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ وَّأَفْضَلُ أَجْزَاءِ الزَّمَانِ، مَنْ قَامَهَا إِيْمَانًا وَّاحْتِسَابًا نَّالَ الْفَرْحَ وَالرِّضْوَانَ، وَنَشْكُرُهُ عَلى أَنَّهُ جَعَلَ أَفْضَلَ الشُّهُوْرِ شَهْرَ رَمَضَانَ، الَّذِيْ أَنْزَلَ فِيْهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدى وَالْفُرْقَانُ.

أَشْهَدُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْبَوَادِيْ وَالْعُمْرَانِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الثَّقَلانُ! وَيَا أَيُّهَا الْحَاضِرُوْنَ مِنَ الإنْسِ وَالْجَانِّ، قَدْ مَضى أَكْثَرُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَسَتَمُرُّ بَقِيَّتُهُ كَمُضِيْءِ الآنِ.

فَطُوْبى لِلسَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ صَامُوْا نَهَارَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَامُوْا لَيَالِيَهُ بِالاحْتِسَابِ وَالإِيْمَانِ، وَوَيْلٌ لِّلْمُتَخَلِّفِيْنَ الْبَاعِدِيْنَ ضَيَّعُوْهُ وَلَمْ يَعْرِفُوْا قَدْرَهُ وَلَمْ يُخَلِّصُوْا نُفُوْسَهُمْ مِّنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَغْتَنِمُوْا مَا بَقِيَ مِنْهُ وَوَدِّعُوْهُ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَهَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلا الإحْسَانُ، وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا هٰذَا الشَّهْرُ ذُو الْعِزَّةِ وَالْقَدْرِ وَعُلُوِّ الشَّأْنِ، شَهْرٌ مُّبَارَكٌ تُفْتَحُ فِيْهِ أَبْوَابُ الْجِنَانِ، فَالْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ تُغْلَقُ فِيْهِ أَبْوَابُ النِّيْرَانِ.

اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ صَوْمُ نَهَارِهِ جُنَّةٌ مِّنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ قِيَامُ لَيْلِهِ رَوْحٌ وَّرَيْحَانٌ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ لِّلصَّائِمِ فِيْهِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ الرَّحْمٰنِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ تُصَفَّدُ فِيْهِ الشَّيَاطِيْنُ وَتُغَلُّ فِيْهِ مَرَدَةُ الْجَانِّ. اَلْفِرَاقُ الْفِرَاقُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مَّنْ صَامَ فِيْهِ إِيْمَانًا وَّاحْتِسَابًا

غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعِصْيَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مَّنْ قَامَ فِيْهِ إِيْمَانًا وَّاحْتِسَابًا فَازَ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ فِيْهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ قِيَامُهَا خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ وَّنَجَاةٌ مِّنَ النِّيْرَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مَّنْ أَدى فِيْهِ النَّفْلَ وَجَدَ ثَوَابَ الْفَرْضِ وَمَنْ أَدى فِيْهِ الْفَرْضَ وَجَدَ ثَوَابَ سَبْعِيْنَ فَرِيْضَةً وَّبُشِّرَ بِالْجِنَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ لِلّٰهِ فِيْ كُلِّ لَيْلَةٍ مِّنْهُ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ عَتِيْقٍ مِّنَ النِّيْرَانِ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِّنْهُ أَعْتَقَ اللهُ بِعَدَدِ مَا مَضٰى وَأَفَاضَ الرَّحْمَةَ وَالرِّضْوَانَ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرُ الصَّبْرِ وَالْمُؤَاسَاةِ وَشَهْرُ الْفَرَحِ وَالْمُوَافَاةِ وَشَهْرُ الْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرُ الْكَرَمِ وَالْجُوْدِ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ عَزَّ قَدْرُهُ فِي الْيَوْمِ الْمَشْهُوْدِ وَدَخَلَ دَارَ الرِّضْوَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرٌ يُّنَادِيْ فِيْ كُلِّ لَيْلَةٍ مِّنْهُ مُنَادٍ بِإِذْنِ رَبِّهِ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيْبُهُ هَلْ مِنْ مُّسْتَرْزِقٍ فَأَرْزُقُهُ هَلْ مِنْ مُّسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُهُ وَأُفِيْضُ عَلَيْهِ سِجَالَ الامْتِنَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ. شَهْرُكُمْ تُقْضٰى فِيْهِ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِيْنَ وَيُجَابُ دُعَاءُ الدَّاعِيْنَ وَتُعْتَقُ الرِّقَابُ مِنَ النِّيْرَانِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرُ التَّسَابِيْحِ وَالتَّرَاوِيْحِ وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، اَلْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَانَ.

أَيُّهَا الإِخْوَانُ وَالْخُلانُ! أَشْكُرُوا اللهَ بِصَمِيْمِ الْقَلْبِ وَخُلُوْصِ اللِّسَانِ، عَلٰى أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ بِهٰذَ الشَّهْرِ الشَّرِيْفِ جَلِيْلِ الشَّأْنِ، يَا عَجَبَاه لِلْمِسْكِيْنِ كَيْفَ يَعْصِىْ فِيْ هٰذَا الشَّهْرِ وَلا يَكْتَسِبُ الْمَغْفِرَةَ وَيَا أَسَفَاه عَلى مَنْ فَوَّتَ مِنْ هٰذَا الشَّهْرِ نَصِيْبَهُ وَوَا حَسْرَتَاه عَلى مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فِيْ هٰذِهِ الأَيَّامِ بِتَرْكِ التَّوْبَةِ وَوَاخَيْبَتَاه لِمَنْ لَمْ يَتَيَقَّظْ فِيْ هٰذِهِ الأَيَّامِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَلَمْ يَدَعِ الزُّوْرَ وَاللَّغْوَ وَالرَّفَثَ وَالْعِصْيَانَ، أَتَحَقَّقَ لِلْمَغْرُوْرِ أَنْ يُّدْرِكَ مِثْلَ هٰذَا الْعَامِ أَمَا يَخَافُ أَنْ يُّدْرِكَهُ الْمَوْتُ فِيْ هٰذَا الْعَامِ أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يُفَاجِئُ لا يُرْسِلُ مُخْبِرًا وَّلا يُنَاجِيْ أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ كَأْسَ الْمَوْتِ دَائِرٌ عَلى كُلِّ شَيْءٍ فَكُلُّ مَوْجُوْدٍ فَانٍ، أُقْسِمُ بِاللهِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَغْتَنِمُوْا مَا بَقِيَ مِنْ هٰذَا

الشَّهْرِ وَلا تُضَيِّعُوْهُ عَسَى اللهُ أَنْ يَرحَمَكُمْ وَيُجِيْرَكُمْ مِّنَ الْخُسْرَانِ، آهٌ عَلى عُمْرٍ ضَيَّعْنَاهُ آهٌ عَلى عُمْرٍ أَتْلَفْنَاهُ آهٌ عَلى ذَهَابِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وقال الشاعر

سَلامٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ كُلَّ آوَان عَلى خَيْرِ شَهْرٍ قَدْ مَضٰى وَزَمَان
سَلامٌ عَلى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّه أَمَانٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ أَيُّ أَمَان
لَئِنْ فَنِيَتْ أَيَّامُكَ الْغُرُّ بَغْتَة فَمَا الْحُزْنُ عَنْ قَلْبِي عَلَيْكَ بِفَان

كَيْفَ لا تَجْرِيْ لِلْمُؤْمِنِ عَلى فِرَاقِه دُمُوْع
وَهُوَ لا يَدْرِيْ هَل بَقِيَ فِيْ عُمْرِهِ إِلَيْهِ رُجُوْع

الْوَدَاعُ وَالْوَدَاعُ لِشَهْرِ رَمَضَان

وَهَالَ الْفِرَاقُ فَمَا تَصْنَعُ أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ
إِذَا كُنْتَ تَبْكِيْ وَهُمْ جِيْرَةٌ فَكَيْفَ يَكُوْنُ إِذَا وَدَّعُوْا
تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَّضَتْ وَلَيَالِيًا خَلَتْ فَجَرى مِنْ ذِكْرِهِنَّ دُمُوْعُ
أَلا هَلْ لَنَا يَوْمًا مِّنَ الدَّهْرِ عَوْدَةٌ وَهَلْ لِّيْ إِلى وَقْتِ الْوِصَالِ رُجُوْعُ
وَهَلْ بَعْدَ إِعْرَاضِ الْحَبِيْبِ تَوَاصُلٌ وَهَلْ لِّبُدُوْرٍ قَدْ أَفَلْنَ طُلُوْعُ

اَللّٰهُمَّ يَا اللهُ يَا رَحْمٰنُ! إِنَّ هٰذَا الشَّهْرَ كَانَ مُوْنِسَنَا، وَرَفِيْقَنَا وَشَفِيْعَنَا وَبَشِيْرَنَا قَدْ آذَنَ بِالرَّحِيْلِ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إِلا قَلِيْل، وَقَدْ صُمْنَا فِيْهِ وَقُمْنَا اتِّبَاعًا لأَمْرِكَ وَامْتِثَالا لِّشَرِيْعَةِ نَبِيِّكَ فَلا تُهْلِكْنَا بِذُنُوْبِنَا وَلا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمَحْرُوْمِيْنَ الْمَطْرُوْدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا جَمِيْعَ خَطَايَانَا وَذُنُوْبَنَا وأَجِرْنَا مِنَ النِّيْرانِ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْعَلِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .

الخطبة الثّانية لجمع رجب وشعبان ورمضان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْكَرِيْمِ الْجَلِيْلِ، اَلَّذِیْ خَلَقَ الْخَلْقَ وَبَعَثَ مِنْهُمْ رُسُلاً وَّ أَنبِيَاءَ ذَوِی الْمَهَابَةِ وَالتَّبْجِيْلِ، نَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيْرًا عَلَى أَنْ شَرَّفَنَا بِأَنْ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ حَبِيْبِهٖ وَصَفِيِّهٖ مُكَمِّلَ قَصْرِ النُّبُوَّةِ بِحُسْنِ التَّكْمِيْلِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ فَضَّلَ لَنَا بَعْضَ الشُّهُوْرِ عَلَى بَعْضٍ وَّأَدَارَ عَلَيْنَا مِنَ الشُّهُوْرِ الْفَاضِلَةِ رَجَبَ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَفَضَّلَهُ أَكْبَرَ تَفْضِيْلٍ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَلا نِدَّ لَهُ وَلا ضِدَّ لَهُ وَلا مَثِيْلَ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُوْدِ وَالْعِزِّ الْجَمِيْلِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهٖ وَصَحْبِهِ الْهَادِيْنَ إِلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! هٰذَا شَهْرٌ مُّبَارَكٌ، قَدْ مَنَّ عَلَيْكُمْ بِهٖ رَبُّكُمْ تَعَالَى وَتَبَارَكَ، مَنْ آتَى فِيْهِ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَفَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْمُتَصَاعِدَةِ فَاجْتَهِدُوْا فِيْهِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَاجْتَنِبُوْا فِيْهِ الأَفْعَالَ الْفَاحِشَةَ، وَهٰذَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ مِنْهُ مُبَارَكٌ قَدْ فَاقَ عَلَى جُمَعِ الدُّهُوْرِ، وَفَاقَ بِاللَّطَائِفِ وَالسُّرُوْرِ، فَأَكْثِرُوْا فِيْهِ الصَّلاةَ وَالسَّلامَ عَلَى سَيِّدِ الأَنَامِ، وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ، وَادْعُوا اللهَ فِيْهِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ فِيْهِ مُسْتَجَابٌ، وَاسْتَغْفِرُوْهُ مِمَّا مَضٰى وَمَا بَقِيَ فَإِنَّ الاِسْتِغْفَارَ فِيْهِ يَمْحُو الذُّنُوْبَ عَنِ الْكِتَابِ.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ شَفِيْعِ الْعُصَاةِ وَمُطَهِّرِهِمْ مِنَ الذُّنُوْبِ، وَدَافِعِ هُمُوْمِهِمْ وَكَاشِفِ الْكُرُوْبِ، صَلاةً دَائِمَةً بِدَوَامِكَ، بَاقِيَةً بِبَقَائِكَ، وَصَلِّ عَلَى جَمِيْعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَجَمِيْعِ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِيْنَ، وَعَلَى جَمِيْعِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَسَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ، لا سِيَّمَا عَلَى الْبَدْرِ التَّمَامِ، أَوَّلِ مَنْ دَخَلَ فِي الإِسْلامِ، رَفِيْقِ الْمُصْطَفٰى فِي الْغَارِ، صَاحِبِ الْعِزِّ

وَالافْتِخَارِ، أفْضَلِ الْبَشَرِ بَعْدَ الأنْبِيَاءِ بِالتَّحْقِيْقِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ أَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ وَعَلى صَاحِبِ الْعَدْلِ وَالاحْتِسَابِ، مُزَيِّنِ الْمِنْبَرِ وَالْمِحْرَابِ، اَلَّذِيْ كَانَ رَأيُهُ مُوَافِقًا لأمِّ الْكِتَابِ، سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ وَعَلى صَاحِبِ الْحَيَاءِ وَالْعِرْفَانِ، اَلَّذِيْ تَسْتَحْيِيْ مِنْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمٰنِ، جَامِعِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، كَمِثْلِ التَّرْتِيْبِ فِيْ لَوْحِ الْمَنَّانِ، سَيِّدِنَا عُثْمَانَ ابْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ وَعَلى أَسَدِ اللهِ الْغَالِبِ، ذِي الْمَنَاقِبِ وَالْمَنَاصِبِ، سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَعَلى سِبْطَيْنِ النَّيِّرَيْنِ، اَلسَّيِّدَيْنِ الأنْوَرَيْنِ، سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمَا وَعَلى أُمِّهِمَا سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهَا وَعَلى سَائِرِ بَنَاتِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيْعِ أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ، وَعَلى عَمَّيْهِ الْمُعَظَّمَيْنِ الْمُكَرَّمَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، اَلْمُنَزَّهَيْنِ مِنَ الدَّنَسِ وَالأرْجَاسِ، سَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَسَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ تَعَالى عَنْهُمَا وَعَلى سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ.

اَللّٰهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَّصَرَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَلا تَجْعَلْنَا مِنْهُمْ، اَللّٰهُمَّ أَهْلِكِ الْكَفَرَةَ وَالْمُبْتَدِعَةَ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَلا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ، اَللّٰهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ، اَللّٰهُمَّ مَزِّقْ جَمْعَهُمْ، اَللّٰهُمَّ دَمِّرْ دِيَارَهُمْ، اَللّٰهُمَّ خَرِّبْ بِلادَهُمْ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِمَشَايِخِنَا وَلأحْبَابِنَا وَلِجَمِيْعِ أُمَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، اَللّٰهُمَّ اهْدِنَا وَعَافِنَا وَاجْبُرْنَا وَانْصُرْنَا وَاعْفُ عَنَّا وَتَجَاوَزْ عَنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَيَا أَكْرَمَ الأكْرَمِيْنَ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِمُرَصِّفِ هٰذِهِ الْخُطَبِ الْمُذَكَّرَةِ، وَنَجِّهِ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ﴾، أُذْكُرُوا اللهَ الْعَظِيْمَ يَذْكُرْكُمْ وَادْعُوْهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ وَلَذِكْرُ اللهِ تَعَالى أَعْلٰى وَأَوْلٰى وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَتَمُّ وَأَهَمُّ وَأَكْبَرُ.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من شوّال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلَّذِيْ جعَلَ هذَا الشَّهْرَ مَبْدَأَ الإحْرَامِ، وَجعَلَه شَهْرًا مُّحتَرَمًا بَيْنَ شُهُوْرِ الْعَامِ، نَحْمَدُه على أنْ جعَلَنَا مِمَّنْ صَامَ شَهرَ رَمضَانَ، وَقَامَ لَيَالَيه، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ إِلَيْهِ لَوْلا أنْ هَدَانَا ذُو الإكْرَامِ. وَنَشْكُرُه عَلى أنْ قَرَّبَ إلَيْنَا شَهْرًا جدِيْدًا وَّوَقْتًا سَعِيْدًا شَهرَ شَوَّالٍ، وَهُوَ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالُ ذُو الْفَضْلِ وَالإنْعَامِ.

نَشْهَدُ أَنَّه لا إله إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه لَوْ كَانَ لَفَسَدَ الانْتِظَامُ، وَنَشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ الأنْبِيَاءِ الْكِرَامِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْحَاضِرُوْنَ! قَدْ مَضى شَهْرُ رَمضَانَ، شَهْرُ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ، شَهْرُ الْفَضْلِ وَالإنْعَامِ، وَا حَسْرَتَاهْ عَلى وَدَاعِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَوَا أَسفَاهْ عَلى ذَهَابِ تِلْكَ اللَّيَالِي الْعِظَامِ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ صَرَفْتُمْ الأوْقَاتَ فِيْه بِالطَّاعَاتِ وَزَجرْتُمُ النُّفُوْسَ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ، فَلَكُمْ بِشَارَةُ دَارِ السَّلامِ، وَإنْ كُنْتُمْ قَدْ أصْبَحتُمْ فِيْه بِالْغِيْبَةِ وَأَكْلِ اللُّحُوْمِ، وَمَا أَمْسَكْتُمْ إلا عنِ الْمُفْطِرَاتِ الثَّلاثَةِ، فَاخْشَوْا زَجْرَ شَدِيْدِ الانْتِقَامِ، تَفَكَّرُوْا كَيْفَ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُمْ بِشَهْرٍ مَّنِ اجْتَهَدَ فِيْهِ فِي الْعِبَادَةِ، فَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى الَّتِيْ لا تَذْهَبُ إِلَيْهَا الأوْهَامُ، وَأَنْتُمْ قَدْ ضَيَّعتُمُوْهُ، وَفِيْ تَحْصِيْلِ الْخَطِيْئَاتِ صَرَفْتُمُوْهُ فَآهٌ، ثُمَّ آهٌ عَلى تَضْيِيْعِ مِثْلِ تِلْكَ الأيَّامِ. فَعَلَيْكُمْ أنْ تَتُوبُوْا مِمَّا صَدَرَ مِنْكُمْ حَضْرَةَ مَنْ بِهِ الاعْتِصَامُ، وَخُذُوْا هذَ الشَّهْرَ الشَّرِيْفَ بِالْجِدِّ وَالاهْتِمَامِ، وَأَلْزِمُوْا عَلَيْكُمْ صِيَامَ ستَّةِ شَوَّالٍ بِالتَّتَابُعِ، أوْ بِتَفَارُقِ الأيَّامِ، فَمَنْ صَامَ رَمضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًّا مِّنْ شَوَّالٍ كَانَ كَمَنْ صَامَ الدَّهرَ كَذَا أَخْبَرَ بِه سَيِّدُ الأنَامِ، وَعَلَيْكُمْ بِاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ. أمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ اللهَ تَعَالى يَطَّلِعُ عَلى أَفْعَالِكُمْ، وَيَسْمَعُ أَقْوَالَكُمْ، وَيَنْظُرُ أَعْمَالَكُمْ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ، أَلَكُمْ فِيْه شَكٌّ مَّا هذِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ أهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامِ، يَوْمُ الْمُنَاقَشَةِ وَالْمُحَاسَبَةِ يَوْمٌ يَّقُوْمُ فِيْهِ الرُّوْحُ

وَالْمَلائِكَةُ صَفًا، وَتُدَكُّ الأَرْضُ دَكًا دَكًا، يَوْمُ الْمِحْنَةِ وَالازْدِحَامِ.

يَا أَيُّهَا الشُّبَّانُ! هذَا أَوَانُ الْعِبَادَةِ، هَذَا زَمَانُ الطَّاعَةِ، اغْتَنِمُوا الشَّبَابَ، وَتَجَنَّبُوا الْحَرَامَ، مَنِ اجْتَنَبَ حَالَةَ الشَّبَابِ شَرَّ مَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ وَمَا بَيْنَ اللَّحْيَيْنِ، اسْتَحَقَّ فَضْلَ خَالِقِ الْكَوْنَيْنِ، فَإِنَّ الشَّبَابَ شُعْبَةٌ مِّنَ الْجُنُوْنِ وَمَادَّةُ الآثَامِ، لا تَتَكَلَّمُوْا عَلى سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالى، فَإِنَّ بَطْشَه لَشَدِيْدٌ وَّهُوَ الْمُتَكَبِّرُ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَلا تَيَقَّنُوْا بِطُوْلِ الْحَيَاةِ، فَهذَا زَمَانٌ يَّرْتَحِلُ فِيْهِ الشُّبَّانُ أَكْثَرَ مِنَ الشُّيُوْخِ وَالصِّبْيَانِ وَالْخَوَاصُّ قَبْلَ الْعَوَامِّ.

وَيَا أَيُّهَا الشُّيُوْخُ! جَاءَكُمْ وَقْتُ الانْتِقَالِ، وَقَرُبَ مِنْكُمْ أَوَانُ الارْتِحَالِ، وَمَا بَعْدَ ذلِكَ إِلا الْجَنَّةُ، أَوْ مَقَامُ الآلامِ، أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالى فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، فَإِنَّ التَّقْوى خَيْرُ الزَّادِ، وَهُوَ الْمُنْجِيْ يَوْمَ الْمَعَادِ، مَنِ اتَّقى نَجَا، وَمَنْ لَّمْ يَتَّقِ طَغى، مَنِ اتَّقى فَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلى، وَمَنْ لَّمْ يَتَّقِ تَحَسَّرَ يَوْمَ الْعَرْضَةِ الْكُبْرى مَنِ اتَّقى فَازَ بِالْعَيْشِ وَالْعِشْرَةِ فِيْ دَارِ النَّعِيْمِ، وَمَنْ لَّمْ يَتَّقِ أَوْشَكَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَحِيْمَ، مَنِ اتَّقى كَانَ اللهُ مَعَهُ، وَمَنْ كَانَ اللهُ مَعَه لَمْ يَضُرُّه شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مَنِ اتَّقى أَحَبَّهُ اللهُ وَمَلائِكَتُه، وَنَادى مُنَادِيًا أَهْلَ الأَرْضِ حَبِّبُوْهُ، فَإِنَّه مَحْبُوْبٌ لأَهْلِ السَّمَاءِ، فَيُحِبُّه أَهْلُ الأَرْضِ، وَيُنْشَرُ لَه دِيْوَانُ الثَّنَاءِ، وَمَنْ لَّمْ يَتَّقِ أَبْغَضَهُ اللهُ وَمَلائِكَتُه، وَنَادى مُنَادِيًا أَهْلَ الأَرْضِ أَبْغِضُوْهُ، فَإِنَّه مَبْغُوْضٌ لأَهْلِ السَّمَاءِ، فَيُبْغِضُه مَنْ فِي الأَرْضِ، وَيُنْشَرُ لَه دِيْوَانُ الشَّقَاءِ، اَللهَ اَللهَ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه، وَتَضَرَّعُوْا بِحَضْرَتِه. اَللّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ غَلَبَتْ رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ، فَأَدْخِلْنَا بِغَيْرِ حِسَابٍ دَارَ السَّلامِ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، آمِيْنَ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِه رُسُلَه إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من شوّال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ مَنَّ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإيْمَانِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا بِأَنْ هَدَانَا إلى سَبِيْلِ الإذْعَانِ، نَحْمَدُه على نِعَمِهِ الْكَامِلَةِ فِيْ كُلِّ آنٍ، وَنَشْكُرُه على آلاءِهِ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ إِنْسٍ وَّجَانٍّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه ذُو الْمِنَنِ وَالإِحْسَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ زَمَانًا وَّأَوَّلُهُم بِحَسْبِ الشَّأْنِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه، وَاخْشَوْهُ غَايَةَ خَشْيَتِه، وَلا تَمُوْتُنَّ إلا وَأَنْتُم مِّنْ أَهْلِ الإِيْقَانِ، وَاطْلُبُوْا رِضَاءَ اللهِ فِيْ كُلِّ قَوْلٍ وَّفِعْلٍ، وَّاخْشَوْا غَضَبَه فِيْ كُلِّ زَمَانٍ، فَإِنَّ بَطْشَه لَشَدِيْدٌ، إِنَّه هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيْدُ، وَهُوَ الْغَفُوْرُ لأَهْلِ الْعِصْيَانِ، وَاجْتَهِدُوْا حَقَّ الْجِهَادِ فِيْ أَدَاءِ مَا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْمَنَّانُ، قَدْ أَتَاكُمْ شَهْرٌ يَرْحَلُ فِيْهِ الرَّاحِلُوْنَ إلى بَيْتِ الأَسْتَارِ وَالأَرْكَانِ، وَيُسَافِرُ الْمُسَافِرُوْنَ مُشْتَاقِيْنَ إلى طَوَافِ بَيْتِ الرَّحْمَانِ، إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَّهُدًى لِّلْعَالَمِيْنَ فِيْهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيْمَ وَمَنْ دَخَلَه كَانَ مِنْ أَهْلِ الأَمَانِ، وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْكُفْرَانِ.

أَيُّهَا الْمُسْتَطِيْعُوْنَ! تَزَوَّدُوْا لِلرَّحِيْلِ إِلَى الْبَيْتِ الْجَلِيْلِ وَلا تَسْلُكُوْا سُبُلَ الضَّلالِ وَالطُّغْيَانِ، مَا هذِهِ الْبَطَالَةُ مَا هذَا الغُفُوْلُ، أَتَعْلَمُوْنَ أَنَّ عُمْرَكُمْ يَطُوْلُ، هذَا ظَنٌّ فَاسِدٌ وَّعِلْمٌ كَاسِدٌ لَيْسَ عَلَيْه بُرْهَانٌ، اِغْتَنِمُوا الْفُرْصَةَ، وَاتَّقُوْا فُجَاءَةَ الْمَنِيَّةِ، لَعَلَّكُمْ لا تَجِدُوْنَ الْعَامَ الْقَابِلَ فِيْ هذِهِ الدَّارِ دَارِ الْخُسْرَانِ، أَيْنَ مَنْ كَانَ مَعَكُمْ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ؟ أَيْنَ آبَاءُكُمْ وَأَبْنَاءُكُمْ؟ أَيْنَ أَجْدَادُكُمْ وَأَحْبَابُكُمْ وَالأَقْرَانُ؟

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَه تَعَالى كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، أَغِشَاوَةٌ عَلَى الْقُلُوْبِ أَمْ صُمٌّ فِي

الآذَانِ، أُتْرُكُوا الْمَالَ وَالأَوْلادَ وَالأَحْبَابَ وَالأَحْفَادَ، فَلا يَذْهَبُ أَحَدٌ مَّعكُمْ فِيْ بَيْتِ الأَحْزَانِ، وَأَسْرَعُوْا إلى حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ بَيْتٌ مُّبَارَكٌ طَافَتْ بِهِ الْمَلائِكَةُ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَتِيبَ بِطَوَافِهِ عَلى سَيِّدِنَا آدَمَ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِيْهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّنْهَا مَقَامُ سَيِّدِنَا إبْرَاهَامَ، بَيْتٌ جَعَلَهُ اللهُ آمِنًا وَّعَظَّمَهُ حَبِيْبُ الرَّحْمَانِ، بَيْتٌ تُضَاعَفُ فِيْهِ الْحَسَنَاتُ، وَتُغْفَرُ بِطَوَافِهِ الْخَطِيْئَاتُ، وَتُعْتَقُ الرِّقَابُ مِنَ النِّيْرَانِ، كَمْ مِّنْ عَاصٍ طَافَ بِالْبَيْتِ فَنَجَا، وَكَمْ مِّنْ مُّذْنِبٍ حَجَّ الْبَيْتَ، فَصَارَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّه، وَكَمْ مِّنْ هَالِكٍ وَّقَفَ بِعَرَفَةَ فَعُتِقَ مِنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ، وَحَرِّكُوْا نُوْقَ الشَّوْقِ بِشِدَّةِ الذَّوْقِ إلى زِيَارَةِ سَيِّدِ بَنِي عَدْنَانَ.

فَوَ اللهِ لَوْلا حُرْمَتُه وَظِلُّه عَلَيْنَا لَغَضِبَ عَلَيْنَا الرَّحمنُ، وَخَسَفَ بِنَا الْمَكَانَ، كَيْفَ لا؟ وَقَدْ كَثُرَتْ فِيْنَا الْكَبَائِرُ وَفَشَتِ الصَّغَائِرُ، وَصُنُوْفُ الْعِصْيَانِ، تَحَاسَدْنَا وَتَدَابَرْنَا وَتَجَادَلْنَا وَتَنَاقَشْنَا وَغُصْنَا فِيْ بِحَارِ الْعِصْيَانِ، كَبُرَ الْجَهْلُ وَالعَمى، وَكَثُرَ الرِّبَا وَشُرْبُ الْخُمُوْرِ وَالزِّنَا، وَاتَّخَذَ النَّاسُ جُهَّالَهُمْ فُقَهَاءَ، وَسُفَهَاءَهُمْ عُقَلاءَ، كَمْ تَرَوْنَ مِنْ عُرَاةٍ حُفَاةٍ مُشَاةٍ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي الْبُنْيَانِ.

هَلْ مِنْ عَلامَةٍ مِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ لَمْ تُوْجَدْ فِيْ هَذَا الزَّمَانِ، اِنْتَظِرُوْا خُرُوْجَ الإِمَامِ الْمَهْدِيِّ إِمَامِ آخِرِ الزَّمَانِ، وَتَيَقَّظُوْا مِنْ نَّوْمِ الْغَفْلَةِ وَالْكَسْلانِ، وَارْفَعُوْا أَكُفَّ السُّؤَالِ إلى حَضْرَةِ الْمُتَعَالِ، وَقُوْلُوْ مِنْ صَمِيْمِ الْجَنَانِ.

اَللّٰهُمَّ يَا عَالِمَ مَا فِيْ سِرِّنَا وَنَجْوَانَا نَحْنُ غَرْقَى فِيْ بِحَارِ الْعِصْيَانِ، نَسْأَلُكَ الْفَضْلَ وَالْجُوْدَ وَالْغُفْرَانَ، فَحَقِّقْ رَجَاءَنَا وَأَعْطِنَا مَا سَأَلْنَا، فَإِنْ تَطْرُدْنَا فَمَنْ يَرْحَمُنَا يَوْمَ لا بَيْعٌ فِيْهِ وَلا خُلَّةُ الأَقْرَانِ، آمِيْنَ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿يَسْأَلُه مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيْ شَأْنٍ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من شوّال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيْرِ الأَعْلى، اَلَّذِيْ خَلَقَ فَسوّى، وَالَّذِيْ قَدَّرَ فَهَدى، وَالَّذِيْ أَخْرَجَ الْمَرْعى، وَبَسَطَ بِسَاطَ الأَرْضِ، وَجَعَلَه سَكَنًا وَّمَدْفَنًا لِلذَّكَرِ وَالأُنْثى، وَجَعَلَ سَقْفَهُ السَّموَاتِ الْعُلى.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَلَوْ كَانَ لَفَسَدَتِ السَّموَاتُ وَالأَرْضُ السُّفْلى، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ سَيِّدُ أَرْبَابِ التُّقى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُمْ صَلاةً تُنَجِّيْنَا مِمَّا نَخْشى.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَرْبَابَ الأَحْلامِ وَالنُّهى، تَفَكَّرُوْا فِيْ مَبَادِئِكُمْ وَمَنَاشِئِكُمْ، وَتَذَكَّرُوْا مَا سَيَمْضِيْ عَلَيْكُمْ وَمَا مَضى، خَلَقَكُمُ اللهُ مِنْ مَّنِيٍّ يُّمْنى، وَجَعَلَه عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ لَحمًا وَّعَظْمًا، ثُمَّ أَلْبَسَه صُوْرَةً فَسَوّى، ثُمَّ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ إِلى هذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا، وَرَبَّاكُمْ مِّنْ صِبَاكُمْ، وَأَلْهَمَكُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ وَمَا يَضُرُّكُمْ فِي الْعُقْبى، وَفَضَّلَكُمْ عَلى سَائِرِ مَخْلُوْقَاتِه بِإِعْطَاءِ الإِفْهَامِ وَالنُّهى، وَبَعَثَ عَلَيْكُمْ رُسُلا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ لِئَلا تَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ حُجَّةٌ فِي الأُخْرى، وَبَيَّنَ لَكُمْ سَبِيْلَ الضَّلالَةِ، وَيَسَّرَ لَكُمْ طُرُقَ الْهُدى، وَوَعَدَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه، وَنَهى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى، بِأَنَّ الْجَنَّةَ لَهُ الْمَأْوى.

فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَشْكُرُوْهُ عَلى مِنَنِه، وَتَحْمَدُوْهُ عَلى نِعَمِهِ الَّتِيْ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصى، وَامْتَثِلُوْا أَوَامِرَه، وَانْتَهُوْا عَمَّا زَجَرَ عَنْهُ وَنَهى، وَلا تَصْرِفُوْا أَعْمَارَكُمْ فِي الْغَفَلاتِ، وَلا تَضِيْعُوْا أَنْفَاسَكُمْ فِي اقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ، فَمَنِ ارْتَكَبَ ذلِكَ ضَلَّ وَطَغى، وَأَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُوْلَه، وَاتَّبِعُوْا سُنَنَه وَطَرِيْقَتَه، فَمَنْ تَرَكَ سُنَنَ نَبِيِّه سَقَطَ وَهَلَكَ وَغَوى.

وَإِيَّاكُمْ مِّنِ اجْتِرَاحِ الْبِدْعَةِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ تَهْوِيْ بِصَاحِبِهَا إِلَى

الظُّلُمات وَالدَّرَكَاتِ السُّفْلى، وتَضرَّعوْا إلى ربّكُمْ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وَّعشيَّةٍ، وَارْفَعُوْا أَكُفَّ السُّؤالِ إلَيْهِ تَضرُّعًا وَّخُفْيَةً، عَسى أنْ يَّرحَمَكُمْ رَبُّكُمْ، وَيُنَجِّيَكُمْ مِّنَ الْعُسْرى. وَأكْثِرُوا الْفِكْرَ وَالشُّكْرَ وَالذِّكْرى، فَمَنْ تفكَّرَ فِي خَلْقِه ساعَةً كُتِبَتْ لَه عِبَادَةُ مِائَةِ سَنَةٍ وَّفازَ بِالْبُشْرى، وَمَنْ شَكَرَه زَادَ اللهُ فِي رَحْمَتِه وَنِعمَتِه، وَشَكَره بِمَغْفِرَتِه، وَبَدَّلَ سَيِّئَاتِه بِالْحُسْنى، وَمَنْ ذَكَرَه فِيْ نَفسِه ذَكَرَه فِي نَفْسِه، وَمَنْ ذَكَرَه فِي مَلإٍ ذَكَرَه فِيْ مَلأٍ خَيْرٍ مِّنْهُ، وَهُوَ مَلأُ مَلائِكَتِهِ الْعُلى، وَعَلَيْكُمْ أَنْ لا تَزَالَ أَلْسِنَتُكُمْ رَطْبَةً مِّنْ ذِكْرِ اللهِ لِيُظِلَّكُمْ رَبُّكُمْ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ الْمُعَلّى.

أَيُّهَا الشُّبَّانُ! هذا وَقْتُ الاجْتِهادِ فِي الْعِبَادَةِ، هَذا وَقْتُ السَّعْيِ فِي الإِطَاعَةِ، هَذَا وَقْتُ الْجَهْدِ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَاجْتِنَابِ الآثَامِ الصُّغْرى وَالْكُبْرى، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ أَنَّه ذَكَرَ مَنْ يُّظِلُّهُمُ اللهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه وَعَدَّ مِنْهُمْ إِمامًا عادِلا، وَرَجُلَيْنِ تَحابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ تَفَرَّقَا، وَمَنْ أَخْفى صَدَقَتَه حَتّى لا تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُه، وَرَجُلا دَعَتْه امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّيْ أَخَافُ الرَّبَّ ذَا الْجَلالِ، وَرَجُلا بَكى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فِي الْخَلْوَةِ، وَشَابًّا نَّشَأَ فِيْ عِبَادَةِ رَبِّه، وَخَافَ رَبَّهُ الأَعْلى.

يَا أَيُّهَا الشُّيُوْخُ! قَدْ مَضى مَا مَضى، وَقَرُبَ وَقْتُ الرَّحِيْلِ وَالْفَنَا، فَاتْرُكُوا التَّغافُلَ وَالتَّجاهُلَ، وَالتَّساهُلَ وَالتَّكَاسُلَ، وَتُوبُوْا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوْحًا، وَقُوْلُوْا بِأَجْمَعِكُمْ.

اَللّهُمَّ يَا رَحْمَنُ يَا مَنَّانُ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى، اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيْ أَمْرِنَا، وَاهْدِنَا وَثَبِّتْنَا عَلى طُرُقِ الْفَلاحِ وَالْهُدى، آمِيْنَ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشى وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى فَسَنُيَسِّرُه لِلْيُسْرى﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من شوّال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ عَلِيِّ الذَّاتِ جَلِيْلِ الصِّفَاتِ، رَفِيْعِ الدَّرَجَاتِ خَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، مُسَكِّنِ الأَرْضِ بِالْجِبَالِ الشَّامِخَاتِ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً تُنْجِيْنَا مِنَ الدَّرَكَاتِ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه سَيِّدُ النُّفُوْسِ الْقَادِسَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا دَارَتِ الأَفْلاكُ الدَّائِرَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَصْحَابَ الْعُقُوْلِ وَالدِّرَايَاتِ، طَهِّرُوْا نُفُوْسَكُمْ مِّنَ الْخَصَائِلِ الْخَبِيْثَاتِ، وَنَقُّوْا أَبْدَانَكُمْ مِّنَ السَّيِّئَاتِ، وَحَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَشَايَا وَالْغَدَوَاتِ، فَمَنْ حَاسَبَ نَفْسَه قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ نَجَا مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْحَسَرَاتِ، وَمَا أَدْرَاكُمْ مَّا يَوْمُ الْحَسَرَاتِ، يَوْمٌ تَسْكُبُ فِيْهِ الْعَبَرَاتِ، وَتَتَزَلْزَلُ أَقْدَامُ مَنْ فِي الأَرْضِ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَيَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرُّؤُوْسِ، وَيُحِيْطُ بِهِمِ الْعَرْقُ مِنَ الأَقْدَامِ إِلَى الرُّؤُوْسِ، فَمِنْ مُّسْتَغْرِقٍ فِيْهِ مِنَ الْقَدَمِ إِلَى الْخَاصِرَةِ، وَمِنْ مُّسْتَغْرِقٍ فِيْهِ مِنَ الْقَدَمِ إِلَى التَّرْقُوَةِ، وَمِنْ مُّسْتَغْرِقٍ فِيْهِ بِجَمِيْعِ الأَعْضَاءِ، فَتَخْتَلُّ حَوَاسُّهُ الْمُدْرِكَاتُ، يَوْمٌ يَّشْتَدُّ عَلَى الْكُفَّارِ، إلى أَنَّ يَقُوْلُوْا: رَبِّ أَرِحْنَا وَلَوْ إِلَى النَّارِ، وَتَتَحَيَّرُ فِيْهِ قُلُوْبُ الأَبْرَارِ، لا تَسْمَعُ فِيْهِ مِنْ نَّبِيٍّ وَّلا مِنْ رَّسُوْلٍ إلا نَفْسِيْ نَفْسِيْ إلا نَبِيَّنَا صَاحِبَ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ، فَإِنَّه يَقُوْلُ: أُمَّتِيْ أُمَّتِيْ، وَيَسْتَشْفِعُ لِلْمُجْرِمِيْنَ وَالْعُصَاةِ.

فَطُوْبى لِمَنِ اتَّبَعَ مِلَّتَه وَاتَّبَعَ سُنَّتَه، وَلَزِمَ طَرِيْقَتَه، وَمَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَدَخَلَ فِيْ شَفَاعَتِه ﷺ وَحَصَلَتْ لَهُ النَّجَاةُ مِنَ الْمُوْبِقَاتِ.

وَاعْلَمُوْا أَنَّ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ وَأَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ، فَطُوْبى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِه، وَمِنْ حَيَاتِه لِلْمَمَاتِ، زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَاتِ، فَمَنِ اغْتَرَّ بِزِيْنَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاتَّبَعَ الْهَوى وَنَسِيَ مَا أَمَرَه بِه رَبُّه، وَنَهى وَقَعَ فِيْ حُفْرَةِ الضَّلالاتِ.

أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ الدُّنْيَا غَدَّارَةٌ مَكَّارَةٌ مَلْعُوْنٌ مَا فِيْهَا إلا ذِكْرُ اللهِ وَمَا يُمَاثِلُه مِنَ الطَّاعَاتِ، أَمَا تَنْظُرُوْنَ إلى ذَهَابِ النَّاسِ مِنْهَا فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، وَابْتِلاءِهِمْ بِالْمَصَائِبِ مَوْجًا بَعْدَ مَوْجٍ، لا يَنْفَعُهُمْ مَالٌ وَلا قَرَابَةٌ وَلا بَنُوْنَ وَلا بَنَاتٌ، يَذْهَبُ مَعَهُمْ إلى مَضَاجِعِهِمْ ثَلاثَةٌ: اَلْمَالُ وَالأَقَارِبُ وَالأَعْمَالُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقى مَعَه وَاحِدٌ وَهُوَ الأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ أَوِ السَّيِّئَاتُ.

فَتَزَوَّدُوْا لِمَا سَيَعْرِضُ لَكُمْ مِنْ سَفَرِ الآخِرَةِ، وَأَعِدُّوْا لَكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِمَّا يَبْقى مَعَكُمْ عِنْدَ السَّكَرَاتِ، وَأَكْثِرُوْا مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالدُّعَاءِ مِنْهُ وَالتَّضَرُّعِ إلَيْهِ، فَإِنَّه مُجِيْبٌ لِلدَّعْوَاتِ، وَقُوْلُوْا بَاسِطِيْ أَكُفِّ السُّؤَالِ إلى حَضْرَتِه.

اَللّهُمَّ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ! يَا بَدِيْعَ السَّموَاتِ! اغْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا وَأَصْلِحْ حَالَنَا، وَطَهِّرْ بَالَنَا، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْحَشْرِ وَالْحَسَرَاتِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من شوّال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيْمِ، اَلرَّءُوْفِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ، اَلَّذِي مَنَّ عَلَيْنا وَفَضَّلَنا بِالْفَضْلِ الْعَظِيْمِ، أَحْمَدُه حَمْدًا كَثِيْرًا عَلَى لُطْفِهِ الْعَمِيْمِ، وَأَشْكُرُه شُكْرًا كَبِيْرًا عَلى إِحْسَانِهِ الْقَدِيْمِ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه فِيْ مُلْكِه، وَلا نِدَّ لَه فِيْ مِلْكِه، وَلا مَثِيْلَ لَه فِي الْحَوْلِ الْعَظِيْمِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيْمِ وَالْفَضْلِ الْجَسِيْمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلى يَوْمِ النَّعِيْمِ.

وَبَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الأَكْيَاسُ! مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، تَنَبَّهُوْا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ، وَلازِمُوْا بَدَالَ النَّوْمِ الْيَقظَةَ، وَتَفَكَّرُوْا فِيْمَا مَضى عَلَيْكُمْ وَمَا يَمْضِي، وَتَذَكَّرُوْا مَا سَبَقَكُمْ وَمَا يَأْتِيْ، وَاجْتَهِدُوْا فِي الْعِبَادَةِ، طَلَبًا لِّلْحُسْنى وَالزِّيَادَةِ.

فَطُوْبى لِمَنْ جَاهَدَ نَفْسَه فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِه، وَاجْتَهَدَ فِيْ مَرْضَاتِ اللهِ بِغَايَةِ اجْتِهَادِه، وَتَذَكَّرَ مَا مَضى وَمَا يَأْتِيْ، وَتَبَصَّرَ فِيْمَا أَتى وَمَا يَمْضِي، فَمَنْ كَانَ أَهْلا لِّلسَّعَادَةِ، فَسَنُيَسِّرُه لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ.

وَعَلَيْكُمْ بِتَجَنُّبِ الاخْتِرَاعِ، وَالتَّحَرُّزِ عَنِ الابْتِدَاعِ، فَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَّعِصْيَانُ الْمَوْلى، وَكُلُّ ضَلالَةٍ تَهْوِيْ بِصَاحِبِهَا إِلى شَرِّ الْمَأْوى.

وَعَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ أَرْكَانِ الإِسْلامِ، فَإِنَّهَا عُمُدُ الإِسْلامِ، مَنْ أَتى بِهَا بِحُقُوْقِهَا وَحُدُوْدِهَا نَالَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ فِيْهَا مَالَ إِلى شَرِّ الْجَزَاءِ.

وَعَلَيْكُمْ بِتَصْفِيَةِ النَّفْسِ مِنَ الصِّفَاتِ الْمُهْلِكَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالشُّحِّ وَالْكِبْرِ

وَالْبغْضَة، فَإنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِالسَّيِّئَاتِ، وَمُنْهَمِكَةٌ فِي الْمُهْلِكَاتِ، فَمَنْ حَبُثَتْ نَفْسُه قَبُحَتْ أفْعَالُه، وَسَاءَ مَصِيْرُه وَفَسَدَ مَآلُه، وَأكْثِرُوْا مِنْ ذِكْرِ الله فِي كُلِّ صُبْحٍ وَّمسَاءٍ، فَذِكْرُهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، بِه يَنْجُو الْمَرْءُ مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ دَهْيَاءَ، وَآفَةٍ عَمْيَاءُ، وَهُوَ الَّذِيْ يُنجِّي الشَّيْطَانَ عَنِ الإنْسَانِ، وَيُقَرِّبُ الذَّاكِرَ إلَى الرَّحْمَنِ، جَعَلَنَا الله وَإيَّاكُمْ مِّمَّنْ تَابَ وَأنَابَ، وحَفِظَنَا الله وَإيَّاكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْمُنَاقَشَةِ وَسُوْءِ الْحِسَابِ، وَوَفَّقَنَا الله وَإيَّاكُمْ لِلْجُهْدِ فِي الْعِبَادَةِ، وَذِكْرِ رَبِّ الأرْبَابِ، وَقُوْلُوْا مِنْ خُلُوْصِ الْجَنَانِ.

اَللّهُمَّ يَا مَنَّانُ يَا رَحْمَنُ! نَحْنُ عِبَادُكَ الْعُصَاةُ الْبُغَاةُ الْعُتَاةُ، فَارْحَمْنَا وَاغْفِرْ لَنَا يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْهِبَاتِ يَا مُجِيْبَ الدَّعَوَاتِ وَرَافِعَ الدَّرَجَاتِ.

أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى من ذى القعدة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِىْ أَحَاطَ عِلْمُه بِكُلِّ ذَرَّةٍ، لا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، سُبْحَانَه مَا أَعْظَمَ شَأْنَه وَأَعَزَّ مَكَانَه، أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، تَفَرَّدَ بِوَحْدَانِيَّتِه، وَتَوَحَّدَ بِصَمَدِيَّتِه لا ضِدَّ لَه وَلا نِدَّ له، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ذُو الْفَضْلِ وَالْعِزَّةِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلاةً بَاقِيَةً بِبِقَاءِ الْمُدَّةِ.

أَمَّا بَعْدُ: إِخْوَانِىْ وَخُلانِىْ مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنَّةِ! تَذَكَّرُوْا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ مِّنْ حِيْنِ كُنْتُمْ فِى الأَرْحَامِ أَجِنَّةٌ، فَأَلْبَسَكُمْ لِبَاسَ الْوُجُوْدِ، وَخَلَعَ عَلَيْكُمْ خِلْعَةَ الْقُدْرَةِ، وَرَبَّاكُمْ مِّنْ عَهْدِ صِبَاكُمْ، وَأَفَاضَ عَلَيْكُمْ سِجَالَ الْمِنَّةِ، وَأَدَارَ عَلَيْكُمُ السِّنِيْنَ وَالشُّهُوْرَ، وَخَصَّ بَعْضَهَا بِالْقَدْرِ وَالْعِزَّةِ، مِنَّةً عَلَيْكُمْ لِتُقْبَلَ طَاعَاتُكُمْ، وَتُجَابَ دَعَوَاتُكُمْ، وَتُكَمَّلَ عِبَادَاتُكُمْ، فَتَفُوْزُوْا بِدَارِ السَّلامِ وَالْجَنَّةِ، أَلا قَدْ مَضى شَهْرُ شَوَّالٍ، أَوَّلُ أَشْهُرِ حَجِّ كَعْبَةِ الرَّبِّ الْمُتَعَالِ، وَأَظَلَّكُمْ ذُو الْقَعْدَةِ، أَوَّلُ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ الْمُتَوَالِيَةِ، وَهِىَ رَجَبُ الْفَرْدُ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ذُو الْفَضْلِ وَالرُّتْبَةِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذِىْ اعْتَمَرَ فِيْهِ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَقْبِلُوْهُ بِالاِحْتِرَامِ، وَتَجَنَّبُوْا فِيْهِ الآثَامَ، وَجَاهِدُوْا فِىْ طَاعَةِ الْمَوْلَى الْمِنْعَامِ، لِيَكُوْنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدَّةً، وَتَحْصُلَ لَكُمُ النَّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ وَالشِّدَّةِ، فِىْ يَوْمٍ عَبُوْسٍ قَمْطَرِيْرٍ طَوِيْلِ الْمُدَّةِ، فَمَنِ اجْتَهَدَ فِىْ هذَا الشَّهْرِ فِى الْعِبَادَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ، وَاجْتَنَبَ السَّيِّئَاتِ وَالْخَطِيْئَاتِ، فَازَ بِأَعْلَى الدَّرَجَةِ وَأَبْهى

الرُّتْبَةِ، وَمَنْ تكاسَلَ فيْهِ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَانْهَمَكَ فِيْ قَضَاءِ الشَّهوَاتِ، نَالَ الْحَسْرَةَ وَالشِّدَّةَ.

بِاللهِ عَلَيْكُمْ لا تُضَيِّعُوْا أعْمَارَكُمْ وَلا تُبْطِلُوْا أعْمَالَكُمْ، فَإنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَلا إلى أمْوَالِكُمْ، وَإنَّمَا يَنْظُرُ إلى أعْمَالِكُمْ وَأفْعَالِكُمْ، فَيَتَقَبَّلُ مِنْهَا مَا كَانَ لَه، ويَرُدُّ مَا كَانَ لِغَيْرِه، وَدَخَلَ فِيْهِ الرِّيَاءُ وَالسُّمْعَةُ، ألا إنَّ بَقَاءَ الدُّنْيَا لَيْسَ له قَرَارٌ وَلا لَه اِعْتِبَارٌ، وَإنْ طَالَ الْعُمُرُ وَالْمُدَّةُ، ألا إنَّ أحْسَنَكُمْ أطْوَلُكُمْ أعْمَاراً، وَأحْسَنُكُمْ أعْمَالا، وَأشْقَاكُمْ أطْوَلُكُمْ أعْمَاراً وَأخْبَثُكُمْ أفْعَالا، وَهُوَ الَّذِيْ يُنَاقَشُ فِي الْحِسَابِ، وَيُلْقَى فِي أصْنَافِ الألَمِ وَالشِّدَّةِ.

اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمَنُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا اللُّطْفِ وَالْعِزَّةِ! اِغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا، وَنَجِّنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَذِلَّةٍ، وَتَقَبَّلْ عِبَادَاتِنَا، وَاجْعَلْهَا لِلِقَاءِكَ عُدَّةً، آمِيْنَ، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْعَظِيْمِ.

أعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِيْنَ كَأنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيْدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أنْ يُّؤْتى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً كَلا بَلْ لا يَخَافُوْنَ الآخِرَةَ كَلا إنَّه تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَه﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من ذى القعدة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ لَكَ يا خالقَ الأَرْضِ وَالْفلَك، جاعلَ الإنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلكِ، أحْمدُكَ حمدا كثيرا وأشكُرُكَ شكرا جميلا على أن حَسَّنْتَ خلْقَنَا وَخُلُقَنَا، وجَعلْتَنا مِنَ أفْضلِ مخْلُوْقاتِكَ، ودَبَّرْتَ الأمْرَ مِنَ الأرْضِ إلَى الْفَلَكِ.

أشْهَدُ أنَّكَ لا إلهَ إلا أنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ، وَلا ضِدَّ وَلا نِدَّ وَلا عَدِيْلَ وَلا مَثِيْلَ لَكَ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ سَيِّدُ مَنِ اصْطَفَيْتَه لَكَ، اَلْمُنَادَى بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْمَقَالِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوْقٍ فِي الْمَاضِيْ وَالْمُسْتَقْبلِ وَالْحَالِ قَدْ عَظَّمَكَ اللهُ تَعَالى وَبَجَّلَكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَّا طَارَ الطَّائِرُ وَسَارَ السَّائِرُ وَدَارَ الْفَلَكُ.

أمَّا بعْدُ: فَيَا أيُّها الإنْسَانُ! تذَكَّرِ النِّعَمَ الْفَائِضَةَ عَلَيْكَ مِمَّنْ خَلَقَكَ وَعَدَلَكَ، حَيْثُ أخْرَجَكَ مِنَ الْعدَمِ إلَى الْوُجُوْدِ، وأمْطَرَ عَلَيْكَ قَطَرَاتِ اللُّطْفِ وَالْجُوْدِ، وَفَضَّلَكَ على كُلِّ مَخْلُوْقٍ حَتّى الْجِنِّ وَالْمَلَكِ، فَلا تُضَيِّعْ أوْقَاتَكَ النَّفِيْسَةَ فِي ارْتِكَابِ الأعْمَالِ الْخَبِيْثَةِ.

وَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيْلِ مَرْضَاةِ مَنْ رَبَّاكَ وَسَجَّلَكَ، وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَبِّكَ صَبَاحًا وَّمَسَاءً، فَإنَّ ذِكْرَ اللهِ شِفَاءٌ مِّنْ كُلِّ دَاءٍ، وَهُوَ الْمُنْجِيْ مِنْ كُلِّ مُصِيْبَةٍ وَّحَلَكَ، وَلازِمْ تَقْوَى اللهِ وَإطَاعَتَه فِي جَمِيْعِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، فَإنَّه هُوَ لَكَ، وَتجَنَّبِ الْمُهْلِكَاتِ الدَّنِيَّةِ، وَالْمُسْقِطَاتِ الرَّدِيَّةِ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّنَافُسِ، وَسَائِرِ الآفَاتِ اللِّسَانِيَةِ وَالْقَلْبِيَّةِ، فَإنَّهَا تُوْصِلُ الْمَرْءَ إلى دَارِ الْحَلْكِ، وَرَاقِبْ مَوْلاكَ فِيْ كُلِّ آنٍ، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ، فَإنَّ عَنْ شِمَالِكَ

وَيَمِيْنِكَ مَلَكًا يَكْتُبُ مَا تَفْعَلُ وَمَا تَقُوْلُ، ويُرَاقِبُكَ فِيْ كُلِّ مَا تَجُوْلُ فِيْهِ وتَعُوْلُ، وَيُثْبِتُ فِيْ دَفْتَرِهِ كُلَّ مَا هُوَ عَلَيْكَ وَمَا هُوَ لَكَ.

وَادْعُ اللهَ بِخُلُوْصِ الطَّوِيَّةِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ قَائِلا يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ، يَا مَنَّانُ يَا حَنَّانُ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَ الثَّرى وَمَا فَوْقَ الْفَلَكِ! اغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا، وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا، وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّه وَتَرْضَاهُ، وَلا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ هَلَكَ، آمِيْنَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ.

أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ الَّذِيْ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِيْ أيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من ذى القعدة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْحَلِيْمِ الْمَنَّانِ، اَلْكَرِيْمِ الدَّيَّانِ، حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيْهِ وَمُبارَكًا عَلَيْه كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضى رَبُّنَا الرَّحْمَنُ.

أشْهَدُ أَنَّهُ لا إلهَ إلا هوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَه كُلَّ يومٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَأشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالْحُجَجِ السَّاطِعَةِ وَالْبَراهِيْنِ الْقَاطِعَةِ وَتَنْزِيْلِ الْفُرْقَانِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا دَارَ النَّيِّرَانَ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الإخْوَانُ مِنَ الإنْسِ وَالْجَانِّ! تَذَكَّرُوْا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ فِي كُلِّ آنٍ، وَاشْكُرُوْهُ شُكْرًا بِصِدْقِ اللِّسَانِ وَخُلُوْصِ الْجَنَانِ وَإخْلاصِ الأرْكَانِ، وَاذْكُرُوْهُ وَسَبِّحُوْهُ وَمَجِّدُوْهُ وَهَلِّلُوْهُ، فَإنَّ ذِكْرَه شِفَاءٌ مِّنْ كُلِّ طُغْيَانٍ، وَحَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوَاتِ مَعَ الْجَمَاعَاتِ، فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلاةَ حُشِرَ مَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وَلازِمُوْا أَدَاءَ سَائِرِ عُمُدِ الإيْمَانِ.

فَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ أَهْلِ الْكُفْرَانِ، وَعَلَيْكُمْ بِاجْتِنَابِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالسَّبِّ وَالْبُهْتَانِ، وَالْحَسَدِ وَالْبُغْضِ وَالتَّدابُرِ، وَسَائِرِ آفَاتِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَإنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَتَيْنِ إذَا صَلُحَتَا صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّه، وَإذَا فَسَدَتَا فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه ألا وَهُمَا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ.

وَلا تَكْفُرُوْا بِنِعَمِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ، فَإنَّ لَه نِعَمًا لا تُعَدُّ وَلا تُحَاطُ بِهَا، وَهُوَ ذُو اللُّطْفِ الْقَدِيْمِ وَالإحْسَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

يَا أَيُّهَا الثَّقَلانُ! تَفَكَّرُوْا فِيْمَا سَيَمُرُّ عَلَيْكُمْ فِي الْبَرْزَخِ وَالْمَحْشَرِ مِنْ شَدَائِدِ الأهْوَالِ الَّتِي تَضْطَرِبُ فِيْهَا قُلُوْبُ أَهْلِ الْعِرْفَانِ، كَيْفَ بِكُمْ إذَا أَحَاطَتْ بِكُمْ

سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَشَدَائِدُ الْفَوْتِ، وَحَضَرَتْكُمْ مَّلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُوْنَ اللهَ فِيْمَا أَمَرَهُمْ، وَلا يَرْحَمُوْنَ أَرْبَابَ الْخُسْرَانِ.

كَيْفَ بِكُمْ إِذَا وَلّى عَنْكُمُ الأَحْبَابُ وَالأَصْحَابُ وَالأَقْرَانُ، وَتَرَكُوْكُمْ مُّتَحَسِّرِيْنَ مُنْفَرِدِيْنَ فِي بَيْتِ الْوَحْشَةِ وَالدِّيْدَانِ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا حَضَرَكُمْ مَّلَكَانِ فَظَّانِ غَلِيْظَانِ، فَيَسْأَلانِ عَنْ رَّبِّكُمْ، وَعَنْ دِيْنِكُمْ، وَعَنْ عَقِيْدَتِكُمْ فِي نَبِيِّكُمْ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ بِالصَّوَابِ نِلْتُمُ الْمَسَرَّةَ الَّتِيْ لا تَزُوْلُ وَإِنْ تَزَلْزَلْتُمْ فِي الْجَوَابِ وَقَعْتُمْ فِي نُقْصَانٍ.

كَيْفَ بِكُمْ إِذَا حَضَرْتُمْ حَضْرَةَ رَبِّكُمُ الرَّحْمَنِ، وَنُوْدِيْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، فَانْفُذُوْا لا تَنْفُذُوْنَ إِلا بِسُلْطَانٍ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نُوْقِشْتُمْ فِي الْحِسَابِ، وَحُوْسِبْتُمْ بِكُلِّ نَقِيْرٍ وَقِطْمِيْرٍ حَسْبَمَا هُوَ مُثْبَتٌ فِي الْكِتَابِ، وَشَهِدَتْ عَلَيْكُمْ أَعْضَاءُكُمْ وَالأَرْكَانُ، بِمَا عَلِمْتُمْ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ.

اَللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ وَاعْبُدُوْهُ وَلا تُلْقُوْا بِأَيْدِيْكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَالْخُسْرَانِ، وَارْحَمُوْا نُفُوْسَكُمْ وَرَاقِبُوْا قُلُوْبَكُمْ، وَلا تُهْلِكُوْا أَعْضَاءَكُمْ بِالْعِصْيَانِ، فَمَنْ يَّتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّه مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَيُنَجِّيْهِ مِنْ دَرَكَاتِ النِّيْرَانِ.

وَقُوْلُوْا بِخُلُوْصِ الْجَنَانِ، اَللّٰهُمَّ يَا كَرِيْمُ يَا رَحْمٰنُ، يَا حَلِيْمُ يَا مَنَّانُ! اِرْحَمْنَا وَاعْفُ عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا، وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالإِيْمَانِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من ذى القعدة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ لله الَّذِيْ خَلَقَنَا، وَدَبَّرَ أمْرَنَا، وجَعَلَنَا مِنْ أفْضَلِ الْمَخْلُوْقَات، أحْمدُه حَمْدًا كَثِيْرا، وَأشْكُرُه شُكْرا كبيْرا عَلى نِعَمِه الْفائِضات.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَلا مَثِيْلَ لَه فِيْ تَدابِيْرِ الأرْضِ وَالسَّموَاتِ، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَّا دَارَتِ الْكَوَاكِبُ السَّابِحَات.

أمَّا بَعْدُ: فَيَا أيُّهَا النَّاسُ! اعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَوَحِّدُوْهُ، فَإنَّ التَّوْحِيْدَ رَأسُ الطَّاعَاتِ، وَلا تُشْرِكُوْا بِه شَيْئًا، فَإنَّ الشِّرْكَ مِنْ أعْظَمِ الْبَلِيَّات، وَاجْتَنِبُوْا السُّمْعَةَ وَالرِّيَاءَ، فَإنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ خَفِيّ، وَهُوَ مُبْطِلٌ للأعْمَالِ الصَّالِحَات.

وَعلَيْكُمْ بِإقَامَةِ الأرْكَانِ وحِفْظِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ مِنَ الذُّنُوْبِ الْمُهْلِكَات، وَإيَّاكُمْ ثُمَّ إيَّاكُمْ مِّنِ ارْتِكَابِ الْبِدْعَاتِ، فَإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ تَهْوِيْ بِصَاحِبِهَا إلى أسْفَلِ الدَّرَكَاتِ، وَالْعَمَلُ الْقَلِيْلُ فِيْ سُنَّةٍ خَيْرٌ مِّنْ عَمَلٍ كَثِيْرٍ فِيْ بِدْعَةٍ، فَإنَّ الْبِدْعَةَ تُهْلِكُ صَاحِبَهَا وَتُوقِعُه فِي الْحَسَرَات.

وَعَلَيْكُمْ بِإحْيَاءِ السُّنَنِ الْمَرْضِيَّةِ، وَإجْرَاءِ الطُّرُقِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ غَيْرِ خَوْفِ لَوْمَةِ اللائِمَات، وَتَذَكَّرُوْا يَوْمًا ثَقِيْلا تَنْشَقُّ فِيْه السَّموَاتُ، وَتَسَاقُطُ الْكَوَاكِبُ النَّيِّرَاتُ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ وَالسَّموَاتِ، وَبَرَزُوْا فِيْه لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ذِي الآلاءِ وَالنَّعْمَاءِ السَّائِلاتِ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ فِيْه مِنْ أخِيْه وَأمِّه وَأبِيْه وَصَاحِبَتِه وَبَنِيْهِ وَالْبَنَاتِ، يَوْمٌ يُّحَاسَبُ فِيْهِ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ مِنَ الأعْمَالِ الْخَبِيْثَة

وَالصَّالِحَات، فَمَا أعْدَدتُّمُ الْجَوَابَ، إذَا حَضَرَ عِنْدَكُمُ الْكِتَابُ، وَسُئِلْتُمْ عَنْ عُمْرِكُمْ فِيْمَا أفْنَيْتُمْ، وَعَنْ مَّالِكُمْ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبْتُمْ، وَفِيْ أيِّ وَجْهٍ صَرَفْتُمْ، وَعَنْ جَمِيْعِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَات.

اَللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا اللهَ، وَحَاسِبُوْا نُفُوْسَكُمْ قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوْا فِي الْعَرَصَاتِ، وَمُوْتُوْا قَبْلَ أنْ تَمُوْتُوْا لِتَنَالُوا الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْقَلْبِ بَاسِطِيْنَ أكُفَّ السُّؤَالِ إلى مُجِيْبِ الدَّعَوَاتِ.

اَللّهُمَّ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا رَفِيْعَ الدَّرَجَاتِ، يَا دَافِعَ الْبَلِيَّاتِ يَا كَاشِفَ الْمَكْرُوْبَاتِ، يَا مُجِيْبَ الْمُضْطَرِّ إذَا دَعَاهُ وَمُنْجِيَه مِنَ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ وَالْمُهْلِكَاتِ! اغْفِرْ لَنَا السَّيِّئَاتِ وَتَحَمَّلْ عَنَّا التَّبِعَاتِ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا الْعِبَادَاتِ، وَارْفَعْ لَنَا الدَّرَجَاتِ، وَاكْتُبْ لَنَا بَرَاءَةً مِّنَ الدَّرَكَاتِ، وَارْزُقْنَا النَّظَرَ إلى وَجْهِكَ الْكَرِيْمِ فِي الْجَنَّاتِ الْعَالِيَةِ.

أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من ذى القعدة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي تَنَزَّهَتْ ذَاتُه عَنْ مُشَابَهَةِ الأَمْثَالِ، وَإِلَيْهِ عُقُوْلُهُم تَهْرُبُ، لا إلهَ إلا هُوَ لا شَيْءَ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ مِنْ قُلُوْبِ الْعُرَفَاءِ لا يُحْجَبُ

نَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا، هُوَ مِنْ جَمِيْعِ الْمَحَامِدِ أَطْيَبُ، وَنَشْكُرُه مَحْفُوْفًا بِصُنُوْفِ الأَدَبِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا شَرِيْكَ لَه، ولا نِدَّ لَه وَهُوَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ أَقْرَبُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ خَتَمَ بِهِ النُّبُوَّةَ، وَعَرَجَ بِهِ إلى السَّمٰوَاتِ وَعَلَى الْبُرَاقِ رَكِبَ.

أَمَّا بَعْدُ: يَا مَنْ يُطِيْعُ اللهَ وَرَسُوْلَه أَطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَه فِيْ مَا أَمَرَكَ بِه، وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ تَجَنَّبَ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُه يَطَّلِعُ عَلى مَا تَفْعَلُه لا تَخْفى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلا تُسْتَرُ عَنْهُ جِنَايَةُ جَانِيْهِ، وَهُوَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ أَقْرَبُ. أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ عَلَيْكَ حَفَظَةً لا يَذَرُوْنَكَ لَحْظَةً وَلا يَغْفَلُوْنَ لَمْحَةً وَكُلُّ ذٰلِكَ يُكْتَبُ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ دَوَامٍ كُلُّ مَنْ يَأْتِيْ فِيْهِ يَذْهَبُ، دَارُ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ، دَارُ الأَكْدَارِ وَالْحَزَنِ، دَارُ الْمَكْرِ وَالْغَرَرِ، دَارُ الْهَمِّ وَالضَّرَرِ، دَارُ لا بَقَاءَ لَهَا، بَلْ هُوَ كَنَسْجِ الْعَنْكَبُوْتِ مَا فِيْهِ الْعَقْرَبُ، فَإِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ تَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا وَتَدُوْمُ، فَهُوَ ظَنٌّ فَاسِدٌ مَذْمُوْمٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّه لا يَطَّلِعُ عَلى مَا تَكْسِبُهُ الرَّبُّ الْمَعْبُوْدُ، فَهُوَ ظَنٌّ كَاسِدٌ مَرْدُوْدٌ.

فَمَا هذه الْجُرْأَةُ عَلى مُخَالَفَةِ الْمَوْلى؟ اَلْعَجَبُ مِنْكَ كُلَّ الْعَجَبِ، تُخَالِفُ مَوْلاكَ الَّذِيْ رَبَّاكَ وَتُقِرُّ بِأَنَّه الرَّبُّ، أَفَهٰذَا شَأْنُ الْعَبْدِ مَعَ مَوْلاهُ، كَلا اَلْعَبْدُ مَنْ أَطَاعَ مَوْلاهُ، وَتَرَكَ مُتَابَعَةَ هَوَاهُ، وَهَاجَرَ مَنْ عَادَاهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ وَاجْتَنَبَ.

أُوْصِيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، فَمَنِ اتَّقَاهُ حَقَّ تُقَاتِه لا يَكُوْنُ الأَمْرُ عَلَيْهِ أَصْعَبُ، وَأَلْزِمْ عَلَيْكَ أَنْ لا تَكُنْ حَمَّالَ الْحَطَبِ، فَإِنَّ مَنْ أَفْسَدَ بَيْنَ الإِخْوَةِ سَيَصْلى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، لا يُغْنِيْ عَنْهُ مَالُه وَمَا كَسَبَ، وَلا تَتْرُكِ الصَّلَوَاتِ مَعَ الْجَمَاعَاتِ، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كَانَتْ لَه نُوْرًا وَبُرْهَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ

عَلَيهِنَّ حُشِرَ مع فِرْعَونَ وهامانَ وقَارُونَ، فالأمرُ عَلَيه أصْعَبُ.

وَلا تغْتَبْ أحدًا مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَلا تكْذِبْ على أحدٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، فَمَنْ فَعلَ ذلِكَ نُوقِشَ يومَ الحِسَابِ، وهَلَكَ ووقعَ فِي النُّصُبِ، وإنْ صدرَ منْكَ ذَنْبٌ، فَعجِّلْ بالاسْتغْفَارِ والنَّدامَةِ بحُضُوْرِ الْقلْبِ ودوامِ التَّوْبةِ وطَلَبِ المغْفرةِ، وإنْ كانَ ذلِكَ صَغيْرًا، فقدْ قالَ النَّبيُّ صلّى اللهُ علَيْه وعلى آله وسلّم: «طُوبى لمن وجدَ في صَحيْفَته استغْفارا كثيْرا». ولا تُسوِّفْ في التوْبَة، فمَا أدراكَ أنْ يسْرع بك هَازِمُ اللَّذّاتِ، مُفرِّقُ الْجمعِ والْجماعاتِ، فوقعْت في حسرات لا يُرجى خلاصُها وهمٍّ وغَمٍّ وتَعَبٍ، وإنِّي أخوِّفُكَ مِن يومِ السَّاعةِ، شَديْدِ الأهوالِ والْمُناقشَةِ، يومَ تَشهدُ فِيهِ علَيْكَ أعضاءُكَ، ويُخاصِمُ معَكَ أصْحابُكَ، ويُعارِضُكَ أقْرانُكَ الأقْرَبُ فالأقْرَبُ. ولا تَظُنُّنْ بعْدَ ذلِكَ الْيومِ، فَقدِ انْتَشرَتْ علامَاتُ السَّاعَةِ فِي الآفَاقِ، وقَرُبَ قِيامُ الْقِيامَةِ واقْتربَ، صَارَ الْمغْنمُ دُوْلا، والأمَانَةُ مغْنمًا، والزَّكَاةُ مَغْرمًا، وأطَاعَ الرَّجُلُ زَوجَتَه وجفَا أباهُ، وشُرِبَتِ الْخُمُوْرُ، وانْتَشرَ سماعُ الْقِيانِ مَعَ الْمَعازِفِ، واتَّخذَ النَّاسُ جُهَّالَهُمْ فُقَهاءَ، وقُبِضَ الْعِلْمُ بِموْتِ الْعُلَماءِ، واعْتُقِدَتِ الْبِدْعَةُ سُنَّةً، والسُّنَّةُ بِدْعَةً، ولَعَنَ الأواخِرُ الأوائِلَ، وكَثُرَتِ الْحَوادِثُ والْوقَائِعُ والْفِتَنُ والزَّلازِلُ، وتَحابَّ النَّاسُ بالألْسُنِ، وتَباغَضُوا بِالْقُلُوْبِ، وارْتفعَ الصِّدْقُ وكَثُرَ الْكذُوْبُ. فَهلْ بَقِيَ شيْءٌ مِّنْ علامَاتِ السَّاعَةِ إلا الدَّاهِيَةُ الْعُظْمى ذَاتُ الدَّهْشَةِ والْعطَبِ، فَعسى أنْ يُفَاجِئَكَ خُرُوْجُ الإمَامِ الْمَهْدِيِّ، ويَتْلُوْهُ الدَّجَّالُ الأعْورُ الأكْذَبُ. مَا هذه الْغفْلَةُ؟ ومَا هذه الْجُرْأَةُ؟ أأنْتَ مِنَ الْبَهائِمِ أمْ أنْتَ نَائِمٌ؟ هذَا لأمْرٌ عجِبٌ، اسْمَعِ الْكلامَ لا كمَا تَسْمَعُ سائِرَ الْكَلامِ، وأصْغِ إلَيْه سَمْعَكَ بالْقَلْبِ الشَّهِيْدِ، لَعلَّ اللهَ يَنْفَعُكَ به، ويَجْعَلُكَ يومَ الأهْوَالِ فِي الْمَسرَّةِ والطَّرَبِ. اَللّهُمَّ يا مَنْ هُوَ حَيٌّ لا يمُوْتُ، قَدِيْمٌ لا يَفُوْتُ، نَحْنُ عَبِيْدُكَ وأنْتَ موْلانَا عَمِلْنَا سُوْءً وَّظَلَمْنَا، فَارْحَمْنَا يوْمَ الْقِيامَةِ، ونَجِّنَا مِنَ النَّارِ ذَاتِ اللَّهَبِ، والْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الْكَرِيْمِ. أعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ:

﴿ولَقَدْ خلَقْنَا الإنْسَانَ ونَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِه نَفْسُه ونَحْنُ أقْرَبُ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الأولى لذى الحجّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أخرَجَنَا إِلَى النُّوْرِ مِنَ الظُّلُمَاتِ، وَجَعَلَنَا مُسْتَحِقِّيْنَ لِلْجَنَّاتِ، عَفُوٌّ غَفُوْرٌ يَعْفُوْ عَنِ السَّيِّئَاتِ، حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ يَعْلَمُ بِاخْتِلاجِ الْجَنِيْنِ فِيْ بُطُوْنِ الأَمَّهَاتِ. أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه خَلَقَ الأَرْضَ، وَصَيَّرَهَا سَبْعَ طَبَقَاتٍ، وَخَلَقَ فِيْ كُلِّ أَرْضٍ خَلْقًا لا يَعْلَمُه إلا هُوَ، وَرَفَعَ السَّمٰوَاتِ. وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ بُعِثَ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ وَالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فَمَنْ أَطَاعَه وَلازَمَ سُنَّتَه فَازَ بِالدَّرَجَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ أَظَلَّتْكُمْ هذهِ الأَيَّامُ أَيَّامُ الْفَضْلِ وَالاِحْتِرَامِ، أَيَّامُ الْحَجِّ وَنَيْلِ السَّعَادَاتِ، اِصْطَفَى اللهُ عِبَادًا، تَرَكُوْا أَوْلادًا وَّأَحْفَادًا، وَأَحْرَقُوْا قُلُوْبًا وَّأَكْبَادًا، وَارْتَحَلُوْا مِنْ مَّدَائِنِهِمْ مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ، فَوَصَلُوْا إِلَى مَكَّةَ، وَطَافُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ، فِيْهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهَامَ، فَغُفِرَتْ ذُنُوْبُهُمْ وَأُجِيْبَتْ لَهُمُ الدَّعَوَاتِ، مَا أَحْسَنَ أَصْوَاتَهُمْ لَبَّيْكَ اَللّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لا شَرِيْكَ لَكَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْهِبَاتِ، فَنَادَاهُمْ مُّنَادٍ قَدْ قُبِلَتْ طَاعَاتُكُمْ، وَحُطَّتْ سَيِّئَاتُكُمْ، وَجُعِلْتُمْ كَيَوْمٍ وَّلَدَتْكُمُ الأُمَّهَاتُ.

فَيَا بُشْرى لَهُمْ رَضِيَ عَنْهُمْ رَبُّهُمْ، وَحُطَّ عَنْهُمْ وِزْرُهُمْ، وَكُتِبَتْ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ، ذَهَبُوْا حَامِلِيْنَ أَوْزَارَهُمْ عَلى ظُهُوْرِهِمْ، وَيَرْجِعُوْنَ فَرِحِيْنَ مُسْتَبْشِرِيْنَ بِالْبِشَارَاتِ، وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ إِخْوَانِي! قَدْ تَخَلَّفْنَا وَلَمْ يَحْصُلْ لَّنَا مَالَهُمْ، وَبَقِيَ عَلَيْنَا مَا عَلَيْنَا، وَفِيْ تَحْصِيْلِ الطَّاعَاتِ تَكَاسَلْنَا، وَعَلى ارْتِكَابِ الْخَطِيْئَاتِ هَجَمْنَا وَحُرِّمْنَا الْعَطِيَّاتِ، فَلا عَلَيْنَا أَنْ نُّضَيِّعَ هذهِ الأَوْقَاتَ الشَّرِيْفَةَ، فَإِنَّ مَا لا يُدْرَكُ كُلُّه لا يُتْرَكُ كُلُّه، فَعَلَيْنَا الاِجْتِهَادُ فِي الْخَيْرَاتِ.

هذهِ الأَيَّامُ الْعَشَرَةُ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ أَيَّامٌ مُّبَارَكَةٌ، مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهِنَّ

أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالى مِنْ هذهِ الأَيَّامِ الْمُتَبَرِّكَةِ.

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ! اتَّقُوا اللهَ تَعَالى فِي الْمُخَالَفَاتِ، هذهِ أَيَّامٌ قَدْ أَقْسَمَ اللهُ بِهَا فِيْ كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَّالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ هَذِهِ أَيَّامُ التَّسْبِيْحِ وَالتَّهْلِيْلِ، هَذِهِ أَيَّامُ الذِّكْرِ وَالتَّبْجِيْلِ، هذهِ أَيَّامُ التَّكْبِيْرِ وَالدَّعَوَاتِ، صُوْمُوْا نَهَارَهَا وَقُوْمُوْا لَيَالِيَهَا، فَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ يَصُوْمُ فِيْهَا، وَعَلَيْكُمْ بِصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ هُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمَ يَقُوْمُ الْحُجَّاجُ فِيْ عَرَفَاتٍ.

وَلازِمُوْا تَكْبِيْرَ التَّشْرِيْقِ مِنْ فَجْرِ عَرَفَةَ إِلى آخِرِ أَيَّامِ النَّحْرِ، فَإِنَّه وَاجِبٌ عَلى كُلِّ مَنْ صَلّى بِالْجَمَاعَةِ الْمُسْتَحَبَّةِ، بِأَنْ تَقُوْلُوْا: اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الْحَمْدُ، وَاشْكُرُوا اللهَ تَعَالى بِأَنْ أَعَادَ عَلَيْكُمْ عَوَائِدَ الإِحْسَانِ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِأَنْوَاعِ التَّفَضُّلاتِ.

تَذَكَّرُوْا كَمْ مِّنْ غَافِلٍ كَانَ مَعَكُمْ فِيْ مِثْلِ هذهِ الأَيَّامِ، فَخَطَفَ بِهِ هَاذِمُ اللَّذَّاتِ، فَكَدَّرَ عَيْشَه وَأَلْحَقَ بِهِ الْحَسْرَةَ وَفَرَّقَ الْجَمَاعَاتِ.

هَلْ مِنْ مُّعْتَبِرٍ يَّعْتَبِرُ، وَهَلْ مِنْ مُّتَفَكِّرٍ يَّتَفَكَّرُ، وَهَلْ مِنْ مُّتَذَكِّرٍ يَّتَذَكَّرُ، وَهَلْ مِنْ مُّتَيَقِّظٍ يَّتَيَقَّظُ مِنَ الْغَفَلاتِ، أَأَنْتُمْ تَظُنُّوْنَ أَنَّكُمْ خَالِدُوْنَ أَمْ تَظُنُّوْنَ أَنَّكُمْ مَّاكِثُوْنَ مَا أَدْرَاكُمْ أَنَّكُمْ فِيْ مِثْلِ هَذَا الْعَامِ مِنَ الأَحْيَاءِ أَمْ مِّنَ الأَمْوَاتِ، فَاغْتَنِمُوا الشَّبَابَ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَالصِّحَّةَ قَبْلَ الْمَرَضِ، وَالْغِنى قَبْلَ الْفَقْرِ، وَالْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَجَاهِدُوْا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِه، وَاجْتَهِدُوْا فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِه، وَسَارِعُوْا إِلَى الْبَرَكَاتِ، وَقُوْلُوْا رَافِعِيْ أَكُفِّ السُّؤَالِ إِلى حَضْرَةِ الْمُتَعَالِ.

اَللّهُمَّ إِنَّ عِبَادَكَ قَدْ وَصَلُوْا إِلى بَلَدِكَ، وَطَافُوْا بَيْتَكَ، وَنَحْنُ قَدْ تَخَلَّفْنَا، وَعَنِ الاجْتِهَادِ تَقَاعَدْنَا، فَلا تُخَيِّبْنَا وَلا تُفَرِّطْنَا، وَأَشْرِكْنَا بِهِمْ فِيْ فَيْضَانِ الْعِنَايَاتِ، وَارْزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ وَزِيَارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَوَاتٍ وَّأَزْكى تَحِيَّاتٍ، وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ. أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّانية من ذى الحجّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ بَسَطَ بِسَاطَ الْفَضْلِ، فَخَلَقَ الأَرْضَ وَأَجْرى عَلَيْكَ الْبِحَارَ، وَسَهَّلَ لِعِبَادِهِ الطَّرِيْقَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ، وَأَعْتَقَهُمْ مِنَ النَّارِ، هُوَ الَّذِيْ دَارَ بِحِكْمَتِهِ الدَّوَّارَ، وَالطَّيْرُ بِصُنْعَتِهِ طَارَ، كَيْفَ أَحْمَدُهُ؟ وَكَيْفَ لا أَحْمَدُهُ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ أَوْلَجَ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَأَوْلَجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، كَيْفَ أَشْكُرُهُ؟ وَكَيْفَ لا أَشْكُرُهُ، خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أَسَاءُوْا بِمَا عَمِلُوْا، وَيَجْزِي الَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا بِالْحُسْنى، وَهُوَ الْغَفُوْرُ الْقَهَّارُ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً تُدْخِلُنَا دَارَ الْقَرَارِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُوْلُه صَاحِبُ الْعِزِّ وَالْوَقَارِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْحَاضِرُوْنَ! قَدْ حُرِمْتُمْ فِيْ هذَا الْعَامِ التَّشَرُّفَ بِحُضُوْرِ حَضْرَةِ الْغَفَّارِ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَه تَعَالى: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً﴾، فَإِنْ كَفَرْتُمْ فَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ الْكُفَّارِ، وَاعْزِمُوْا عَلَى الرَّحِيْلِ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ لَعَلَّ اللهَ يَغْفِرُ لَكُمْ، وَيُجِيْرُكُمْ مِنْ دَرَكَاتِ النَّارِ. طُوْبى ثُمَّ طُوبى لِمَنْ قَطَعَ الْقِفَارَ، وَرَكِبَ السُّفُنَ وَسَارَ فِي الْبِحَارِ، فَبَلَغَ الْبَلَدَ الْحَرَامَ، وَتَفَرَّغَ عِنْدَ مِيزَابِ الرَّحْمَةِ، وَطَافَ الْبَيْتَ وَالأَرْكَانَ وَالأَسْتَارَ، وَخُفِّفَتْ أَثْقَالُه عِنْدَ تَقْبِيْلِ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَهُوَ يَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحُجَّاجِ وَالزُّوَّارِ. وَبُشِّرَ فِيْ مِنًى بِحُصُوْلِ الْمُنى وَقَضَاءِ الأَوْطَارِ، وَوَقَفَ بِعَرَفَاتٍ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَكَبَّرَ وَلَبّى فَحَصَلَ لَهُ الْعِزُّ وَالْفَخَارُ، وَبَاتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، فَاسْتَحَقَّ فَضْلَ ذِى الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَنَالَ حَظّاً مِنَ الافْتِخَارِ، ثُمَّ عَادَ إِلى مِنى، فَنَحَرَ الضَّحَايَا، وَقَرَّبَ الْهَدَايَا، فَنُوْدِيَ بِالأَجْرِ الْجَزِيْلِ، وَالوِقَايَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَوَجَدَ رَاحَةً فَوْقَ رَاحَةٍ عِنْدَ حَلْقِ الرَّأْسِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ. ثُمَّ لَمَّا قَصَدَ الرُّجُوْعَ، وَطَافَ طَوَافَ الْوَدَاعِ مَعَ التَّضَرُّعِ

وَالْخُشُوْعِ، صرَفَ عنَانَ النُّوق بِغَايَةِ الشَّوْقِ وَالذَّوْقِ إلى مَدِيْنَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، وأسْرَعَ فِي السَّيْرِ، فَتشَرَّفَ بزِيارَةِ قَبْرِ سَيِّدِ بَنِي عَدْنَانَ وَمُضَرَ ونِزَارَ، وَصَلَّى وَسَلَّمَ عَلى مَنْ بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ تُرْحَمُ الْكِبَارُ وَالصِّغَارُ، وَأوْجَبَ لِنَفْسِه شَفَاعَةَ سَيِّدِ الأبْرَارِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه وَسَلَّمَ: «مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِيْ فِي حَيَاتِي»، وَوَرَدَ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «مَنْ زَارَ قَبْرِيْ وَجَبَتْ لَه شَفَاعَتِيْ»، وَوَرَدَ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِيْ فَقَدْ جَفَانِيْ».

فَيَا إِخْوَانِيْ وَخُلانِيْ! هذِهِ بِشَارَةٌ قَدْ حَصَلَتْ لإخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالْحُسْنى، وَأَنْتُمْ غَافِلُوْنَ نَائِمُوْنَ حَامِلُو الأوْزَارِ، إلى مَتى هذَا النَّوْمُ وَالرُّقَادُ؟ إلى مَتى هذِهِ الْغَفْلَةُ وَالْفَسَادُ؟ إلى مَتى هذَا التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ، إلى مَتى هذَا الْقُعُوْدُ مَعَ الاسْتِطَاعَاتِ، إلى مَتى هذَا الْجُمُوْدُ وَالْفِرَارُ. عَجَبًا لَكَ يَا مِسْكِيْنُ! كَيفَ تَسْتَأْنِسُ مَعَ السُّفَهَاءِ، وَفِي الْقَبْرِ وَحْشَاتٌ أَنَسِيْتَ سُؤَالَ الْمَلَكَيْنِ الْفَظَّيْنِ الْغَلِيظَيْنِ، وَتَتَابُعَ الْبَلِيَّاتِ فِيْ دَارِ الْقَرَارِ. مَا حَالُكَ؟ إذَا دَخَلْتَ بَيْتَ الْوَحْشَةِ وَالْغُرْبَةِ بَيْتَ التَّفَرُّدِ وَالْوَحْدَةِ، بَيْتَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ، بَيْتَ النَّكَالِ وَالْوَبَالِ وَالظُّلْمَةِ. ثُمَّ بُعِثْتَ وَنُشِرْتَ وَحَضَرْتَ حَضْرَةَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَيَسْأَلُكَ عَنْ مَالِكَ فِيْمَا اكْتَسَبْتَه، وَعَنْ بَدَنِكَ فِيْمَا ضَيَّعْتَه، وَعَنْ عُمْرِكَ فِيْ مَا أَفْنَيْتَه، وَعَنْ حَيَاتِكَ فِي مَا صَرَفْتَه، وَعَنْ قُعُوْدِكَ عَنِ الْحَجِّ وَالزِّيَارَةِ لِمَ فَعَلْتَه، فَتَأَمَّلْ فِيْ جَوَابِكَ مَا تُجِيْبُ بِه هُنَالِكَ، وَتَفَكَّرْ مَا تَقُوْلُ إِذْ نَاقَشَكَ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ آهٌ عَلى عُمْرٍ ضَيَّعْنَاهُ، آهٌ عَلى وَقْتٍ أَتْلَفْنَاهُ.

اَللّٰهُمَّ إِنَّا عِبَادُكَ الْمُجْرِمُوْنَ مُقِرُّوْنَ بِذُنُوْبِنَا مُعْتَرِفُوْنَ بِعُيُوْبِنَا آمَنَّا بِنَبِيِّكَ، وَلَمْ نَرَه فَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَذُنُوْبَنَا، وَاسْتَعْمِلْنَا عَلى سُنَّتِه، وَارْزُقْنَا زِيَارَةَ قَبْرِه، وَالْوَفَاةَ بِبَلَدِه وَدُخُوْلَ دَارِ السُّرُوْرِ وَالْقَرَارِ، وَالْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَّمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيْزُ الْغَفَّارُ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الثّالثة من ذى الحجّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ هَدى عِبَادَه إلى طَرِيْقِ الْهِدَايَةِ وَفَتَحَ الأَبْوَابَ، فَأَرْسَلَ رُسُلا وَّأَنْبِيَاءَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ، وَإِلى طَرِيْقِ الْحَقِّ دَاعِيْنَ وَخَلَقَ أُولِي الأَلْبَابِ، وَاصْطَفى مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيَّنَا خَاتَمَ الرُّسُلِ، فَمَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَه، فَهُوَ الْكَذَّابُ، وَجَعَلَه أَفْضَلَ الْمَخْلُوْقَاتِ، وَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلَه مُنْذُ كَانَ الزَّمَنُ، وَلا يَخْلُقُ إِلى يَوْمِ الْحِسَابِ، وَاجْتَبى لَهُ الرُّفَقَاءَ وَالْوُزَرَاءَ وَالنُّجَبَاءَ وَالْخُلَفَاءَ وَالأَصْحَابَ.

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يُّنَجِّيْنَا مِنَ الْعَذَابِ، وَنَشْكُرُه شُكْرًا يُّسَهِّلُ لَنَا الْحِسَابَ، وَنَشْهَدُ أَنَّه لا إله إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَهُ الْمَلِكُ الْوَهَّابُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ أُوْتِيَ فَصْلَ الْخِطَابِ.

أَمَّا بَعْدُ: عِبَادَ اللهِ! اِعْلَمُوْا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَنْتَظِرُكُمْ مَّا مِنْ يَّوْمٍ وَّلَيْلَةٍ إِلا وَهُوَ يَتَصَفَّحُ فِيْهِ وُجُوْهَكُمْ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُكُمْ أَمَاتَكُمْ لا تَظُنُّوْنَ أَنَّكُمْ لا تَمُوْتُوْنَ، وَلا تَتَوَهَّمُوْا أَنَّكُمْ تَدُوْمُوْنَ، وَلَوْ كَانَ هذَا لأَحَدٍ لَكَانَ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَّإِنَّهُمْ مَيِّتُوْنَ﴾.

فَكُلُّ مَنْ عَلى بِسَاطِ الأَرْضِ سَيُدْفَنُ فِي التُّرَابِ، مِنْهَا خَلَقَكُمْ وَفِيْهَا يُعِيْدُكُمْ وَمِنْهَا يُخْرِجُكُمْ لِلْحِسَابِ، وَلا تَغْتَرُّوْا بِالدُّنْيَا الدَّنِيْئَةِ فَظَاهِرُهَا زَيْنٌ، وَبَاطِنُهَا شَيْنٌ دَارُ الْمِحَنِ وَالْفِتَنِ وَالأَنْصَابِ، كَعَجُوْزٍ تَزَيَّنَتْ بِالْحُلِيِّ يَفْتَتِنُ بِهَا أَهْلُ الشَّبَابِ، مَنِ اغْتَرَّ بِحُسْنِهَا، وَأَطَالَ أَمَلَه، وَنَسِيَ أَجَلَه، وَصَارَ مِنْ طُلابِهَا، فَهُوَ مِنَ الْكِلابِ.

تَفَكَّرُوْا فِي الأَخْبَارِ، وَانْظُرُوْا أَخْبَارَ الأَخْيَارِ، كَيْفَ يَذْهَبُوْنَ إِلى دَارِ الآخِرَةِ فَرِيْقًا بَعْدَ فَرِيْقٍ، وَكُلُّ مَنْ خُلِقَ سَالِكٌ عَلى هذَا الطَّرِيْقِ، فَمَا بَعْدَه إلا الأَلَمُ أَوِ الثَّوَابُ، فَفِيْ مِثْلِ هذَا الشَّهْرِ قَتَلَ أَبُو اللُّوْلُؤِ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، الَّذِيْ كَانَ رَأْيُه مُوَافِقًا لِّلْوَحْيِ وَالْكِتَابِ، كَانَ صَحَابِيًا جَلِيْلَ الْقَدْرِ عَظِيْمَ الشَّأْنِ، فَخِيْمَ الْقَدْرِ

جَلِيَّ الْبُرْهَانِ، لَمَّا وُلِّيَ الْخِلافَةَ بَكى بُكَاءً شَدِيْدًا ذَاكِرًا حِسَابًا وَّوَعِيْدًا لَّمْ يَسْلُكْ طَرِيْقًا إلا فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَلَمْ يَرَ أَمْرًا إلا نَزَلَ بِه مَلَكُ الرَّحْمَنِ، فَتَزَلْزَلَتِ الأَرْضُ لِمَوْتِه، وَتَحَسَّرَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ بِفَوْتِه إلا الْكَافِرُ الْمُرْتَابُ.

وَفِيْ مِثْلِ هذَا الشَّهْرِ قُتِلَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، سَيِّدُ أَرْبَابِ الْحَيَاءِ الَّذِيْ مِنَ الإِيْمَانِ، فَوَقَعَتِ الزَّلْزَلَةُ فِيْ أَمْرِ الْخِلافَةِ، وَفُتِحَ بِشَهَادَتِهِ الْبَابُ، وَفِيْ مِثْلِ هذَا الشَّهْرِ تُوُفِّيَ سَيِّدُنَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ فِيْ قَبْرِه، وَسَمَّاهُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ وَمَعَ ذلِكَ قَدْ ضُمَّ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً تَفَرَّقَتْ بِهَا أَضْلاعُه، وَضُغِطَ ضَغْطَةً انْكَسَرَتْ بِهَا أَعْضَاءُه، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِّنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، فَمَنْ أَنَا وَأَنْتَ يَا مِسْكِيْنُ! كُلٌّ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ.

كَيْفَ حَالُكَ؟ إِذَا دَخَلْتَ الْقَبْرَ بَيْتَ الْوَحْشَاتِ، دَارَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالآفَاتِ، يُنَادِيْ لِسَاكِنِه أَنَا بَيْتُ الظُّلْمَةِ وَالانْفِرَادِ، أَنَا بَيْتُ النَّكَالِ وَالْوَبَالِ وَالْفَسَادِ، رَوْضَةٌ لِّلْمُطِيْعِيْنَ وَحُفْرَةٌ لأَرْبَابِ التَّبَابِ.

كَيْفَ حَالُكَ؟ إِذَا جَاءَكَ الْمَلَكَانِ الأَزْرَقَانِ الأَسْوَدَانِ السَّائِلانِ، مَنْ رَّبُّكَ؟ وَمَا دِيْنُكَ؟ كَيْفَ حَالُكَ؟ إِذَا بُعِثْتَ مِنَ الْقَبْرِ بَغْتَةً، وَأُحْضِرْتَ عِنْدَ الْمَلِيْكِ الْمُقْتَدِرِ لِلْحِسَابِ، فَتَيَقَّظْ أَيُّهَا الْجَهُوْلُ، عَسى أَنْ يُّفَاجِئَكَ الرَّسُوْلُ، وَيُلْقِيَكَ فِيْ حُفْرَةِ الْعَذَابِ. اَللّهُمَّ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ وَالرِّقَابِ، ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَنَدِمْنَا، فَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلا تُنَاقِشْنَا بِذُنُوْبِنَا، وَهَبْ لَنَا مَا فَعَلْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْمَلِكُ الْوَهَّابُ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّءُوْفِ الرَّحِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إلا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُوْنَ فِيْهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الرّابعة من ذى الحجّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الأعْلى، اَلَّذِيْ خَلَقَ فَسَوّى، وَقَدَّرَ فَهَدى، بَسَطَ لَنَا الأرْضَ، وَرَفَعَ السَّموَاتِ الْعُلى، سُبْحَانَه مَا أعْظَمَ شَأنَه، وَأكْرَمَ مكَانَه يَعْلَمُ مَا فَوْقَ الْعَرْشِ وَمَا تَحْتَ الثَّرى، وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ، فَإِنَّه يَعْلَمُ السِّرَّ وَأخْفى.

أشْهَدُ أنَّه لا إلهَ إلا هُوَ لَهُ الأسْمَاءُ الْحُسْنى، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمُعَلّى، دَنَا فَتَدَلّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى، فَأوْحى رَبُّه إلَيْهِ مَا أوْحى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أصْحَابِ الدَّرَجَاتِ الْعُلى.

وَبَعْدُ: فَيَا أيُّهَا الإنْسَانُ! مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ الَّذِيْ خَلَقَ فَسَوّى، وَعَدَّلَ وَرَكَّبَ فِيْ أيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ، وَألْهَمَ النُّفُوْسَ الْفُجُوْرَ وَالتَّقْوى، وَسَهَّلَ لَكَ الطَّرِيْقَ إلَى الْجَنَّاتِ الْعُلى، فَبَعَثَ أنْبِيَاءَ وَرُسُلا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالآيَاتِ الْعُلى، وَأنْزَلَ عَلى نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأنْبِيَاءِ الْقُرْآنَ تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَّخْشى.

عِبَادَ اللهِ! تَذَكَّرُوْا نِعَمَ اللهِ، وَتَفَكَّرُوْا فِيْ خَلْقِ اللهِ، وَلازِمُوا التَّقْوى، فَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه، وَنَهَى النَّفْسَ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَهُ الْمَأوى، ألا إنَّ هذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ قَدِ اسْتَأذَنَ مِنْكُمُ الرَّحِيْلَ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إلا قَلِيْلٌ، وَبِرِحْلَتِه تَرْحَلُ السَّنَةُ، وَتَأتِيْ عَلَيْكُمْ سَنَةٌ جَدِيْدَةٌ أخْرى، فَوَدِّعُوْهَا بِصَالِحِ الأعْمَالِ وَاسْتَقْبِلُوْهَا بِالْحُسْنى.

هَلْ مِنْكُمْ مَّنِ اجْتَهَدَ فِيْ هذِهِ السَّنَةِ الذَّاهِبَةِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ، وَنَهى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى، هَلْ مِنْكُمْ مَّنِ اسْتَغْفَرَ رَبَّه فِيْ كُلِّ آنٍ، وَحَاسَبَ نَفْسَه فِيْ كُلِّ زَمَانٍ، وَنَفَعَتْ لَهُ الذِّكْرى، فَطُوبى لِمَنْ شَهِدَتْ لَه هذِهِ السَّنَةُ عِنْدَ رَبِّهَا بِالتَّقْوى،

وَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِّمَنْ ضَيَّعَ أَيَّامَ السَّنَةِ وَشُهُوْرَهَا، وَانْهَمَكَ فِيْ قَضَاءِ حَاجَاتِ النُّفُوْسِ وَفُجُوْرِهَا فَضَلَّ وَغَوى.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! مَضى مَا مَضى، فَاتْرُكُوْا فِيْمَا يَأْتِي الدَّعْوى، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ مِمَّا مَضى، وَاغْتَنِمُوْا شَبَابَكُمْ قَبْلَ هَرَمِكُمْ، وَحَيَاتَكُمْ قَبْلَ مَوْتِكُمْ، وَعَافِيَّتَكُمْ قَبْلَ مَرَضِكُمْ، وَغِنَاءَكُمْ قَبْلَ فَقْرِكُمْ، وَلْيُحَاسِبْ كُلُّ امْرِئٍ نَّفْسَه إِذَا أَصْبَحَ وَأَمْسى، وَتَفَكَّرُوْا فِيْمَا يَمُرُّ عَلَيْكُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَبَعْدَه مِنَ الْكُرُوْبِ وَالأَهْوَالِ الْكُبْرى.

كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أُلْقِيَ عَلَيْكُمُ التُّرَابُ، وَوَلّى عَنْكُمْ كُلُّ بَعِيْدٍ وَّأَدْنى، فَبَقِيْتُمْ فِيْ بَيْتِ الْوَحْشَةِ مُتَفَرِّدِيْنَ مُتَحَيِّرِيْنَ مُتَحَسِّرِيْنَ بَاكِيْنَ عَلى مَا صَدَرَ وَمَا مَضى، وَابْتُلِيْتُمْ بِسُؤَالِ النَّكِيْرَيْنِ، وَالضَّغْطَةِ الَّتِي تَتَكَسَّرُ مِنْهَا عِظَامُ الثَّقَلَيْنِ، وَأَحَاطَتْ بِكُمُ الظُّلْمَةُ وَالْوَحْشَةُ، فَإِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِّنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْ شَدَائِدِه، فَسَنُيَسِّرُ لِلْيُسْرى، وَمَنِ ابْتُلِيَ فِيْهِ بِالْمِحْنَةِ، فَمَا بَعْدَه إِلا الْعُسْرى.

اَللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ! اِتَّقُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الْهَوى، وَقُوْلُوْا مِنْ صَمِيْمِ الْفُؤَادِ وَخُلُوْصِ لِسَانِ الذِّكْرى، اَللّهُمَّ إِنَّا عِبَادُكَ الْعُصَاةُ، فَارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضى.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى إِلا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَّخْشى تَنْزِيْلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلى اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى لَه مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرى﴾.

الخطبة الأولى للجمعة الخامسة من ذى الحجّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْمَسْجُوْدِ، اَلْوَلِيِّ الْمَحْمُوْدِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا كَثِيْرًا فِيْ كُلِّ قِيَامٍ وَّقُعُوْدٍ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا كَثِيْرًا فِيْ كُلِّ رُكُوْعٍ وَّسُجُوْدٍ.

أَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً تُنْجِيْنَا مِنْ شَدَائِدِ الْيَوْمِ الْمَوْعُوْدِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ صَاحِبُ الْحَوْضِ الْمَوْرُوْدِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُوْدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الْمَلِكِ الْمَعْبُوْدِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الأَكْيَاسُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ! إِنَّ هذِهِ السَّنَةَ قَدْ طَلَبَتِ الرَّحِيْلَ مِنْكُمْ، فَتَذْهَبُ عَنْ قَرِيْبٍ وَّلا تَعُوْدُ، وَسَتُظِلُّكُمْ سَنَةٌ أُخْرى، وَهذِه عَلامَةُ قُرْبِ الأَجَلِ الْمَحْدُوْدِ، اِعْتَبِرُوْا بِمَنْ مَّضى مِنَ الآبَاءِ وَالْجُدُوْدِ، وَبِمَنْ تَشَيْطَنَ فِي الدُّنْيَا كَفِرْعَوْنَ وَشَدَّادَ وَهَامَانَ وَنَمْرُوْدَ، وَبِمَنْ تَسَلَّطَ مَعَ الْعَدْلِ وَإِقَامَةِ الْحُدُوْدِ، أَفْنَاهُمْ مَرُّ الزَّمَانِ وَكَرُّ الدَّوْرَانِ، وَمَا حَفِظَتْهُمْ مِنَ الْفَنَاءِ الْعَسَاكِرُ وَالْجُنُوْدُ، فَصَارُوْا كَأَعْجَازِ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ.

هَلْ تَرى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ إلا الأَعْمَالَ الْفَالِحَةَ، وَالرُّسُوْمَ الصَّالِحَةَ، وَهِيَ الْمُنْجِيَةُ لِصَاحِبِهَا مِنَ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ، فَتَفَكَّرُوْا فِيْ فَنَاءِ الْعَالَمِ وَتَزَوَّدُوْا لِسَفَرِ الآخِرَةِ، حَيْثُ لا تَنْفَعُ الأَوْلادُ وَلا الأَجْدَادُ وَلا الأَمْوَالُ وَالنُّقُوْدُ، وَسَيَمُرُّ عَلَيْكُمْ مَّا مَرَّ عَلى مَنْ قَبْلَكُمْ، وَيَرِدُ عَلَيْكُمُ الْفَنَاءُ كَمَا وَرَدَ عَلى مَنْ سَلَفَكُمْ، وَلا تَنْفَعُكُمْ إلا الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ فِي الْيَوْمِ الْمَشْهُوْدِ.

اَللهَ اَللهَ عِبَادَ اللهِ! اِتَّقُوا اللهَ، وَاسْتَغْفِرُوْهُ مِمَّا مَضى، وَتُوْبُوْا مِنَ الْجُحُوْدِ

وَالشُّرُوْدِ، فَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه، وَانْتَهى عَنْ إطَاعَةِ نَفْسِه، فَهُوَ مَحْمُوْدٌ وَّمَسْعُوْدٌ، وَمَنِ انْهَمَكَ فِيْ قَضَاءِ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ، وَاجْتَهَدَ فِيْ مُخَالَفَةِ رَبِّه، فَهُوَ مَطْرُوْدٌ وَّمَرْدُوْدٌ.

وَادْعُوا اللهَ فِيْ كُلِّ قِيَامٍ وَّقُعُوْدٍ وَّرُكُوْعٍ وَّسُجُوْدٍ، فَائِلِيْنَ: اَللّٰهُمَّ يَا رَحْمَنُ يَا وَدُوْدُ يَا مَنَّانُ يَا مَعْبُوْدُ! اغْفِرْ لَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، وَتَجَاوَزْ عَنَّا، وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ، وَاجْعَلْنَا مَعَ أَصْحَابِ الْيَمِيْنِ فِيْ سِدْرٍ مَّخْضُوْدٍ وَّطَلْحٍ مَّنْضُوْدٍ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوْجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُوْدِ وَشَاهِدٍ وَّمَشْهُوْدٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُوْدِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ﴾.

الخطبة الثّانية لجمع شوّال وذى القعدة وذى الحجّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، ذِي الْفَضْلِ الْجَسِيْمِ وَاللُّطْفِ الْعَمِيْمِ، وَأَشْهَدُ أَنَّه لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه شَهَادَةً تُدْخِلُنَا دَارَ النَّعِيْمِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ سَيِّدُ أَرْبَابِ التَّبْجِيْلِ وَالتَّكْرِيْمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ وَالتَّعْظِيْمِ.

أَمَّا بَعْدُ: عِبَادَ الله! هذَا يَوْمُ عِيْدٍ فَضَّلَه عَلى سَائِرِ الأَيَّامِ، وَيُلَقَّبُ بِسَيِّدِ الأَيَّامِ، فِيْهِ وُلِدَ سَيِّدُنَا آدَمُ عَلى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَفِيْهِ هُبِطَ إِلَى الأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيْهِ طَارَ رُوْحُهُ الْمُعَلّى إِلَى الْجَنَّةِ، وَفِيْهِ تَقُوْمُ السَّاعَةُ الْكُبْرى، وَيُجَازى كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْحُسْنى، فَأَكْثِرُوْا فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّهَا فِيْهِ مَقْبُوْلَةٌ مُّضَاعَفَةٌ سَبْعِيْنَ ضِعْفًا عَلَى الْعِبَادَةِ فِيْ سَائِرِ الأَيَّامِ السَّبْعَةِ، وَللهِ فِيْ هذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِه عُتَقَاءُ مِنَ النِّيْرَانِ، وَفِيْهِ سَاعَةٌ مَّا مِنْ دَاعٍ دَعَا اللهَ فِيْهَا إلا أَجَابَ دُعَاءَه، وَنَجَّاهُ مِنَ الْخُسْرَانِ.

وَعَلَيْكُمْ بِكَثْرَةِ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلى سَيِّدِ الأَنَامِ فِيْ سَيِّدِ الأَيَّامِ، فَإِنَّهَا مُنْجِيَةٌ مِّنَ الْمِحَنِ، وَدَافِعَةٌ لِّلْفِتَنِ.

اَللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَّعَلى آلِه وَصَحْبِه، وَأَزْوَاجِه وَبَنَاتِه وَأَتْبَاعِه، لا سِيَّمَا عَلى أَفْضَلِ الْبَشَرِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، رَفِيْقِ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ، اَلسَّابِقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِالتَّحْقِيْقِ، سَيِّدِنَا أَبِيْ بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلى مُزَيِّنِ الْمِنْبَرِ وَالْمِحْرَابِ، اَلنَّاطِقِ بِالْحَقِّ وَالصَّوَابِ، سَيِّدِنَا عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلى جَامِعِ الْقُرْآنِ سَيِّدِ أَرْبَابِ الْحَيَاءِ وَالْعِرْفَانِ، سَيِّدِنَا عُثْمَانَ

بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلى عَالِي الْمَنَاقِبِ بابِ مَدِيْنَةِ الْعِلْمِ بِشَهَادَةِ سَيِّدِ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَلى بَضْعَةِ رَسُوْلِ اللهِ سَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَعَلى سِبْطَيْهِ النَّيِّرَيْنِ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَعَلى عَمَّيْهِ الْمُكَرَّمَيْنِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ، سَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَسَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَعَلى بَقِيَّةِ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعَنَّا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنَ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، اَللّٰهُمَّ اعْفُ عَنْ جَامِعِ هٰذِهِ الْخُطَبِ الْمُذَكِّرَةِ، وَارْزُقْهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اَللّٰهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَّصَرَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ دِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

اَللّٰهُمَّ ارْزُقْ أَهْلَ الإِسْلامِ شَوْكَةً وَّنُصْرَةً، وَفَرِّقْ جَمْعَ الْكَفَرَةِ اللِّئَامِ الْبَاغِيَةِ الْفَجَرَةِ، وَالْحَمْدُ للهِ الرَّبِّ الرَّحِيْمِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ﴾ أُذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ وَادْعُوْهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ وَلَذِكْرُ اللهِ تَعَالى أَعْلى وَأَوْلى وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَهَمُّ وَأَتَمُّ وَأَقْوى وَأَكْبَرُ.

الخطبة الأولى ليوم عيد الفطر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الأَكْبَرُ، اَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الْمَجِيْدِ، اَلْوَلِيِّ الْحَمِيْدِ ذِي اللُّطْفِ وَالْجُوْدِ فِي الْقَدِيْمِ وَالْجَدِيْدِ.

أَشْهَدُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ وَالتَّمْجِيْدُ، سُبْحَانَ الَّذِيْ أَعَزَّنَا بِشَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرِ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ، شَهْرٍ فِيْهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ صَامَ وَقَامَ فِيْ أَيَّامِه وَلَيَالِيْهِ اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ الْمَزِيْدَ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ وَالتَّمْجِيْدُ، سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَعَدَ لِلصَّائِمِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ النَّجَاةَ مِنْ مَّهَالِكِ يَوْمِ الْوَعِيْدِ قَائِلا وَّلَدَيْنَا مَزِيْدٌ، كَيْفَ أَشْكُرُهُ وَكَيْفَ لا أَشْكُرُهُ عَلى مَا أَعَادَ عَلَيْنَا عَوَائِدَ الإِحْسَانِ وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِيَوْمِ الْعِيْدِ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَر، وَللهِ الْحَمْدُ وَالتَّمْجِيْدُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ الَّذِيْ هَدَى الْخَلْقَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِّنْ حُفْرَةِ النَّارِ إِلى دَارِ النَّعِيْمِ، وَتَكَفَّلَ لِشَفَاعَةِ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْوَعِيْدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَسَلَّمَ صَلاةً دَائِمَةً لا تَنْقَطِعُ وَلا تَبِيْدُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الْحَمْدُ وَالتَّمْجِيْدُ.

وَبَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الأَكْيَاسُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ! قَدْ أَظَلَّكُمْ يَوْمُ الْعِيْدِ، يَوْمُ الْفِطْرِ مِنَ الصِّيَامِ، وَالتَّوْبَةِ مِنَ الآثَامِ، يَوْمُ السُّرُوْرِ وَالْفَرْحَةِ وَالإِنَابَةِ، تَتَنَزَّلُ فِيْهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ مِنَ السَّموَاتِ لِمُعَايَنَةِ عِبَادَاتِ الْعَبِيْدِ، فَاتَّقُوا اللهَ وَاجْتَهِدُوْا فِي

الْعِبَادَةِ، طَلَبًا لِّلْحُسْنى وَالزِّيَادَةِ، وَتُوبُوْا إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَدِيْمٍ وَجَدِيْدٍ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ وَالتَّمْجِيْدُ.

وَاعْلَمُوْا أَنَّهُ شُرِعَ لَكُمْ فِي هذَا الْيَوْمِ الاغْتِسَالُ وَالسِّوَاكُ وَلُبْسُ أَحْسَنِ الثِّيَابِ وَالتَّطَيُّبُ وَأَكْلُ التُّمَيْرَاتِ صَبَاحًا أَوْ أَيِّ حُلْوٍ كَانَ بَعْدَ أَنْ كَانَ وِتْرًا وَالتَّكْبِيْرُ إِلَى الْمُصَلّى رَاجِلا وَّالتَّبْكِيْرُ فِي الطَّرِيْقِ سِرًا، وَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي هذَا الْيَوْمِ أَدَاءَ رَكْعَتَيْنِ مَعَ سِتِّ تَكْبِيْرَاتٍ زَوَائِدَ وَيُسْتَحَبُّ فِيْمَا بَيْنَهَا التَّكْبِيْرُ وَالتَّسْبِيْحُ وَالتَّحْمِيْدُ، وَوَقْتُهَا مِنِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ، مِنْ حِيْنَ تَزُوْلُ وَقْتُ الْكَرَاهَةِ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ.

وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ أَدَاءَ صَدَقَةِ الْفِطْرِ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ مُّكَلَّفٍ حُرٍّ مَّالِكٍ قَدْرَ النِّصَابِ فَاضِلا عَنْ حَوَائِجِهِ الأَصْلِيَّةِ جَبْرًا لِّنُقْصَانٍ وَّقَعَ فِي صِيَامِ رَمَضَانَ بِارْتِكَابِ مَا يُبْغِضُ الرَّحْمنَ وَيُنْشِطُ الشَّيْطَانَ الْمَرِيْدَ، وَشُكْرًا عَلى بَقَاءِ الأَنْفُسِ وَشُهُوْدِهَا يَوْمَ الْعِيْدِ، وَذلِكَ عَنْ نَّفْسِهِ وَإِنْ لَّمْ يَصُمْ لِعُذْرٍ وَّمَمَالِيْكِهِ وَأَوْلادِهِ الصِّغَارِ، لا عَنْ زَوْجَتِهِ وَوَالِدَيْهِ وَأَوْلادِهِ الْكِبَارِ، وَمَنْ تَطَوَّعَ عَنْهُمْ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَنَافِعٌ يَّوْمَ الْهَمِّ الشَّدِيْدِ، وَمِقْدَارُهَا نِصْفُ صَاعٍ مِّنْ حِنْطَةٍ أَوْ دَقِيْقِهَا أَوْ سَوِيْقِهَا أَوْ صَاعٌ مِّنْ تَمْرٍ أَوْ شَعِيْرٍ أَوْ زَبِيْبٍ، وَيُجْزِئ أَدَاءُ قِيْمَتِهِ لِلتَّيْسِيْرِ عَلَى الْمَسَاكِيْنِ وَأَصْحَابِ الْفَقْرِ الشَّدِيْدِ، وَوَقْتُهَا مَا قَبْلَ الْغُدُوِّ إِلَى الْمُصَلّى وَيَجُوْزُ التَّقْدِيْمُ وَالتَّأْخِيْرُ عَلَى الْقَوْلِ السَّدِيْدِ.

أَيُّهَا الإِخْوَانِ! لَيْسَ الْعِيْدُ لِمَنْ لَّبِسَ الْجَدِيْدَ وَأَكَلَ الثَّرِيْدَ، وَضَرَبَ الطَّبْلَ وَالْمَزَامِيْرَ مِمَّا نَهى عَنْهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ الْمَجِيْدُ، وَانْهَمَكَ فِي قَضَاءِ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَاتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ الشَّرِيْدِ، إِنَّمَا الْعِيْدُ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ الأَعْلى وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى وَلازَمَ التَّقْوى، وَتَفَكَّرَ فِي مَا يَفْعَلُ وَمَا يُرِيْدُ، لَيْسَ الْعِيْدُ لِمَنْ نَّسِيَ الْعُقْبى وَآثَرَ الدُّنْيَا وَاشْتَغَلَ بِأَسْبَابِ الْمَسَرَّةِ الْمُضِلَّةِ كَاشْتِغَالِ فِرْعَوْنَ وَالْوَلِيْدِ، إِنَّمَا الْعِيْدُ لِمَنْ هَجَرَ مَا نَهى عَنْهُ وَرَسُوْلُهُ وَتَدَبَّرَ فِي مَا يَمْضِي عَلَيْهِ فِي الْبَرْزَخِ وَيَوْمِ

الْوَعِيْدِ.

عَجَبًا لِّلْمِسْكِيْنِ كَيْفَ يَفْرَحُ وَلا يَدْرِيْ أَهُوَ مِمَّنْ يَّشْهَدُ لَهُ رَمَضَانُ بِالْخَيْرِ أَوْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالشَّرِّ عِنْدَ رَبِّهِ الْحَمِيْدِ، يَا لَيْتَ شِعْرِيْ مَنِ الْمَحْرُوْمُ مِنَّا فَنُعَزِّيْهِ وَمَنِ الْمَقْبُوْلُ مِنَّا فَنُهَنِّئُهُ وَنُبَشِّرُهُ بِأَنَّهُ سَعِيْدٌ، فَطُوْبَى لِمَنْ صَامَ أَيَّامَ رَمَضَانَ وَقَامَ لَيَالِيَهُ مَعَ الإِخْلاصِ، وَتَجَنَّبَ الأَرْجَاسَ، وَكَانَ لَهُ قَلْبٌ مُّطَهَّرٌ مِّنَ الأَنْجَاسِ وَالسَّمْعُ الشَّهِيْدُ، وَوَيْلٌ لِّمَنْ ضَيَّعَ عُمْرَهُ فِيْ تِلْكَ الأَيَّامِ الْمُتَبَرِّكَةِ وَاللَّيَالِي الْمُتَشَرِّفَةِ وَصَارَ غَيْرَ سَعِيْدٍ.

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِيْنَ! إِنَّ فِيْ اللهِ عَزَاءً مِّنْ كُلِّ مُصِيْبَةٍ وَّخَلَفًا مِّنْ كُلِّ فَائِتٍ فَبِاللهِ فَثِقُوْا وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوْا وَاسْتَغْفِرُوْهُ وَلا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَتِهِ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الْبَرُّ التَّوَّابُ الْحَمِيْدُ، أَقُوْلُ قَوْلِي هذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنَ الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ وَأَطْلُبُ لَهُمُ الْعَفْوَ وَالثَّوَابَ الْمَزِيْدَ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِ﴾.

الخطبة الأولى ليوم عيد الأضحى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ.

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَ الإنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَشَرَّفَهُ عَلَى الْمَلائِكَةِ وَالْجَانِّ، وَخَصَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِمَزِيْدِ اللُّطْفِ وَالإِحْسَانِ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ، سُبْحَانَ الَّذِيْ جَعَلَ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَجَعَلَ الْحَرَامَ آمِنًا لَّهُمْ مِّنْ كُلِّ شَرٍّ وَّطُغْيَانٍ. اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ.

سُبْحَانَ الَّذِيْ جَعَلَ الْحَجَّ مُطَهِّرًا مِّنَ الذُّنُوْبِ، وَدَافِعًا لِّلْكُرُوْبِ، وَوَعَدَ لِلْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِيْنَ بِدَارِ الْجِنَانِ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ، سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَضَعَ لِلنَّاسِ أَوَّلَ بَيْتٍ وَّجَعَلَهُ مُبَارَكًا وَّجَعَلَ الأَفْئِدَةَ تَهْوِيْ إِلَيْهِ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ.

أَحْمَدُهُ حَمْدًا جَمِيْلا وَّأَشْكُرُهُ شُكْرًا جَلِيْلا عَلى أَنْ أَدَارَ عَلَيْنَا أَيَّامًا مُّتَبَرِّكَةً ذَوِي الرُّتْبَةِ وَالْقَدْرِ، أَيَّامَ الْعَشْرِ خِتَامُهَا يَوْمُ النَّحْرِ وَهِيَ الَّتِيْ أَقْسَمَ اللهُ بِهَا فِي الْقُرْآنِ.

كَيْفَ أَحْمَدُهُ وَكَيْفَ لا أَحْمَدُهُ عَلى أَنْ أَعَادَ عَلَيْنَا عَوَائِدَ الإِحْسَانِ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ.

أَشْهَدُ أَنَّهُ لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيْ شَأْنٍ، كُلُّ شَيْءٍ

هَالِكٌ إلا وَجْهَ الرَّحْمنِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

أَيُّها الثَّقلانُ! اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْبَوَادِيْ وَالْعُمْرَانِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَعَلى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ لا سِيَّمَا سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيْلَ ذَبِيْحِ اللهِ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلِ الرَّحْمنِ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ بِالسِّرِّ وَالإِعْلانِ

أَمَّا بَعْدُ: مَعَاشَرَ الإِخْوَانِ وَالْخُلانِ! أُشْكُرُوا اللهَ عَلى نَعْمَاءِهِ السَّائِلَةِ وَآلائِهِ الْكَامِلَةِ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ، وَاذْكُرُوْهُ صَبَاحًا وَّمَسَاءً فَإِنَّ ذِكْرَهُ أَمَانٌ أَيُّ أَمَانٍ، وَتَحَسَّرُوْا عَلى مَا فَاتَكُمْ مِّنَ الْحُضُوْرِ حَضْرَةَ بَيْتِ الرَّحْمنِ، طُوْبى لِلَّذِيْنَ قَطَعُوْا الْقِفَارَ، وَرَكِبُوا السُّفُنَ فِي الْبِحَارِ، وَتَرَكُوا الأَوْلادَ وَالأَحْبَابَ وَالأَحْفَادَ وَالأَصْحَابَ وَالأَوْطَانَ شَوْقًا إلى كَعْبَةِ الرَّحْمنِ، فَطَافُوْا بِهَا طَوَافًا عُتِقُوْا بِهِ مِنَ النِّيْرَانِ، وَحَصَلَتْ لَهُمُ الْمُنى بِالْوُصُوْلِ إلى مِنى، وَنَالُوا الدَّرَجَاتِ، بِوُقُوْفِ عَرَفَاتٍ، وَبَاهى بِهِمْ رَبُّهُمْ فَرَضُوْا عَنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَسْبَلَ عَلَيْهِمْ سِجَالَ الْغُفْرَانِ وَحِيْنَ أَتَمُّوا الْمَنَاسِكَ غُفِرَتْ ذُنُوْبُهُمْ وَسُتِرَتْ عُيُوْبُهُمْ وَحُطَّتْ عَنْهُمْ تَبِعَاتُهُمْ وَرُفِعَتْ دَرَجَاتُهُمْ وَكُتِبَتْ لَهُمُ النَّجَاةُ مِنَ النِّيْرَانِ.

أَيُّهَا الْمُتَخَلِّفُوْنَ! لا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ فَإِنَّهُ حَلِيْمٌ كَرِيْمٌ رَّحِيْمٌ مَّنَّانٌ، فَتُوْبُوْا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوْهُ مِنْ كُلِّ عِصْيَانٍ، وَبَادِرُوْا فِيْ أَدَاءِ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ فِيْ هذَا الْيَوْمِ مِنْ أَدَاءِ رَكْعَتَيْنِ مَعَ سِتِّ تَكْبِيْرَاتٍ زَوَائِدَ ثُمَّ تَضْحِيَةِ الْحَيَوَانِ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلى كُلِّ حُرٍّ مُّسْلِمٍ مُّكَلَّفٍ مِّنَ الشَّاةِ الَّتِيْ مَضى عَلَيْهَا حَوْلٌ أَوْ مِنَ الإِبِلِ الَّتِيْ مَضى عَلَيْهَا خَمْسُ سِنِيْنَ أَوْ مِنَ الْبَقَرِ الَّذِيْ مَضى عَلَيْهِ حَوْلانِ، وَلا تُجْزِي الْعَجْفَاءُ الَّتِيْ لا تَنْقِيْ وَالْعَرجَاءُ الَّتِيْ لا تَمْشِيْ وَغَيْرُهُمَا مِمَّا فِيْهِ نُقْصَانٌ، بِحَيْثُ يُؤَدِّيْ إلى نَقْصِ الأَثْمَانِ وَهذِهِ سُنَّةُ خَلِيْلِ الرَّحْمنِ، عَلى مَا تَلا عَلَيْنَا رَبُّنَا

قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ ابْنَهُ لَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّيْ أَرى فِي الْمَنَامِ أَنِّيْ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَا ذَا تَرى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ وَالإِذْعَانِ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ، تَزَلْزَلَتْ سُكَّانُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِيْنَ وَضَجَّتِ الْمَلائِكَةُ بِالدُّعَاءِ حَضْرَةَ الرَّحْمنِ، فَنَادى خَلِيْلَهُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، وَفَدَى ابْنَهُ بِكَبْشٍ عَظِيْمٍ ذِيْ رُتْبَةٍ عُلْيَا، فَصَارَ ذلِكَ سُنَّةً مِّنْ عَهْدِهِ إِلى قِيَامِ يَوْمِ الإِحْسَانِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ عَهْدِ بَنِي عَدْنَانَ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ كُلَّهَا بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِ الْحَيَوَانِ، فَسَمِّنُوْا ضَحَايَاكُمْ فَإِنَّهَا عَلَى الصِّرَاطِ مَطَايَاكُمْ وَمُوْصِلَةٌ إِلى دَارِ الْجِنَانِ.

وَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَّةِ فَإِنَّهَا أَرْبَحُ بِضَاعَةٍ وَّهِيَ الْمُنْجِيَةُ مِنْ كُلِّ نُقْصَانٍ وَّخُسْرَانٍ، وَادْعُوا اللهَ بِخُلُوْصِ الْجَنَانِ، قَائِلِيْنَ اَللّهُمَّ يَا مَنَّانُ يَا رَحْمنُ يَا حَنَّانُ يَا دَيَّانُ! اِرْحَمْنَا وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ النِّيْرَانِ.

أَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَّ النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيْزَانَ﴾.

الخطبة الثّانية ليوم عيد الفطر ويوم الأضحى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَر، اَللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، اَللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اَللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الأَكْبَرُ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَ الْخَلْقَ وَدَبَّرَ، وَأَحْكَمَ نَظْمَ الْعَالَمِ وَقَدَّرَ، اَللهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَ الَّذِيْ خَلَقَ الإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ وَبِأَحْسَنِ الصُّوَرِ صَوَّرَ، وَجَعَلَهُ أَشْرَفَ الْمَخْلُوْقَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْمَحْشَرِ، اَللهُ أَكْبَرُ.

أَشْهَدُ أَنَّهُ لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً تُنَجِّيْنَا مِنْ حَسَرَاتِ يَوْمِ الْعَرْضِ الأَكْبَرِ، اَللهُ أَكْبَرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ الأَبْهَرِ وَالْعِزِّ الأَنْوَرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَلى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَمَلائِكَةِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِيْنَ، صَلاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الْحَاضِرُوْنَ مِنَ الْجِنِّ وَالْبَشَرِ! أُشْكُرُوا اللهَ عَلى نِعَمِهِ الْفَائِضَةِ وَمِنَنِهِ السَّابِغَةِ، حَيْثُ أَعَادَ عَلَيْكُمْ عَوَائِدَ اللُّطْفِ وَالْمِنَّةِ، وَأَمَرَّ عَلَيْكُمْ هذَا الْيَوْمَ الأَزْهَرَ يَوْمٌ تُغْفَرُ فِيْهِ الذُّنُوْبُ، وَتُكْشَفُ فِيْهِ الْكُرُوْبُ، وَتُقْبَلُ فِيْهِ الْعِبَادَاتُ، وَتُحَطُّ فِيْهِ السَّيِّئَاتُ، فَيَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ أَنْوَرَ، فَأَكْثِرُوْا فِيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالإِنَابَةِ، وَاجْتَهِدُوْا فِيْهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالإِصَابَةِ، لِتَفُوْزُوْا بِجَنَّاتٍ وَّ نَهَرٍ، وَأَكْثِرُوْا فِيْهِ الصَّلاةَ وَالسَّلامَ عَلى سَيِّدِ الْبَشَرِ وَآلِهِ الأَطْهَرِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَّعْرُوْضَةٌ عَلَيْهِ وَمَقْبُوْلَةٌ لَّدَيْهِ وَشَافِعَةٌ فِي الْمَحْشَرِ.

اَللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَأَنْعِمْ عَلى سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ وَّعَلى جَمِيْعِ الْمَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ ذَوِي الْمَقَامِ الأَشْهَرِ، وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَّصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَانْقَادَ الشَّرْعَ الأَطْهَرَ، لا سِيَّمَا عَلى رَفِيْقِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ فِي الْغَارِ، وَصَاحِبِهِ

فِي الأسْفَارِ، سَيِّدِنَا أبِي بكْرٍ عَبْدِ اللهِ الصِّدِّيْقِ الأكْبَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأرْضَاهُ فِي الْمَحْشَرِ، وَعَلى قَامِعِ أسَاسِ الْكُفْرِ وَالإلْحَادِ، قَالِعِ بُنْيَانِ الشِّرْكِ وَالْفَسَادِ، سَيِّدِنَا عُمَرَ، فَازَ بِالْحَظِّ الأوْفَرِ، وَعَلى جَامِعِ الْقُرْآنِ، رَفِيْعِ الْمَكَانِ، صَاحِبِ الْحَيَاءِ الَّذِيْ هُوَ شُعْبَةٌ مِّنَ الإيْمَانِ، سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ذِي النُّوْرِ الأنْوَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَخَذَلَ أعْدَاءَهُ فِي الْمَحْضَرِ، وَعَلى بَابِ مَدِيْنَةِ الْعِلْمِ النَّبَوِيِّ، ذِي الْفَضْلِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، سَيِّدِنَا عَلِيِّ الْحَيْدَرِ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَطَهَّرَ، وَعَلَى السِّبْطَيْنِ النَّيِّرَيْنِ السَّعِيْدَيْنِ الشَّهِيْدَيْنِ، سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الْعَلِيُّ الأكْبَرُ، وَعَلى أمِّهِمَا السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْمَحْشَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأسْكَنَهَا بِالْبَيْتِ الأنْوَرِ، وَعَلى سَائِرِ أزْوَاجِ النَّبِيِّ أمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَأبْنَائِهِ الطَّاهِرِيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَصَّهُمْ بِمَزِيْدِ اللُّطْفِ وَالشَّرَفِ الأكْبَرِ، وَعَلى عَمَّيْهِ الْمُعَظَّمَيْنِ عِنْدَ الْجِنِّ وَالْبَشَرِ، سَيِّدِنَا حَمْزَةَ وَسَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ الْمُطَهَّرَيْنِ مِنَ الدَّنَسِ وَالأرْجَاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الْوَلِيُّ الأكْبَرُ وَعَلى سَائِرِ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأنْصَارِ، وَأصْحَابِهِ الأخْيَارِ، وَعَلى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الْعَرْضِ الأكْبَرِ.

اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ الأحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأمْوَاتِ، الأكْبَرِ مِنْهُمْ وَالأصْغَرِ، اَللّهُمَّ أيِّدِ الإسْلامَ بِالسُّلْطَانِ الْعَادِلِ قَاطِعِ أعْنَاقِ مَنْ أشْرَكَ وَابْتَدَعَ وَكَفَرَ، وَانْصُرْ مَنْ نَّصَرَ دِيْنَ الإسْلامِ الأنْوَرِ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ الدِّيْنَ الْمُنَوَّرَ.

اَللّهُمَّ سَامِحْ عَنْ مُّؤَلِّفِ هذِهِ الْخُطَبِ الْمُذَكِّرَةِ وَارْزُقْهُ خَيْرًا عَظِيْمًا فِي الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ وَالْمَحْشَرِ، وَنَجِّهِ وَنَجِّنَا مِنَ الْفَزَعِ الأكْبَرِ، أُذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ وَادْعُوْهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ وَلَذِكْرُ اللهِ تَعَالى أوْلى وَأعْلى وَأعَزُّ وَأجَلُّ وَأتَمُّ وَأهَمُّ وَأقْوى وَأكْبَرُ.

خطبة النّكاح

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ

سُبْحَانَ الَّذِىْ خَلَقَنَا مِنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ بِقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ، وَجَعَلَ الْمُصَاهَرَةَ سَبَبًا لِّكَثْرَةِ الأممِ، وَبَقَاءِهَا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةُ، وَدَبَّرَ أمرَنَا، وَأحكَمَ نَظْمَنَا، وَشَرَعَ لَنَا أحْكَامًا تُصْلِحُنَا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَبَعَثَ عَلَيْنَا رُسُلا مُّبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ، وَجَعَلَنَا مِنْ أمَّةِ سَيِّدِهِمْ وَأفْضَلِهِمْ صَاحِبِ الآيَاتِ الْبَاهِرَةِ.

اَلْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا مَنْ يَّهْدِهِ اللهُ، فَلا مُضِلَّ لَه. وَمَنْ يُّضْلِلْهُ فَلا هَادِىَ لَه، وَأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا هُوَ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وَأشْهَدُ أنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ.

يَا أيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيْرًا وَّنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُوْنَ بِهِ وَالأرْحَامَ، إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا، يَا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلا تَمُوْتُنَّ إلا وَأنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ، يَا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ وَقُوْلُوْا قَوْلا سَدِيْدًا يُّصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا.

أيُّهَا النَّاسُ! إنَّ أمْرَ اللهِ يَجْرِىْ إلَى قَضَاءِه، وَقَضَاءُه يَجْرِىْ إلَى قَدَرٍ، وَلِكُلِّ قَدَرٍ أجَلٌ، وَلِكُلِّ أجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَه أمُّ الْكِتَابِ، وَإنَّ جَمْعَنَا هذَا مِمَّا قَدَّرَ اللهُ، وَأذِنَ فِيْهِ إقَامَةً لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَالشَّرِيْعَةِ الْقَدِيْمَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِى الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ: «اَلنِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِىْ فَمَنْ رَّغِبَ عَنْ سُنَّتِىْ فَلَيْسَ مِنِّى»، وَوَرَدَ عَنْهُ: «تَنَاكَحُوْا تَكَثَّرُوْا فَإنِّىْ أبَاهِىْ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَنَسْأَلُ اللهَ أنْ يَّجْعَلَنَا

مِمَّنْ يُّطِيْعُه وَيُطِيْعُ رَسُوْلَه، وَيَتَّبِعُ رِضْوَانَه وَيَجْتَنِبُ سَخَطَه، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَه، وَأَنْ يَّجْعَلَنَا مِمَّنْ يُّبَاهِيْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَة.

الدّعاء بعد الإيجاب والقبول

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بَارَكَ اللهُ لَكَ وَبَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا بِالْخَيْرِ، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُّبَارَكًا مَّحْفُوْظًا مِّنْ كُلِّ ضَيْرٍ، اَللّٰهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَهُمَا كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ سَيِّدِنَا آدَمَ وَسَيِّدَتِنَا حَوَّاءَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، اَللّٰهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَهُمَا كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَسَيِّدَتِنَا سَارَةَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، اَللّٰهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَهُمَا كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ سَيِّدِنَا مُوْسَى وَسَيِّدَتِنَا صَفُوْرَاءَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، اَللّٰهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَهُمَا كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، اَللّٰهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَهُمَا كَمَا أَلَّفْتَ بَيْنَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَّ سَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، آمِيْنَ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ.

اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاضِرِيْنَ، وَلِأَهْلِ الْمَجْلِسِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِيْنَ، وَنَجِّنَا مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِيْنِ فِي الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ، وَارْزُقْ مُؤَلِّفَ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ كَالدُّرِّ الثَّمِيْنِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ، آمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

فهرس الخطبات

خطبة الشيخ مولانا محمد اسمعيل الشهيد رحمه اللّٰه تعالى

الخطبة الأولى

اَلْحَمْدُ للهِ عَلِيِّ الذّاتِ عَظِيْمِ الصِّفَاتِ سَمِيِّ السِّمَاتِ كَبِيْرِ الشَّأنِ، جَلِيْلِ الْقَدْرِ رَفِيْعِ الذِّكْرِ مُطَاعِ الأمْرِ جَلِيِّ الْبُرْهَانِ، فَخِيْمِ الاسْمِ غَزِيْرِ الْعِلْمِ وَسِيْعِ الْحِلْمِ كَثِيْرِ الْغُفْرَانِ، جَمِيْلِ الثَّـنَاءِ جَزِيْلِ الْعَطَاءِ مُجِيْبِ الدّعَاءِ عَمِيْمِ الإحْسَانِ، سَرِيْعِ الْحِسَابِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ أَلِيْمِ الْعَذَابِ عَزِيْزِ السّلْطَانِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه فِي الْخَلْقِ وَالأمْرِ، وَنَشْهَدُ أَنّ سَيِّدَنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمّدًا عَبْدُه وَرَسُوْلُهُ، الْمَبْعُوْثُ إِلَى الأسْوَدِ وَالأحْمَرِ ،الْمَنْعُوْتُ بِشَرْحِ الصّدْرِ وَرَفْعِ الذّكْرِ، وَصَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِه وَأَصْحَابِهِ الّذِيْنَ هُمْ خُلاصَةُ الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ، وَخَيْرُ الْخَلائِقِ بَعْدَ الأنْبِيَاءِ.

أمّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا النّاسُ! وَحّدُوا اللهَ؛ فَإِنّ التّوْحِيْدَ رَأسُ الطّاعَاتِ، وَاتّقُوا اللهَ؛ فَإِنّ التّقوَى مِلاكُ الْحَسَنَاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسُّنّةِ؛ فَإِنّ السُّنّةَ تَهْدِيْ إِلَى الإِطَاعَةِ، وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَه، فَقَدْ رَشَدَ وَاهْتَدَى، وَإِيّاكُمْ وَالْبِدْعَةَ؛ فَإِنّ الْبِدْعَةَ تَهْدِيْ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ يّعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَه، فَقَدْ ضَلّ وَغَوى، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّـدْقِ؛ فَإِنّ الصِّدْقَ يُنْجِي وَالْكِذْبَ يُهْلِكُ، وَعَلَيْكُمْ بِالإحْسَانِ؛ فَإِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُحْسِنِيْنَ، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الشّيْطَانِ الرّجِيْمِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ﴾.

بَارَكَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ، وَنَفَعَنا وَإِيّاكُمْ بِالآيَاتِ وَالذّكْرِ الْحَكِيْمِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنّه هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ.

****

الخطبة الثانية

اَلْحَمْدُ لله أستَعينُه وأستَغْفِرُه، ونَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُوْرِ أنْفُسِنَا مَنْ يهْدِه اللهُ، فَلا مُضِلّ لَه، ومَنْ يُّضْلِلْه فَلا هَادِيَ لَه، وأشْهَدُ أن لا إلـه إلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَه، وأشْهَدُ أنّ مُحَمّدًا عَبْدُه ورَسُوْلُه، أرْسَلَه بِالْحَقّ بَشِيْرًا ونّذِيْرًا بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ، مَنْ يُّطِـعِ اللهَ وَرَسُوْلَه، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَن يّعْصِهِمَا، فَإنّه لا يَضُرّ إلا نَفْسَه، وَلا يَضُرُّ اللهَ شَيْئًا، أعُوْذُ بِالله مِنَ الشّيْطَانِ الرّجِيْمِ ﴿إنّ اللهَ وَمَلائِكَتَه يُصَلّوْنَ عَلَى النّبِيّ، يَا أَيُّهَا الّذِيْنَ آمَنُوْا صَلّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا﴾.

اَللّهُمّ صَلّ عَلى مُحَمّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُوْلِكَ، وَصَلّ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَبَارِكْ عَلى مُحَمّدٍ وّأَزْوَاجِه وَذُرِّيّـتِه، قَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: «أرْحَمُ أمّتِيْ بِأمّتِيْ أبُوْبَكْرٍ، وَأشَدّهُمْ فِي أمْرِ اللهِ عُمَرُ، وأصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأقْضَاهُمْ عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ سَيّدَةُ نِسَاءِ أهْلِ الْجَنّةِ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيّدَا شَبَابِ أهْلِ الْجَنّةِ، وَحَمْزَةُ أسَدُ اللهِ وَأسَدُ رَسُوْلِه، اَللّهُمّ اغْفِرْ لِلْعَبّاسِ وَوَلَدِه مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لا تُغَادِرُ ذَنْبًا، اَللهَ اَللهَ فِيْ أصْحَابِيْ، لا تَتّخِذُوْهُمْ غَرَضًا مّنْ بَعْدِيْ، فَمَن أحَبّهُمْ فَبِحُبّيْ أحَبّهُمْ، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِيْ أبْغَضَهُمْ، وَخَيْرُ أمّتِيْ قَرْنِيْ ثُمّ الّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ثُمّ ثُمّ الّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، وَالسّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأرْضِ مَنْ أهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأرْضِ أهَانَهُ اللهُ.

إنّ اللهَ يَأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإيْتَاءِ ذِي الْقُرْبـى، وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُوْنَ، فَاذْكُرُوْنِي أذْكُرْكُم وَاشْكُرُوْا لِيْ وَلا تَكْفُرُوْنَ.

****



الهداية

شرح

بداية المبتدي

للإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني

رحمه الله تعالى المتوفى ٥٩٣هـ

مع شرح اللكنوي

العلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي

رحمه الله تعالى المتوفى ١٣٠٣هـ



٨

اعتنى بإخراجه وتنسيقه وتخريج أحاديثه من نصب الراية والدراية

نعيم أشرف نور أحمد

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

٤٣٧- دي ○ گاردن ايست ○ كراتشي ٥ ○ باكستان



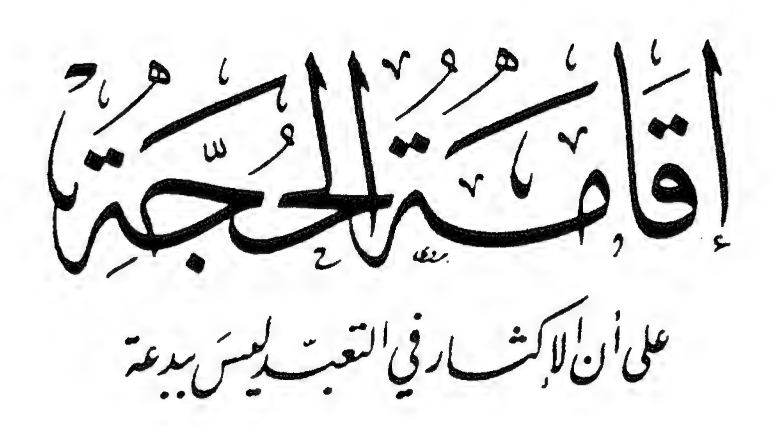
للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي
ولد سنة ١٢٦٤هـ. وتوفي سنة ١٢٠٤هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بإخراجه وتقديمه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر





على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة

للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر



الطبعة الأولى : . . . . ١٤١٩ هـ
الصف والطبع والإخراج : . . . . بإدارة القرآن كراتشي
اعتنى بإخراجه الفني وتصميمه على الكمبيوتر . . . . نعيم أشرف نور أحمد
أشرف على طباعته : . . . . فهيم أشرف نور

من منشورات
إدارة القرآن والعلوم الإسلامية
D/ ٤٣٧ گاردن ايسٹ كراتشي ٥ - باكستان
الهاتف . ٧٢١٦٤٨٨ فاكس : ٧٢٢٣٦٨٨-٠٠٩٢٢١
E. Mail: quran@diggicom.net.pk

ويطلب أيضا من :
المكتبة الإمدادية . . . . باب العمرة مكة المكرمه - السعودية
مكتبة الإيمان . . . . السمانية ، المدينة المنورة - السعودية
مكتبة الرشد . . . . الرياض - السعودية
إدارة إسلاميات . . . . انار كلي لاهور - باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، حمدا طيّبا مباركا كحمدِ الشاكرين وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تحشرُنا مع الصالحين، وتُدخلنا فى دارِ السلام مع المجاهدين، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ على كافَّةِ المكلَّفين، رحمةً للعالمين، خاتَمُ أنبياءِ الأرَضين، وأصلّى وأسلّم عليه صلاةً تامَّةً زاكيةً دائمةً إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه عظماءِ مجالسِ العابدين ورؤساءِ مآنسِ الزاهدين، وعلى من تبِعَهم من الأئمة المجتهدين، والفقهاءِ والمحدِّثين، والصلحاءِ والمتعبّدين، رضى الله عنهم وعنا أجمعين.

وبعد: فيقول العبدُ الراجى عفوَ ربّه القوىّ، أبو الحسنات محمد عبد الحىّ اللكنوىّ الأنصارىّ الحنفىّ، تجاوزَ الله عن ذنبه الجلىّ والخفىّ، ابنُ البحرِ الزخّار، الغيث المدرار، محقّقِ المعقول والمنقول، مدقّقِ الفروع والأصول، مولانا الحافظِ الحاج محمد عبد الحليم، أدخله الله فى دار النعيم:

إنى منذ نيطتْ عنى التمائم، ورُفعت على رأسى العمائم، كنتُ متوغلا فى مطالعة كتبِ أسماءِ الرجال، ومشتغلا بمُعَاينة زُبُر مناقبِ أرباب الكمال، أرجو منه أن يَحصُلَ لى التخلُّقُ بأخلاقهم، والتشبُّهُ بصِفاتهم، طالبا به مسلكا سَويّا وصلاحا، حسبَما قال القائل:

أُحبُّ الصالحين ولستُ منهم
لعلَّ الله يرزقنى صـــــلاحًا

فاطّلعتُ على مجاهداتِ السَّلَف، الذين صرَفوا كلَّ لحظةٍ من لحظاتهم فى الاجتهاد بالعبادة، ورياضاتِ الخَلَف، الذين ارتاضوا بكثرة العبادة طلبا للحسنى والزيادة. وكنتُ أظنُّ أن هذا هو الصراط المستقيم، به يَصِلُ من يَصِلُ إلى درجات النعيم.

فلمَّا ترقَّى بى الحال، وتفضَّل علىَّ ربّى ذوالجلال، بتحصيل كتب الحديث، وكشفِ أسرار الأخبار النبوية بالكشفِ الحثيث، اطَّلعتُ على أخبار تمنع عن التشدُّد فى التعبُّد، وآثارٍ تَنهى عن التمدد فى التزهُّد.

فاختلَج فى خاطرى الفاتر، كيف التطابقُ بين هذه الأحاديث وبين مجاهدات هؤلاء الأكابر؟ إلى أن وسَّعتُ النَّظَر فى الأخبار، وأمعنتُ الفِكرَ فى الآثارِ، وتجسَّستُ ما حقَّقه الشراح المحقّقون، وتتبَّعتُ ما نقَّحه الفقهاء والمحدثون، فظهر لى أنَّ الأخبار فى ذلك مختلِفة، بعضُها يَهدى إلى الاجتهاد، وبعضُها يُرشد إلى الاقتصاد، وكلُّها واردة فى محلِّها، واقعةٌ فى موقعها.

فأخبارُ الاجتهاد محمولةٌ على من قدرَ على ذلك، وأخبارُ الاقتصاد: محمولةٌ على من عَجَز عن ذلك، وعلى هذا وجدتُ كلماتِ العلماءِ الأعلام والأئمةِ الكرام.

فبينَا أنا على ذلك إذ سمعتُ قائلا يقول: الاجتهادُ فى التعبُّد، كإحياءِ الليل كلِّه، وقراءةِ القرآن فى ركعة، وأداء ألفِ ركعة، ونحوِ ذلك مما نُقِلَ عن الأئمة: بِدْعَة، وكلُّ بدعة ضلالة.

فوقعتُ بسماع قوله فى الحَيرة، وقلتُ له: أتُرى هؤلاء المجاهدين، ومنهم الصحابةُ والتابعون وجماعاتُ المحدّثين: من أهل البدعة؟! فعاد قائلا: الأخبارُ فى المنع عن ذلك موجودة، وفى كتب الصّحاح مَرْوِيَّة.

فقلتُ: هذا كلامُ من لم يتسع نظرُه، واقتَصَر على ظواهر الألفاظِ فِكْرُه، أمَا قرَعَ سمعَك أنَّ البدعة ما لم يكن فى القرون الثلاثة، ولا يُوجَد له أصلٌ من الأصول الأربعة؟ وهذا قد وُجِدَ فى تلك الأزمنة المتبرِّكة، ودلَّتْ على جوازه بل على استحبابه ـ لمن يَقْدِرُ عليه ـ النُّصوصُ الشرعية.

فعاد قائلا: قد صرَّح بكونه بدعة بعضُ علماء الزمان، وقولُه مقبول عند أهل الإتقان. فقلت: إن كان كذلك فقد وقع له الاشتباهُ بأحاديث المنع، ولم يُمِرَّ نظرَه على سائرِ أصول الشرع، فهو فى ذلك معذور بل مأجور. وقد صرَّح الأكابرُ القدماء من المحدّثين والفقهاء بجواز ذلك، فكيف لا يُعتبَر قولُهم فيما هنالك؟! فكبَّ القائلُ رأسَه متفكِّرا، وأكبَّ على نفسه متحيِّرا.

ثم قرَع صِمَاخى أنَّ هذا القول قد شاع فى العامىّ والخاصىّ، يُنادُون بأعلى نداء، أنَّ

كثرة الرياضات المنقولة عن أصحاب المجاهدات: بدعةٌ مستقبحة، ويَطعنون بذلك على السَّلَف والخَلَف الفائزين بالدرجات المطلَقة. فشدَّدتُ عليهم النكير، وحقَّقت ما هو الحق الوسَطُ فى مجاس التذكر.

وكنت أقصِدُ أن أكتب فى هذا المبحث رسالةً وافية، لم يَسبقنى أحدٌ بعَدِيلها، وعُجالةً شافيةً لم يَتقدَّمنى أحدٌ بمثيلها، إلا أنَّ اشتغالى بتأليف شرح شرح الوِقاية، المسمَّى بـ "السِّعاية فى كشفِ ما فى شرح الوقاية" ــ الذى هو شرحٌ مبسوط، وإنه كنزٌ مُغْنٍ عمَّا سواه، كافٍ مشتملٌ على تفصيل مذاهبِ العلماء فى كلّ مسألة، مع ذكر أدلَّتها، مع مالَها وما عليها من الأسئلة والأجوبة ــ كان يَعُوقُنى عن الإقدام على اهتمامِ هذا المرام إلى أنْ سألنى جمعٌ من الأصحاب التوجُّهَ إلى هذا المقصِدِ الأعلى، وأصرَّ منى طائفةٌ من الأحباب التعرُّضَ لهذا المطلَبِ الأقصى، فاختلستُ من أوقات تأليف «السِّعاية» لحظاتٍ عديدة، وشرعتُ فى ترصيف هذه الرسالة الجديدة، ملتزِما فيها تأسيسَ المقصود بالبرهان، وترصيصَ مقدّماته بالنقولِ عن العلماء ذوى التبحُّرِ والشان، مُدْرِجا فى الأثناءِ اللطائفَ الشريفة، والشرائفَ اللطيفة، مُسمِّيا الرسالة باسمٍ يُنبئُ عنوانُه عن المُعَنْوَن، أعنى:

إقامة الحجّة
على أنّ الإكثار فى التّعبّديس ببدْعة

ملقَّبا بلَقَبٍ يُخبرُ من بدءِ التدوين عن المدوَّن، أعنى: «نُصرة العابدين، بدفع طَعْنِ الخامدين»، راجيا ممن يستفيد منها أن ينظر فيها بعينِ الإنصاف، ويذر ذِكرَ الكَيْدِ والاعتساف، وأن لا يَستعجِلَ بردّه إن خالَفَ رأيَه، ما لم يَزِنه بالقسطاس المستقيم، لئلا يكون ممن قال فيه الشاعر الحكيم:

كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهها   حسَدا وبَغْيا: إنه لَدَميمُ
حَسَدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَه   فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ

والله تعالى أسألُ سؤالَ المتضرّع أن ينفع بهذا المصنَّف كلا من الخواصِّ والعوامِّ، وأن يَجعلَه خالصا لوجهه الكريمِ ذى الجلال والإكرام، وأن يُجنِّبَ من الخطاء والزَّلَل أقدامى، ومن السَّهْوِ والخَلَل أقلامى.

وهذه الرسالة مرتَّبَةٌ على أصلينِ ومقصِدينِ وخاتمة:

الأصلُ الأول فى ذِكرِ أنَّ ما فعلَه الصحابةُ أو التابعون أو تَبَعُهم وما فُعِلَ فى زمانهم من

غير نكير منهم: ليس ببدعة.

والأصلَ الثانى فى ذكرِ طائفةِ من المجاهدين وجماعةِ من العابدين.

والمقصِدُ الأول فى إثبات أنَّ الاجتهاد فى العبادة حَسَبَ الطاقة ليس ببدعة.

والمقصِدُ الثانى فى ذكرِ التطابُقِ بين أحاديث المنع وبين رياضات أئمةِ الشرع.

والخاتمة فى حكمِ خَتْمِ القرآن فى التراويح فى ليلةٍ واحدة، حَسَبما تعارفوه وحَسِبوه مُوجِبا للحُسنَى فى الآخرة.

الأصل الأوَّل

فى أنَّ ما فعَلَه الصحابةُ أو التابعون أو تَبَعُهم وما فُعِلَ فى زمانهم من غير نكير منهم : ليس ببدعة حذَّرَنا الشارع منها

قال المحقِّق سعدُ الدين التفتازانى فى إلهيات «شرح المقاصد» : المحقِّقون من الماتُرِيديَّة والأشعرية لا يَنْسُبُ أحدُهما الآخَرَ إلى البدعةِ والضلالة ، خلافا للمبطلين المتعصبين ، حتى ربما جعلوا الاختلافَ فى الفروع أيضًا بدعةً وضلالة ، كالقول بحِلِّ متروك التسمية عمدا ، وعدمِ نقض الوضوء بالخارج من غير السبيلين ، وكجوازِ النكاح بدون الولى ، والصلاةِ بدون الفاتحة . ولا يعرفون أن البدعة المذمومة هو المُحْدَثُ فى الدين ، من غير أن يكون فى عهد الصحابة والتابعين ، ولا دَلَّ عليه الدليلُ الشرعى. ومن الجهلة من يجعل كلَّ أمر لم يكن فى زمن الصحابة بدعة مذمومة وإن لم يَقم دليلٌ على قبحه ، تمسُّكا بقوله عليه السلام : «إياكم ومُحدثات الأمور». ولا يَعلمون أن المراد بذلك هو أن يُجعَل فى الدين ما ليس منه ، انتهى.

وفى "مجالس الأبرار" : البدعة لها معنيان : أحدُهما : لغوى عامّ ، وهو : المُحْدَث مطلقًا ، سواء كان من العادات أو العبادات . والثانى : شرعىٌّ خاصّ ، وهو : الزيادةُ فى الدين أو النقصانُ منه بعد الصحابة ، بغير إذن الشارع لا قولا ولا فعلا ولا صريحا ولا إشارة. وعمومُها فى الحديث بحسبِ معناها الشرعى ، انتهى ملخصًا.

وفيه أيضا : لا يَغُرَّنَّك اتفاقُهم على ما أُحدِثَ بعد الصحابة ، بل ينبغى أن تكون حريصًا على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم ، فإنَّ أعلم الناس وأقربَهم إلى الله أشبَهُهم بهم وأعرفُهم بطريقهم ، إذ منهم أخِذَ الدين ، وهم أصولٌ فى نقل الشريعة عن صاحب الشرع ، انتهى.

وفى "شِرْعة الإسلام" : المرادُ من السُّنَّة التى يجب التمسُّكُ بها ما كان عليه القَرْنُ المشهودُ لهم بالخير والصلاح والرشاد ، وهم الخلفاء الراشدون ومَنْ عاصر سيد الخلائق ، ثم الذين بعدهم من التابعين ، ثم مَنْ بعدَهم. فما أُحدِثَ بعد ذلك من أمرٍ على خلاف مناهجهم فهو من البدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة ، وقد كانت الصحابة يُنكرون أشدَّ الإنكار على من أحدث

أو ابتدع رسما لم يتعهدوه فى عهد النبوة، قلَّ ذلك أو كثُر، صَغُر ذلك أو كَبُر، انتهى.

وقال يعقوب بن سيد على الرومى فى "مفاتيح الجِنان شرح شِرْعة الإسلام": المرادُ أن كل بدعة فى الدين كانت على خلاف مناهجهم وطريقتهم فهُوَ ضلالة، وإلا فقد حقَّقوا أنَّ من البِدعة ما هى حسنة مقبولة، كالاشتغال بالعلوم الشرعية وتدوينها، ومنها ما هى سيئة مردودة، وهى ما أُحدِثَ بعدهم على خلاف مناهجهم بحيث لو اطَّلعوا عليه لأنكروه، انتهى.

وفى «الطريقة المحمَّدية» لمحمد أفندى البِرْكلى الرومى:

إن قيل: كيف التطبيق بين قوله عليه الصلاة والسلام: «كلُّ بدعة ضلالة» وبين قولِ الفقهاء: إنَّ البدعة قد تكون مباحةً كاستعمالِ المُنْخُل والمواظبةِ على أكلِ لُبِّ الحنطة والشَّبع منه، وقد تكون مستحبةً كبناء المدارس والمَنارة وتصنيف الكتب، بل قد تكون واجبةً كنظم الدلائل لِردِّ شُبَهِ المَلاحدةِ ونحوهِم؟

قلنا: للبدعةِ معنيً لغويٌ عامٌ وهو: المُحْدَث مطلقا عادةً أو عبادة، لأنها اسمٌ من الابتداع بمعنى الإحداث، كالرِفْعَة من الارتفاع، والخِلْفَة من الاختلاف، وهذه هى المَقْسِم فى عبارة الفقهاء، يعنون بها ما أُحدِثَ بعد الصدر الأوَّل مطلقا.

ومعنىً شرعى خاصٌ هو: الزيادةُ فى الدِّين أو النقصانُ منه الحادثانِ بعد الصحابة بغير إذن الشارع لا قولا ولا فعلا ولا صريحا ولا إشارة، فلا يتناول العاداتِ أصلا، بل يقتصر على بعضِ الاعتقادات وبعضِ صُوَر العبادات، فهذه هى مُرادُه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بدليل حديث: «فعليكم بسُنَّتى وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين»، وقوله عليه السلام: «أنتم أعلَمُ بأمرِ دنياكم» وقولِه: «من أحدَثَ فى أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»، انتهى.

وفى «حواشى الطريقة المحمَّدية» لخواجه زاده: قولُه: بعد الصحابة ... أمَّا الحادثُ فى زمن الخلفاء الراشدين فليس ببدعة، لأنَّ سُنَّتهم كسنة الرسول، بدليل الأمرِ بالتمسُّك بسُنَّتهم، انتهى.

وفى «الحديقة النديَّة شرح الطريقة المحمَّدية» لعبد الغنى النابلسى عند قول المصنِّف (بعد الصدر الأوَّل): هم السَّلَفُ المتقدّمون فى زمان الرسول عليه السلام والصحابةُ، لقوله عليه السلام: «عليكم بسُنَّتى وسُنَّةِ الخلفاء الراشدينَ من بعدي» فما حدَثَ فى زمانِهم فليس ببدعة، والبدعة ماحدث بعد زمانِهم وزمان التابعين وتابعيهم، انتهى.

فهذه أقوالُ العماء كلُّها ناصَّةٌ على أنَّ ما حدَثَ في زمان الصحابةِ بل والتابعين بل وتَبَعِهِم ـ من غير نكير ـ ليس بداخلٍ في بدعة، والارتكابُ به ليس بضلالة.

والتفصيلُ في هذا المقام: أنَّ ما كان في عهد النبي ﷺ، سواءُ كان فعلَه بنفسه، أو فعلَه أصحابُه وقرَّرهم على ذلك: ليس ببدعة اتفاقا، وما لم يكن في عهده بل حدَثَ بعده فهو بدعة بالمعنى العام. بمعنى المُحْدَث مطلقا بعد العهد النبوي. وهو لا يخلو: إمَّا أن يكون من قَبيل العادات، أو من قَبِيل العبادات.

فإن كان الأوَّلَ فهو ليس ببدعةِ ضلالةٍ أصلا، ما لم يَدلَّ دليلٌ شرعي على قبحه.

وإن كان الثاني فهو لا يخلو:

إما أن يكون حدَثَ في زمن الصحابة، بأنْ فعلَه الصحابةُ كلُّهم أو بعضُهم أو فُعِلَ في زمانهم مع اطّلاعهم عليه.

وإما أن يكون حدَثَ في زِمان التابعين.

وإما أن يكون حدث في زمن تابعي التابعين.

وإما أن يكون حادثا بعد ذلك إلى يومنا هذا.

أمَّا الحادث في زمان الصحابة فلا يخلو: امَّا أن يوجد منهم النكيرُ على ذلك، أو لم يوجد مع اطّلاعهم على ذلك.

فالأول: بدعةُ ضلالة، داخلٌ في «كلُّ بدعة ضلالة» مثاله: الخُطبةُ قبل الصلاة في العيدين، فعلَه مروان بن الحكم، وأنكره عليه أبو سعيد الخدري، كما أخرجه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله يخرج يوم الفطر ويوم الأضحى، فأوَّلُ شيء يبدأ به الصلاةُ ثم ينصرف فيقوم مقابِلَ الناس، والناس جلوسٌ على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمُرهم، فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجتُ مع مروان ـ وهو أمير المدينة ـ في عيد أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلّى إذا منبرٌ بناه كَثِيرُ بن الصَّلْت، فإذا مروانُ يُريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبَذْتُ بثوبه، فجبذني فارتفع فخطَبَ قبل الصلاة، فقلتُ له: غيَّرتُم والله! فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلمُ واللهِ خيرٌ مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتُها قبل الصلاة.

وكذلك: رفعُ اليدين للدعاء في خطبة الجمعة، فعلَه بِشْرُ بن مروان، وأنكره عليه عُمَارة، كما أخرجه مسلم وأبو داود وغيرُهما عن حُصَين بن عبدالرحمن قال: رأى عُمَارةُ

بن رُؤَيْبة بِشْرَ بنَ مروان وهو يدعو في يومِ جمعة، فقال: قبَّحَ الله هاتين اليدين! لقد رأيتُ رسول الله وهو على المنبر ما يزيد على هذه، يعني السَّبابة التي تلي الإبهام.

والثاني: وهو أن لا يوجد منهم النكير بل الرضى والتوافق وليس ببدعةٍ شرعية، وإن أُطلِقَ أنه بدعةٌ بالمعنى العامَ قُيِّدَ ذلك بأنه بدعةٌ حسنة.

فمن ذلك: الأذانُ الأوَّلُ يوم الجمعة، كما أخرجه البخاري وابن ماجه والترمذي وغيرُهم عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوَّلُه إذا جلَسَ الإمامُ على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثُرَ الناس زاد النداءَ الثالِثَ على الزَّوْراء، قال النووي: إنما جُعِلَ ثالثا لأن الإقامة أيضًا تُسمَّى أذانا.

ومن ذلك: تعدُّدُ صلاة العيد في مصرٍ واحد، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة»: أحدَثَ عليُّ بن أبي طالب في خلافته العيدَ الثانيَ بالجامع، فإن السنّة المعروفة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان أنه لا يُصَلَّى في المصر إلا جمعةٌ واحدة، ولا يُصَلَّى يومَ النحر والفطر إلا عيدٌ واحد، فلمَّا كان عهدُه قيل له: إنَّ بالبلد ضعفاءَ لا يستطيعون الخروج إلى المُصَلَّى فاستَخلَف عليهم رجلا يصلي بالناس بالمسجد، انتهى.

ومن ذلك: الإقامةُ للجماعة الثانية والأذانُ لها بعد ما صلَّوا في المسجد بجماعة، فإنهم إذا صلَّوا في المسجد بأذان وإقامة، ثم جاء ناس وأرادوا أن يصلوا بالجماعة، هل يجوز لهم الأذان والإقامة؟ اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال: أحدُها: أنهم يؤذّنون ويُقيمون، وثانيها: أنهم لا يؤذّنون لكن يقيمون، وثالثها: أنهم لا يؤذّنون ولا يقيمون، كما هو مبسوط في شروح «الكنز» وحواشي «الدر المختار».

وظنَّ بعضٌ أنَّ الأذان والإقامة للجماعة الثانية بدعة، وهو ظنٌ فاسد، لِما ذكره البخاري في باب فضل الجماعة، تعليقًا: جاء أنسٌ إلى مسجدٍ قد صُلِّي فيه، فأذَّن وأقام وصلّى جماعة. وذكَرَ القسطلاني في «شرحه» أن هذا الأثر وصله أبو يعلى وقال: وقت صلاة الصبح، وفي رواية البيهقي أنه مسجد بني رفاعة، وقال البيهقي في رواية: جاء أنسٌ في عشرين من فِتيانه.

فهذا الأثرُ يدلُّك على أن تكرار الأذان والإقامة للجماعة الثانية: ليس ببدعة، وتفصيلُ هذا المبحث مفوَّض إلى شرحي لشرح الوقاية المسمَّى بـ "السّعاية في كشف ما في شرح الوقاية" فليُراجع.

ومن ذلك: تذكيرُ الناس المسمَّى بالوعظ في عُرفنا، كما قال تقي الدين أحمد بن علي المَقْريزي المصري المؤرِّخ في كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»: ذَكَر عُمَرُ بن شَبّة: قيل للحسَن: متى أُحدِث القَصَصُ؟ قال في خلافة عثمان: قيل: من أوّلُ من قَصَّ؟ قال: تميمٌ الداري، وذَكَر عن ابن شهاب قال: أوّلُ من قَصَّ في مسجد رسول الله ﷺ تميمٌ الداري، استأذَنَ عُمرَ أن يُذكِّرَ الناسَ فأبى عليه، حتى كان آخِر ولايته فأذِنَ له أن يُذكِّر في يوم الجمعة قبل أن يَخرج عُمَر، فاستأذن تميمٌ عثمانَ فأذِن له أن يُذكِّر يومين في الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك، انتهى.

ومن ذلك: الاجتماعُ في ليالي رمضانِ لعشرين ركعةً من التراويح، حدَثَ ذلك في زمانِ عُمَر، وقال هو في حقّه: نِعمَتْ البدعةُ هي، سمَّاها بدعة باعتبار المعنى العامّ، ووصَفَها بالحُسْن إشعارا بأنه ليس كلُّ محدَثٍ عامٍّ ضلالة، ولم يُرِد المعنى الشرعيَّ حتى يَرِد أنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ فكيف تُوصَف بالحُسْن؟ ... كما حقَّقتُه في رسالتي «تُحفة الأخيار في إحياء سُنَّة سيِّد الأبرار».

ومن ذلك: التكبيرُ لقنوت الوتر ورفعُ اليدين عنده فإنه ذَكَر بعضُ الحنفية أنهما واجبان، وهو المشهور بين الأنام، لكن صرَّحَ المحقّقون منهم عَدَمَ وجوبه: ففي "البحر الرائق": جزَمَ الشارحُ بوجوب سجودِ السهو بتركِ تكبير القنوت، وينبغي ترجيحُ عدمِ الوجوبِ، لأنه الأصل، ولا دليلَ عليه، بخلاف تكبيرات العيدين فإنَّ دليل الوجوب المواظبةُ مع قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيامٍ معدودات﴾، انتهى. وفي «فتاوى قاضي خان»: رفْعُ اليدين عند تكبيز القنوت ليس بواجب، كرفع اليدين عند تكبير الافتتاح، فلا يجبُ السهو بتركه، انتهى.

وبالَغَ بعضُ العلماء فظَنُّوا كونَهما من البِدعاتِ، لعدم ثبوت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو ظنّ فاسد. فإنه وإن لم يَثْبُت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكن ثبت عن بعض الصحابة، فلا يكون بدعةً بل سُنَّةً أو مُستحبّا.

وقد سُئلتُ عن هذا في سنة ثمانٍ وثمانين بعد الألف والمائتين بما تعريبُه: ما قولُ العلماء في أنَّ زيدا يقول: إنَّ رَفْعَ اليدين في الركعة الثالثة من الوتر بعدَ القراءة قبلَ القنوت والتكبير هناك ـ كما هو المُرَوَّج ـ بدعةٌ سيئة، لعدم ثبوت ذلك في هذا الموضع في الحديث. فهل قولُه صحيح أم لا؟ وهل التكبيرُ والرفعُ سُنَّتان أم مستحبَّان؟ بيِّنوا تُؤجَروا.

فأجبتُ بما تعريبُه هذا: التكبيرُ والرفعُ عند القنوت لَم يثبت شيءٌ منه مِن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وذكرَ صاحب «الهداية» فى دليلِ رفع اليدين قولَه ﷺ: «لا تُرفَع الأيدى إلا فى سبْع مواطن: تكبيرةِ الافتتاح، وتكبيرةِ القنوت، وتكبيرِ العيدين، والأربع فى الحج». لكن قال العينى فى «البناية شرح الهداية» بعد ما ذكرَ تخريجَه من طرق: فانظر فى رواياتهم هل تجدْ فيها ذكْرَ رفع اليدين عندَ القنوت، وإنما يوجد هذا عند أصحابنا فى كتبهم، منهم المصنِّف، انتهى كلامُه فى باب صفة الصلاة. وقال أيضًا فى باب الوتر: قد ذكرنا فى باب صفة الصلاة أنه ليس فى الحديث ذِكرُ القنوت فيما رواه البخارى والبزَّار والطبرانى، انتهى.

وقال الفاضل معين فى كتاب «دراسات اللبيب فى الأسوة الحَسَنة بالحبيب»: ومنها أى المسائلِ التى لم يُوجَد لها أصل: قولُهم بوجوبِ التكبير قبلَ قنوت الوتر، فإنى لم أجد له حديثا مرفوعا، فضلا عن أن أجدَ ما يدلُّ على استمرارِ فعلِه عن النبى ﷺ ومواظبتِه عليه بل ووعيدِه على تاركِه، حتى يصحَّ منهم القولُ بوجوبه. ومع هذا أعمَلُ به وأُواظبُ عليه من غير ترك. لحُسنِ الظنّ بالحنفيَّة، ولكن لا أعتقدُ وجوبَه، ومنها أيضًا: قولُ أبى حنيفة بوجوب رفع اليدين عند تكبير القنوت، ولم يَثْبُت فى ذلك عندى إلى الآن أثرٌ صحيحٌ عن تابعىّ جليل فضلا عن صحابى، انتهى.

وفيه أيضًا قد ثبَتَ برواية الحافظ أبى بكر بن أبى شيبة فى «مصنَّفه» عن عبد الله بن مسعود أنه كان يَرفعُ اليدين فى قنوت الوتر. وثبتَ بروايته عنه أيضا أنه كان لا يزيد عند الفراغ من القراءة فى الركعة الأخيرة من الوتر على التكبير شيئًا، وهو ما أخرجه بسنده عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه أنّ عبد الله بن مسعود كان إذا فرغ من القراءة -يعنى فى الركعة الأخيرة من الوتر- كبّر ثم قنت، فإذا فرغ من القنوت كبّر ثم ركع. وخالفَتْه الحنفيَّة فى الموضعين، فبدَّعوا رفْعَ اليدين فى القنوت، وزادوا على التكبير رفْعَ اليدين، انتهى.

وفى كتاب «الآثار» للإمام محمد: أخبرنا أبو حنيفة عن حمّاد عن إبراهيم النَّخعى أن القنوت فى الوتر واجبٌ فى شهرِ رمضان وغيرِه قبل الركوع، وإذا أردت أن تقنتَ فكبِّر، انتهى.

وفى «غاية البيان شرح الهداية» للإتقانى: روى الطَّحاوى فى «شرحه للآثار» مسندا إلى النخعى أنه قال: تُرفعُ الأيدى فى سبعة مواطن: فى افتتاح الصلاة، وفى التكبير للقنوت

فى الوتر، وفى العيدين، وعند استلام الحجر الأسود، وعلى الصفا والمروة، وبجمع وعرفات، وعن المقامين: عند الجمرتين. ذكره فى باب رفع اليدين عند رؤية البيت، انتهى.

وفى «البناية شرح الهداية»: عن المُزَنى أنه قال: زاد أبو حنيفة تكبيرةً فى القنوت، لم تثبت فى السُّنَّة، ولادلَّ عليها قياس، وقال أبو نصر الأقطعُ فى «شرح مختصر القدورى»: هذا خطأ منه، فإنَّ ذلك رُوى عن على وابن عُمر والبراء بن عازب، والقياسُ يدلُّ عليه أيضًا، وقال ابن قدامة فى «المغنى»: رُوِىَ عن عُمر أنه كان إذا فرغ من القراءة فى الوتر كبَّر، انتهى.

وقال إبراهيم الحلبى فى "غُنْيَة المتملِّى شرح مُنْيَة المصلِّى": رَفْعُ تكبيرِ القنوت مروىّ عن عُمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابنِ عُمر والبراء بن عازب، وكذا رفْعُ تكبيرات العيدين مروىّ عن عُمر، ذكره الأثرم والبيهقى فى «سننه الكبير»، انتهى.

والحاصلُ: أنَّ رفْعَ اليدين والتكبير عند القنوت ــ وإن لم يَثْبُتْ مِن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ لكن لمّا ثبَتَ ذلك عن بعضِ الصحابة وبعضِ التابعين حسبما صرَّح به العينىُّ وابنُ قدامة والحلبىُّ والإتقانىُّ وغيرُهم، كيف يكون بدعةً سيئة؟ نعم ثبوتُ وجوبِ التكبير والرَّفع على ما صرَّح به بعضُ الحنفية: مشكلٌ، لعدم دليلٍ يَدلُّ على الوجوب، غايةُ ما فى الباب أنه لو فعَلَ ذلك بنيَّةِ اقتداء الصحابة والتابعين يُثاب، وإن لم يَفعل لا يعاقب ولا يعاتب، والله أعلم بالصواب وعنده حُسنُ الثواب.

واعلم أنَّ بعض الصحابة رضى الله عنهم قد حكموا على بعضِ الأفعال الحادثة فى زمانهم بكونِه بدعة.

فإن كان مع إطلاقهم ذلك شىءٌ من أمَاراتِ الإنكار قولا أو فعلا: دلَّ ذلك على كونه قبيحا عندهم.

وان لم يكن معه ذلك بل كان معه ما يَدُلُّ على تحسينهم ذلك: دلَّ على أنهم أرادوا بالبدعة المعنى العامَّ: «المُحدَث»، لا البدعةَ التى هِى ضلالة.

مثالُ الأول: ما أخرجه أبو داود عن مجاهد قال: كنتُ مع ابن عُمر فثوَّبَ رجلٌ فى الظهر أو العصر، فقال ابن عمر: اخرُجْ بنا فإنَّ هذه بدعة. وفى «البناية شرح الهداية» للبدر العينى: فى «المبسوط» رُوى أنَّ عليا رأى مؤذِّنا يُثوِّبُ للعِشاء فقال: أخرجوا هذا المبتدع من المسجد، انتهى.

فإن قلتَ: كيف استحسن الفقهاءُ التثويب في الصلواتِ كلِّها مع ورود هذين الأثرين؟

قلتُ: اختلفوا في ذلك على أقوال ثلاثة:

الأول: أنه يُكرَهُ في جميع الصلوات إلا صلاة الفجر، فإنه وقتُ نومٍ وغفلة، فيُستحسَنُ للمؤذِّن أن يُثوِّب، ويُستنبَطُ أصلُه مما رواه أبو داود عن أبي بكْرَة قال: «خرجتُ مع رسول الله ﷺ لصلاةِ الصبح فكان لا يَمُرُّ برجلٍ إلا ناداه بالصلاة أو حرَّكه برجله». قال على القاري في «مِرقاة المفاتيح شرح مِشكاة المصابيح»: يؤخذُ منه مشروعيَّةُ التثويب في الجملة على ما ظهر لي، انتهى.

والثاني: قولُ أبي يوسف أنه يجوز للأمراءِ وكلِّ من كان مشغولاً بأمور المسلمين، وأصلُه: ما رُوي بطرقٍ متعددة أنَّ بلالاً كان يجيء ببابِ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الأذانين، ويُؤذِنُه بالصلاة.

والثالث: قولُ المتأخرين أنه يُستحسَنُ لكلِّ الناس في كل الصلواتِ إلا المغرب، ووجَّهوه بأنه قد ظهر التواني في أمورِ الصلوات في هذه الأعصار، فالإعلام بعد الإعلام أولى بهم، والصَّدْرُ الأوَّلُ لم يكن فيه هذا التواني فلم يُحتَج فيه إليه، وهذا هو العُذرُ عن مخالفةِ الأثرينِ المذكورين بعد تسليم اطِّلاعهم عليهما، والكلامُ بعدُ موضعُ نظر، وقد حقَّقتُ المقامَ مع ماله وما عليه في رسالتي «التحقيق العجيب في التثويب» فلتُطالعْ.

وكذلك: ما أخرجه الترمذي وحسَّنه والنسائي وابن ماجه والبيهقي وغيرُهم من حديث أبي نَعامة الحنفي، واسمُه: قيسُ بن عَبَاية، عن ابنِ عبد الله بن مُغَفَّل قال: سمعني أبي وأنا في الصلاة أقولُ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال لي: أي بُنيَّ! مُحْدَثٌ، إياكَ والحَدَثَ، قال: ولم أرَ أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغضَ إليه الحدَثُ في الإسلام يعني: منه، قال: وقد صلَّيتُ مع رسول الله ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقولُها فلا تَقُلْها أنت، إذا صلَّيتَ فقل: «الحمدُ لله رب العالمين».

دَلَّ هذا الحديثُ على أن الجهرَ بالبسملة في الصلاة مُحْدَثٌ، استقبحه عبدُ الله بن مُغفَّل، والمسألةُ خِلافية بين الأئمة، والأحاديث فيها متعارِضة، والقولُ الحقُّ هو ثبوتُ الجهرِ من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحيانا، وكونُ السرِّ أقوى من الجهر، كما حقَّقْته في رسالتي «إِحكام القنطرة في أحكام البسملة».

ومثالُ الثاني: ماورد عن عُمر في صلاةِ التراويح من توصيفها بالبدعة الحسنة، وأخرج

سعيد بن منصور فى «سننه» عن أبى أُمامة الباهلى رضى الله عنه: إنَّ الله كَتَب عليكم صيامَ رمضان، ولم يكتب عليكم قيامَه، وإنما القيامُ شيء ابتدعتموه، فدُومُوا عليه ولا تتركوه، فإنَّ ناسا من بنى إسرائيل ابتدعوا بدعةً ابتغاءَ رضاءِ الله فعاتَبهم الله بتركها، ثم تلا: ﴿ورَهْبَانِيَّةً ابتَدَعوها﴾ ٠٠٠ الآية، دلَّ أمرُه بالدوام مع وصفه بالابتداع على كونه أمرا حَسَنا.

وكذلك: ما أخرجه ابن أبى شيبة بإسنادٍ صحيح عن الحكَمِ ابنِ الأعرج قال: سألتُ ابنَ عُمَر عن صلاةِ الضُّحَى فقال: بِدعةٌ ونِعمَتْ البدعةُ هى. وروى عبدالرزّاق بإسنادٍ صحيح عن سالم عن أبيه قال: لقد قُتِلَ عثمانُ وما أحدٌ يُسبِّحُها، وما أحدَثَ الناسُ شيئًا أحبَّ إلىَّ منها.

قال القَسْطَلانى فى «المواهب اللدنية»: أراد أنه ﷺ لم يدوام عليها، أو أنَّ إظهارها فى المساجدِ ونحوِها بدعة، وبالجملةِ فليس فى أحاديثِ ابنِ عُمر ما يَدفع مشروعيةَ صلاة الضُّحى لأنَّ نفيَه محمولٌ على رؤيته لا على عدمِ الوقوف فى نفسِ الأمر، أو الذى نفاه: صفةٌ مخصوصة. انتهى.

والدليلُ: على أنَّ ما أحدثه الصحابةُ ليس بضلالة: وُرودُ كثيرٍ من الأحاديث الدالَّةِ على الاقتداءِ بسيرة الصحابة:

كحديث: «أصحابى كالنُّجوم، بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم». أخرجه الدارقطنىُّ فى «المؤتلف» وفى كتاب «غرائبِ مالك»، والقُضَاعىُّ فى «مُسنَدِ الشهاب» وعبدُ بن حُميد، والبيهقىُّ فى «المدخل»، وابنُ عدى فى "الكامل"، والدارمىُّ وابنُ عبدالبَر وابنُ عساكروالحاكمُ وغيرُهم بألفاظٍ مختلفةِ المبنى متقاربةِ المعنى، بطرقٍ متعدّدةٍ كلُّها ضعيفة، كما بسطه الحافظ ابن حَجَر فى «الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف» لكن بسبب كثرة الطرق وصل إلى درجة الحَسَن، ولذلك حسنَّة الصَّغَانى كما ذكره السيّد الجُرْجانى فى حاشِية "المِشكاة" حيث قال تحت حديث «فَضْلُ العالمِ على العابدِ .... الحديث»: قد شُبِّهوا بالنجوم فى قوله عليه السلام: «أصحابى كالنجوم ...» الحديث، حسَّنه الإمام الصَّغَانى، انتهى.

وقال قاسم الحنفى فى «شرح مختصر المنار»: وتقليدُ الصحابى ـ وهو اتِّباعُه فى قوله وفعله من غير تأمُّلٍ فى الدليل ـ واجبٌ يُترَكُ به القياس لقوله ﷺ: «مثلُ أصحابى فى أُمتى

مثَلُ النُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتم». رواه الدارقطني وابن عبدالبرّ من حديث ابن عُمر، وقد رُوى معناه من حديث أنس، وفى أسانيدها مقال، لكن يَشُدُّ بعضُها بعضا، انتهى.

وكحديث: «عليكم بسُنَّتى وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين....». أخرجه أبو داود والترمذى وغيرهما.

وكحديث: «اقتدوا بالَّذَيْنِ مِن بعدى أبى بكر وعمر». أخرجه الترمذى وأحمد وغيرهما.

وكأثر ابن مسعود: إن الله نَظَر فى قلوب العباد فاختار محمدا، فبعثه برسالته، ثم نظَرَ فى قلوب العباد فاختار له أصحابًا، فجعلَهم أنصارَ دينه ووزراءَ نبيّه، فما رآه المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حَسَن، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح. أخرجه البزّار والطبرانى وأحمد فى «مسنده» وغيرُهم.

وقد ذكرتُ هذه الأحاديثَ مع مالها وما عليها مع أحاديث أُخَرَ موافقةٍ لها فى «تحفة الأخيار» فلا نُعيدُها.

فإن قلتَ: إذا حدَثَ من الصحابة أمرٌ لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهل يكون الأخْذُ بما حدثَ أحسَنَ أم الأخذُ بما كان فى العهد النبوي؟

قلتُ: ما فعلَهُ الصحابىُّ لا يخلوا:

إما أن يَظهرَ نصّ من النصوص النبويَّة أو القرآنية موافِقا له يَدلُّ على استحِسانِ ذلك.

أو يَظهرَ نصّ مخالِفا.

أو لا يَظهرَ هذا ولا ذاك.

فإن كان الأوّل: فلا ريب فى كونِ الأخذِ به أولى، لأنه وإن لم يكن فى العهد النبوى، لكنه ظهر اندراجُه فى أصول الشرع.

وإن كان الثانى: يُجمَع بينهما حتى الوُسْع، بحيث لا يُخرَجُ ما فعلَه الصحابىُّ عن حيّزِ الشرع، فإن لم يُمكن ذلك لا يكون الأخذُ بقولِ الصحابى أو فعِله أولى، لورودِ النصِّ المخالفِ له، ويُعذَرُ الصحابىُّ بعدمِ علمه بذلك النصّ، وإلا لم يَقُل بما خالفه.

وإن كان الثالث، بأن وجدنا قولا أو فعلا من صحابى ولم نجد فى الكتاب والسنة ما يخالفه ولا ما يوافقه: فحينئذ يكون تقليدُه فى ذلك أولى، لما مَرَّ من الأحاديث المتعدّدة، فلا نتوقّفُ فى العمل به إلى أن يظهر لنا دليلٌ يوافقه. فافهم هذا فإنه أصلٌ شريفٌ يتفرّعُ منه كثيرٌ

من الفروع.

فإن قلتَ: إذا اتفق أصحابُ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أمرٍ مُحدَثٍ فأولويَّةُ الأخذِ به ظاهرٌ، وأمَّا إذا اختلفوا فيه فماذا يُفعَل؟

قلتُ: يَتخيَّرُ فيه الآخِذُ بأيِّهم اقتَدَى اهتَدَى، كما نصَّ عليه الأصوليون فى كتبهم.

وأمَّا الحادثُ فى زمان التابعين وتَبَعِهم فالتفصيلُ فيه: هو التفصيلُ المذكور سابقا، فإن كان المُحدَثُ فى أزمنتهم قد وقع النكيرُ منهم عليه كان بدعة. وإلا فليس ببدعة.

وأمَّا الحادثُ بعد الأزمنة الثلاثة: فيُعرَضُ على أدلَّة الشرع، فإن وُجِدَ نظيرُه فى العهود الثلاثة أو دخَلَ فى قاعدةٍ من قواعد الشرع: لم يكن بدعة، لأنها عبارةٌ عما لا يوجد فى القرون الثلاثة وليس له أصل من أصول الشرع، وإن أطلقتَ عليه: (البدعةَ) قيَّدتَهُ بـ "الحسَنة"، وإن لم يُوجَد له أصلٌ من أصول الشرع صار بدعةَ ضلالةٍ وإن ارتكبه من يُعَدُّ من أرباب الفضيلة أو من يشتهر بالمشيخة، فإنَّ أفعال العلماءِ والعُبَّادِ ليست بحُجَّةٍ ما لم تكن مطابقةً للشرع.

ولعلَّك تتفطَّنُ من هاهنا أنَّ اختلاف العلماء فى أنَّ حديث «كلُّ بدعةٍ ضلالة» عامٌ مخصوصُ البعضِ أو عام غيرُ مخصوصٍ: اختلافٌ لفظى، فإنَّ مَنْ أخَذَ البدعةَ بمعنى عامّ ــ وهو: ما لم يُوجَد فى العهد النبوى فحسب ــ قَسَمَه إلى أقسام: بدعةٌ واجبة، وبدعةٌ مستحبة، وبدعةٌ مباحة، وبدعةٌ مكروهة، وبدعةٌ محرَّمة، فلزِمَه تخصيصُ عمومِ الحديث وإخراجُ الأقسام الثلاثة الأُوَل منها. ومن أخَذَه بالمعنى الشرعىّ ــ وهو: ما لم يُعهَد فى القرون الثلاثة، وليس له أصل من أصول الشرع ــ أجْرَى الحديثَ على العموم، ومِن ثَمَّ قال البِرْكلى فى «الطريقة المحمَّدية»: لو تتبعتَ كلَّ ما قيل فيه: (بدعةٌ حسَنَة) من جنسِ العبادات وجدتَه مأذونا فيه من الشارع إشارةً أو دلالةً، انتهى.

وما أشنَعَ صَنيعَ علماءِ زمانِنا حيث افترقوا فِرقتين:

ففِرقةٌ حصرَ السُّنَّةَ على ما وُجِدَ فى العهود الثلاثة، وجعَلَ ما حدَثَ بعدها بدعةَ ضلالةٍ، ولم يَنظرِ إلى دخوله فى أصول الشرع، بل منهم من حصرها على ما وُجِدَ فى الزمان النبوي، وجوَّزَ كونَ مُحدَثِ الصحابة بدعةَ ضلالة.

وفِرقةٌ اعتمَدَ على ما نُقِلَ عن آبائهم وأجدادهم وما ارتكبه مشايخُهم، وأدخَلَ كثيرا من البدع الحسنة اعتمادا عليهم وإن لم يكن له أصل من أصول الشرع.

ولـمَّا رَدَّت الفِرقةُ الأولى بحديث «كلُّ بدعةٍ ضلالة» فرَّتْ الثانيةُ إلى تخصيص الحديث. وإلى الله المشتكَى من هذه المنازعات والمخاصمات، يظنون أنها تفيد ! كلا والله هى تَضرّ، ولولا خوفُ إطالةِ الكلام لنصصتُ على خطأ الفريقين فيما جعلوه من البِدَع الحسنة وهى ليست بحسنة، وما جعلوه من البِدَع السيئة وهى ليست بسيئة، مُتجنبًا عن الإفراط والتفريط، سالكا مسلك بَيْنَ بَيْنَ.

الأصل الثّانى

في ذكرٍ جماعةٍ من الذين اجتهدوا فى العبادة، وصرفوا تمامَ أعمارِهم فى الجهاد فى الطاعة، على سبيل الاختصار، إذ الإحاطةُ بأحوالِ جميع المجاهدين مما يَقصرُ عنه البشر، إنما هو شأنُ خالق القُوى والقُدَر.

ذكرُ الصحابة المجهادين فى العبادة رضى الله تعالى عنهم أجمعين:

١- منهم: صاحبُ الحياء والعرفان، سيدنا عثمان بن عفان، رضى الله عنه ربُّه الرحمن. قال الحافظ أبو نُعَيم الأصبهانى فى «حلية الأولياء»: حدَّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدَّثنى أبى، حدَّثنا حمَّاد بن خالد، حدَّثنا الزُّبير بن عبد الله، عن جَدَّةٍ له يقال لها رُهَيْمَة، قالت: كان عثمانُ يصومُ الدهر، ويقومُ الليلَ إلا هَجْعةً من أوَّله.

حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله، حدَّثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قُتَيبَة بن سعيد، حدَّثنا أبو علقمة عبد الله بن محمد، عن عثمان بن عبد الرحمن التَّيمى قال: قال لى أبى: لأَغلبنَّ الليلةَ على المَقَام، قال: فلمَّا صلَّيت العَتَمة تخلَّصتُ إلى المقام حتى قمتُ فيه، فبينا أنا قائم إذا رجلٌ وضَعَ يَدَه بين كتِفَيَّ، فإذا هو عثمان بن عفان، فبدأ بأمِّ القرآن، فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد، ثم أخَذَ نعليه فلا أدرى أصلَّى قبلَ ذلك شيئًا أم لا.

حدَّثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أبو يزيد القراطيسى، حدثنا أسَدُ بن موسى، حدثنا سَلاَّم بن مسكين، عن محمد ابن سِيرين قال: قالت امرأةُ عثمان حين أطافوا به يُريدون قتلَه: إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يُحيى الليلَ كلَّه فى ركعةٍ يَجمعُ فيها القرآن.

٢- ومنهم: الناطق بالحقّ والصواب، سيدنا عمر بن الخطاب. قال ابنُ كثير فى تاريخه المسمَّى بـ "البداية والنهاية" فى ترجمته: كان يُصلّى بالناس العشاء ثم يَدخُلُ بيته فلا يزالُ يُصلّى إلى الفجر، وما مات حتى سَرَدَ الصوم، انتهى.

٣- ومنهم: عبدُ الله بن عُمَر قال أبو نُعَيم فى "حلية الأولياء": حدثنا سليمان، حدثنا

أبو يزيد القراطيسى، حدثنا أسَدُ ابن موسى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابنُ جابر، حدثنى سليمان بن موسى، عن نافع، أنَّ ابن عمر كان يُحيى الليلَ صلاةً ثم يقول: يا نافع أسْحَرْنا؟ فيقول: لا، فيعاودُ الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسْحَرنا؟ فيقول: نعم، فيَقعُدُ ويستغفر الله ويدعو إلى الصبح.

حدَّثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاّد بن يحيى حدثنا عبد العزيز بن أبى رَوَّاد، حدثنا ابن محمد، حدثنا أبو يَعلى، حدثنا محمد بن الحسين الجُرجانى، حدثنا زيد، حدثنا عبد العزيز، عن نافع، أنَّ ابن عمر كان إذا فاتَتْه صلاةُ العشاء فى جماعةٍ أحيى بقيةَ ليلتِه.

٤- ومنهم: تميمُ بن أوس بن خارجة الدارِىُّ صاحب خبر الدجَّالِ والجَسّاسة، حدَّثَهُ النبىُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنه، كما فى «سنن أبى داود» وغيره. قال أبو سَعْد السَّمْعانى فى كتاب «الأنساب»: كان تميمٌ يَختمُ القرآنَ فى ركعة، وربما ردَّدَ الآيةَ الواحدةَ الليلَ كله حتى الصباح، وكان من عُبَّادِ الصحابة وزهّادهم، ممن جانب أسباب العز، ولزم التخلّى بالعبادة أن مات. انتهى. وقال ابن حَجَر المكى الهيتمى فى «فتح المبين بشرح الأربعين»: كان تميمٌ يَختمُ القرآنَ فى ركعة، انتهى.

٥- ومنهم: شدَّادُ بن أوس، قال أبو نُعَيم: حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله، حدَّثنا محمّد بن إسحاق، حدَّثنا قُتَيبة بن سعيد، حدَّثنا الفرَجُ بن فَضَالة، عن أسَد بن وَدَاعة، عن شدَّادِ الأنصارى أنه كان إذا دخل الفراش يتقلَّب على الفراش لا يأتيه النومُ، فيقول: اللهم إنَّ النّار أذهبَتْ عنى النوم، فيقومُ فيصلّى حتى يصبح.

٦- ومنهم: علىُّ بن أبى طالب، فإنه كان يختمُ فى اليوم ثمانَ خَتَمات، كما ذكره بعضُ شرَّاح البخارى.

ذكرُ التابعين المجاهدين:

٧- عُمَير بن هانئ، أخرج الترمذى فى «أبواب الدعاء» عن مسْلَمة بن عَمْرٍو قال: كان عُمَير بن هانئ يُصلّى كلَّ يوم ألفَ ركعة، ويُسبّحُ مائةَ ألفِ تسبيحة.

٨- أُوَيْس القرَنى الذى أمرَ النبىُّ ﷺ أصحابَهُ بالاستغفار منه، قال أبو نُعَيم: حدَّثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا الحسن ابن محمد، حدثنا عُبَيد الله بن عبد الكريم، حدثنا سعيد

بن أسَد بن موسى ، حدثنا ضَمْرَة بن ربيعة ، عن أصبَغ بن زيْد قال : كان أُوَيس القَرَنى إذا أمسى يقول : هذه ليلةُ الركوع ، فيركع حتى يصبح ، وكان إذا أمسى يقول : هذه ليلةُ السجود فيسجد حتى يصبح .

٩- عامر بن عبد الله بن قيس ، قال أبو نُعَيم : حدثنا محمد بن أحمد بن محمد العبدى ، حدثنا أبى ، حدثنا أبو بكر بن عُبَيد ، حدثنا محمد بن يحيى الأزدى ، حدثنا جعفر بن أبى جعفر الرازى ، عن أبى جعفر السائح ، أخبرنا ابنُ وهب وغيرُه- يزيدُ بعضُهم على بعض - أنَّ عامر بن عبد الله كان من أفضل العابدين ، وفَرَض على نفسه فى كلّ يومٍ ألفَ ركعة .

١٠- مسروق بن عبد الرحمن ، أبو عائشة الهَمْدانى الكوفى ، قال أبو نُعَيم : حدثنا محمد بن على ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا الجعد ، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : حجَّ مسروق فما بات إلا ساجداً . وقال شيخ الإسلام أبو عبد الله الذهبى فى «العِبَر بأخبار من غَبَر» : كان مسروق يصلّى حتى تورَّمَ قَدَماه ، وحجَّ فما نام إلا ساجداً . انتهى . ومثلُه فى «مرآة الجَنان» لليافعى . وفى «تاريخ ابن كثير» : قال أحمد : حجَّ مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع ، وكان يصلى حتى تورَّمَ قَدَماه ، وقالت امرأة مسروق : ما كانُ يوجَدُ إلا وساقاه قد انتفختَا من طولِ الصلاة .

١١- الأسود بن يزيد النَّخَعى الكوفى ، قال الذهبى واليافعى : ورَدَ أنه كان يصلى فى اليوم والليلة سبعَمائة ركعة ، انتهى . وفى "حلية الأولياء" : حدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا عبد الله بن مَنْدَل ، حدثنا فُضَيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان الأسود يختم القرآن فى رمضان فى كلِّ ليلتين ، وكان ينامُ بين المغرب والعشاء ، وكان يختم فى غير رمضان فى كلِّ ست ليال .

١٢- سعيد بن المسيَّب أبو محمد المخزومى ، قال أبو نعيم : حدثنا أبو محمد ، حدثنا أحمد بن روح ، حدثنا أحمد بن حامد ، حدثنا عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه قال : صلَّى سعيد بن المسيب الغداةَ بوضوء العَتَمة خمسين سنة .

١٣- عُروة بن الزُّبَير بن العوَّام ، أبو عبد الله الأسَدى المدنى ، قال الذهبى : كان يقرأ كلَّ يوم رُبعَ الخَتْمة فى المصحف ، ويقومُ الليل به ، فما تركه إلا ليلةَ قُطِعَتْ رِجلُه .

١٤- صِلَةُ بن أشْيَم ، قال أبو نعيم : حدثنا أبو محمد بن حيَّان ، حُدِّثْتُ عن عبد الله ،

أخبرنى نَجْدةُ بنُ المبارك، حدثنى مالك بن مِغْوَل، قال: كان بالبصرة ثلاثةٌ متعبّدون: صِلَةُ بن أشْيَم، وكُلْثومُ بن الأسود، ورجلٌ آخر، فكان صِلةُ إذا جاء الليلُ خرج إلى أجَمَةٍ متعبدًا لله تعالى، ففَطِنَ له رجل فقام فى الأجمَة فنظر إلى عبادته، فأتى سَبُعٌ، فأتاه صِلَةُ وقال: قُمْ فابْتَغِ الرِّزْقَ، فذهب، ثم قام لعبادته، فلما كان وقتُ السحر قال: اللهم إنَّ صِلَةَ ليس بأهلٍ أن يسألك الجنةَ ولكنْ سَتْرًا من النار.

١٥- ثابتُ بن أسلم البُنَانى، قال السَّمْعانى: هو من تابعى البصرة، يروى عن ابن عُمَر وابن الزُّبَير، صَحِبَ أنسًا أربعين سنة، وكان أعبدَ أهلِ البصرة، مات سنة سبع وعشرين ومائة. انتهى. وفى «حلية الأولياء»: حدثنا عثمان بن محمد العثمانى، حدثنا إسماعيل بن على الكرابيسى، حدثنى محمد بن سنَان، حدثنا سِنانٌ عن أبيه، قال: أنا والله أدخلتُ ثابتًا لَحْدَه ومعى حمَيد الطويل أو رجلٌ غيرُه - شكَّ محمد- فلما سَوَّينا عليه الترابَ سقطتْ لَبِنةٌ فإذا هو قائمٌ يُصلّى فى قبره، فقلتُ للذى معى: ألا تَرى؟ قال: اسكُتْ. فلما سَوَّينا عليه الترابَ أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عَمَلُ أبيك؟ فقالت: وما رأيتُم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقومُ الليلَ خمسين سنة، فإذا كان السحر قال: اللهمّ إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطِنيها. فما كان الله لِيَرُدُّ ذلك الدُّعاء. حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبى، حدثنا روح حدثنا شعبة قال: كان ثابتٌ يقرأ القرآنَ فى يوم وليلة، ويصومُ الدهر.

١٦- على ابن الحسين بن على أبى طالب، الإمام زين العابدين الهاشمى، قال الذهبى فى «العِبَر»: كان يُصلّى فى اليوم والليلة ألفَ ركعة إلى أن مات، قاله مالك، قال: وكان يُسمَّى زينَ العابدين لعبادته. انتهى.

١٧- قَتادة بن دِعامة، أبو الخطاب. قال أبو نُعيم، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سَلاَّم بنُ أبى مُطيع أنَّ قتادة كان يختم القرآنَ فى كل سبع ليال مرَّة، فإذا جاء رمضانُ ختَم فى كلِّ ثلاثِ ليالٍ مرة، فإذا جاء العشرُ ختَم فى كل ليلةٍ مرَّة.

١٨- سعيد بن جُبَير. قال اليافعى فى «مِرآة الجَنان»: رُوى أنه قرأ القرآنَ فى ركعة فى البيت الحرام. وقال وِقاءُ بن أبى إياس: قال لى سعيدُ بن جُبَير فى رمضان: أمسِكْ علىَّ المصحف، فما قام من مجلسه حتى ختمَ القرآن. انتهى. وفى «أعلام الأخيار فى طبقات

فقهاءِ مذهبِ النعمان المختار» لمحمود بن سليمان الكَفَوى: قال إسماعيل بن عبد الملك: كان سعيد بن جُبَير يؤمُّنا فى رمضان، فيقرأ ليلةً بقراءةِ ابن مسعود، وليلةً بقراءةِ زيد بن ثابت. وعن هلالِ بن يسار قال: دخل سعيد بن جُبَير الكعبةَ، فقرأ القرآنَ فى ركعة. وقيل إنه كان يختمُ فى كلّ ليلتين، هكذا ذكره الذهبى فى «طبقات القراء». انتهى.

١٩- محمد بن واسع، أبو عبد الله، قال أبو نُعيم: حدَّثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا أحمد بن كثير، حدثنا شَبَابة، أخبرنى أبو الطيب موسى بن يَسَار، قال: صحبتُ محمدَ بنَ واسع من مكَّة إلى البصرة، فكان يُصلّى الليلَ أجمع، يصلى فى المحمِلِ جالسًا يومئُ برأسه إيماء، وربما عرَّس بالليلِ فينزِلُ فيصلى، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلا رجلا، يجىءُ عليه فيقول: الصلاةَ الصلاةَ.

٢٠- مالك بن دينار، قال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، قال: سمعتُ المغيرةَ بن حبيب أبا صالح خَتَنَ مالكِ بن دينار، قال: صلَّيتُ العشاء مع مالك، وجاء فأكل ثم قام إلى الصلاة، فاستفتح ثم أخذَ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعتَ الأوَّلين والآخرين فحَرِّمْ شيبةَ مالكٍ على النار. فوالله مازال كذلك حتى غلَبَتْنى عينى، ثم انتبهتُ فإذا هو على تلك الحال. فما زال كذلك حتى طلع الفجر.

٢١- سُلَيمان بن طَرْخان، أبو المعتمِر، قال أبو نُعيم: حدثنا محمد بن إبراهيم ابن عاصم، حدثنا محمد بن تمَّام الحمصى، حدثنا المسيّب بن واضح أراه عن ابن المبارك أو غيره قال: أقام سُليمان التَّيْمىُّ أربعين سنة إمامَ جامع البصرة، يُصلّى العشاءَ والصبحَ بوضوءٍ واحد.

٢٢- منصور بن زاذان، قال أبو نعيم: حدثنا أبو محمد بن حيَّان، حدثنا أحمد ابن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقى، حدثنى محمد بن عُيَينة، حدثنى مَخْلَد ابن الحُسَين، عن هشام بن حسَّان، قال: كنتُ أصلّى أنا ومنصورٌ جميعًا، وكان إذا جاء رمضان ختَم القرآنَ فيما بين المغرب والعشاء خَتْمَتَيْن، ثم يقرأ إلى الطَّواسِين قبل أن تُقام الصلاة، وكانوا إذ ذاك يؤخِّرون العِشاء فى رمضان إلى أن يذهب رُبعُ الليل.

حدثنا مَخْلَد بن جعفر، حدثنا جعفر الفِرْيابى، حدثنا عباس، حدثنا يحيى بن أبى بُكير، حدثنا شعبة، عن هشام بن حسَّان، قال: صلَّيتُ إلى جنب منصور فيما بين المغرب

والعشاء، فخَتَم القرآن وبلَغَ إلى (النَّحْل).

حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا الحسن بن علي بن عيَّاش، حدثنا يوسف بن يونس، حدثناً مخْلَد بن حسين قال: كان منصور يَختمُ القرآنَ في كل يومٍ وليلة.

حدثنا أبو حامد، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن عُمر، قال: حدثنا سعيد ابن عامر، عن العلاء قال: أتيت مسجدَ واصِل، فأذَّن المؤذّن للظهر، فجاء منصور فافتتح الصلاة، فرأيتُه سَجَدَ إحدى عشرة سجدةً قبل أن تقام الصلاة.

٢٣- على بن عبد الله بن عباس بن عبد المُطَّلب المدنى، قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى «تهذيب التهذيب»: كان يُدعَى: (السَجَّاد) لكثرة صلاته. وقال ضَمْرَة: حدثنى على بن أبى حَمَلَة قال: كان على بن عبد الله يَسْجُدُ كلَّ يوم ألف سجدة. وقال ميمون ابن زياد العدوى: كان يُصلّى فى كلّ يومٍ ألفَ ركعة. انتهى.

وفى «العِبَر بأخبار من غَبَر»: قال الأوزاعى وغيرُه: كان يَسجدُ كلَّ يوم ألفَ سجدة. انتهى. وفى «حلية الأولياء»: حدثنا أحمد بن جعفر بن مُسْلِم، حدثنا أحمد بن على، حدثنا مؤمَّل، حدثنا ضَمْرَة، عن على بن أبى حَمَلَة والأوزاعى قالا: كان علىّ بن عبد الله يسجدُ كلَّ يوم الفَ سجدة. حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو زُرْعَة. حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مُسْلِم، حدثنا أحمد بن محمد بن كُرَيب، قال: كان على يُصلّى فى كلّ يوم ألفَ سجدة ــ يُريد خمَسمائةِ ركعة ــ انتهى.

٢٤- أبو حنيفةُ نُعمان بن ثابت الكوفى، الإمام الأعظم، ذكَرَ جمعٌ من المعتبَرين اجتهادَه فى العبادة.

فقال شمس الأئمة الكَرْدَرِى فى «رسالته»: نُقِلَ عنه أنه صلَّى الفجرَ بوضوء العشاء بنيِّفٍ وثلاثين سنة، وقيل أربعين سنة، وكان يَختم القرآنَ فى كلّ يومٍ وليلةٍ مرَّةً، وفى رمضان كلَّ يوم مرَّتين، مرَّةً فى النهار ومرَّةً فى اللّيل. وقال ابن المبارك: كان أبو حنيفة يَجمعُ القرآنَ فى ركعتين وقال أيضًا: أربعة من الأئمة ختموا القرآن فى ركعتين: عثمانُ بن عفان، وتميمٌ الدّارىّ، وسعيدُ بن جُبَير، وأبو حنيفة. انتهى ملخّصًا.

وفي "تهذيب الأسماء واللغات" للنووي: عن إبراهيم بن عكرمة قال: ما رأيتُ أورعَ ولا أفقهَ من أبي حنيفة. وعن سفيان بن عُيَيْنة قال: ما قَدِم مكّةَ في وقتنا رجلٌ أكثَرُ صلاة من أبي حنيفة. وعن يحيى بن أيوب الزاهد قال: كان أبو حنيفة لا ينام الليل. وعن أبي عاصم النبيل قال: كان أبو حنيفة يُسمَّى (الوَتَد) لكثرة صلاته.

وعن أسَد بن عَمْرو قال: صلَّى أبو حنيفة الفجرَ بوضوء العشاءِ أربعين سنة، وكان عامَّةَ الليل يقرأ القرآنَ في ركعة، وكان يُسمَع بكاؤه حتى يرحَمَه جيرانُه، وحُفِظَ عليه أنه ختَمَ القرآن في الموضع الذي تُوفي فيه سبعةَ آلافِ مرَّة.

وعن الحسن بن عُمَارة أنه غسَّل أبا حنيفة حين تُوفي وقال: غَفَر الله لك، لم تُفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينكَ في الليل منذ أربعين سنة. وعن ابن المبارك أنَّ أبا حنيفة صلَّى خمسًا وأربعين سنة الصلواتِ الخمسَ بوضوءٍ واحد، وكان يَجمعُ القرآن في ركعتين.

وعن أبي يوسف قال: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سَمِعَ رجلا يقول لرجل: هذا أبو حنيفة، لا يَنامُ الليل، فقال أبو حنيفة: لا يُتحدَّثُ عني بما لا أفعلُه، فكان يُحيي الليلَ صلاةً ودُعاءً وتضرُّعًا.

وعن مِسْعَر بن كدَام قال: دخلتُ المسجدَ ليلةً فرأيتُ رجلا يصلي فاستحليتُ قراءتَه، فقرأ سُبْعًا فقلتُ: يركع، ثم قرأ الثُلُثَ ثم النِّصفَ، فلم يزل يقرأُ حتى ختَمَهُ كلَّه في ركعة، فنظرتُ فإذا هو أبو حنيفة. وعن زائدة قال: صلَّيتُ مع أبي حنيفة في مسجدِه العشاءَ وخرجَ الناسُ ولم يَعلم أنَّ في المسجد أحدًا، فأردتُ أن أسأله مسألة، فقام فافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية: «فمنَّ الله علينا ووَقانا عذابَ السَّمُومِ». فلم يَزلْ يُردِّدُها حتى أذَّن المؤذِّنُ للصبح وأنا أنتظره.

وعن القاسم بن مَعْن أنَّ أبا حنيفة قام ليلةً بهذه الآية: «بل السَّاعةُ موعدُهم والسَّاعَةُ أدهى وأمَرُّ». فلم يزلْ يُردِّدُها ويَبكي ويتضرَّع. وعن مكي بن إبراهيم قال: جالستُ الكوفيين فما رأيتُ أورع من أبي حنيفة. انتهى.

وفي «مرآة الجنان» لليافعي عن أبي يوسف: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلا يقول لآخر: هذا أبو حنيفة، يُحيي اللَّيلَ كلَّه، فقال: والله لا يُتحدَّثُ عني بما لم أفعل، فكان يُحيي الليل. انتهى.

وفي «الميزان الكبرى» لعبد الوهاب الشَّعراني: روى الإمامُ أبو جعفر الشيزاماري

بسنده إلى إبراهيم بن عكرمة المخزومي أنه كان يقول: ما رأيتُ في عصري كلّه عالمًا أورع ولا أزهدَ ولا أعبدَ ولا أعلَمَ من الإمام أبي حنيفة. وروى أبو نُعَيم وغيرُه أنه صلّى الصبح بوضوء العشاء أكثرَ من خمسين سنة ولم يكن يضع جَنْبَه إلى الأرض في الليل أبدًا، وإنما كان ينام لحظةً بعد صلاةِ الظهر وهو جالس ويقول: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على قيام الليل بالقَيْلُولة». انتهى ملخصًا.

وفي «الأثمار الجَنِيَّة في طبقات الحنفيَّة» لعلي القاري المكي: عن زُفَر قال: بات الإمامُ أبو حنيفة عندي ليلةً فقام كلَّ ليلِه بآيةٍ واحدة وهي قولُه تعالى: «بل السَّاعَةُ موعِدُهُم والسَّاعَةُ أدهى وأمَرُّ». وروى عنه أنه قام الليلَ كلَّه بآيةِ «فمنَّ الله علينا ووقانا عذابَ السَّمُوم».

ورُوى عنه أنه سَمِعَ رجلا يقرأ سُورَةَ «إذا زُلْزِلَتْ» في صلاة العشاء وهو خَلْفَه، فجلس بعدَ خروجِ الناس إلى أن طلع الفجر وهو أخذٌ بلحيته قائمًا يقول: يا من يَجزى مثقالَ ذرَّةٍ خيرًا خيرًا. ويا من يَجزى مثقالَ ذرَّةٍ شرًا شرًا: أجِرْ عبدكَ نُعمانَ من النار. وعن حفص بن عبد الرحمن أنه كان يُحيى الليلَ كلَّه بقراءةِ القرآن ثلاثين سنةً في ركعة. انتهى ملخَّصًا.

وفي «مَعْدِن اليواقيت الملتمِعَة في مناقب الأئمة الأربعة»: قال الشيخ العطَّار في «التذكرة» إنَّ أبا حنيفة كان يُصلّي في كلِّ ليلةٍ ثلاثَمائةِ ركعة، ومَرَّ يومًا على جمع من الصبيان قال بعضهم لبعض: هذا يُصلّي في كل ليلةٍ ألفَ ركعة، ولا يَنامُ بالليل، فقال أبو حنيفة: نويتُ أن أُصلّي في كلِّ ليلةٍ ألفَ ركعة وأن لا أنامَ بالليل.

وقال مِسْعَر بن كِدَام، وكان مُشتهِرًا بالزُّهدِ والاجتهاد: أتيتُ أبا حنيفة في مجلسه، فرأيتهُ يُصلّي الغداةَ، ثم يَجلسُ للناس للعلم إلى أن يُصلّي الظهر، ثم يَجلسُ إلى العصر، فإذا صلّى جلَسَ إلى المغرب، فإذا صلّى المغرب جلَس إلى أن يصلى العشاء، فقلتُ في نفسي: هذا الرجلُ في هذا الشُّغل متى يتفرَّغ للعبادة؟ لأتعاهدنَّه هذه الليلة، فتعاهدتُه فلما خرج الناسُ انتصب للصلاة إلى أن طلَعَ الفجر، ودخَلَ منزلَه ولَبِسَ ثيابَه وخرج إلى المسجد لصلاةِ الفجر. انتهى ملخصًا.

وقد ذكَرَ مثلَ ما نقلنا — مع زيادات دالَّةٍ على شِدَّةِ وَرَعِه وجُهْدِه في التعبُّد — صاحبُ «الهداية» في «مختارات النوازل». والذهبيّ في «العِبَر بأخبار من غَبَر»، والكَفَوىّ في «أعلام الأخيار في طبقات فقهاء مذهب النُّعمان المختار» والسيوطيّ في «تبييض الصَّحيفة بمناقب الأمام أبي حنيفة»، وابنُ خلّكان في «وفَيَات الأعيان» وغيرُهم من المتقدّمين والمتأخرين،

بحيثُ بلَغَ ذلك حَدَّ التواتُرِ المعنوى، ولم يَبقَ فيه ريبٌ لمن تأمَّلٍ فى الكتب المذكورة وغيرِها. ولو لا خوفُ الإطالة لسردتُ من الكتب المذكورة وغيرِها من رسائلِ مناقبه ودفاترِ التواريخ المعتبرةِ أضعافًا مضاعفة، فإنى قادرٌ على ذلك بحول الله وقُوَّته، ولكنْ خيرُ الكلام ماقلَّ ودلّ.

تنبيه

اختلَفَ العلماءُ فى كونِ الإمامِ أبى حنيفة تابعيًا، بعدَ ما اتفقوا أنه أدركَ زمانَ الصحابة، فمنهم مَنْ نفاه، وجَمْعٌ من الثقات أثبتوه.

فقال شيخُ الإسلام أبو عبد الله الذهبى فى «الكاشف» عنه: النُّعمانُ بن ثابت بن زَوْطَى، رأى أنسًا رضى الله عنه، وسمعَ عطاءً والأعرجَ وعكرمة، وعنه أبو يوسف ومحمد، أفردتُ سِيرتَه فى جزء. انتهى.

وفى «مِرآة الجَنان» لليافعى فى حوادث سنة خمسين ومائة: فيها تُوفّى فقيهُ العراق الإمامُ أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت الكوفىْ مولدهُ سنة ثمانين، رأى أنسًا رضى الله عنه، وروَى عن عطاء بن أبى رَبَاح وطبقِته. انتهى.

وفيه أيضًا بُعَيدَ هذا: كان قد أدركَ أربعةً من الصحابة هم: أنسُ بن مالك بالبصرة، عبدُ الله بن أَبِى أوفَى بالكوفة، وسهلُ ابن سَعْدٍ السَّاعِديْ بالمدينة، وأبو الطُّفَيل عامرُ بن واثلة بمكة. قال بعضُ أصحاب التواريخ: لم يَلق أحدًا منهم ولا أخَذَ عنهم، وأصحابُه يقولون: لقى جماعةً من الصحابة وروَى عنهم، وذكَرَ الخطيبُ فى «تاريخ بغداد» أنه رأى أنسَ بنَ مالك كما تقدّم. انتهى.

وفى «طبقات الحنفية» لعلى القارى المكى: قد ثبتَتْ رؤيتُه لبعض الصحابة، واختُلِفَ فى روايته عنهم، والمعتمَدُ ثبوتُها كما بيَّنْتُه فى «سَنَدُ الأنام شَرْحُ مُسنَدِ الإمام» حالَ إسنادِه إلى بعض الصحابة الكرام، فهو من التابعين الأعلام، كما صَرَّح به العلماء الأعيان، داخلٌ تحت قوله تعالى: ﴿والذين اتَّبعُوهم بإحْسان﴾. وفى عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «خيرُ القرون قَرْنى ثم الذين يلونهم». رواه الشيخان.

ثم اعلم أنَّ جمهور علماء أصول الحديث على أنَّ الرجل، بمجرَّد اللُّقىِّ والرؤيةِ للصحابى يصيرُ تابعيًا، ولا يُشترطُ أن يصحبَه مُدَّةً، ولا أن يَنقُلَ عنه رواية، بخلاف

الصحابي فإنّ بعض الفقهاء شرطوا في كونه صحابيا طول الصُّحبة، أو المرافقة في الغزوة، أو الموافقة في الرواية. انتهى ملخصا.

وفي «تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة»: قد ألّف الإمام أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصّمد الطبري المُقرِي الشافعي جزء فيما رواه أبو حنيفة عن الصحابة، لكن قال حمزة السَّهمي: سمعتُ الدارقطني يقول: لم يلق أبو حنيفة أحدًا من الصحابة، ألا أنه رأى أنسا بعينيه ولم يسمع منه، وقال الخطيب: لا يصحُّ لأبي حنيفة سماعٌ من أنس، انتهى ملخصا.

وفي «تبييض الصحيفة» أيضا: قد وقفتُ على فُتيا رُفِعَتْ إلى الشيخ ولي الدين العراقي: هل روى أبو حنيفة عن أحد من الصحابة؟ وهل يُعدُّ في التابعين؟ فأجاب بما نصُّه: الإمام أبو حنيفة لم يصحّ له روايةٌ عن أحد من الصحابة، وقد رأى أنسَ بن مالك، فمن يكتفي في التابعين بمجرَّد رؤيةِ الصحابي يجعله تابعيا، انتهى.

وفيه أيضا: رُفع هذا السؤال إلى الحافظ ابن حجر فأجاب بما نصُّه: أدرك أبو حنيفة جماعة من الصحابة، لأنه وُلِدَ بالكوفة سنةَ ثمانين من الهجرة، وبها يومئذ عبدُ الله بنُ أبي أوفى فإنه مات بعد ذلك، وبالبصرة أنسٌ، وقد أورد ابنُ سعد بسند لا بأس به أنّ أبا حنيفة رأى أنسا، وكان غيرُ هذين من الصحابة بعِدَّة من البلاد أحياء.

وقد جمع بعضُهم جُزءا فيما ورَدَ من روايةِ أبي حنيفة عن الصحابة، ولكن لا يخلو إسنادُه من ضعف، والمعتمَدُ على إدراكه ما تقدّم، وعلى رؤيتِه لبعضِ الصحابة ما أورده ابن سعد في «الطبقات»، فهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين، ولم يَثبُت ذلك لأحد من أئمة الأعصار المعاصرين له، كالأوزاعي بالشام، والحمَّادَين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومسلم بن خالد الزّنجي بمكة، والليث بن سعد بمصر. انتهى.

وفي «شرح شرح نخبة الفكر» لعلي القاري عند قول ابن حجر في تعريف التابعي هو من لقي الصحابي: هذا هو المختار، قال العراقي: وعليه عملُ الأكثرين، وقد أشار النبي ﷺ إلى الصحابي والتابعي بقوله: «طُوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني» فاكتفى فيهما بمجرّد الرؤية.

قلتُ: وبه يندرجُ الإمامُ الأعظمُ في سلك التابعين، فإنه قد رأى أنسا وغيره من الصحابة على ما ذكره الشيخُ الجزري في «أسماء رجال القرّاء» والتوربشتيّ في «تحفة

المسترشدين» وصاحبُ «كشف الكشّاف» فى سورة المؤمنين وصاحبُ «مرآة الجنان» وغيرُهم من العلماء المتبحّرين. فمن نَفَى أنه تابعى فامّا من التتبع القاصر، أو التعصُّب الفاتر، انتهى.
وقد نقله عنه محمد أكرم بن عبد الرحمن فى «إمعان النظر فى توضيح نخبة الفِكَر» وأقرّه.
وفى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية» لابن الجوزى فى باب الكفالة برزق المُتَفَقِّه: قال الدارقطنى: أبو حنيفة لم يَسمع من أحد من الصحابة، وإنما رأى أنسَ بنَ مالك بعينه، انتهى.

فهذه العلماء الثقات: الدارقطنيّ وابنُ سعد والخطيبُ والذهبيّ وابنُ حجر والوليّ العراقى والسيوطيّ وعليّ القارى وأكرمُ السِّنْدى وأبو معشر وحمزةُ السَّهْمى واليافعيّ والجزريَ والتّوربشْتى وابنُ الجوزى والسّرّاجُ صاحب «كشف الكشّاف» قد نَصُّوا على كون الإمام أبى حنيفة تابعيًا وإنما أنكر من أنكر منهم روايته عن الصحابة. وقد صرّح به جمعٌ آخرون من المحدِّثين والمؤرّخين المعتبَرين أيضًا، تركتُ عباراتهم خوفًا من الإطالةِ الموجِبة للملالة، وما نقلتُه إنما نقلتُه بعد مطالعةِ الكتب المذكورة لا بمجرَّد اعتمادِ نقل غيرى، ومَن راجعَ الكتب المذكورة يجد صِدْقَ نقلى. وأما كلماتُ فقهائنا فى هذا الباب فأكثرُ من أن تُحصَى.

ومنْ أنكر كونه تابعيًا من المؤرّخين لا يَصلُ فى الاعتماد وقوّةِ الحفظ وسعةِ النظر إلى مرتبة هؤلاء المُثْبِتين، فلا عبرةَ بقوله معارِضًا لقولهم. وهذا الذهبىّ شيخُ الإسلام، المعتمَدُ فى نقله عند الأنام، لو صرّحَ وحدَه بكونه تابعياً لكفى قولُه رادًا لقول النافين.
فكيف وقد وافقهُ إمامُ الحُفّاظِ ابنُ حجر، ورأسُ الثقات الوليّ العراقى، وخاتمةُ الحُفّاظ السيوطى، وعَمُودُ المؤرّخين اليافعيّ وغيرُهم؟ وسبَقَه إلى ذلك الخطيب وما أدراك ما الخطيب! والدارقطنى وما أدراك ما الدارقطنى! إمامانِ جليلان، مستندان معتمدان، وغيرُهما.

فإذنْ لم يَبق للمنكِرِ إلا أن يُكذِّبَ هؤلاء الثقات، فإن وقع منه ذلك فلا كلامَ معه، أو يُقدِّم أقوالَ مَنْ دُونَهم على أقوالهم، فإنْ فعَلَ ذلك لَزِمَ ترجيحُ المرجوح والمرجوُّ من العلماء المُنصفين بعد مطالعةِ هذه النصوص أن لا يبقى لهم إنكار.

ذكرُ مَن بعدَ التابعين من الزهاد المتعبدين والأئمة المجتهدين

٢٥- سَعْد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرى ، قال أبو نُعَيم : حدثنا أحمَد بن محمد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا عُبَيد الله بن سعد ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، قال : كان أبى سَعْدُ بن إبراهيم إذا كانت ليلةُ إحدى وعشرينَ وخمس وعشرين وسبع وعشرين لم يُفطِر حتى يَختمَ القرآن . وفى «العِبَر» و «المِرآة» : قال شُعْبةُ : كان سعدٌ يصومُ الدهر ، ويَختمُ كلَّ يوم .

٢٦- إبراهيم بن أدهم ، قال أبو نُعيم : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا إسحاق بن أحمد ، حدثنا الحجَّاج بن حمزة ، حدثنا أبو زَيْد ، عن أبى إسحاق الفَزارى قال : كان إبراهيمُ فى شهر رمضان يَحصُدُ الزَّرعَ بالنهار ، ويُصلّى بالليل ، فمكَثَ ثلاثين يومًا لا ينامُ بالليل ولا بالنهار .

٢٧- شُعبة بن الحجَّاج ، قال أبو نُعَيم : حدثنا أحمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن على ، حدثنا على بن الحسين البَلْخِى ، قال : قال عُمَر بن هارون : كان شُعْبةُ يَصوم الدهرَ كلَّه ، وكان الثوريّ يصومُ فى كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام . وفى «العِبَر» : فيها - أى سنةِ ستين ومائة - توفى أميرُ المؤمنين فى الحديث شُعبَةُ بن الحَجَّاج الأزْدِيّ ، شيخُ البصرة ، قال الهَرَوى : رأيتُ شُعبةَ يُصلّى حتى تَرِم قدماه .

٢٨- فَتْحُ بن سَعِيد المَوْصلى ، قال أبو نُعَيم : حدثنا أبو زُرعة محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن قارن ، حدثنا أبو حاتم ، حدثنا محمد بن رَوْح ، حدثنى إبراهيم بن عبد الله ، قال : صُدِعَ فَتحٌ المَوْصِلى ففرِحَ ، فقال : ابتَلَيْتَنى ببلاءِ الأنبياء ، فشُكرُ هذا أن أصلّى الليلة أربعَمائةِ ركعة .

٢٩- محمد بن إدريس الإمام الشافعى ، قال أبو نُعَيم : حدثنا محمد بن على ، حدثنا الحسن بن على ، قال : سمعتُ الرَّبيعَ بن سليمان يقول : كان محمد بن إدريس الشافعى يَختُم فى شهرِ رمضان ستينَ خَتْمَة ، مامنها شىء إلا فى صلاة . حدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن محمد ابن الحسن ، قال : قال الرَّبيعُ بن سليمان سمعتُ : الشافعيَّ يقول : كنتُ أختمُ القرآنَ فى رمضان ستين مرة : وفى «تهذيب الأسماءواللغات» للنووى : قال الرَّبيع : بِتُّ فى منزل الشافعى ليالى ، فلم يكن ينامُ إلا يسيرًا من الليل . وقال الحُمَيدى : كان الشافعيّ يَختمُ القرآن كلَّ يومٍ خَتمة .

٣٠- أحمد بن حنبل، قال أبو نُعَيم: حدثنا سُلَيمان بن أحمد، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبلٍ قال: كان أبي يُصلّي في كل يوم وليلة ثلاثمائةِ ركعة، فلمّا مَرِضَ من تلك الأسواط أضعفَتْه. فكان يُصلّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ مائةٍ وخمسين ركعة، وكان قُرْبَ الثمانين.

٣١- أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء أبو العباس، قال أبو نُعَيم: سمعتُ أبا الحسين محمد بن علي صاحب الجُنَيد بن محمد يقول: صحبتُ أبا العباس بنَ عطاءٍ عِدَّةَ سنين متأدِّبًا بآدابِه، وكان له في كلّ يومٍ ختمةٌ، وفي كلِّ شهرِ رمضان في كلّ يومٍ وليلةٍ ثلاثُ خَتَمات.

٣٢- منصور أبو عَتَّاب السُّلَمي الكوفي الحافظ، قال الذهبي في «العِبَر» في حوادث سنةِ مائةٍ وإحدى وثلاثين: قال زائدةُ: صامَ أربعين سنة. وكان يَبكي الليلَ كلَّه.

٣٣- واصل بن عبد الرحمن البصري، قال في «العِبَر» في وقائع سنة مائة واثنتين وخمسين: قال أبو داود الطَّيَالِسِيّ: كان يَختمُ القرآنَ في كلِّ ليلة.

٣٤- محمد بن عبد الرحمن بن المُغيرة بن الحارث بن أبي وَهْب، أبو الحارث المَدَني الفقيه الراوي عن نافع وعِكرِمة وغيرِهما، قال الذهبيّ واليافعيّ في حوادث سنة مائةٍ وتسعٍ وخمسين: قال الواقدي: كان يُصلّي الليلَ أجمعَ، ويَجتهدُ في العبادة.

٣٥- وكيع بن الجَرَّاح الكوفي، أحَدُ تلامذةِ الإمام أبي حنيفة وأساتذةِ الإمام أحمد، قال الكَفَويّ في «أعلام الأخيار» قال يحيى بن أكثَم: صَحِبتُه في الحضَر والسَّفَر وكان يصومُ الدهر، ويَختمُ القرآنَ كلَّ ليلة. وعن محمد بن جَرِير قال: مكَثَ وكيعٌ بعَبَّادانَ أربعين ليلة، وخَتَم أربعين مرَّة، وتصدَّق بأربعين ألف درهم. انتهى.

هذه جملةٌ من الصحابةِ والتابعين وتَبَعهم من الفقهاء والمحدِّثين والأئمةِ المجتهدين، قد جاهدوا في العبادة حقَّ الجهاد، واجتهدوا في التعبُّد غايةَ الاجتهاد، ففازوا بأعلى النصيب أيِّ نصيب، وصاروا بحيث تَنزِلُ بذكرِهم الرحمة، وتندفعُ بسْماع أخبارِهم الزَّحْمَة، جعلنا الله ممن اقتدى بهم واهتَدَى، وحشَرَنا معهم إلى الدرجاتِ العُلَى.

وقد طالعتُ «العِبَرَ» و«سِيَرَ أعلامِ النُّبَلاء» للذهبي، و«مِرآة الجَنان» و«الإرشادَ والتطريز بذكر فضلِ الذكرِ وتلاوة القرآن العزيز» كلاهما لليافعي، و«تهذيبَ الأسماء واللغات» للنووي، و«حِليةَ الأولياء» لأبي نُعَيم الأصبهاني، وكتابَ «الأنساب» للسمعاني، وغيرَ ذلك من كتبِ التواريخ وأسماءِ الرجال، بعضَها أكثرها وبعضها بالتمام والكمال،

فوجدتُ ذكرَ المجاهدين بكثرةٍ كثيرة، لا يُمكن حصرُها، ولا يَتمكَّنُ الإنسانُ مِن عدّها، اكتفينا على ذِكرِ ما ذَكَرْنا بناءً على أنّ الفاضلَ المُنصِف يكفيه ذلك، والجاهلَ المتعسِّف لا ينفعه شيء وإنْ طوَّلنا هنالك.

فإن قال قائل: هذه المناقبُ التي ذكَرُوها في تراجمهم إنما ذكروها بغير سندٍ مُسلسَل، فكيف يُعتمدُ عليه؟ إذ العِبرَةُ في مثل هذا الباب إمَّا للمشاهدة أو الإخبارِ المُسَلْسَل.

قلنا له:

أوَّلًا: إنا قد نقلنا من «الحلية» أسانيدَ متصلةَ مسلسلة، فذلك يكفينا.

وثانيا: إنّ الذاكرين لهذه المناقب ليسوا ممن لا يُعتمَدُ عليه، أو ممن لا يكون حُجَّةً في النقل، بل هم أئمةُ الإسلام وعُمدُ الأنام، الذين يُرجَعُ إلى أقوالهم في المُهمَّات، وتُجعَلُ أخبارُهم من القطعيَّات، كأبي نُعَيم وابنِ كثير والسَّمْعاني وابن حَجَر المكي وابن حَجَرِ العسْقَلاني والسيوطي وعلي القاري، وشمسِ الأئمة الكَرْدَرِي والنووي وعبدِ الوهاب الشَّعْراني وشيخ الإسلام الذهبي ومَن يحذو حَذْوَهم.

أفَتَرى هؤلاء قد أدرَجُوا في تصانيفهم ما يُرى أنه كِذب؟ أو اعتمدوا على نقلِ ما يَنقلُه أربابُ الكِذب؟ كلاَّ والله، هم أئمة محتاطون، لا يُناقَشُون فيما يكتبون، فإن شككتَ في ذلك فارجع إلى الطبقات، ينكشف لك أحوالُ صدقِ هؤلاء الثقات.

وإن اعتُبِر مثلُ هذا الشَّكِّ ارتفَع الأمانُ عن كتبِ التواريخ وأسماءِ الرجال، فإنهم غالبًا يكتبون ما يكتبون في تراجمِ العلماء بغير سَنَدٍ مُسلْسَل، بل بالاختصار والإرسال، فإن شَكَّ في ذلك شاكٌ عُلِمَ قطعًا أنه مُتعصِّبٌ خارجٌ عن حدّ الخطاب، لا يَليقُ معه إلا الزَّجْرُ والعتاب.

فإن قلت: بعضُ المجاهدات مما لا يُعقَل وقوعُها، كَثَمان ختماتٍ في يومٍ وليلة، وكأداء ألف ركعة في ليلة ونحوِ ذلك؟!

قلتُ: وقوعُ مثل هذا وإن استُبعِدَ من العوامّ، لكن لا يُستبعَدُ ذلك من أهل الله تعالى، فإنهم أُعطُوا مِن ربهم قُوّةً مَلَكيَّةً وصلُوا بها إلى هذه الصفات، لا يُنكِرُه إلا من يُنكِرُ صُدور الكرامات وخوارق العادات.

المَقْصِدُ الأوّل

فى إثبات أنّ مِثلَ هذه الاجتهادات ليست ببدعة وضلالة لوجوهٍ

الأول : أنه قد وُجِدَ الاجتهاد فى العبادة حسب الطاقة من الصحابة والتابعين وتبع التابعين من غير إنكارِ أحدٍ منهم ، وكلُّ ما كان كذلك : فهو ليس ببدعة . أما الصغرى : فقد تحققت فى الأصل الثانى ، وأما الكبرى : فقد تحققت فى الأصل الأوّل .

الثانى : أنه قد وُجِدَ بعضُ ذلك من بعض الخلفاء ، كعمر وعثمان ، كما مرّ فى الأصل الثانى ، وكلُّ ماوجد منهم من غير نكير : سُنَّةٌ ، فإن السُّنَّة ليسَ مختصة بما فعله النبى ﷺ ، بل تَعُمُّه وتَعُمُّ ما فعلَه الخلفاء — كلُّهم أو بعضُهم — ومَا شَرَعوا فى الدين ورَضُوا به وإن لم يُباشِروا به ، صرَّح به ابنُ الهُمام فى «تحرير الأصول» والعينى فى «البناية شرح الهداية» وصاحبُ «الكشف» : عبدُ العزيز البخارى وغيرُهم من الفقهاء والأصوليين ، كما حققتُه فى «تحفة الأخيار» . وإذا ثبتَ أنه سُنَّة : ثبت أنه ليس ببدعة ، فإنَّ بينهما منافاة .

الثالثُ : أنه قد وُجِدَ ذلك من الأئمة المجتهدين وأجلَّة الفقهاء والمحدِّثين ، فإنْ كان ذلك بدعة وضلالة : لَزِم كونهم مبتدِعين ضالّين ، واللازمُ باطل باجماع من يُعتدُّ به من المسلمين .

الرابع : أنَّ أجلَّة المؤرِّخين الذين هم المعتمدُ عليهم بين المسلمين وقد اشتهر وَرَعُهم فى الدين وتحرُّزُهم عن الابتداع فى الدين ، قد أوردوا فى تصانيفهم فى تراجم العلماء ذكْرَ اجتهادهم فى العبادة ، وأدرجوا ذلك مُدرَجَ المدح والجلالة ، وهذا أدلُّ دليل على أنه ليس ببدعة عندهم . فإن المدح بما هو بدعة ليس من شأن العلماء .

وهذا شيخُ الاسلام أبو عبد الله الذهبى ، له تفريط فى حقّ كَمَلةِ الصوفية وأجلَّة الأشعرية حيث يطعنُ عليهم فى تصانيفه بأدنى ما صدرَ عنهم ما يُرى ببادئ النظر أنه خلافُ الشرع ، ولذا قال تاج الدين السُّبكى فى «طبقات الشافعية» : هذا شيخنا الذهبى ، له علْمٌ وديانة ، وعنده على أهل السنة تحامل مُفْرِط ! فلا يجوز أن يُعتمَدَ عليه . وهو شيخُنا ومُعلّمُنا ، غير أنّ الحقّ أحقُّ بالاتّباع ، وقد وصل من التعصُّب المُفرِط إلى حدٍّ يُستحى منه ! وأنا أخشى

عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا الشريعة النبوية، فإنَّ غالبهم أشاعرة، وهو إذا وقع بأشعرى لا يُبقى ولا يَذَر ١ والذى أعتقده أنهم خصماءه يوم القيامة، والله المسْؤولُ أن يُخفِّفَ عنه وأن يُشفِّعَهُم فيه. انتهى. وقال عبد الوهاب الشَّعْرانى فى كتابه «اليواقيت والجواهر فى ذكر عقائد الأكابر»: سُئل الحافظ أبو عبد الله الذهبى عن قول الشيخ محى الدين ــ فى كتابه «الفصوص» ــ: «إنه ما صنعه إلا باذنٍ من الحضرة النبوية» فقال: «ما أظنُّ أنَّ مثلَ هذا الشيخ يكذب»، مع أنَّ الحافظ الذهبى كان من أشدّ المنكرين على الشيخ وعلى طائفةِ الصوفية، هو وابن تيمية. انتهى. وقال السيوطىّ فى «قَمْع المُعارِض فى نُصْرةِ ابن الفارض»: وإنْ غرَّك دندنةُ الذهبى فقد دندَنَ على الإمام فخر الدين بن الخطيب ذى الخطوب، وعلى أكبر من الإمام وهو أبو طالب المكى صاحب «قوت القلوب»، وعلى أكبر من أبى طالب وهو الشيخ أبو الحسن الأشعرى الذى ذكرُهُ يجولُ فى الأفاقِ ويجوب، وكتُبه مشحونة بذلك: الميزان، والتاريخ، وسيرَ النبلاء، فقابِلٌ أنت كلامَه فى هؤلاء؟ كلاّ والله لا يُقبَلُ كلامُه فيهم، بل نُوصلُهم حقَّهم ونُوفِّيهم، انتهى.

وهذا كلُّه: بسبب شِدَّةِورَع الذهبىّ وغايةِ احتياطه فى الدين، فهو معذورٌ فى ذلك بل مأجورٌ على ما تقرر فى الشرع المتين فمعَ ذلك كلِّه لم يَقدح الذهبىّ أحدًا باجتهاد فى التعبُّد، بل ذكره فى تراجم كثيرة فى معرِض الثناء والتمدُّح، فدلّ ذلك على أنه ليس ببدعة عنده، ولا عند من سبقه ومن لحقه ممن ذُكر.

الخامس: أنه قد ثبت ذلك من النبى ﷺ، وكلُّ ما ثبت منه ليس ببدعة؛ أما الكُبرى فظاهرة، وأما الصُّغرى فلِمَا أخرجه البخارى عن عائشة «كان النبى ﷺ لَيقومُ ليصلى حتى تَرِمَ قدماه، فيقال له؟ فيقول: أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟».

وأخرج الترمذى ــ وقال: حسنٌ صحيح ــ عن المغيرة قال: «صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتتكلَّفُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟».

وأخرج ابن ماجه والنسائى عن المغيرة قال: «صلى رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل: يا رسول الله قد غفَرَ الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟».

ه أخرج النَّسائى عن أبى هريرة «كان رسول الله ﷺ يُصلّى حتى تَزْلَع قدماه». قال

القسطلاني في «المواهب اللدنية» قال ابن بَطَّال: في هذا الحديث أخْذُ الإنسان على نفسه بالشدَّة في العبادة وإن أضرَّ ذلك ببدنه، لأنه ﷺ إذا فَعَل ذلك مع علمه بما سَبَق له فكيف بمن لم يعلم بذلك؟ فضلًا عمن لم يأمنُ أنه استحقَّ النار. ومحلُّه ــ كما قال الحافظ ابن حجر ــ مالم يُفض إلى الملال، لأنَّ النبي ﷺ كان أكملَ الأحوال، فكان لا يَمَلُّ من عبادة ربه وإن أضرَّ ذلك ببدنه، بل صحَّ أنه عليه السلام قال: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة» كما أخرجه النَّسائي من حديث أنس، فأمَّا غيرُه فإذا خشي الملل ينبغي أن لا يكُدَّ نفسَه. انتهى.

فإن قلتَ: لم يَثبت أنه ﷺ قام ليلةً كلَّها، أو قرأ القرآنَ في ركعة، أو زاد على إحدى عشرة ركعة؛ كما أخرجه أبو داود عن سعد بن هشام عن عائشة قالت: «لم يَقُم رسول الله ﷺ ليلةً يُتمُّها حتى الصباح، ولم يَقرأ القرآنَ في ليلةٍ قط. ولم يَصُم شهراً يُتمُّه غيرَ رمضان، وكان إذا صلَّى صلاةً داوم عليها». الحديث.

ولفظ الدارمي في «سننه»: «كان رسول الله ﷺ إذا أخذ خُلُقًا أحبَّ أن يُداومَ عليه، وما قام نبيّ الله ﷺ حتى أصبح، ولا قرأ القرآنَ كلَّه في ليلة، ولا صامَ شهراً كاملًا غير رمضان» الحديث.

ولفظُ مسلم «قالتْ لسعد: يا بُنَيّ، كان نبيّ الله إذا صلَّى صلاةً أحبَّ أن يُداوِمَ عليها، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجَعٌ عن قيام الليل صلَّى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلمُ نبيّ الله قرأ القرآنَ كلَّه في ليلة، ولا صلَّى ليلةً إلى الصبح. ولا صام شهراً كاملًا غيرَ رمضان».

وفي روايةٍ له: «قالتْ: مارأيتُه قام ليلةً حتى الصباح، وما صام شهراً متتابعًا إلا رمضان.

وفي رواية ابن ماجه «لا أعلمُ نبيّ الله قرأ القرآنَ كلَّه حتى الصباح». وأخرج البخاريّ وغيرُه عنها «ما كان يزيدُ رسول الله ﷺ لا في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعةً» الحديث، فدل هذا كله على أن الزيادة على إحدى عشرة ركعة وقيامَ الليل كاملا وخَتْمَ القرآنِ في يومٍ وليلةٍ بدعةٌ؟

قلتُ: أولا: إنه قد ثبت إحياء الليل من النبي ﷺ، وهو سَهَرُ اللَّيل كلِّه للعبادة؛ كما أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما عن عائشة «كان النبي ﷺ إذا دَخَل العشرُ الأواخرُ من رمضان أحيي اللَّيلَ، وأيقظَ أهلَه، وشَدَّ المئزر» قال النووي: أي استغرقه بالسهرِ بالصلاةِ وغيرِها. انتهى وقال ابن الأثير الجَزَري في «نهاية غريب الحديث»: إحياءُ الليل: السَّهرُ فيه

بالعبادة وترك النوم. انتهى.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في «كتاب التفكر» وابن حبّان في «صحيحه» وابن مردويه والأصبهاني في كتاب «الترغيب والترهيب» وابن عساكر، عن عطاء قال: قلت لعائشة: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، قالت: وأيّ شأنه لم يكن عجباً؟. إنه أتاني ليلة فدخل معي لحافي ثم قال: ذريني أتعبّد لربي، فقام فتوضأ ثم قام يصلّي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى ثم سجده فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلالٌ يؤذنه بالصلاة، فقلتُ: يا رسول الله، وما يُبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكونُ عبداً شكوراً، ولِمَ لا أفعلُ وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلافِ الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب . . . .﴾ الآيات.

فدلّ ذلك على أنّ نفي عائشة قيامَ الليل كلّه محمولٌ على غالب أو قاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وكذلك خبرُ عدم الزيادة على إحدى عشرة ركعة محمولٌ على ما هو الأغلب، وإلا فقد ثبت بروايات متعددة الزيادةُ على ذلك إلى خمسَ عشرةَ ركعة. كذا ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» وورد في بعض الروايات أنه صلّى عشرين ركعة في رمضان في غير جماعة، وسندُه ضعيف كما ذكرتُه مع ماله وما عليه في «تحفة الأخيار». وثانياً: ــ بعد تسليم أنه ﷺ لم يقم ليلة كلّها ولا قرأ القرآنَ في ليلة ولا زاد على إحدى عشرة ركعة ــ نقول: قد ثبتَ منه مثلُه وما يُشبهه في التشدُّد، وهو قيامه حتى تورّمَتْ قدماه، وذلك كاف في ارتفاع اسم البدعة عن هذه الاجتهادات، فإنّ البدعة: ما لا يكون هو ولا مثلُه في العهد النبوي، وليس بشرط أن يثبتَ كلُّ جزئيٍّ من جزئيات العبادة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وثالثاً: أنّه وإن لم يرتكب هذه الاجتهادات النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفقة على أمّته، فقد ارتكبه مَنْ أمرنا رسولُ الله بالاهتداء وبسُنّتهم والسلوكِ على مسلكهم، فكيف يكون بدعة؟ كما مرّ ذكرُ ذلك.

السادس: أنه قد أجاز النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم العبادةَ على حَسَب الطاقة، كما أخرجه أبو داود عن عائشة قالت: إنَّ رسول الله قال: «أكلَفُوا من العمل ما تُطيقون، فإنّ الله لا يملُّ حتى تملّوا، وإنّ أحبّ العمل إلى الله أدومُه وإن قلّ، وكان إذا عمل

عملا أثبته».

وأخرج البخارى عنها مرفوعا: «عليكم ما تُطيقون من الأعمال، فإنَّ الله لا يملُّ حتى تملُّوا».

وأخرج أبو نعيم فى «الحلية» فى ترجمة عبد الرحمن بن مَهدىّ، عنها مرفوعا: «ليتكلَّف أحدُكم من العمل ما يُطيق. فإن الله لا يملُّ حتى تَملُّوا، وقارِبُوا وسدّدوا».

والأخبار فى هذا شهيرة. وسيأتى بعضُها فى المقصد الثانى إن شاء الله تعالى.

وإذا ثبت جوازُ العمل حسبَ الطاقة إلى أن لا يَحصُل الأعياءُ والمَلَلُ فنقول: طاقةُ الناس مختلفة، فكم من رجل يُطيق شيئا ولا يُطيقه آخر؟ وكم من رجل يَمَلُّ من شيء ولا يملُّ منه آخر؟ وكم من رجل أُعطى السرعة فى القراءة ولم ينَلْها الآخر.

أما سمعت أنَّ السيد أبا بكر بن أحمد بن أبى بكر المتوفَّى سنة ثلاث وخمسين وألف قرأ «الأحياء» فى عشرة أيام، وربما استوعب المجلَّد الضخم فى يوم وليلة بالمطالعة؟ وقرأ مجدُ الدين الشيرازىّ صاحبُ «القاموس» و«سفر السعادة»: «صحيحَ مسلم» فى ثلاثة أيام وقرأ القسطلانىُّ «البخارىّ» فى خمسة مجالس وبعضِ مجلس، والحافظُ أبو بكر الخطيب قرأ «صحيح البخارى» فى ثلاثة مجالس.

وقرأ الحافظُ ابنُ حَجَر «سننَ ابن ماجه» فى أربعة مجالس، وكذلك «صحيح مسلم» و«كتابَ النسائى الكبير» فى عشرة مجالس، كلُّ مجلس نحو أربع ساعات. و«مُعجم الطبرانى الصغير» فى مجلس واحد بين الظهر والعصر. كذا حكى محمدُ بن فضل الله المحبى فى «خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر».

وحكى عبد الوهاب الشَّعْرانى فى «اليواقيت والجواهر» عن نفسه أنه طالع «الفتوحات» ــ وهى عشر مجلَّدات ضخمة ــ كلّ يوم مرتين. وحكى اليافعى عن بعض العُبّاد أنه قرأ القران كلّه فى مقدار خُطبة الخطيب يوم الجمعة. وهذه وأمثالُها مما لا يَخفى على من طالع كتب أحوال الرجال مما لا يُطيقه غالبُ الناس.

والأصلُ فى كلّ ذلك أنَّ الله تعالى قد خلَق النَّفس الأنسانية ذوّاقة شوّاقة لها تَشبُّه بالنفوس الملكية التى لا تفْتر عن العبادة ساعة. فمن حصَل لنفسِه التذاذٌ بشيء ــ أىّ شىء كان ــ لم يحصُل له بكثرته ملالٌ أصلا. ومن لم يلتذ بشيء حصل له بكثرته ملال.

وهذه علماءُ الأمّة المحمدية أصحابُ التصانيف الشهيرة، كالذهبى وابن حجر

والسيوطى وأمثالِهم، لم يُضيعوا آنًا من أناتِ عمرهم، ولم يتفرَّغوا إلا للمطالعة أو التصنيف، ولم يحصل لهم مَلالٌ من ذلك، وقد حكى اليافعى أنه سَهِرَ فى بعض الليالى فى مطالعة الكتب إلى الصبح ولم يحصل له ملل.

وهذا العبدُ الضعيف جامعُ الأوراق قد حَصَلَ له التذاذٌ بالمطالعة والتصنيف، فأطالعُ المجلّدات الضخمة فى ساعاتٍ عديدة. وأقعدُ فى بعض الليالى أُصنّفُ من المغرب إلى نصفِ الليل مِن دونِ وقفة ـــ سوى صلاةِ العشاء ـــ ولا يحصل لى الملال ولله الحمد على ذلك.

وبالجملة فالنفوس مختلفة فى الطاقة، فمن أطاق كثرةَ العبادةِ والقراءةِ وقيامَ الليل ونحوَ ذلك من دون حصولِ ملل يجوزُ له ذلك، بالأحاديث السابقة، ومن حَصَلَ له مللٌ أو عَرَضَ له خَلَل لزم لَهُ تركُ ذلك. فالحكُم بأنَّ الزيادة على ما فعله رسول الله ﷺ مطلقًا غيرُ جائزة: خطأٌ فاحش.

فإن قلتَ: قد كان رسول الله ﷺ أفضلَ الناس، ونفسُه أكملُ النفوس، وكان يستطيع ما لا يستطيعه غيرُه، كما قالت عائشة: «وأيُّكم يستطيع ما كان رسول الله يستطيع؟». أخرجه أبو داود، ومع ذلك لم يجتهد فى العبادة كاجتهاد هؤلاء، فدلَّ ذلك على أنه ليس بمَرْضِيّ عنده.

قلتُ: هَبْ كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستطيع مالا يستطيعه الناس، لكنه كان يَترك كثرةَ العباداتِ شفقةً على أُمَّته ورحمةً على أتباعِه، لئلا يَتحرَّجوا باتِّباعهم فى ذلك يَدلُّ على هذا قولُ عائشة: «إنْ كان رسول الله لَيَدَعُ العملَ وهو يُحبُّ أن يَعملَ به خشية أن يعملَ به الناسُ فيُفرَضَ عليهم» أخرجه البخارى وأبو داود وغيرهما.

وقد تَرَكَ صلاةَ التراويح مع الجماعةِ بعدما صلاّها ليالى، خشيةَ أن تُفرض عليهم، كما أخرجه البخارى وغيره. وأخرج أبو داود وغيره عن عائشة قالت: «بال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقام عُمَر خلفه بكُوزٍ من ماء، فقال: ما هذا يا عمر؟ فقال: هذا ماءُ تتوضَّأُ به، قال: ما أُمرتُ كُلّما بُلتُ أن أتوضَّأ، ولو فعلتُ لكانَتْ سُنَّة». وأمثالُه كثيرة.

المَقْصِدُ الثّاني

في دفع الشبهات الواردة على المجاهدات
وذكرِ عبارات العلماء في جواز التشدُّد، بالشروط العديدة

اعلم أنه قد ورَدَ بعضُ الأخبار في المنع عن التشدُّد في العبادة، فظَنَّ منها الظانّون أنه منهيّ عنه مطلقًا، ولم يتأمّلوا ما هو مورِدُ النهي وما ليس بمورد النهي فنذكرها بطرقها مع ما لها وما عليها.

فمن ذلك: حديثُ الحَوْلاءِ الأسَدية؛ وهو: ما أخرجه مسلمٌ عن عائشة أنّ الحَوْلاءَ بنتَ تُوَيْتِ بنِ حبيب بنِ أسَد بن عبد العُزّى مرّتْ بها وعندها رسولُ الله ﷺ فقلتُ: هذه الحولاءُ بنتُ تُوَيْت، وزعموا أنها لا تنامُ الليلَ. فقال رسول الله ﷺ: «لا تنامُ الليلَ؟! خُذُوا من العمل ما تُطيقون، فوالله لا يَسأمُ اللهُ حتى تَسأموا».

وفي رواية له عنها: دخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: «مَنْ هذه؟ فقلت: امرأةٌ لا تنامُ تُصلّي، قال: عليكم من العمل ما تُطيقون، فوالله لا يَملُّ الله حتى تَملّوا، وكان أحبُّ الدينِ إليه ماداوَمَ عليه صاحبُه». وفي حديث أبي أسامة أنها امرأة من بني أسَد.

وأخرج البخاري عنها قالت: كانت عندي امرأة من بني أسَد فدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «مَنْ هذه؟ قلت: فُلانة، لا تنامُ بالليل، فذُكِرَ من صلاتها، فقال عليه الصلاة والسلام: مَهْ، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإنَّ الله لا يَملّ حتى تَملّوا».

وأخرج النَّسائيّ عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، فقال: «مَن هذه، قالتْ: فلانة، لاتنام فذكرت من صلاتها، فقال: مه، عليكم بما تطيقون، فوالله، لا يَملّ اللهُ حتى تملّوا، ولكنَّ أحبَّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

ومن ذلك: حديثُ زينب، وهو: ما أخرجه مسلم عن أنس قال: دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين، فقال: «ما هذا؟ فقالوا: زينبُ تُصلّي، فإذا كَسِلَتْ أو فَتَرتْ أمسكتْ به، فقال: حُلُّوه، لِيُصلِّ أحدُكم نشاطَه، فإذا كَسِلَ أو فَتَر قَعَد».

ولفظُ النّسائي : دخل رسولُ الله المسجد فرأى حَبْلا ممدودًا بين ساريتين فقال : «ما هذا الحَبْلُ؟ فقالوا : لزينب تُصلّي ، فإذا فَتَرتْ تعلّقتْ به . فقال النبي ﷺ : حُلُّوه ، لِيُصلِّ أحدُكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد» .

وأخرج أبو داود عنه : دخل رسول الله المسجد وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين فقال : «ما هذا الحبلُ؟ فقالوا : زينبُ تُصلّي فإذا كسِلتْ أو فتَرت أمسكتْ به ، فقال : حُلُّوه ، لِيُصلِّ أحدُكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر فليقعد» .

وفي رواية له من طريق هارون بن عبّاد فقيل : يا رسول الله هذه لحمنة بنت جحش تُصلّي ، فإذا أعيتْ تعلّقتْ به ، فقال : «لتُصلِّ ما أطاقتْ ، فإذا أعيتْ فلتجلس» . والظاهرُ أنّ هذا وَهَمٌ من الراوي . والصحيح هو : «زينب» لتطابُقِ سائرِ الروايات على ذلك .

فائدة : في هذا دليلٌ على بطلانِ صلاةِ المعكوس ، فإنه إذا مُنِعَ إمساكُ الحبل وقت الكسل عن قيام الليل ، فصلاةُ المعكوس بطريق الأولى ؛ لأنها منافيةٌ لقواعد الشرع ومخالفةٌ لها . كذا قال مولانا حسن علي المحدّث الهاشمي اللكنوي في هوامش نسخة «سنن أبي داود» التي كتبها بيده وحشّاها وصحّحها حين قرأها .

ومن ذلك : حديثُ عبد الله بن عمْرو بن العاص ، وهو ما أخرجه البخاري ، في كتاب الصوم وأحاديث الأنبياء وقيام الليل ، عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «ألم أُخبر أنك تقومُ الليل وتصوم النهار؟ قلتُ : إني أفعلُ ذلك ، قال : فإنك إذا فعلتَ ذلك هجمتْ عينُك ونَفِهتْ نفسُك ، وإنّ لنفسك حقٌّ ولأهلِك حقٌّ ، فصُمْ وأفطر ، وقُمْ ونَمْ» . هذا لفظُه في قيام الليل .

وأخرج مسلم ، في كتاب الصوم ، عنه قال : أُخبرَ رسولُ الله أنه قلتُ : لأقومَنَّ الليلَ ، ولأصومنّ النهارَ ما عشتُ ، فقال رسول الله : «آنتَ الذي تقولُ ذلك؟ فقلتُ له : قد قلتُه يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ : فإنك لا تستطيعُ ذلك ، فصُمْ وأفطر ، ونَمْ وقُمْ ، وصُمْ من الشهر ثلاثة أيام ، فإنّ الحسنة بعشرِ أمثالها ، وذلك مثلُ صيامِ الدهر ، قلتُ : فإني أُطيقُ أفضلَ من ذلك ، قال : صُم يوما وأفطر يومين ، قلتُ : فإني أُطيقُ أفضلَ من ذلك يا رسول الله ، قال : صُم يوما وأفطر يوما ، وذلك صيامُ داود وهو أعدلُ الصيام ، قلتُ : فإني أُطيقُ أفضلَ من ذلك ، قال رسول الله ﷺ : لا أفضلَ من ذلك» . قال عبدُالله ابن عَمْرو : لأنْ أكونَ قبلتُ

الثلاثةَ الأيامَ التى قال رسول الله ﷺ، أحبُّ إلىَّ من أهلى ومالى وولدى!

وفى رواية له عنه قال: كنتُ أصومُ الدهر، وأقرأُ القرآنَ كلَّ ليلة، فامَّا ذُكِرتُ للنبى ﷺ وإمَّا أرسلَ إلىَّ فأتيتُه فقال لى: «ألم أُخبَر أنك تصومُ الدهر، وتقرأُ القرآنَ كلَّ ليلة؟ فقلتُ: بلى يا نبىَّ الله، ولم أُرِد بذلك إلا الخيرَ، قال: فإنَّ بحَسْبِك أن تصوم من كلِّ شهر ثلاثةَ أيام، قلتُ: يا نبىَّ الله إنى أُطيقُ أفضلَ من ذلك، قال: فإنَّ لزوجك عليك حقًا ولزَوْرِك عليك حقًا، ولجسدِك عليك حقًا، فصُم صومَ داودَ نبىِّ الله، فإنه كان أعبَدَ الناس. قال: قلتُ: يا نبىَّ الله وما صومُ داود؟ قال: كان يصوم يومًا ويفطر يومًا. قال: واقرأ القرآن فى كلِّ شهر، قلتُ: يا نبىَّ الله إنى أُطيق أفضلَ من ذلك، قال: فاقرأه فى كلِّ عشرين، قلتُ: يا نبىَّ الله إنى أُطيق أفضلَ من ذلك، قال: فاقرأه فى كلِّ عشر، قلت: يا نبىَّ الله إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه فى كل سَبْع ولا تَزِدْ على ذلك، فإنَّ لزوجك عليك حقًا ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا». قال عبد الله: فشدَّدْتُ فشُدِّدَ علىَّ! قال: وقال لى النبى ﷺ: «لا تدرى لعلك يطول بك عُمُر؟». فصِرتُ إلى الذى قال لى النبى ﷺ، فلما كبِرتُ وَدِدْتُ أنى كنتُ قَبِلتُ رُخصةَ نبىِّ الله ﷺ.

وفى روايةٍ له عنه: بلَغَ النبىَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنى أصومُ أسرُد، وأُصلّى الليل، فإمَّا أرسل إلىَّ وإما لقيتُه، فقال: «ألم أخبرَ أنك تصومُ ولا تُفطِر، وتُصلّى الليل؟ فلا تفعَل، فإنَّ لعينك حظًا، ولنفسك حظًا، ولأهلِك حظًا، فصُمْ وأفطِر، وصلِّ ونَمْ، وصُمْ من كلِّ عشرة أيام يومًا، ولك أجرُ تسعة، قال: إنى أجدُنى أقوى مِن ذلك يا نبىَّ الله، قال: صُمْ صيامَ داود، قال: وكيف كان داود يصومُ يا نبىَّ الله؟ قال: كان يصومُ يوما ويُفطر يوما ولا يَفِرُّ إذا لاقى، قال: من لى بهذه يا نبىَّ الله؟».

وفى رواية له عنه قال: قال لى رسول الله: «يا عبدَ الله بنَ عمرو إنك لتصومُ الدهر، وتقومُ الليل، وإنك إذا فعلت ذلك هجَمتْ له العين ونَهِكتْ، لا صامَ مَنْ صام الأبد، صومُ ثلاثةِ أيام من الشهر صومُ الشهرِ كلِّه. قلتُ: فإنى أُطيق أكثَر من ذلك، قال: فصُمْ صومَ داود كان يصومُ يوما، ويُفطر يوما، ولا يَفِرُّ إذا لاقى».

وفى روايةٍ له عنه قال: قال لى رسول الله: «ألم أُخبَر أنك تقومُ الليل وتصومُ النهار؟ قلتُ: إنى أفعلُ ذلك، قال: فإنك إذا فعلتَ ذلك هجمتْ عيناك ونَفِهَتْ نفسُك، لعينك حقٌ، ولِنفسك حق ولأهلك حق، قُم ونَمْ، وصُمْ وأفطِر».

وفى رواية له عنه: قال لى رسول الله: «يا عبد الله بن عَمْرو بَلَغنى أنك تصومُ النهار وتقومُ الليل فلا تَفعَلْ فإنَّ لِجسدِك عليك حظًا، ولعينك عليك حَظًا، وإنَّ لِزوجِك عليك حَظًا، صُمْ وأفطِر، صُمْ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام فذلك صومُ الدَّهر، قلتُ: يا رسول الله إنَّ بى قُوَّةً، قال: فصُمْ صومَ داود، صُمْ يومًا وأفطر يومًا». فكان يقول: يا ليتنى أخذتُ بالرُّخصة!

وأخرج أبو نُعَيم فى «حلية الأولياء» عنه أن رسول الله ﷺ أُخبر أنى أقول: لأصُومَنَّ النهارَ ولأقومَنَّ الليلَ ما عشتُ، فقال لى: «أنتَ الذى تقول: لأصومَنَّ النهارَ ولأقومَنَّ الليلَ ما عِشتُ؟ فقلت له: قد قلتُ بأبى أنتَ وأمّى، قال: فإنك لا تستطيع ذلك».

وفى رواية له عنه: دخل رسول الله بيتى فقال: «يا عبد الله ألم أُخبَر أنك تكلَّفُ قيامَ الليل وصيام النهار؟ قلتُ: إنى لأفعلُ. قال: إنَّ مِن حَسْبِك أن تصوم من كلِّ جمعةٍ ثلاثة أيام». فغلَّظتُ فغُلِّظَ علىَّ! فقلتُ إنى لأجدُ قوةً على ذلك، فقال: «إنَّ لعينك عليك حقًا، و إنَّ لضيفك عليك حقًّا، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا».

وفى رواية له عنه: قال: دخل علىَّ رسول الله فقال: «ألم أُخبَر أنك تَكلَّفْتَ قيامَ الليل وصيامَ النهار؟ قال: قلتُ إنى أفعلُ ذلك يا رسول الله، قال: إنَّ مِن حَسْبِك أن تصوم من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ، فإذًا أنت صُمتَ الدَّهرَ كلَّه». فغلَّظتُ فغُلِّظَ علىَّ! فقلتُ: إنى أجدُنى أقوى من ذلك يا رسول الله، فقال: «إنَّ أعدلَ الصيام عند الله عزَّ وجلَّ صيامُ داود عليه السلام». قال: فأدركنى الكِبَرُ والضعفُ حتى وددْتُ أنى غرمت مالى وأهلى وأنى قَبلتُ رُخصةَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مِن كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام.

وفى رواية له عنه: قال: «ألم أُخبَر أنك تصومُ النهار لا تُفطِر، وتُصلّى الليلَ لا تنام، قال: فَحَسْبُك أن تصومَ مِن كلِّ جمعةٍ يومين. قلتُ: يا رسول الله إنى أجدُنى أقوى من ذلك، قال: فهل لك فى صيام داود عليه السلام فإنه أعدل الصيام: تصوم يومًا وتفطر يومًا؟ فقلت: يا رسول الله: إنى أجدُ بى قوة هى أقوى من ذلك، قال: إنك لعلَّك أن تبلغ بذلك سِنًا وتَضعُف».

وقد رواه أبو نُعيم بطرق أخرى أيضًا، وأبو داود والنَّسائىّ وابنُ ماجه، بطرقٍ مختلفة بألفاظ متقاربة، وإنما اقتصرتُ على ما أوردتُ طلبًا للاختصار، ورَوْمًا للاقتصار.

ومِن ذلك: حديثُ أبى الدَّرْداء، وهو ما أخرجه أبو نُعَيم فى «الحليـة» عنه أنَّ سلمان الفارسى دخل عليه فرأى امرأته رَثَّةَ الهيئة: فقال: ما لَكِ؟ فقالت: إنَّ أخاك لا يريد النِّساء،

إنما يصومُ النهار ويقومُ الليل، فأقبَلَ على أبي الدرداء فقال: إنَّ لأهلِك عليك حقًا، فصلِّ ونَمْ، وصُمْ وأفطِر، فبلَغَ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «لقد أُوتي سلمانُ من العلم».

وفي رواية له عن أبي جُحيفة قال: جاء سلمانُ يزور أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبذِّلة، فقال: ما شأنُكِ؟ فقالت: إنَّ أخاك ليست له حاجة في شيءٍ من الدنيا، يقومُ الليل، ويصوم النهار. فلما جاء أبو الدرداء رحّب به سلمان، وقَرّب إليه طعام فقال له سلمانُ: اطْعَم، فقال: إني صائم. فقال سلمان: أقسمتُ عليك إلاّ طَعِمْتَ، ما أنا آكِلُ حتى تأكُل، فأكَلَ معه وبات عنده، فلما كان من الليل قام أبو الدَّرْدَاء فحَبَسه سلمان ثم قال: يا أبا الدرداء إنَّ لِربّك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقّا أعطِ كلَّ ذي حقٍ حقَّه، صُمْ وأفطِر، وقُم ونَمْ، وائتِ أهلَك». وأخرج البخاري وأبو داود مثل ذلك.

ومن ذلك: حديثُ الصحابةِ السائلين عن أعمال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس: جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يَسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا، وأينَ نحن مِن رسول الله وقد غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخَّر؟ فقال أحدُهم: أمَّا أنا فأصلّي الليل أبدًا، وقال آخرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر، وقال آخرُ: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوَّجُ أبدًا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أمَا واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصومُ وأُفطر، وأصلي وأرْقُد، وأتزوَّجُ النساء، فمن رَغِبَ عن سُنّتي فليس مني.

وزاد في رواية النَّسائي: وقال بعضُهم: لا آكُلُ اللحم. وفي رواية للبخاري ومسلم وأحمد عنه: أنَّ نَفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سألوا أزواجَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن عمله في السّر، فقال بعضُهم: لا أتزوَّجُ النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصومُ ولا أُفطر. فقام النبي ﷺ فحمِدَ الله وأثنى عليه فقال:

«ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنّي أصلّي وأنام، وأصومُ وأُفطر، وأتزوّجُ النساء، فمن رَغِب عن سُنّتي فليس مني».

ومن ذلك: حديثُ عثمانَ بن مظعون وعليّ بن أبي طالب وغيرهما، وهو ما أخرجه

أبو داود فى «مراسيله» وابنُ جرير عن أبى مالك فى قوله تعالى: «يا أيها الذى آمنوا لا تحرِّمُوا طيِّبات ما أحلَّ الله لكم». نزلتْ فى عثمان بن مظعون وأصحابه، كانوا حرَّموا على أنفسِهم كثيرا من الشهوات والنساءُ، وهَمَّ بعضُهم أن يَقطع ذكَرَه.

وأخرج ابنُ جرير عن عكرمة قال: كان أناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ همُّوا بالخِصاء وتركِ اللحم والنساء، فنزلتْ: «يا أيها الذين آمنو لا تُحرِّمُوا طيِّباتِ ما أحلَّ الله لكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يُحبُّ المعتدين».

وأخرج عبدُ بن حُمَيد وابنُ جرير وابنُ المنذر عن عكرمة عن عثمان بن مظعون فى نفرٍ من الصحابة قال بعضُهم لا آكُلُ اللحم، وقال الآخرُ: لا أنام على فِراش، وقال الآخر: لا أتزوَّجُ النساء، وقال الآخر: أصومُ ولا أُفطِر. فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابنُ جرير وعبد الرزاق وابن المنذر عن أبى قلابة قال: أراد ناسٌ من أصحاب النبى ﷺ أن يَرفُضُوا الدنيا، ويتركوا النساء، ويَترهَّبوا، فقام رسول الله فغلَّظ فيهم المقالة، ثم قال: «إنما هلكَ من كان قبلكم بالتشديد، شَدَّدوا على أنفسهم فشدَّدَ اللهُ عليهم، فأولئك بقاياهم فى الديار والصوامع، اعبدوا الله ولا تُشرِكوا به شيئا، وحجُّوا واعتمروا، واستقيموا يستقم بكم، قال: ونزل فيهم: «لا تُحرِّموا طيبات ما أحلَّ الله لكم».

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة فى قوله تعالى: ﴿لا تحرموا﴾ قال: نزلتْ فى أناسٍ من أصحاب النبى ﷺ أرادوا أن يتخلوا من الدنيا، ويتركوا النساء، ويتزهَّدوا، منهم علىّ بن أبى طالب وعثمانُ بن مظعون.

وأخرج ابن جرير عن السُّدّى قال: إن رسول الله ﷺ جلس يومًا فذكَّرَ الناسَ، ثم قام ولم يزدهم على التخويف، فقال ناسٌ من أصحاب النبى ﷺ ـــ كانوا عشرةً فيهم علىّ وعثمان بن مظعون ـــ: إنَّ النصارى قد حَرَّموا على أنفسهم، فنحن نحرِّمُ أكلَ اللحمِ والودك، وحرَّم بعضُهم النوم، وحرَّم بعضُهم النساء، فكان عثمانُ ممن حرَّم النساء، وكان لا يدنو من أهله، فأتتْ امرأتُه عائشةَ، فقالت لها: ما بالُك متغيِّرةَ اللون لا تَمتَشِطين ولا تطيَّبين؟ فقالت: وكيف أتطيَّبُ وأمتشطُ وما وقع علىَّ زوجى ولا رفَعَ عنى ثوبًا منذ كذا و كذا، فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله وهن يَضحكن، فقال: «ما يُضحِكُكُنَّ؟» فقلن: يا رسول الله هذه الحولاءُ، سألْتُها عن أمرها فقالت: ما رفَعَ عنى زوجى ثوبا منذ كذا وكذا، فأرسلَ إليه فدعاه فقال: ما بالُك يا عثمان؟ قال: إنى تركتُه لكى أتخلَّى

للعبادة وقَصّ عليه أمرَه، وكان عثمان قد أراد أن يَجُبَّ نَفْسَه فقال رسول الله: أقسمتُ عليك إلاَّ رجعتَ فواقعتَ أهلَك، فقال: يا رسول الله إني صائم، قال: فأفطِرْ، فأفطَرَ وأتى أهلَه. فرجعَتْ الحولاء إلى عائشة وقد اكتحلَتْ وامتشطَتْ وتطيَّبَتْ، فضَحِكتْ عائشة فقالت: ما بالُكِ؟ فقالت: إنه أتاها أمس. فقال رسول الله: ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النساءَ والطعامَ والنوم، ألا إني أنامُ وأقوم، وأُفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». فنزل قولُه تعالى: ﴿لا تُحرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ الله لكم﴾.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن عكرمة أنَّ عثمان بن مظعون وعليَّ بن أبي طالب وعبدَ الله بن مسعود والمِقداد بن الأسود وسالماً مولى أبي حُذَيفة تَبَتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، وحرَّموا طيبات الطعام واللباس، وهَمُّوا بالاختصاء، وأجمعوا لقيامِ الليل وصيام النهار، فنَزَل قوله تعالى: ﴿لا تُحرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ الله لكم﴾. فبعث إليهم رسول الله فقال: «إنَّ لأنفسكم حقّاً، وإن لأعينكم حقّاً وإن لأهلكم حقّاً، فصلوا وناموا وأفطروا، فليس منا من ترك سنّتنا.

فهذه الأخبار وأمثالُها: تنادي بأعلى نداء على أنَّ التشدُّدَ في التعبُّد وإيثارَ الاجتهاد في الطاعة ممنوعٌ عنه في الشرع، وليس ذلك من المِلّة الحنيفة السهلة البيضاء.

فهؤلاء الذين اجتهدوا وجاهدوا في العبادة قد ارتكبوا ما نَهى النبي ﷺ عنه فلا عبرة بفعلهم، فإنَّ القول ما قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والجواب عنه:

أما عن حديث الحولاء، فهو أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يمنعها من كثرة الصلاة، بل أجاز العملَ بحسَب الطاقة وإلى أن لا يَسأمَ العاملُ: ترك العمل.

وأما عن حديث زينب، فهو أنها كانت تُصلّي بحيث تَملُّ وتَفتُر، فتُمسِكُ الحبلَ الممدود، فمنعها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك، وهذا غيرُ المتنازَع فيه.

وأما عن حديث عبد الله بن عَمْرو، فهو أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد علِمَ من حاله أنه لايَتمكَّن من الدوام على ما التزمه، فهداه إلى سبيل الرُّخصة وعلّله بأنَّ لنفسه عليه حقّاً، ولأهله عليه حقّاً، وبأنه إذا فعلَ ذلك ضَعُفَتْ عينُه، ونَهِكَ بدنُه، فدلَّ ذلك على أنَّ الجهاد بحيث يُورثُ مَلالَ الخاطر وكسَلَه أو يُخلُّ بشيء من الحقوق الشرعية: ممنوعٌ عنه. ولا دلالَة له على منعه مطلقاً.

وأما عن حديث أبى الدرداء، فهو أنه قد التزم العبادة بحيث تَرَكَ الحقوقَ الواجبة فنهاه سلمان، فهو أيضًا يَدلُّ على أن التشدُّد بحيث يُفضى إلى الفتور فى الحقوق منهىٌّ عنه، لامطلقًا.

وأما عن حديثِ رهط من الصحابة، فهو أنهم تقالُّوا عملَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وظنُّوا أنه إنما لا يَجتهدُ لكونه مغفورًا له، وأوجبوا على أنفسهم ما لم يُوجبه الله، وأعرضوا عن الطريقة السهلة، فلذلك زجَرَهم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك، وهداهم إلى طريقته، وقال: «من رَغِبَ عن سُنّتى». أى أعرض عنها غيرَ معتقدٍ حُسنَ ما أناعليه، كما ظنَّه ذلك النَّفَرُ من الصحابة «فليس مِنّى». أى ليس مِمَّن يَسلُك مسلكى ويَهتدى بهديى ولا دلالَة له على أنه إذا اجتهَدَ رجلٌ حسَبَ طاقته غيرَ مُوجِبٍ ما لم يوجبه الله وغيرَ مُفضِّلٍ مسلكه على المسلك النبوى لا يجوز ذلك.

وأما عن حديثِ عثمان بن مظعون وغيره، فهو أنهم قد كانوا حرَّموا على أنفسهم ما لم يُحرّمه الله. وأوجبوا على أنفسِهم ما لم يُوجبه الله، فنُهُوا عن ذلك، ولا دلالةَ له على نفى التشدُّد مطلقًا، بل على التزامه بحيث يُورث إلى إبداع أمرٍ فى الشرع ليس منه.

ونعم التحقيق فى هذا المقام: ما أورده البِرْكِلى فى «الطريقة المحمدية» لدفع المعارضة بين هذه الأحاديث وبين مجاهدات السلف حيث قال: «إنَّ المنع عن التشديد فى العبادة معلَّلٌ بعِلَّتين: لِميَّة، وهى: الإفضاءُ إلى إهلاك النفس أو إضاعةِ الحقّ الواجبِ للغير أو تركِ العبادة أو ترك مداومتها. وإنِّيَّة، وهى: أنَّ نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُرسِلَ رحمةً للعالمين، ومؤيَّدٌ من عند الله فيقوى على ما لا يقوى عليه آحادُ الأمة، وإنه أخشى الناس مِن اللهِ وأتقاهم وأعلمُهم بالله، فلا يُتصوَّرُ منه البُخل وتركُ النُّصح، ولا التوانى والتكاسُل، ولا الجهلُ فى أمر الدينِ فلو كان فى العبادة والقرُب من الله طريقٌ أفضلُ وأنفعُ غيرَ ماهو عليه لفعَلَ أو بيَّنَه وحثَّ عليه، فيُجزَمُ قطعًا أنَّ ما هو عليه أفضلُ وأقربُ إلى معرفةِ الله.

فيُحمَلُ ما رُوى عنهم على أنهم إنما فعلوا ذلك التشديدَ إمَّا مداواةً لأمراضِ القلوب، أو يكون العبادة عادةً لهم وطبعًا كالغداء للصحيح، فيتلذَّذون بها بلا إضاعةِ حقّ ولا تركِ مداومةٍ ولا اعتقادِ أنه أفضلُ مما عليه أفضلُ البشر أو قاله.

وأمَّا نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقد بلَغَ الدرجةَ العُلْيَا من الكمال، وهى أن لا يَمنْعَ عن توجُّهِ القلب شىءٌ، لا التكلُّمُ مع الخلق ولا الأكلُ ولا الشربُ ولا النومُ ولا مُلامسةُ

النساء، ويكون الخِلطةُ والعُزلةُ سواءً، فاقتصارُه على بعضِ العبادات الظاهرة لكونها أفضلَ له ولأمّته، وتلذُّذه عليه السلام دائمٌ لا يَختصُّ بالعبادة الظاهرة.

وقد بلغ بعضُ المشايخ، إلى حيثُ كان له حَظٌ من هذه الدرجة، حتى قال: مَنْ رآنى الآن صار زِنديقًا، ومن رآنى قبلُ صار صِدّيقًا» حيث كان يقتصرُ فى نهايته من العباداتِ الظاهرةِ على الفرائض والواجباتِ والسُّنَن، ويأكلُ ويشربُ وينامُ كالعوامّ، وفى بدايتهِ يجتهدُ ويرتاضُ. فمن رأى اجتهادَه يَجتهدُ كاجتهاده حتى يصيرُ صديقًا، ومن رأى فى نهايته يُنكِرُ الاجتهادَ والطريقةَ أصلًا، فيُخافُ عليه الكفر. فلا يخلو ما نقل عن السلف من التشديدعن العِلّتين المذكورتين، وهذا هو المحمل الصحيح الحقّ الصريح، فلا تُفرِط ولا تُفرّط، وابتغ بين ذلك سبيلا»، انتهى كلامه.

وفى "الحديقة النديّة": «جميعُ ما ورد عن سلف الماضين من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات لا تُخالِفُ شيئًا من الدين المحمَّدى أصلًا، بل هى واردة أيضًا فى الكتاب والسُّنَّةِ فى حقّ من يَقدِرُ عليها ويَتفرَّغُ لها، من غير أن تكون واجبةً عليه، لأنها نَفلٌ زائدٌ على ما كُلِّفَ به، مثابٌ عليها.

كما ورد الاقتصادُ والتوسُّطُ فى العملِ أيضًا فى الكتاب والسنة فى حقّ من لا قُدرةَ له ممن يُخافُ عليه الملل، وفى الدينِ تسهيلٌ وتصعيب: قال الله تعالى: «اتَّقُوا الله حقَّ تُقَاتِه». وقال: «فاتَّقُوا الله ما استطعتُم». وورد عنه ﷺ صومُ الوصال، وكثرةُ الجوع حتى كان يَربطُ الحجرَ على بطنه، وورد عنه أنه قامَ اللّيلَ حتى تورَّمَتْ قدماه، وكذلك ورد كثرةُ الصيام والقيام عن أزواجِه أُمّهات المؤمنين، كما تقدَّم فى الحبل المربوط لزينب وأمرِ النبى ﷺ بحلّه للشفقة عليها.

ولهذا كان عبدُ الله بن عَمرو لما نهاه رسول الله ﷺ عن كثرة العبادة لم يفهم انقلابَ ذلك معصيةً بل قال لمَّا كَبِرَ: وَدِدْتُ أنى قَبِلتُ رُخصةَ رسول الله ﷺ، فسمَّى ما أمره به رُخصةَ، وما فعله هو عزيمةً، ولم يُسمِّ ما أمرَه به الدينَ فقط.

ومن تأمّل ما سبق من الآياتِ والأحاديثِ كلّها عَلِمَ أنَّ ذلك كلّه رحمةٌ مِن الله بالأمّة ومِن النبى ﷺ. وترخيصٌ للمؤمنين لا يكون عليهم حرجٌ فى الدين، فإن قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم﴾. أى لا تعتقدوا حُرمتَها بانكار الرُّخصةِ لكم فيها، فلو لم يُحرِّموها وتركوا تناولها زهدًا فى الشيء الفانى: لا معصية فى فعلهم.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿قُلْ من حرَّمَ زينة الله التي أخرجَ لعبادِه والطيِّباتِ من الرِّزق﴾. وقولُه عليه السلام في آخر الحديث: «فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مني». أي من لم يعتقد جوازَ ما فعلتُه ورَخَّصتُ فيه وفعل أشدّ منه في مقابلة قولهم: "فأين نحن من رسول الله؟"، يريدون بذلك إبطالَ الترخيص الشرعي، فقال لهم ماقال.

فالحاصلُ: أنَّ السلف الماضين اختاروا العزائمَ في أنفسهم لأنهم أهلُ الهِمَم والعزائم، وكانوا معترفين بصحة الرُّخصِ الشرعية يُفتون بها للعامَّة، ويُحرِّضونهم على فعلها، كما كان النبي ﷺ يفعل أحيانًا: يأمُرُ بالرُّخصِ ويفعلُ بالعزائم، كما أخبرَ في قضية صومِ الوصال»، انتهى كلامه ملخصًا.

وفي «إرشاد الساري شرح صحيح البخاري» تحت حديثِ قيام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى تورَّمتْ قدماه: «فيه أخذُ الإنسان على نفسِه بالشدَّة في العبادة وإنْ أضرَّ ذلك ببدنه، لكن ينبغي تقييد ذلك بما لم يُفضِ إلى الملال، لأنَّ حالة النبي ﷺ كانت أكملَ الأحوال، فكان لا يَملُّ من العبادة وإن أضرَّ ذلك ببدنه، بل صحَّ عنه عليه السلام أنه قال: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة». فأمَّا غيرُه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإذا خَشِي المللَ ينبغي له أن لا يكُدَّ نفْسَه حتى يمل، نعم الأخذُ بالشدّة أفضل، لأنه إذا كان هذا فعل المغفور له فكيف مَن جَهِلَ حالَه وأثقلَتْ ظهره الأوزار ولا يأمن عذاب النار؟» انتهى. ومثله في «المواهب اللدنية» كما مرَّ نقلُه في المقصد الأول.

وفي كتاب «الأذكار» للنووي: «قد كانت للسلف عاداتٌ مختلفة في القَدْرِ الذي يَختمون فيه، فكان جماعةٌ منهم يختمون في كلّ شهرين خَتْمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في ثمانِ ليالٍ ختمة، وآخرون في سبع ليال؛ وهذا فعلُ الأكثرين من السلف، وآخرون في كل ست ليال وآخرون في خمس، وآخرون في أربع، وكثيرون في كل ثلاث، وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة.

ويختم جماعةٌ في كل يومٍ وليلة ختمتين، وآخرون في كل يومٍ وليلةٍ ثلاثَ ختَمات، وختم بعضُهم في اليوم والليلة ثمانيَ ختَمات؛ أربعًا في الليل وأربعًا في النهار، وممن ختم كذلك: السيّدُ الجليلُ ابن الكاتب الصوفي، وهذا أكثرُ ما بلَغنا في اليوم والليلة.

وروى السيّدُ الجليلُ أحمدُ الدَّوْرَقي بإسناده عن منصور بن زاذان من عُبّاد التابعين أنه كان يختم القرآن ما بين الظهر والعصر، ويختمه أيضا ما بين المغرب والعشاء، ويختم في

رمضان ما بين المغرب والعشاء ختمتين وشيئًا، وكانوا يؤخّرون العشاءَ فى رمضان إلى أن يَمضى رُبعُ الليل، وروى ابنُ أبى داود بإسناده الصحيح أنَّ مجاهدًا كان يختم القرآنَ فى رمضان فيما بين المغرب والعشاء.

وأمَّا الذين ختموا القرآنَ فى ركعةٍ فلا يُحصون لكثرتهم، منهم عثمانُ بن عفان وتميمٌ الدارىّ وسعيدُ بن جُبَير.

والمختارُ أنَّ ذلك يَختلفُ باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيقِ الفكر لطائفُ ومعارفُ فليَقْتصر على قدرٍ يَحصُلُ له معه كمالُ فَهْمِ ما يَقرأ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو فَصْلِ الحكومات أو غيرِ ذلك من مهمَّاتِ الدين والمصالح العامة للمسلمين، فليقتصر على قدرٍ لا يَحصُل بسببه إخلالٌ بما هو مُرصَدٌ له ولا فواتُ كمالِه، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غيرِ خروجٍ إلى حدّ الملل والهَذْرَمة فى القراءة»، انتهى.

وفى «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووى تحت حديث عبد الله بن عَمْرو: «قد كانت للسلفِ عاداتٌ مختلفة فيما يقرأون كلَّ يوم، بحسَب أحوالِهم وأفهامِهم ووظائفِهم، فكان بعضُهم يختم القرآنَ فى كلّ شهر، وبعضُهم فى عشرين يومًا، وبعضُهم فى عشرة أيام، وبعضُهم أو أكثرُهم فى سبعة، وكثيرٌ منهم فى ثلاثة، وكثيرٌ فى كلِّ يومٍ وليلة، وبعضُهم فى كلّ ليلة، وبعضُهم فى اليوم والليلة ثلاثَ ختمات، وبعضُهم ثمانَ ختمات؛ وهو أكثرُ ما بلغنا.

والمختارُ أنه يَستكثر منه ما يُمكنه الدوامُ عليه، ولا يَعتادُ إلا ما يَغلبُ على ظنّه الدوامُ عليه فى حالِ نشاطه وغيرِه، هذا إذا لم تكن له وظائفُ عامَّة أو خاصَّة يتعطَّلُ باكثار القرآن عنها، فإن كانت له وظيفة عامة، كولايةٍ وتعليم ونحوِ ذلك، فليُوظِّفْ لنفسِه قراءةً يمكنه المحافظة عليها مع نشاطِه وغيرِه من غيرِ إخلالٍ بشيءٍ من كمالِ تلك الوظيفة، وعلى هذا يُحمَلُ ما جاء عن السلف»، انتهى. ومثلُه فى «الإتقان فى علوم القرآن» للسيوطى.

وخلاصةُ المَرام فى هذا المَقام- وهو الذى أختارُ تبعًا للعلماء الكرام-:

أنَّ قيامَ الليل كلِّه، وقراءةَ القرآن فى يومٍ وليلةٍ مرَّةً ومرَّات، وأداءَ ألفِ ركعات أو أزيدَ من ذلك، ونحوَ ذلك من المجاهدات والرياضات ليس ببدعة، وليس بمنهىّ عنه فى الشرع، بل هو أمرٌ حسَنٌ مرغوبٌ إليه، لكن بشروط:

أحدها: أن لا يَحصُلَ من ذلك ملالُ الخاطر، يَفوتُ به التذاذُ العبادة وحضورُ القلب، يُؤخذُ ذلك من حديثٍ: «لِيُصلِّ أحدُكم نشاطَه». أى مُدَّةَ نشاطِ خاطره وسرورِ طبيعته.

وثانيها: أن لا يَتحمَّل بذلك على نفسِه مشقةً لا يُمكن له تحملُها بل يكون ذلك مُطاقًا له، يؤخذُ ذلك من حديثٍ: «عليكم من الأعمالِ ما تُطيقون».

وثالثها: أن لا يفوت بذلك ما هو أهمّ من ذلك، مثلا إن كان قيامه بالليل يفوتُ صلاةَ الصبح لا يجوزُ له قيامُ الليل كلّه، فإنَّ أداءَ الفرض أهمُّ من أداء النوافل ويَدلُّ عليه ما أخرجه مالك عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حَثْمة قال: إنَّ عمر بن الخطاب فقَدَ سليمانَ ابنَ أبى حثمة فى صلاة الصبح، وإنَّ عمر غدا إلى السوق، ومسكَنُ سليمان بين المسجدِ والسوق، فمرَّ على الشِّفاءِ أمّ سليمان فقال لها: لم أرَ سليمانَ فى الصبح، فقالت: إنه بات يُصلّى فغلبته عيناه فقال عمر: لأن أشهدَ صلاةَ الصبح فى جماعةٍ أحبُّ إلىَّ من أن أقومَ ليلةً. وكذلك من يقوم الليلَ ويَسرُدُ الصوم إن كان ذلك بحيث يَفوتُ منه حضورُ الجماعات وصلاةُ الجنائز ونشرُ العلم بالتدريسِ والتصنيفِ ونحوِ ذلك: لا ينبغى له ذلك.

ورابعها: أن لا يَفوتَ بذلك حقّ من الحقوق الشرعية، كحقّ الأهلِ والأولادِ والضيفِ وغيرِ ذلك، يُؤخذ ذلك من قِصَّة عبد الله بن عَمْرو وأبى الدرداء.

وخامسها: أن لا يكون فيه إبطالٌ للرُّخصِ الشرعية بحيث يُعَدُّ الترخيصُ الشرعى باطلًا والعاملُ بالرُّخَص عاطلًا، يؤخذ ذلك من حديث الصحابةِ الذين تقالُّوا عملَ رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وسادسها: أن لا يكون فيه إيجابُ ما ليس بواجبٍ فى الشرع وتحريمُ ما لم يُحرَّم فى الشرع، يؤخذ من حديث عثمان بن مظعون.

وسابعها: أن يُوفَّى أركانَ العباداتِ حظَّها، فلا يجوزُ أن يُكثَر من ركعات الصلاة ويؤدّيها كنقرِ الديك، أو يُكثرَ قراءةَ القرآن من غير تدبّرٍ وترتيلٍ ونحوِ ذلك، وعليه يُحمَلُ قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يَفقَهُ القرآنَ من قرآه فى أقلَّ من ثلاث» أخرجه أبو داود والترمذى وغيرهما من حديث عبد الله بن عَمْرو، وبه أخذ جماعة فكرهوا ختْمَ القرآن فى أقل منه، وحمله آخرون على أنه ليس نفيًا للثواب بل للفهم، قال الترمذى فى «جامعه»: «قال بعضُ أهل العم لا يُقرأُ القرآنُ فى أقلَّ من ثلاثٍ للحديثِ الذى رُوى عن النبى ﷺ، ورَخّص فيه بعضُ أهل العلم، ورُوى عن عثمان بن عفان أنه كان يقرأ القرآن فى ركعة يُوترُ

بها، ورُوِيَ عن سعيد بن جُبَير أنه قرأ القرآنَ في ركعتين في الكعبة. والترتيلُ في القراءة أحبُّ إلى أهل العلم» انتهى.

وثامنها: أن يَدومَ على مايختار من العبادة لا يتركه إلا لِعُذْر، يؤخذ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ». أخرجه مسلم من حديثِ عائشة، وأخرج البخاري ومسلم وغيرُهما عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يا عبد الله لا تكن مثلَ فلان كان يقومُ من الليل فتركَ قيامَ الليل».

وتاسعها: أن لا يكون اجتهادُه مُورِثًا للملالَ إلى أحدٍ من المسلمين، كأن يَجتهدَ في قراءةِ السُّوَرِ الطّوال أو تمامِ القرآن في صلاةِ الجماعة، فإنَّ ذلك مما يُورِث ملالَ المقتدين. فإنَّ فيهم الضعيفَ والسقيمَ وصاحبَ الحاجة.

يؤخذ ذلك مما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكم للناسِ فليخفف، فإنَّ فيهم الضعيفَ والسقيمَ والكبيرَ، وإذا صلَّى فلْيُطوِّلْ ما شاء».

وأخرجا أيضًا عن أبي مسعود الأنصاري: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله إني لا أكادُ أُدرِك الصلاةَ مما يُطوِّلُ بنا فلان، فما رأيتُ رسول الله في موعظةٍ أشدَّ غضبًا من يومئذ فقال: «أيها الناس إنَّ منكم مُنفِّرين، من صلَّى بالناس فلْيُخفِّف، فإنَّ فيهم الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة».

وأخرجا أيضًا عن جابر قال: صلىَّ معاذ لأصحابِه العشاء فطوَّل عليهم، فانصرَفَ رجل، فأُخبِرَ معاذٌ عنه فقال: إنه منافق، فلمَّا بلغ ذلك الرجلَ دخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبيّ ﷺ: «أتُريد أن تكون فتّانًا يا معاذ؟ إذا أمّمتَ بالناس فاقرأ بالشمسِ وضُحاها، وسبّح اسمَ ربِّك الأعلى، واقرأ باسْم ربّك، والليلِ إذا يَغشَى» والأخبارُ في هذا الباب كثيرة.

عاشرها: أن لا يكون اجتهادُه مُورِثًا إلى اعتقادِ أنه أفضلُ عملا مما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأكثرُ أصحابه من تقليلِ العمل.

فمن وُجدَتْ فيه هذه الشروط فالتشدُّد في العبادة أحقُّ له، وأصحابُ الرياضات السابقين كانوا جامعين لهذه الشروط فجازلهم ذلك، ولم يُنكِر عليهم أحدٌ ذلك. ومن فات

لَهُ شَرْطٌ منها فالاقتصادُ فى العمل والتوسُّطُ أليقُ لهُ. هذا هو الطريقُ الوسَط الذى يرتضيه كلُّ منصف، لا إفراطَ فيه ولا تفريط مما يذهب إليه كلٌّ متعسف. ولعلَّ هذا التحقيق الأنيق مما لم يَقرع سمعَك به أحدٌ من السابقين! فخذه بقوَّة وكن من الشاكرين.

خاتمه

قد وقع السؤالُ كثيرا عما تداول الناسُ فى زماننا، فى ليلة السابع والعشرين أو غيرِها من ليالى رمضان أنهم يُزيّنون المسجدَ بالفرْش، ويُكثرون تعليقَ القناديل وإسراجَ السُّرُج، ويُعيّنون حُفّاظا سريعى القراءة جيّدى الحفظ، لختمِ القرآنِ كلّه فى ليلةٍ واحدة فى صلاةِ التراويح، فيؤمُّ واحدٌ بعدَ واحد، ويقرأ كلُّ واحد حسبَما أمكنَ له فى ركعتين أو ركعاتٍ إلى أن يحصل الختمُ قريبَ الصُّبح الصادق أو وقتَ السَّحَر حسَبَ سرعةِ القارئين وبُطئهم، ويُسمّونه: خَتْمَ شَبِينَه، فهل يجوزُ ذلك أم لا؟

فأجبتُ بأنَّ نَفْسَ ختمِ القرآن فى ليلة أمرٌ مرغوب إليه، لكن ضَمَّ أمور قبيحة معه: قبيح، وتفصيلُه: أنَّ فيما تداولوه وحسِبوه أمرا حسنًا أمورًا بعضُها حسنةٌ وبعضُها مستقبحة:

الأول: ختْمُ القرآن فى ليلة، وهو أمرٌ حسن، قد فعله كثيرٌ من السلف، بل منهم من ختمه فى ركعة واحدة.

والثانى: سُرعة القراءة، فإنهم يُسرعون فى القراءة إلى حيث لا تخرجُ الحروفُ من مخارجها فضلا عن التدبُّر والترتيل، وهو أمرٌ قبيح، كما أخرج ابنُ أبى داود عن مسلم بن مِخْراق قال: قلتُ لعائشة إن رجالا يقرأ أحدُهم القرآنَ فى ليلةٍ مرتين أو ثلاثا، فقالت: قرأوا ولم يقرأوا، كنتُ أقومُ مع رسول الله ليلةً فيقرأ بالبقرة وآلِ عمران والنساء فلا يَمُرُّ بآيةٍ فيها استبشارٌ إلا دعا ورغب، ولا بآيةٍ فيها تخويفٌ إلا دعا واستعاذ. بل منهم من يُسرع بحيث يترك آيات ولا يَقدِرُ — بسبب سُرعتِه — سامعُه ان يفتحه، بل منهم من لا يأخذ فَتْحَه لئلا يخل بسرعته، وأىّ أمر أقبح من هذا!! وقد رأيتُ ما هو أقبَحُ من ذلك وهو أنه إذا فرغ الحافظ من القراءة فالسامعون كلهم يبْسطون ألسنتهم بالثناء فى حقّه ويقولون: ما أسرعَ قراءتَك؟ وما أحسن صوتَك؟ وأمثالَ ذلك، ولا يتنبهونه على ما ارتكب من تركِ الترتيل وحذف الآيات.

والثالثُ: تكاسُلُ السامعين، فإنَّ الحافظ إذا قام للقراءة ينتظرون لركوع الركعة الأولى، فإذا أراد أن يركع يشتركون معه، فحقَّ أن يقال فى حقّهم: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى﴾.

والرابع: تنفيرُ المقتدين، فإنَّ الحافظ إذا طوَّل فى القراءة يُثقِل ذلك على من اشترك به، فمنهم من يَقعد، ومنهم من يُراوح بين القدمين، ومنهم من يَنقُض الركعة ويَسمعُ جالسًا خارجَ الصلاة. وأيّ مفسدةٍ أعظمُ من ذلك! ومن ثَمَّ نصَّ الفقهاءُ على أنه ينبغي أن يقرأ فى التراويح قدْرَ ما لا يَثقُلُ عليهم.

والخامس: إسراجُ القناديل الكثيرة فوقَ حاجته، وهو أمرُ لهوٍ ولعبٍ ينبغى التحرُّز عنه، كما نصَّ عليه الفقهاء فى مواضع. فهذه وأمثالُها مفاسدُ قد أخرجَتْ الأمرَ الحسَنَ إلى درجة القُبح، وكم من شيءٍ حسنٍ يصير مع ضَمّ ضميمةٍ قبيحًا، والله أعلم بالصواب، وعنده أم الكتاب.

هذا آخرُ الكلام فى هذا المقام، وكان الاختتام يوم الجمعة العشرين من الرَّبيع الثانى من شهورِ سنة الحادية والتسعين بعد الألف والمأتين من هجرة سيد الثَّقلَين، عليه وعلى آله صلاةُ ربّ المشرقين. وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات



للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من جعل الأهلة مواقيت للناس والحج والصيام، وبيّن لنا الحلال الحرام، فكيف أحمده وكيف لا أحمده وهو ذو الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على من كشف الغمّة، ودعا الناس إلى الإسلام، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد: فيقول العبد الراجى رحمة ربه القوى أبو الحسنات محمد المدعو بعبد الحى -تجاوز الله عن ذنبه الجلى والخفى- اللكنوى وطنًا، الأنصارى الأيوبى القطبى نسبًا، الحنفى مذهبًا ومشربًا، هذه عُلالة رائعة نافعة سميتها "القول المنشور فى هلال خير الشهور"، وكان الباعث على تأليفها ما رأيت فى هذا الزمان من أن الناس يعتمدون على ما جربوه كثيرًا، وكل ذلك مخالف للشرع، فأردت أن أحقق هذا البحث، وأفصل فيه حق التفصيل، متوكلا على الله الجليل مسألة يجب على الناس كفاية[1] أن يلتمسوا هلال رمضان يوم التاسع والعشرين من شعبان؛ لأنه قد يكون ناقصًا، نصّ عليه الشرنبلالى[2]

(١) قوله: "كفاية" فيسقط الإثم بفعل واحد، وإن تركه كلهم، أثم كلهم، كذا صرحوا فى معنى الواجب على الكفاية، وبه يظهر أن القائم بفرض الكفاية أحرز ثوابًا من القائم بفرض العين؛ لأنّه صار باعثًا لتطهير ذم جميع المسلمين عن الإثم، وبه صرّح فى "الروضة"، حيث قال: للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين، لأنه أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين.

ونقله عن إمام الحرمين، ونقل الأسنوى أيضًا عن أبى محمد وأبى على، ولفظه قال أهل التحقيق: إن فرض الكفاية أهم من فرض العين، والاشتغال به أفضل من الاشتغال بأداء فرض العين، وكذا نقله ابن الصلاح عن الأستاذ أبى سحاق، كذا فى "عمدة المتحصنين شرح عدة الحصن الحصين" للشيخ برهان الدين إبراهيم بن جمعان الشافعى.

(٢) قوله: "نصّ عليه الشرنبلالى" -بضم الشين والراء وسكون النون، ثم ضم الباء- نسبة إلى "شربلولة"، بلدة بسواد مصر على غير قياس، والقياس شربلوانى، وهو حسن بن على بن عمر أبو

فى "مراقى الفلاح"، وهذا معنى قول القدورى[1]: ينبغى للناس أن يلتمسوا الهلال يوم التاسع والعشرين، كما فسّره به ابن الهمام[2] فى "فتح القدير"، وذلك لما روى البخارى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين».

غمّ -بضم الغين المعجمة وتشديد الميم- أى حال بينكم وبينه غيم، وقوله: «أكملو العدة» أى عدة شعبان؛ لأن الأصل فى الشهر هو البقاء.

وروى مسلم عن أبى هريرة، قال قال سول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته[3] وأفطروا لرؤيته فإنْ غُمى عليكم فأكملوا العدد»، وروى الترمذى عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ: «لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن حالت دونه غيابة فأكملوا ثلاثين يومًا».

قوله: غيابة -بالتحتيّتين- كل ما أظلّك من سحابة أو غيرها، وروى البخارى عن أبى هريرة قال: قال أبو القاسم ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غبى عليكم

الإخلاص المصرى الحنفى، صاحب "نور الإيضاح" و"شرح نور الإيضاح" وحواشى "الدرر" والرسائل العديدة، كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره، مات فى رمضان سنة ١٠٦٩، كذا فى "خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر" لمحمد بن فضل الدمشقى.

(١) قوله: "وهذا معنى قول القدورى" هو صاحب المختصر المشهور أحمد بن محمد أبو الحسين البغدادى، كان ثقة صدوقًا، انتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانه، توفى فى رجب سنة ٤٢٨، والقدورى نسبة إلى القدور -بالضم- جمع قدر، كذا فى "مدينة العلوم"، وقد بسطت فى ترجمته فى "الفوائد البهية فى تراجم الحنفية".

(٢) قوله: "كما فسّر به ابن الهمام" -هو صاحب "فتح القدير حاشية الهداية"، و"التحرير" فى الأصول، و"المسايرة" فى العقائد- كمال الدين محمد بن همام الدين عبد الوحد السكندرى، رئيس الحنفية فى عصره، واحد من حق له الاجتهاد، توفى سنة ٨٦١، كذا فى "طبقات الكفوى"، وليطلب البسط من الفوائد.

وعبارته: قوله: ينبغى... إلخ، أى يجب عليهم وهو واجب على الكفاية -انتهى- وبه يظهر استعمال "ينبغى" فى الوجوب وعدم اختصاصه بالاستحباب، كما ظنه بعضهم.

(٣) قوله: "لرؤيته إلخ" اللام ههنا للوقت، أى صوموا وقت رؤيته، وأفطروا وقت رؤيته. (منه رحمه الله تعالى)

فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»، قوله: غُبى بضم الغين المعجمة وتشديد الياء الموحدة مع الكسر مبنيًا للمفعول، وللحموى غبى بفتح المعجمة وكسر الموحدة كعلم، أى خفى عليكم وهو من الغباوة ضد الفطانة استعارة لخفاء الهلال.

فهذه الأحاديث قد دلت على أن مناط الصوم إنما هو رؤية الهلال، فيستحب التماسه، ولذا ذكر فقهاءنا أن لا يصام يوم الشك بنية أنه من رمضان؛ لأنه صوم معلق على الرؤية.

وقال الشيخ الحدّادى[1] فى "شرح مختصر القدورى": وكذا ينبغى أن يلتسموا هلال شعبان أيضًا فى حق إتمام العدة.

قلت: فيه حديث رواه الترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أحصوا هلال شعبان لرمضان»، وروى أبو داود عن عائشة، قالت: "كان رسول الله ﷺ يتحفّظ من شعبان ما لا يتحفّظ من غيره، ثم يصوم لرؤية رمضان، فإن غمّ عليه عدّ ثلاثين يومًا، ثم صام".

مسألة:

لا اعتبار لحساب المنجّمين والحاسبين فى الهلال، وقد اختلفوا فى ذلك، فالذى عليه الأكثرون هو عدم اعتبار قوله: لا فى حق نفسه ولا فى حق غيره، وذهب ابن شريح وبعض الشافعية إلى اعتباره، وصوّبه الزركشى تبعًا للسبكى، والباعث على اختلافهم هذا اختلافهم فى معنى ما رواه الشيخان مرفوعًا لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطرو حتى تروه، فإن غمّ عليكم فاقدروا له.

فقيل: معناه قدّروه تحت السحاب، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فإنه يجوز صوم يوم ليلة الغيم عن رمضان، وقيل: معناه قدروه بحساب المنازل، وهو قول ابن شريح ومطرف بن عبد الله وقتيبة ومن تبعهم، والذى ذهب إليه مالك والشافعى وأبو حنيفة وجمهور السلف والخلف هو أن معناه: قدروا له تمام العدد ثلاثين يومًا، بدليل

(١) قوله: "قال الشيخ الحدّادى" هو أبو بكر بن على بن محمد، صاحب "السراج الوهاج شرح مختصر القدورى"، و "مختصرة الجوهرة النيرة"، كان عالـمًا عاملا ناسكًا، له مصنفات كثيرة وكرامات، وتوفى سنة ٨٠٠، كذا فى "طبقات الحنفية" لعلى القارى المكى. (منه رحمه الله تعالى)

الروايات الصريحة التى ذكرنا، كذا ذكره النووى فى "شرح صحيح مسلم".

وفى "الدر المختار": لا عبرة بقول الموقتين ولو عدولا على المذهب -انتهى- وفى "النهر الفائق": لا يلزم بقول الموقتين أنه -أى الهلال- يكون فى السماء ليلة كذا، وإن كانوا عدولا على الصحيح، كما فى "الإيضاح"، وللإمام السبكى تأليف مال فى إلى اعتماد قولهم: لأن الحساب قطعى -انتهى-.

ونقل ابن عابدين فى "رد المحتار حاشية الدر المختار" عن فتاوى الشهاب الرملى الشافعى:

سئل عن قول السبكى لو شهدت بينة برؤية الهلال ليلة الثلاثين من الشهر، وقال الحُسّاب: بعدم إمكان الرؤية تلك الليلة، عمل بقول أهل الحساب؛ لأن الحساب قطعى، والشهادة ظنّيّة، وأطال فى ذلك، فهل يعمل بما قاله أم لا؟

أجاب: بأن ما قاله السبكى رده عليه جماعة من المتأخرين، انتهى ملخّصًا.

وفى "الإقناع" للفقيه أبى الخير الشافعى: لا يجب الصوم بقول المنجم، ولا يجوز، ولكن له أن يعمل بحسابه كالصلاة، كما فى المجموع، وقال: إنه لا يجزئه عن فرضه، لكن صحّح فى الكفاية إذا جاز أجزأه، ونقله عن الأصحاب، هذا هو الظاهر، والحاسب وهو من يعتمد منازل القمر بتقدير سيره فى معنى المنجم، وهو من يرى أن أول الشهر طلوع النجم الفلانى -انتهى-.

وفى "فتاوى الأنوار" للفقيه جمال الدين الأردبيلى الشافعى: يجب الصوم باستكمال شعبان، أو برؤية الهلال، ولا يجب بمعرفة منازل القمر، لا على العارف، ولا على غيره -انتهى-.

وفى "معراج الدراية شرح الهداية": لا يعتبر قولهم بالإجماع، ولا يجوز للمنجم أن يعمل بحساب نفسه -انتهى- وقد أطال العلامةعلى القارى المكى فى "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" الكلام فى هذا المقام، وحقق أنه لا اعتبار لقول الحاسبين.

ثم قال: بل أقول: لو صام المنجم عن رمضان قبل رؤيته بناء على معرفته، يكون عاصيًا فى صومه، ولا يحسب عن صومه، إلا إذ ثبت الهلال، ولو جعل عيد الفطر بناء على زعم الفاس يكون فاسقًا، ويجب عليه الكفارة فى قول، هو الصحيح، وإن استحله كان كافرًا.

ثم قال: ومن الغرائب ما نقله صاحب "النهاية" عن ابن شريح أن قول النبى ﷺ: «فأكملوا العدة» خطاب للعامّة، وقوله: «فاقدروا له» خطاب لمن خصّه الله تعالى بهذا العلم.

وأغرب منه عمل صاحب "النهاية" من نقل كلام، والسكوت عليه، فإنه لا ينبغى لأحد ن ينقل كلامه إلا للرد عليه -انتهى-.

ونقل الزاهدى فى "القنية" ثلاثة أقوال: فنقل أوّلا عن القاضى عبد الجبار، وصاحب "جامع العلوم: أنه لا بأس بالاعتماد على قولهم، ونقل عن ابن المقاتل: أنه كان يسألهم ويعتمد على قولهم، ثم نقل عن شرح السرخسى أنه بعيد، وعن شمس الأئمة الحلوئى: أن الشرط فى وجوب الصوم والإفطار الرؤية، ولا يؤخذ فيه بقولهم، ثم نقل عن مجد الأئمة الترجمانى: أنه اتفق أصحاب أبى حنفية إلا النادر، والشافعى أنه لا اعتماد على قولهم -انتهى-.

وقد روى مسلم عن ابن عمر أنه كان يحدث عن النبى ﷺ أنه قال: «إنّا أمة أمّية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا»، وعقد الإبهام فى الثالثة، والشهر هكذا هكذا هكذا، يعنى تمام ثلاثين، معناه أنا معاشر العرب جماعة أمية، لا نكتب ولا نحسب، وليس علمنا بالحساب والكتاب، كما هو فعل المنجّمين والحُسّاب، بل علمنا يتعلق برؤية الهلال، فإن نراه مرة تسعًا وعشرين، ومرة ثلاثين، كما قال: الشهر وهو مبتدأ، وهكذ الأول مشارًا بها إلى نشر الأصابع، وهكذا ثانيًا وثالثًا خبره، وعقد إحدى الإبهامين فى المرة الثالثة، فصارت الجملة تسعًا وعشرين، ثم قال: الشهر هكذا وهكذا وهكذا، ولم يعقد الإبهام، فصارت الجملة ثلاثين، كما فسّر به الراوى.

قال الشيخ ابن حجر المكى: إنما بالغ فى البيان مع الإشارة ليبطل الرجوع إلى ما عليه المنجمون والحساب، وبه يبطل ما مر عن ابن شريح ومن وفقه، قال أكثر أئمتنا: لا يعمل بحساب المنجم، وهو من يرى أن أول الشهر طلوع النجم الفلانى، ولا بحساب الحاسب، وهو من يعرف منازل القمر وتقدير سيره، لكن لكل منهما أن يعمل بمعرفة نفسه، ثم اختلفوا فى أن ذلك هل يجزيه -انتهى-.

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ فإن الله تعالى قد ذكره فى معرض عدّ مننه، ومنها الاهتداء بالنجوم، فيعلم منه أن المنجّم لو حكم بعلمه فى أمر

الهلال صح أيضًا؟

قلت: المراد به الاهتداء فى السفر، وأمر القبلة لا غيره[1]، كما ذكره الإمام الرازى فى تفسيره وغيره.

مسألة:

لا عبرة لقول من قال: أخبرنى النبى ﷺ فى المنام بأنّ الليلة أول رمضان، إنما الاعتبار للرؤية؟

قلت: ذكره الخطيب فى "الإقناع": وهو كذلك عندنا؛ لأن النبى ﷺ علّق الصوم بالرؤية، والأحكام لا تثبت بالمنام.

لا يقال: مشروعية الأذان قد ثبتت بمنام عبد الله بن زيد بن عبد ربه من الأنصار، وأقر عليه النبى ﷺ؟

لأنا نقول: لا نسلم أنها ثبتت بمجرد المنام، بل يجوز أن يقرن به الوحى، ويدل عليه بعض الروايات؛ لما أخبر عمر رضى الله عن بمنمه، قال النبى ﷺ: سبقك به الوحى.

مسألة:

لا عبرة للمجربات فى هذا الباب، حتى لو ظهر خلافها أخذ به، فمنها ما نقله الصفورى فى "نزهة المجالس" عن "عجائب المخلوقات" للقزوينى عن جعفر الصادق خامس رمضان الماضى أول رمضان الآتى، وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة، فوجدوه كذلك.

قلت: وقد امتحنته أيضًا فوجدتُ كذلك، ومع ذلك لا اعتماد عليه، حتى لو رُئِى الهلال بحيث يكون أول رمضان رابع الماضى يعتبر به لتعلق الصوم بالرؤية.

ومنها ما ذكره ابن عبد البر والنووى: أنه قد ينقص الشهران متواليان، وقد ينقص

---

(١) قوله: "وأمر القبلة لا غيره" فيه إشارة إلى أنه يجوز الاعتبار على النجوم للمسافر فى باب التوجه إلى الكعبة، فما ذكره فى "النهر الفائق": من أن ظاهر المتون عدم اعتبار النجوم مردود، ولا ينبغى أن يصغى إليه.

ثلاثة شهور وأربعة شهور متوالية، ولا ينقص أكثر من أربعة أشهر، وهذا حكم استقرائى، قال على القارى: ومع ذلك الظاهر أنه لو وقع خلاف ذلك يؤخذ به -انتهى.

مسألة:

لو رُئِى الهلال نهارا قبل طلوع الشمس يوم التاسع والعشرين من شعبان، ثم شهد شاهدان برؤية هلال رمضان يوم الثلاثين تقبل الشهادة، ولا يعتبر حينئذٍ ما اشتهر من أنه إذا كان الشهر كاملا يغيب القمر ليلتين، وإن كان ناقصًا يغيب ليلة.

قلت: وهو صريح مدلول الأحاديث، وقد صرّح به الرملى الشافعى فى فتاواه.

مسألة:

لا اعتبار لكبر الهلال وصغره، لما روى مسلم عن أبى البحترى قال: خرجنا للعمرة، فلما نزلنا بطن نخلة، قال: تراءينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين، قال: فلقينا ابن عباس، فقلنا: إنا تراءينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين، فقال: أى ليلة رأيتموه، فقلنا: ليلة كذا، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى مدّه للرؤية فهو لليلة رأيتموه».

مسألة:

لو غاب القمر فى الليلة الثالثة قبل غروب الشفق، لا يحكم به بأن الهلال كان يوم التاسع والعشرين من شعبان، بناء على أن الهلال يغيب فى الليلة الثالثة عند غروب الشفق، إنما الاعتبار للرؤية.

فإن قلت: قد روى أبو داود عن النعمان بن بشير قال: أنا أعلم الناس بهذه الصلاة صلاة العشاء الآخرة، كان رسول الله ﷺ يصليها لسقوط القمر الثالثة، فهذا نص صريح فى أن القمر يغرب فى الليلة الثالثة عند غروب الشفق لا قبله.

قلت: ليس فى الحديث ما يدل على الدوام، فقد يكون هكذا، ولا تغترّ بقوله

كان، فإنه لا يدل على الاستمرار[1]، كما بسطه النووى فى "شرح صحيح مسلم" فى أبوب النوافل فنشكر -والله أعلم وعلمه أحكم-.

قال مؤلفه -غفر الله ذنوبه وستر عيوبه-: هذا آخر ما تيسّر لى فى هذا المطلب الشريف، وكان الفراغ منه نهار الثلاثاء رابع شهر مضان من شهور سنة أربع وثمانين بعد الألف والمائتين من هجرة رسول الثقلين ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) قوله: "لا يدل على الاستمرار" أى على الدوام والاستمرار، وقد اختلف فيه، فذكر جماعة من الفقهاء، منهم القسطلانى فى شرح البخارى والزيلعى فى تخريج أحاديث الهداية والعينى وغيرهم أنه يدل على الاستمرار، وحقق النووى عدمه.

وفى "ضياء السارى شرح صحيح البخارى" للمحدث عبد الله بن سالم البصرى المكى عند شرح حديث عائشة: كنت أطيّب رسول الله لإحرامه حين يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت، استدل بقولها كنت أطيّب على أن "كان" لا تقتضى التكرار، لأنه لم يقع ذلك منها إلا مرة، وقد صرحت فى رواية عروة عنها بأن ذلك كان فى حجة الوداع.

قال الحافظ ابن حجر: كذا استدل به النووى فى "شرح صحيح مسلم"، وتعقب بأن المدعى تكراره إنما هو التطيب لا الإحرام، ولا مانع من أن يتكرر التطيب لأجل الإحرام مع كون الإحرام مرة واحدة، قال: ولا يخفى ما فيه، وقال النووى فى موضع آخر: المختار أنها لا تقتضى التكرار ولا الاستمرار، وكذا قال الفخر فى "المحصول"، وجزم بن الحاجب بأنها تقتضى، وقال جماعة من المحققين: إنها تقتضى ظهوراً، وقد تقع قرينة تدل على عدمه -انتهى-. (منه رحمه الله تعالى)

فهرس الموضوعات



للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جاعل الليل والنهار، خالق الفلك الدوّار، الذى زيّن السماء الدنيا بمصابيح، وجعلها رجومًا للشياطين الشرار، ودبّر الأمر يتنزل بين السماوات السبع والأرضين السبع من دون أعوان وأنصار، سبحانه ما أعظم شأنه، جعل القمر نورًا، والشمس سراجًا وهّاجًا، وجعل الأهلة مواقيت للحج والصيام للأنام، بحيث لا ترى فيه اختلافًا واعوجاجًا، فهو العزيز القهار.

أشهد أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له فى ملكه، ولا ندّ له فى مِلكه، محى آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة ليتيسّر حساب السنين والشهور لعباده من غير مشقة ولا اغترار، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل فى فلك يسبحون، ويُسبّحون بحمده آناء الليل وأطراف النهار، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأنبياء والمرسلين الأخيار، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم القرار.

وبعد: فيقول الراجى عفو ربه القوى أبو الحسنات محمد عبد الحيى اللكنوى - تجاوز الله عن ذنبه الجلى والخفى - ابن مولانا الحاج الحافظ محمد عبد الحليم، أدخله الله جنة النعيم هذه عجالة نافعة، ورسالة وافية، مسمّاة:

بـ «الفلك الدوّار فى رؤية الهلال بالنهار»

بعثنى على تأليفها وقوع حادثة فى هذه السنة وما قبلها، وذلك أن فى السنة الماضية -السنة الرابعة والتسعين بعد الألف والمأتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وتحية- رُئِى هلال رمضان ليلة الاثنين، وصام الناس من يوم الاثنين، فلما جاء يوم

الاثنين التاسع والعشرون من ذلك الشهر، تراءى الناس الهلال، فلم يتيسّر فى بلدتنا لكنؤ رؤيته، لإحاطة السحاب بالسماء، فأصبح الناس يوم الثلاثاء صائمين ظانّين أنه يوم الثلاثين، ثم وصل الخبر من بلدة كانفور[1]، وبعض القرى المتصلة بهذه البلدة برؤية الهلال فى الليلة الماضية، وجاءت الشهود يشهدون بذلك، فوقع الإفتاء بالإفطار عند ذلك، فأفطرنا عند الضحوة الكبرى، وشاع ذلك الخبر فى المواضع القربى والبعدى، فأفطر الناس كلهم إلا الطائفة الإمامية، فإنهم خالفونا، زعمًا منهم أن ذلك ناج لهم، وقد أساءوا، حيث صاموا يوم العيد، واستحقوا الوعيد، وحسبوا أنهم أحسنوا، وبدا لهم من الله ما لم يكونو يحتسبون، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون.

ثم لـمّا زالت الشمس، رأى الناس عامّا وخاصّا الهلال طالعًا على السماء من غير اشتباه ولا امتراء، وظنّ بذلك بعض الجهال أن إفطارنا وقع بسبب ذلك، وأنه لو لم يكن هذا الهلال الليلة الماضية لما رُئِي عند ذلك، مع أنه ليس كذلك، فإن الإفطار إنما وقع لوصول الشهادة المثبتة لطلوع الهلال فى الماضية، ولو لم تصل الشهاة لم نفطر برؤيته بالنهار، لكونه لليلة الجائية.

وفى هذه السنة الخامسة والتسعين رُئِي هلال رجب المرجب ليلة الأربعاء فى هذه البلدة وفى غيرها من البلاد، ورُئِي ليلة الثلاثاء، وثبت ذلك بأخبار متكاثرة، فظنّ الناس أن غرّة رمضان فى هذه السنة يكون يوم الجمعة الرابع من رجب بحساب الثلاثاء.

ومنهم مَن ظنّ أنها تكون يوم السبت الرابع من رجب بحساب يوم الأربعاء، زعمًا منهم أن رابع رجب يكون أول رمضان، كما هو مشهور فيما بين العوام من غير حجة وبرهان.

وكنت ممّن يظن أن غرة رمضان تكون يوم الجمعة، لا لما زعموه، فإنى قد وجدت كثيرًا فى السنين الماضية غرّة رمضان بثالث رجب، وقد قال فى "الفتاوى البزازية": شهر رمضان جاء من يوم الخميس لا يضحى يوم الخميس ما لم يتحقق أنه يوم النحر، وما نقل عن على أن أول يوم الصوم يوم النحر ليس بتشريع كلى، بل إخبار عن اتفاقى فى هذه السنة، وكذا ما هو الرابع من رجب لا يلزم أن يكون غرّة رمضان، بل قد يسبق -انتهى كلامه-.

---

(١) وهى على خمسة وعشرين فرسخًا جانب الجنوب من اللكنوء.

بل لما وجدته فى "نزهة المجالس" للصفورى، قال فى "عجائب المخلوقات" للقزوينى: عن جعفر الصادق خامس رمضان الماضى أول رمضان الآتى، وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة، فوجدوه كذلك -انتهى كلامه-.

وقد جرّبته من حين وقفت عليه إلى هذه السنة، مدة اثنتى عشرة سنة، فوجدته كذلك، مع أنى لا أعتمد عليه اعتمادًا كليًا، لعدم كونه أمرًا شرعيًا، بل تجريبيًا، فلو وقع الأمر على خلاف ذلك لم يعتبر بذلك، فإن العبرة للصوم، والفطر فى الشريعة للرؤية، لا للحساب والتجربة، كما حققتُه فى رسالتى "القول المنشور فى هلال خير الشهور"، وذلك لقول النبى ﷺ: «لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثلاثين ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثلاثين»، أخرجه أبو داود والنسائى وابن المنذر والدارقطنى من حديث حذيفة.

ولقوله ﷺ: «لا تقدموا الشهر لصيام يوم ولا يومين إلا أن يكون شىء يصومه أحدكم ولا تصوموا حتى تروه ثم صوموا حتى تروه فإن حال دونه غمام فأتمّوا العدة ثلاثين ثم أفطروا»، أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث ابن عباس.

ولقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمِىَ عليكم الشهر فأكملوا العدد»، وفى لفظ: «فعدّوا ثلاثين»، أخرجه البخارى ومسلم والنسائى من حديث أبى هريرة.

ولقوله ﷺ: «أحصوا عدة شعبان لرمضان ولا تقدموا الشهر بصوم فإذا رأيتموه فصوموه وإذا رأيتموه فأفطروه فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يومًا ثم أفطروا فإن الصوم يكون هكذا و هكذا وهكذا وهكذا وخنس إبهامه فى الثلاثة»، أخرجه الدارقطنى من حديث رافع بن خديج.

ولقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أغمى عليكم فعدوا ثلاثين فإن شهد ذوا عدل فصوموا وأفطروا وانسكو»، أخرجه الدارقطنى عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، قال: إنّا صحبنا أصحاب رسول الله ﷺ، وأنهم حدّثونا أنه قال: . . . إلخ،

ولما أخرجه الدارقطنى عن أبى مسعود الأنصارى، وهو نظر ما وقع لنا فى السنة الماضية، فالحمد لله على الموافقة النبوية، أن النبى ﷺ أصبح صائمًا لتمام الثلاثين من رمضان، فجاء أعرابيان، فشهدا أن لا إله إلا الله، وأنهما رأيا الهلال بالأمس، فأمرهم

فأفطروا، ذكر هذه الأخبار كلها الجلال السيوطى فى تفسيره "الدر المنثور فى التفسير المأثور"، وفى الباب أخبار أُخر كثيرة، على واقف كتب الحديث غير خفية.

وبالجملة كان ظنى ظنا تجريبيًا لا ظنا شرعيًا، ولما جاء يوم الخميس التاسع والعشرون من شعبان، غُمّ هلال رمضان فى أكثر بلاد الهند، إقليمنا وموطننا، وتراءيناه، فلم يرَ لنا، فأصبح الناس يوم الجمعة متفرقين شِيَعًا، فمنهم مَن كان مفطرًا، ومنم من كان ممسكًا متلوّمًا، ومنم من كان صائمًا، وكنت أنا ممن صام ذلك اليوم يوم الشك، اقتداء بجمع من الصحابة، منهم ابن عمر وعلى وعائشة، فإنهم أجازوا صوم يوم الشك.

وقد قال أصحابنا الحنفية -خصّهم الله بألطافهم الخفية-: يصومه الخواص دون العوام، والمراد بالخواص من يضبط نفس عن التردد فى النية ومن عداه من العوام، وما أجهل من قال: إن صوم يوم الشك ممنوع مطلقًا، ومن قال: إنما يجوز للقاضى والمفتى فحسب، وغيرهما يكره له مطلقًا، فهذان قولان صدرا ممن ليست له مناسبة بأخبار الصحابة والآثار النبوية، ولا له ممارسة بكتب الحنفية المعتبرة.

وكنت أظنّ على ما سبق من التجربة أن ذلك اليوم يوم الغرة، ثم وصلت الشهادة المعتبرة من بعض المواضع القريبة والبلاد البعيدة والقريبة برؤية الهلال ليلة الجمعة، فشكرتُ الله على صدق ظنى وصحة تجربتى، ووقع الإفتاء بأن من صام يوم الشك كفى صومه، ومن لم يصم فيه لزمه قضاءه.

ولما دخل يوم الجمعة، التاسع والعشرون من رمضان غمّ على الهلال، فأصبح الناس يوم السبت صائمين بقصد الإكمال، ولما زالت الشمس من ذلك اليوم، رأى الناس هلال العيد، فأفطر جمع من الجهال الصوم فى فورهم، غافلين عن الوعيد، زعما منهم أنه نظير رؤيته فى السنة الماضية، فلما وجب الإفطار فى تلك السنة وجب كذلك فى هذه السنة، وغفلوا عن أن الإفطار فى السنة الماضية لم يكن لرؤية الهلال النهارية، بل لورود الشهادة على رؤيته فى الليلة الماضية.

ومنهم من زعم أن رؤية الهلال مطلقًا موجب للإفطار، لحديث: أفطروا لرؤيته، من دون فرق بين الليل والنهار، وغفلوا عن أن المراد فى الأحاديث الرؤية المعتادة، وهى الليلية لا النهارية، وقد ابتلى بهذه البلية فى هذه البلدة بعض من له ممارسة بالكتب

الشرعية أيضًا، وأدّى ذلك إلى إفطار كثير من الجهال تقليدًا، وما أحسن قول من قال: زلّة العالِم زلّة العالَم.

ولـمّا تعقب بأن ما فعله مخالف لكتب الحنفية وغيرهم من حملة الشريعة، ندم عما صدر منه، واستغفر، فعفا الله عنه، حيث ورد ما أصر من استغفر، ووصل الخبر من بعض البلاد أن بعض العلماء صحّحوا الإفطار اغترارًا بما فى بعض الكتب رواية عن أبى يوسف: أنه لو رُئِيَ الهلال قبل الزوال، أو بعده إلى العصر، فهو لليلة الماضية، غافلا أنه خلاف المذهب المختار، وخلاف مسالك الصحابة الخيار، فعند ذلك أردت أن أذكر فى هذه الرسالة ما يتعلق بهذه الحادثة، رجاء أن ينتفع به العالمون، ويستفيد به الجاهلون، ولمثل هذا فليعمل العاملون، ولو كره الكارهون.

فأقول -وبالله التوفيق-: ومنه الوصول إلى التحقيق:

قال ابن نجيم المصرى فى "البحر الرائق شرح كنز الدقائق": قال فى "الاختيار": التماسه فى اليوم التاسع والعشرين وقت الغروب، فإن رُئِيَ فى التاسع والعشرين بعد الزوال، كان كرؤيته ليلة الثلاثين اتفاقًا، إنما الخلاف فى رؤيته قبل الزوال يوم الثلاثين، فعند أبى حنيفة ومحمد هو للمستقبل، وعند أبى يوسف هو للماضى، والمختار قولهما، لكن لو أفطروا لا كفارة عليهم، لأنهم أفطروا بتأويل ذكره قاضى خان، انتهى.

وقال الفخر الزيلعى فى "تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق": لو رأوا الهلال يوم الشك نهارًا، فهو لللية المستقبلة، سواء كان قبل الزوال أو بعده، ولا يكون ذلك اليوم من رمضان ولا من شوال، وروى عن أبى يوسف: أنه إن كان قبل الزوال فهو لليلة الماضية، وإن كان بعد الزوال فهو للّيلة المستقبلة، وقيل: إن كانت الشمس تتلوا القمر فهو لليلة المستقبلة، وإن كان القمر يتلوها، فهو للماضية، والأول هو الظاهر، وقال قاضى خان: إن أفطروا لا كفارة عليهم؛ لأنهم أفطروا بتأويل قال عليه السلام: «أفطروا لرؤيته» -انتهى-.

وقال صاحب "الهداية": فى "مختارات النوازل": الاعتبار برؤية الهلال بالنهاغر، وقال أبو يوسف: إن كان قبل الزول فهو للّيلة الماضية، وقيل: إن غاب بعد الشفق فهو للماضية، وإن غاب قبل الشفق فهو للمستقبلة، وكذلك ذ بان بع العص -انتهى-.

وقال يوسف بن عمر فى "جامع المضرات شرح مختصر القدورى فى الكبرى" : إذا رأوا هلال الفطر فى النهار، أتموا صوم ذلك اليوم، رأوا قبل الزوال أو بعده؛ لأن الهلال يجعل من الليلة المستقبلة، هو المختار -انتهى-.

وقال الزاهدى فى "المجتبى شرح مختصر القدورى" : قال محمد: لا عبرة لرؤية الهلال نهارًا قبل الزوال أو بعده، وهو للّيلة المستقبلة، وعن أبى يوسف: إذا كان قبل الزوال فللماضية، وعن الحسن عن أبى حنيفة: إن غاب قبل الشفق فلها، وإن غاب بعد الشفق فهو للماضية، وعنه فى "المنتقى" : إن رآه قدام الشمس فللماضية، وإن رآه خلفها فللمستقبلة.

قال أستاذنا: تفسير القدام أن يكون إلى المشرق، والخلف إلى المغرب؛ لأن سير القمرين وسائر السيّارات الخمس إلى المشرق فى أفلاكها، وإن كان يحركها أفلاكها إلى المغرب، كما ترى، وسير الشمس كل يوم وليلة بالتقريب درجة، وسير القمر فى فلكه ثلاثة عشرة درجة بالتقريب، فمتى جاوز القمر الشمس، فإن الهلال إنما يرى فى جهة المشرق من الشمس، فما لم يسر الهلال سيره فى يوم وليلة بعد ذلك لا يرى، وهذا مما يجب حفظه -انتهى-.

وفى "مجمع البحرين" وشرحه لابن ملك: ويجعله إذا رُئِي قبل الزوال للماضية فى الصوم والفطر، يعنى إذا رُئِي الهلال قبل الزوال، قال أبو يوسف: هو للماضية، حتى لو كان هلال الفطر أفطر، ولو كان هلال رمضان صام، وهما للمستقبلة، يعنى قالا: الهلال فى النهار لليلة المستقبلة رأوه قبل الزوال أو بعده، وقيّد بقوله: قبل الزوال لأنه لو رأوه بعد الزوال يجعل للّيلة المستقبلة اتفاقًا؛ له أن الشيء يأخذ حكم ما قرب منه، فالهلال إذا رأوه قبل الزوال يكون قريبًا لليلة الماضية، وإن رآه خلفه، فهو للمستقبلة -انتهى-.

وفى "شرح الكنز" لملا مسكين: لا عبرة أيضًا برؤية الهلال نهارًا قبل الزوال وبعده، وهو لليلة المستقبلة عندهما، وعن أبى يوسف إذا كان قبل الزوال فهو للماضية، فيحكم بوجوب الفطر، وعند أبى حنيفة فى رواية إن كان مجراه أمام الشمس، والشمس يتلوه، فهو من الليلة الماضية، وإن كان مجراه خلف الشمس، فهو من الليلة المستقبلة، كذا فى "الظهيرية" -انتهى-.

وفى "منحة السلوك شرح تحفة الملوك" للعينى: قوله: لو رُئِى الهلال قبل الزوال، فهو من الليلة الماضية، يعنى إذا رأوا الهلال يوم الشك، فإن كانوا رأوا قبل الزوال يكون من الليلة الماضية، ويكون ذلك اليوم من رمضان، وإن رأوه بعد الزوال، فهو من المستقبلة، وهذا التفصيل رواية عن أبى يوسف، وفى ظاهر الرواية هو للّيلة المستقبلة، سواء كان قبل الزوال، أو بعد حتى لا يكون ذلك اليوم من شهر رمضان، وإذا رأوا هلال الفطر قبل الزوال، قال أبو يوسف: أفطر، وإن رُئِى بعده لم يفطر.

قال قاضى خان: فإن أفطروا فلا كفارة عليهم؛ لأنهم أفطروا بتأويل قال عليه السلام: «أفطروا لرؤيته»، وعندهما لا يعتبر رؤيته بالنهار، ووقته العشية، ولا يعتبر قبله، ولا بعده -انتهى-.

وفى "مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر": لو رأوا الهلال قبل الزوال أو بعده، فهو للّيلة المستقبلة، كما قال الإمام محمد، وذهب أبو يوسف إلى أنه إذ رُئِى قبل الزوال أو بعده إلى وقت العصر فللماضية، أما بعده فهو للّيلة المستقبلة، وعن الإمام: إن غاب قبل الشفق، فمن هذه الليلة.

وفى "التجنيس المختار" قولهما انتهى، وفى "مراقى الفلاح شرح نور الإيضاح" للشرنبلالى: ولا عبرة برؤية الهلال نهارًا، سواء كان رُئِى قبل الزوال أو بعده، وهو للّيلة المستقبلة، لقوله عليه السلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، فوجب سبق الرؤية على الصوم والفطر، والمفهوم المتبادر منه الرؤية عند عشية كل شهر عند الصحابة والتابعين، ومن بعدهم فى المختار من المذهب -انتهى-.

وفى "فتاوى قاضى خان": إذا رأوا الهلال نهارًا قبل الزوال، أو بعده، لا يصام، ولا يفطر، وهى من الليلة المستقبلة، وقال أبو يوسف: إن رأوا الهلال بعد الزوال فكذلك، وإن رأوا قبل الزوال فهو من الماضية، وعن أبى حنيفة فى رواية: إن كان مجراه أمام الشمس، والشمس تتلوه فهو لليلة الماضية، وإن كان مجراه خلف الشمس، فهو للّيلة المستقبلة، وقال الحسن عن الإمام: إن غاب بعد الشفق، فهو للّيلة الماضية، وإن غاب قبله، فهو للّيلة الآتية -انتهى-.

وفى "البزازية": رآه قبل الزوال، فهو للمستقبلة، لا يصوم ولا يفطر فى المختار، فإن أفطر لا كفارة عليه؛ لأنه بتأويل، وعن الثانى: إن قبل الزول، فلليلة الماضية، وعن

الإمام: إن مجراه أمام الشمس، فهو للماضية، وإن خلف الشمس، فهو للمستقبلة.

وقال ابن زياد: إن غاب بعد الشفق فللماضية، وإن قبل الشفق فللآتية -انتهى-.

وفى "خزانة الروايات" عن "العتابية": لو رأوا الهلال فى اليوم الآخر قبل الزوال، أو بعده لا يعتبر ذلك، هو المختار، فهو عن الليلة الجائية فى قول أبى حنيفة ومحمد، وعن أبى حنيفة: إن كان مجراه أمام الشمس، فهو عن الليلة الماضية، وإن كان خلفها فعن الجائية، وعن الحسن بن زياد: إذا غاب قبل الشفق، فهو عن هذه الليلة، وعن أبى يوسف: إن رُئِى قبل الزوال، فهو من الليلة الماضية، وإن بعده فهو من الليلة الجائية -انتهى-.

وفى "خزانة الروايات" أيضًا عن "الخانية": إذا رأوا الهلال نهارًا قبل الزوال، أو بعده لا يصام به، ولا يفطر، وهى من الليلة المستقبلة، وقال أبو يوسف: إن رأوا بعد الزوال فكذلك، وإن رأوا قبل الزوال فهو من الماضية، وعن أبى حنيفة: إن كان مجراه أمام الشمس والشمس يتلوه، فهو من الماضية، وإن كان مجراه خلف الشمس فهو من المستقبلة -انتهى-.

وفيها أيضًا عن "الغياثية": إذا رأوا هلال الفطر فى النهار، أتموا صوم ذلك اليوم، سواء رأوا قبل الزوال، أو بعده؛ لأن الهلال يجعل من المستقبلة، هو المختار، والمتعبر الرؤية بعد أن تغيّب الشمس -انتهى-.

وفى "الخلاصة": هو من الليلة المستقبلة هو المختار، فلو رأوا هلال شوال فى آخر اليوم من رمضان فى النهار قبل الزوال، أو بعده، فظنّ أن مدة الصوم قد انقضت، وأفطر عمدًا، ينبغى أن لا يجب الكفارة -انتهى-.

وفى "السراجية": إذا رأوا هلال الفطر فى النهار، أتموا صوم ذلك اليوم، ولو أفطروا يجب الكفارة -انتهى-.

وفى "القنية": رُئِى الهلال فى آخر يوم من رمضان قبل الغروب، وأفطر متأوّلا لقوله ﷺ: «أفطروا لرؤيته» فعليه الكفّارة، شم: أى شرف الأئمة المكى، قع: أى القاضى عبد الجبار، وفى شح: أى شمس الأئمة الحلوانى خلافه، فإنه قال: لو رُئِى الهلال فى الثلاثين نهارًا، لا يفطرون فى قول أبى حنيفة ومحمد، وقال أبو يوسف: إن رأوا قبل الزوال أفطروا؛ لأنه من الماضيية، وبعده لا، فإن أفطروا لا كفارة عليهم؛ لأنهم

أفطروا بتأويل -انتهى-.

وفي "خزانة المفتين" خ: أي الخلاصة، فلو رُئِي هلال شوال في آخر يوم من رمضان في النهار قبل الزوال، أو بعده، فظن أن مدة الصوم قد انتهى. فَفَطَر عمداً، ينبغي أن لا يجب الكفارة، ف: أي فتاوى فخر الدين إذا رأوا الهلال نهارا قبل الزوال أو بعده، لا يصام به، ولا يفطر به، وهو من الليلة المستقبلة، هو المختار -انتهى-.

وفي "الذخيرة" قال محمد: لا عبرة لرؤية الهلال نهاراً قبل الزوال ولا بعده، وهي لليلة المستقبلة، بنحوه ورد الأثر عن عمر، وقال أبو يوسف: إذا كان قبل الزوال، فهي للماضية، قيل: قول أبي حنيفة كقول محمد، وفي صوم شيخ الإسلام رواية عن أبي حنفية أنها إذا كانت غربت في هذه الليلة قبل الشفق، فهي من هذه لليلة.

وفي "المنتقى" عن أبي حنيفة: إذا كان مجراها أمام الشمس والشمس يتلوها، فهي لللية الماضية، وإن كان مجراها خلف الشمس، فهي لليلة المستقبلة -انتهى-.

وفي "الفتاوى الكافورية" ص: أي الخلاصة إذا رُئِي الهلال نهاراً قبل الزوال أو بعده لا يصوم ولا يفطر، وهو من الليلة المستقبلة، هو المختار، انتهى.

وفي "التاتارخانية" قال محمد: ولا عبرة لرؤية الهلال بالنهار قبل الزوال ولا بعده، وهي لليلة المستقبلة، وفي "الخلاصة": هو المختار، وقال أبو يوسف: إذا كان قبل الزوال، فهي من الليلة الماضية، قيل: قول أبي حنيفة كقول محمد -انتهى-.

وفي "العالمكيرية": إذا رأوا الهلال قبل الزوال أو بعده لا يصام به ولا يفطر، وهو من الليلة المستقبلة، هو المختار، كذا في "الخلاصة" -انتهى-.

وقال ابن الهمام في "فتح القدير": لو رُئِي في التاسع والعشرين بعد الزوال، فهو كرؤيته ليلة الثلاثين بالاتفاق، وإنما الخلاف في رؤيته قبل الزوال من اليوم الثلاثين، فعند أبي يوسف من الليلة الماضية، فيجب صوم ذلك اليوم، وفطره إن كان ذلك في آخر رمضان، وعند أبي حنيفة ومحمد هو للمستقبلة، هكذا حكى الخلاف في "الإيضاح"، وحكاه في "المنظومة" بين أبي يوسف ومحمد فقط.

وفي "التحفة": قال أبو يوسف: إذا كان قبل الزوال، أو بعد الزوال إلى العصر، فهو للماضية، وإن كان بعد العصر، فهو لليلة المستقبلة بلاخلاف. وعن أبي حنيفة: إن كان مجراه أمام الشمس، والشمس يتلوه، فهو للماضية، وإن كان خلفها، فهو

للمستقبلة .

وقال الحسن بن زياد : إن غاب بعد الشفق فللماضية ، وإن كان قبله فللجائية ، وجه قول أبى يوسف أن الظاهر أنه لا يرى بعد الزوال إلا وهو للّيلتين ، فيحكم بوجوب الصوم ، والفطر على اعتبار ذلك .

ولهما قوله ﷺ : «صومو لرؤيته وأفطروا لرؤيته» ، فوجب سبق الرؤية على الصوم والفطر ، والمفهوم المتبادر منه الرؤية عند عشية آخر كل شهر عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، بخلاف ما قبل الزوال من الثلاثين ، والمختار قولهما ، وهو كونه للمستقبلة قبل الزوال وبعده ، إلا أنه لو رآه فى نهار الثلاثين من رمضان فظنّ انقضاء مدة الصوم وأفطر عمدًا ، ينبغى أن لا يجب الكفارة ، وإن رآه بعد الزوال ذكره فى "الخلاصة" -انتهى- .

وفى "الدر المختار" : ورؤيته بالنهار لليلة الآتية مطلقًا على المذهب ، ذكره الحدادى -انتهى- .

هذه نبذ من عبارات كتب أصحابنا الحنفية ، طوّلنا الكلام بنقلها ، مع كون أكثرها متقاربة فيما بينها ، تنشيطًا للماهرين ، وتنبيهًا للقاصرين ، ولو أوردنا عبارات الكتب الأخرى أيضًا ، لخرج الكلام عن الاقتصار قطعًا ، فاكتفينا على ما أوردنا ، فإن خير الكلام ما قلّ ودلّ .

وقد استفيدت مما ذكرنا أمور :

الأول : أن رؤية الهلال بالنهار فى التاسع والعشرين مطلقًا لليلة الآتية إجماعًا ، كما ذكره ابن الهمام وغيره ، وبناء عليه قال ابن عابدين فى "رد المحتار على الدر المختار" : رؤيته يوم التاسع والعشرين لم يقل أحد فيها : إنه للماضية ؛ لئلا يلزم أن يكون الشهر ثمانيًا وعشرين ، كما نص عليه بعض المحقّقين -انتهى- .

الثانى : أن رؤية الهلال يوم الشك بعد العصر للآتية اتفاقًا ، وقبل الزوال عند أبى يوسف للماضية ، وعند محمد للآتية ، وبعد الزوال إلى العصر عامة الكتب على أنه أيضًا للآتية اتفاقًا ، وذكر فى بعض الكتب كـ"التحفة" و"مجمع الأنهر" : فيه يضا اختلافًا .

الثالث : أن الإمام أبا حنيفة روى عنه فى هذا الباب روايات :

الأولى : اعتبار الغيبوبة قبل الشفق وبعده ، ويلزم عليها عدم تحقق الحال وقت

الرؤية النهارية، بل بعده، فإنه إذا غربت الشمس، ينظر إن غاب الهلال الذى رُئِى بالنهار بعد الشفق، يحكم بأنه كان سن الليلة الماضية، وإن يوم الرؤية يوم صوم أو فطر، وإن غاب قبله، يحكم بأنه من هذه الليلة، وأن اليوم ليس بيوم صوم ولا فطر.

ولم يختر هذه الرواية كثير من المشايخ؛ لأن غيبوبة الهلال قبل الشفق فى الليلة الأولى، وبعده فى الثانية ليس من الأمور الشرعية، بل من الأمور الغالبية التجربية، وإن كان من الأمور القطعية الأبدية، فهو من الأمور الواقعية المبنية على الأصول الحسابية والرياضية، وليس أمر الصوم والفطر شرعًا مبنيّا على الهيئة والحساب، كما هو دأب المنجمين والحُسَّاب، لحديث: «إنّا أمة أمّية، لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام فى الثالثة وهكذا وهكذا وهكذا»، يعنى تمام ثلاثين، أخرجه مسلم وغيره، وقد أطال الكلام فى عدم اعتبار الحساب والكتاب النووى فى "شرح صحيح مسلم"، وعلى القارى فى "المرقاة شرح المشكاة"، وغيره، وأوردتُ قدرًا منه فى "القول المنضور فى هلال خير الشهور"، وأيضًا هذا الاعتبار لا يرفع الشك عن يوم الشك عند الرؤية، فاعتباره وعدم اعتباره على السوية.

الثانية: اعتبار كون الهلال قدام الشمس وخلفه، ولم يفت بها المشايخ أيضًا لما مرّ ذكره.

الثالثة: ما ذهب إليه محمد من عدم اعتبار الرؤية النهارية أصلا، وأنه لليلة الآتية مطلقًا، وقد استدل له بأحاديث: ومنها: حديث: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» فإن المتادرر من الرؤية هو الليلية على ما مرّ نقله عن "فتح القدير" وغيره.

ومنها: حديث أبى البحترى قال: خرجنا للعمرة، فلما نزلنا ببطن نخلة تراءينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث، وقال بعضهم: هو ابن ليلتين، فلقينا ابن عباس، فقلنا له ذلك، فقال: أى ليلة رأيتموه؟ قلنا: ليلة كذا وكذا، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله مدّه للرؤية فهو لليلة رأيتموه»، أخرجه مسلم وغيره.

قال القارى فى "المرقاة شرح المشكاة": استفيد من قوله: «لليلةٍ رأيتموه» أن لا عبرة برؤية الهلال قبل الغروب، وأنه لو رُئِى يوم ثلاثين شعبان، أو رمضان نهارًا قبل الزوال أو بعده؛ لم يحكم به لليلة الماضية، ولا للمستقبلة، فلا يفطر من رمضان ولا يمسك من شعبان، بل إن رُئِى بعد الغروب، حكم به للمستقبله، وإلا فلا -انتهى-.

فإن اختلج في صدرك أن كلام القاري هذا يخالف كلام الفقهاء المذكور سابقًا، فإن كلامهم يدل على أن الهلال المرئي بعد الزوال عند محمد وأبي حنيفة لليلة المستقبلة، وكلامه هذا يدل على أنه ليس للماضية، ولا للمستقبلة، فأزح بما حققه ابن عابدين في "رد المحتار على الدر المختار" من أنه إذا رُئِي الهلال يوم الجمعة مثل قبل الزول، فعن أبي يوسف يعتبر أن الهلال قد وجد في الأفق ليلة الجمعة، فغاب ثم ظهر نهارًا، فظهوره في النهار في حكم ظهوره في ليلة ثانية من ابتداء الشهر؛ لأنه لو لم يكن قبله ليلة لم يمكن ظهوره نهارًا؛ لأنه لا يرى قبل الزوال إلا أن يكون لليلتين، وعندهما للمستقبلة، وليس كونه للمستقبلة ثابتًا برؤيته نهارًا إلا أنه لا عبرة عندهما برؤيته نهارًا، وإنما ثبت ذلك بإكمال العدة لأن الخلاف على ما صرح به في "البدائع" و"الفتح" إنما هو في رؤيته يوم الشك، أي يوم الثلاثين من شعبان أو رمضان، فقولهم: هو لليلة المستقبلة عندهما بيان للواقع، وتصريح بمخالفة القول بأنه للماضية، فلا منافاة حينئذٍ بين قولم هو للمستقبلة عندهما، وقولهم: لا عبرة برؤيته نهارًا عندهما، انتهى ملخّصًا.

نعم في قوله: وإلا فلا خدشة ظاهرة، فإنه لما كان الهلال يوم الثلاثين حكم به للمستقبلة قطعًا لا لرؤيته نهارًا، بل لإتمام الشهر عدة، سواء رُئِي الهلال بعد الغروب، أم اختفى بعد الغروب، ويمكن أن يقال: يظهر فائدته فيما إذا كان يوم الثلاثين بشهادة عدل، فإنه قال في "تنوير الأبصار" وشرحه "الدر المختار": وبعد صوم ثلاثين بقول عدلين حل الفطر، ولو صاموا بقول عدل، حيث يجوز وغمّ هلال الفطر لا يحل على المذهب، خلافًا لمحمد، كذا ذكره المصنف -انتهى-.

وفي المسألة اختلاف، وتفصيل موضعه كتب البسط والتفصيل، فلو كان يوم السبت مثلا يوم الثلاثين بشهادة عدل واحد، ورُئِي الهلال نهارًا لسبت، ثم غمّ وقت الغروب، ولم ير بعده، لا يحكم بأنه للمستقبلة، أي ليلة الأحد؛ لأنه لا عبرة لرؤيه نهار عندهما، وتمام العدد ليس أمرًا جزئيًا، بل احتياطيًا، فليتأمل، ومنها الأحاديث السابقة الدالة على توقف الفطر على الرؤية، أو إكمال العدة، والمتبادر منها هي الرؤية الليلية.

وأقول: يدل على عدم اعتبار الرؤية النهارية أيضًا قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ مع قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين

والحساب﴾ والمراد بآية الليل هى القمر، وبآية النهار الشمس النور، فدل ذلك على أن القمر إنما هو آية الليل لا آية النهار، فلا عبرة برؤيته بالنهار، وأن كونه مواقيت للناس، والحج والصيام وغيرها، وعلم عدد السنين والحساب وغيرها إنما هو إذ طلع فى الليلة لا فى غيرها.

الأمر الرابع: أن المذهب والمختار وظاهر الرواية على ما فى عامة كتب الحنفية هو عدم عبرة الرؤية النهارية مطلقًا، عشيًا كانت أو صباحًا.

الأمر الخامس: أنهم لو أفطروا بالرؤية النهارية من غير فكر ورؤية، يجب عليهم القضاء دون الكفارة على ما أفتى به العامة، وإن نقل لزوم الكفارة فى "القنية"، وجزم به فى "السراجية"، فإن قواعدهم المذكورة فى كتبهم، ونظائر ما نحن فيه المثبتة فى صحفهم، حاكمة حكمًا جليًا بعدم لزومها، وبأن الشبهة ولو كانت ضعيفة ركيكة، والتأويل ولو كان من التأويلات السخيفة وارثة لها، ولو لا خوف التطويل لأوردت النظائر مع التفصيل، ولكن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى.

ومما يتفرع على عدم عبرة الرؤية النهارية الذى هو المعتمد فى الملة الحنفية ما قال ابن عابدين فى "رد المحتار على الدر المختار" يقول: شمل قولهم: لا عبرة برؤيته نهارًا، أما إذا رُئِى يوم التاسع والعشرين قبل الشمس، ثم رُئِى ليلة الثلاثين بعد الغروب، وشهدت بيّنة شرعية بذلك، فإن الحاكم يحكم برؤيته ليلا، كما هو نص الحديث.

ولا يلتفت إلى قول المنجّمين: إنه لا تمكن رؤيته صباحًا ومساءً فى يوم واحد، كما قدمناه عن "فتاوى الشمس الرملى الشافعى"، وكذا لو ثبت رؤيته ليلا، ثم زعم زاعم أنه رآه صبحتها، فإن القاضى لا يلتفت إلى كلامه، كيف وقد صرّحت أئمة المذاهب الأربعة بأن الصحيح أن لا عبرة برؤية الهلال نهارًا، وإنما المعتبر رؤيته ليلا، وأنه لا عبرة بقول المنجمين.

ومن عجائب الدهر ما وقع فى زماننا سنة أربعين بعد الألف والمائتين، هو أنه ثبت رمضان تلك السنة ليلة الاثنين التالية لتسع وعشرين من شعبان بشهادة جماعة، رأوه من منارة جامع دمشق، وكانت السماء متغيمة، فأثبت القاضى الشهر بشهادتهم بعد الدعوى الشرعية، فزعم بعض الشافعية أن هذا الإثبات مخالف للعقل، وأنه غير صحيح؛ لأنه أخبره بعض الناس بأنه رُئِى الهلال نهار الاثنين المذكور، ثم تعاهد مع جماعة من أهل

مذهبه على نقض هذا الحكم، فلم يقدروا وأوقعوا التشكيك في قلوب العوام، ثم صاموا يوم عيد الناس، وعيّدوا في اليوم الثاني حتى خطّأهم بعض علماءهم، وأظهر لهم النقول الصريحة من مذهبهم، فاعتذر بعضهم بأنهم فعلوا، كذلك مراعاة لمذهب الحنفية، وإن الحنفية لم يفهموا مذهبهم.

ولا يخفى أن هذا العذر أقبح من الذنب، فإن فيه الافتراء على أئمة الدين لترويج الخطأ الصريح، فعند ذلك بادرت لي كتابة رسالة حافلة سميتها "تنبيه الغافل"، و"الوسنان على أحكام هلال رمضان" جمعت فيها نصوص المذاهب الأربعة الدالة على أن الخطأ الصريح هو الذى ارتكبوه، وأن الحق الصريح هو الذى اجتنبوه، انتهى كلامه، هذا كله كان كلامًا على طِبق مذهب أصحابنا الحنفية -خصهم الله بألطافه العلية-.

وقد وقع الاختلاف في هذه المسلة من عهد الصحابة إلى عهد التابعين والمجتهدين، ففى "موطأ الإمام مالك" وشرحه للزرقاني: مالك أنه بلغه أن الهلال رُئِي في زمان عثمان بعشى ما بعد الزوال إلى آخر النهار، فلم يفطر عثمان حتى أمسى وغابت الشمس، ولا خلاف أن رؤيته بعد الزوال لليلة القامة، وأما قبله فكذلك عند الجمهور لحديث وائل: "أتانا كتاب عمر أن الأهلة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال نهارًا، فلا تفطروا حتى يشهد رجلان أنهما أهلاه بالأمس".

وقال الثورى وابن وهب وأبو يوسف وابن حبيب من المالكية: للماضية؛ لما رواه النخعي عن عمر: "إذا رأيتم الهلال قبل الزوال فأفطروا، وإذ رأيتم بعده فلا تفطروا"، وهذا مفصل، والأول مجمل؛ لأنه قال: نهارًا، لكن قال ابن عبد البر: الأول: أصح؛ لأنه موصول، والثاني: منقطع، فالنخعي لم يدرك عمر، قال الباجي: وراويه عن النخعي مجهول -انتهى-.

وفى "فتح القدير": فيه خلاف بين الصحابة، روى عن عمرو ابن مسعود وأنس كقولهما، وعن عمر في رواية أخرى، وهو قول على وعائشة مثل قول أبي يوسف، انتهى نقلا عن "التحفة".

وفى "المرقاة": صح عن عمر أنه أرسل إلى جند له بالعرق أن هذه الأهلة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال نهارًا، فلا تفطروا حتى ييشهد شاهدان أنهما رأياه بالأمس، وصحّ عن ابن عمر أن ناسًا رأوا الهلال للفطر نهارًا، فأتم صيامه إلى الليل،

وقال: لا حتى يرى من حيث يرى بالليل، وفى رواية أنه لا يصلح أن تفطروا حتى تروه ليلا من حيث يرى.

قال البيهقى: ورويناه ذلك عن عثمان وابن مسعود، وقال غيره وعن على وأنس، ولا مخالف لهم -انتهى- وفى "تخريج أحاديث شرح الرافعى الكبير" المسمى بـ "تلخيص الحبير" للحافظ ابن حجر العسقلانى حديث شقيق بن سلمة: "أتانا كتاب عمر ونحن بخانقين أن الأهلة بعضها أكثر من بعض، فإذا رأيتم الهلال، فلا تفطروا حتى تمسوا"، وفى رواية: "إذا رأيتم الهلال من أول النهار فلا تفطروا حتى يشهد شاهدان أنهما رأياه بالأمس"، أخرجه الدارقطنى والبيهقى بإسناد صحيح باللفظين المذكورين، وزاد فى آخر الأول: "إلا أن يشهد شاهدان رجلان مسلمان أنهما أهلاه بالأمس عشية".

وأخرجه ابن أبى شيبة وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من رواية الأعمش عن شقيق، وقال عبد الرزاق: أخبرنا الثورى عن مغيرة عن سماك عن إبراهيم قال: كتب إلى عتبة بن فرقد: "إذا رأيتم الهلال نهارًا قبل أن تزول الشمس لتمام ثلاثين فأفطروا، وإذا رأيتموه بعد الزوال، فلا تفطروا حتى تمسوا"، وأخرجه ابن أبى شيبة من حديث الحارث عن على مثله، ومثل ما أخرجه البيهقى من رواية موسى بن إسماعيل عن الثورى فى رواية شقيق بن سلمة الماضية.

وخانقين بخاء معجمة ونون وقاف بلدة بالعراق قريبًا من بغداد -انتهى كلامه-.

وفى "رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة": إن رُئِي الهلال بالنهار، فهو للّيلة المستقبلة عند الثلاثة، سواء كان قبل الزوال أو بعده، وقال أحمد: قبل الزوال للماضية، وعنه بعده روايتان -انتهى- هذا آخر الكلام فى هذا المقام، والحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على رسوله سيد الأنام وآله وصحبه الغرّ الكرام، وكان تأليفه فى جلسات خفيفة آخرها يوم الأحد، الثامن من شول من السنة الخامسة والتسعين بعد الألف والمائتين من الهجرة النبوية -على صاحبها أفضل الصوات وأزكى تحية-.



للامام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ. وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر



الطبعة الأولى: . . . . ١٤١٩ هـ

الصف والطبع والإخراج: . . . . بإدارة القرآن كراتشي

اعتنى بإخراجه الفني وتصميمه على الكمبيوتر . . . . نعيم أشرف نور أحمد

أشرف على طباعته: . . . . فهيم أشرف نور

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D/ ٤٣٧ كاردن ايست كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٧٢١٦٤٨٨ فاكس: ٧٢٢٣٦٨٨-٠٠٩٢٢١

E. Mail: quran@diggicom.net.pk

ويطلب أيضا من:

المكتبة الإمدادية . . . . باب العمرة مكة المكرمة - السعودية

مكتبة الإيمان . . . . السمانية، المدينة المنورة - السعودية

مكتبة الرشد . . . . الرياض - السعودية

إدارة إسلاميات . . . . انار كلي لاهور - باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من جعلني من متبعي الشرع القويم، أسألك أن تصلي على رسولك الذي أنزل عليه القرآن الكريم، وعلى آله وصحبه، ذوي الفضل العظيم.

وبعد: فيقول خادم كلام الله الباري أبو الحسنات محمد عبد الحيي اللكنوي الأنصاري: هذه رسالة مسمّاة:

بـ «قوت المغتذين بفتح المقتدين»

متضمنة لما يتعلق بفتح المقتدي للإمام مشتملة على مقدمة ومسائل وخاتمة، نختم بها الكلام، اللهم اجعلها نافعة للخواص والعوام، وذخيرة لي يوم القيام، وأدخلني بها دار السلام.

مقدمة

فى أنه هل يجوز الفتح على الإمام أم لا؟

اعلم أن القياس يقتضى أن لا يجوز فتح المقتدى على إمامه ، ولا أخذ الإمام منه ، لكنّا جوزناه استحسانًا ، أما القياس فمن وجوه :

الأول : أن فتح المقتدى يتضمن قراءة القرآن ، وهى ممنوعة له ؛ لما روى محمد ابن الحسن فى "الموطأ" عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قال : **ليت فى فم الذى يقرأ خلف الإمام حجرًا .**

وقال على رضى الله تعالى عنه : من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة ، رواه عن ابن أبى شيبة وعبد الرزاق ، ومن هنا قال أصحابنا : **لا يقرأ المؤتم خلف الإمام ، بل يسمع وينصت** ، وتحقيقه فى "فتح القدير" وغيره .

والثانى : أن الفتح يشبه التكلم ، وهو مفسد للصلاة ، ولو سهوًا .

والثالث : أنه تعليم للغير ، والأخذ منه تعلّم من الغير ، وكل ذلك مفسد ، ومم يؤيد القياس ما رواه أبو داود عن عبد الوهاب بن نَجدة عن محمد بن يوسف الفِريابى عن يونس بن أبى سحاق عن الحارث عن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«يا على لا تفتح إمامك فى الصلاة»** ، قال أبو داود : ولم يسمع أبو إسحاق من الحارث إلا أربعة أحاديث ، ليس هذا منها -انتهى- .

وأما الاستحسان : فهو أن السهو والنسيان غالب على الإنسان ، فلو لم يجز الفتح لوقع الحرج ، والمقتدى والإمام كلاهما مضطران إلى إصلاح صلاتهما ، فكان هذا من أعمال الصلاة .

كيف لا وقد روى أبو داو وابن حبان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : **صلى النبى ﷺ صلاةً فلُبس عليه ، فلما فرغ قال لأبى بن كعب : أشهدتَ الصلاة معنا ، قال : نعم ، قال : فما منعك؟**

وروى أبو داود عن المسور بن يزيد المالكى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الصلاة ، فترك شيئًا لم يقرأه ، فقال له رجل : يا رسول الله تركتَ آية كذا

وكذا، فقال رسول الله ﷺ: هلاّ أذكرتنيها، قال: كنتُ أراها نسخت.

وروى الحاكم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: كنا نفتح الأئمة على عهد رسول الله ﷺ، وقد صرّح الحاكم وغيره من أئمة الحديث بأن قول الصحابى: كنا نرى كذا وكنا نفعل كذا، ونقول كذا، مفيداً بعهد رسول الله ﷺ له حكم المرفوع، وصحّحه الأصوليون، كالإمام فخر الدين الرازى وسيف الدين الآمدى، وقال ابن الصلاح: عليه الاعتماد؛ لأن ذلك مشعر بأن سول الله اطلع عليه، وقرره على ذلك وتقريره أحد وجوه السنن المرفوعة.

وفى "النيابة شرح الهداية" للبدر العينى: قد صح عن عبد الرحمن المسلمى أنه قال قال على رضى الله تعالى عنه: إذ استطعمك الإمام فأطعمه، ذكر بن أبى شيبة، وعن عطاء: لا بأس به، وذكره ابن أبى شيبة فى مصنفه عن نافع قال: صلى بنا ابن عمر، فتردد ففتحت عليه فأخذ، وما نقل عن ابن قدامة أنه قال: قال أبو حنيفة: إن فتح على الإمام بطلت صلاته ليس بصحيح -انتهى كلامه-.

وفى "الإصابة فى أحوال الصحابة" للحافظ ابن حجر حكى قتادة أن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه يصلى خلف عثمان، فإذا توقف فتح عليه -انتهى-.

وروى مالك فى "الموطأ" عن يزيد بن رومان قال: كنت أصلى إلى جانب نافع بن جبير بن مطعم، فيغمزنى فأفتح عليه ونحن نصلى.

مسألة:

اختلف المشايخ فيما إذا قرأ الإمام مقدار ما يجوز به الصلاة، أو انتقل إلى آية أخرى ففتح، هل تفسد صلاته، قال بعضهم: نعم، ولو أخذ الإمام ففتحه تفسد صلاته أيضًا، وكذا اختلف فى ما إذا قرأ الإمام مقدار ما يجوز به الصلاة وتوقف، ولم ينتقل إلى آية أخرى ففتحه المقتدى، هل تفسد صلاته، قال بعضهم: نعم، واستدلوا على ذلك بأن الفتح إنما جوّز للضرورة، ولا ضرورة فى هذه الصورة، لكن الأصح أنه لا تفسد صلاة الفاتح ولا المستفتح فيما إذا فتح المقتدى إمامه مطلقًا، نعم الامتناع عن الفتح والاستفتاح أولى عند عدم الضرورة الملجئة، كذا فى "النهر الفائق" و "ملتقى الأبحر" وغيرهما،

وفي "مجمع الأنهر": وعليه الفتوى.

قلت: ويدل عليه حديث أبي داود الذي ذكرنا أيضًا، فإن النبي عليه الصلاة والسلام: لما ترك آية، وقال له رجل: تركت آية كذا وكذا، قال له: هلا أذكرتنيها، فلو لم يكن مطلق الفتح جائزًا لما حضّضه على الفتح مع قراءه قدر ما تجوز به الصلاة.

وفي "الكافي": إن فتح على إمامه لا تفسد لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذ استطعمك الإمام فأطعمه» أي إذا استفتحك الإمام فافتح عليه، قالوا: هذا إذ ارتج عليه قبل أن يقرأ قدر ما يجوز به الصلاة، أو بعد ما قرأ، ولم يتحول إلى آية أخرى، أما إذا تحول ففتح عليه تفسد صلاة الفاتح؛ لأنه تعليم بلا حاجة، والصحيح أنه لا تفسد -انتهى-.

مسألة:

لا ينبغي للإمام أن يلجئ المقتدي إلى الفتح، بل يركع إن كان قد قرأ قدر ما تجوز به الصلاة، أو ينتقل إلى آية أخرى، كذا في "فتاوى قاضي خان"، وفي "غنية المستملي شرح منية المصلي": إذ ارتجّ على الإمام في القراءة، ينبغي أن يركع إن كان قرأ القدر المسنون، أو ينتقل إلى آية أخرى، إن لم يكن قرأه، ولا يحوج القوم إلى أن يفتحوا عليه، فإن أحوجهم إلى ذلك، بأن وقف ساكتا أو مكررا، ولم يركع ولم ينتقل كره ذلك؛ لأنه ألزمهم بزيادة في صلاتهم -انتهى-.

مسألة:

ينبغي للمقتدي أن لا يعجل في الفتح، فلو انتقل الإمام إلى آية أخرى، أو قرأ مقدار ما تجوز الصلاة، لا ينبغي له أن يفتح ما لم يلجئه الإمام، كذا في "فتاوى قاضي خان"، وفي "البزازية": قرع الباب فسبح لإعلام أنه في الصلاة، أو عطس رجل، فقال المصلي: الحمد لله رب العالمين، أو فتح على إمامه، وقد قرأ مقدار ما تجوز به الصلاة، أو تنحنح بلا سبب يكره -انتهى-.

وفي "البحر الرائق": قالوا: يكره للمقتدي أن يفتح من ساعته، وكذا يكره للإمام

أن يلجئه، واختلفت الرواية فى أوان الركوع، ففى بعضها اعتبروا الأوان المستحب، وفى بعضها اعتبروا فرض القراءة، يعنى إذا قرأ مقدار ما يجوز به الصلاة ركع، كذا فى "السراج الوهاج" -انتهى-.

وفى "رد المحتار": يكره أن يفتح المقتدى من ساعته، كما يكره للإمام أن يلجئه، بل ينبغى له أن يركع إذا قرأ قدر الفرض، كما جزم به الزيلعى وغيره، وفى رواية قدر المستحب، كما رجحه الكمال بأنه الظاهر من الدليل، وأقره فى "البحر" و "النهر"، ونازعه فى "شرح المنية"، ورجح قدر الواجب، لشدة تأكده -انتهى-.

قلت: استظهر الطحطاوى فى حاشية "مراقى الفلاح" اعتبار القدر المستحب، وهو الأظهر بالنظر الدقيق، فإن قراءة القدر المسنون أيضًا من ضروريات الصلاة حتى يكره الصلاة بتركها، والفتح قد رخّص فيه الشارع، فلا بأس بإلجاء الإمام مقتديه، وفتح المقتدى قبل قراءة ما يسن فى الصلاة -فافهم-.

مسألة:

لو فتح غير المصلى مصليًا، فأخذ المصلى فتحه، إمامًا كان أو منفردًا، فسدت صلاته، إلا إذا كان تذكره قبل تمام الفتح، فأخذ فى القراءة قبل تمام الفتح، كذا فى "الدر المختار".

والوجه فيه أن التعلم من الغير مفسد للصلاة، ولهذا قال العينى فى "شرح الهداية" وغيره أنه لو قرأ من المحراب فسد صلاته إن لم يكن حافظًا للقرآن، لكونه تعلّمًا من الخارج، فهذا أخذ المصلى ممن هو غير مصلّ تعلم منه، فتفسد صلاته، وهذا إنما يستقيم لو أخذ فى التلاوة بعد الفتح، وإلا فلا.

وقال الزاهدى فى "القنية" ناقلا عن الظهير المرغينانى: ارتج على الإمام، ففتح عليه من ليس معه فى الصلاة، وتذكر فإن أخذ فى التلاوة قبل تمام الفتح لم تفسد صلاته، وإلا تفسد؛ لأن تذكره يضاف إلى الفتح -انتهى-.

واعترض عليه العلامة ابن مير حاج الحلبى فى "حلية المحلى شرح منية المصلى" بقوله: فيه نظر؛ لأنه إن حصل التذكر بعد الفتح قبل إتمامه، فالظاهر أن التذكر ناشٍ منه، وجبت إضافة التذكر إليه، فتفسد بلا توقف للشروع فى القراءة على إتمامه -انتهى كلامه

ملخصًا- .

وقال ابن عابدين فى "رد المحتار": الذى ينبغى أن يقال: إن حصل التذكر بسبب الفتح تفسد مطلقًا، أى سواء شرع فى التلاوة قبل تمام الفتح، أو بعده لوجود التعلم، وإن حصل تذكره من عند نفسه لا بسبب الفتح، لا تفسد صلاته مطلقًا، وكون الظاهر أنه حصل بالفتح لا يؤثر بعد تحقق أنه من عند نفسه؛ لأن ذلك من أمور الديانة لا القضاء حتى يبنى على الظاهر، ألا ترى أنه لو فتح على غير إمامه قاصدًا للقراءة لا التعليم لا تفسد مع أن ظاهر حاله التعليم -انتهى- .

قلت: هذا هو الحق لأنهم عللوا فساد الصلاة بأخذ الفتح ممن ليس معه بوجود التعلم، وهو من صفات النفس، وأفعال القلب، فكل مصل يعلم ما فى قلبه فيناط على الحكم، ولا اعتبار للظاهر.

مسألة :

لو فتح المصلى على غير إمامه، سواء كان مصليًا، أو لا، تفسد صلاة الفاتح؛ لأنه تعليم فكان من كلام الناس، وهل يشترط للفساد تكرار الفتح؟ الصحيح أنه لا يشترط، بل تفسد بمجرد الفتح، وإن كان مرة واحدة، وهو الموافق للجامع الصغير ومختصر القدورى.

ويفهم من "المبسوط" اشتراط التكرار، حيث قال: إذا افتتح غير مرة تفسد صلاته، فإنه يستفاد منه أنه لو افتتح مرة واحدة لا تفسد به الصلاة، ووجه الصحيح أن الكلام بنفسه قاطع، وإن قلّ، ولا يشترط لفساده التكرار، فكذا الفتح، كذا فى "الهداية"، و"فتح القدير" وغيرهما.

وفى "البحر الرائق" فصل فى "البدائع" بأنه إن فتح بعد استفتاح، فصلاته تفسد بمرة واحدة، وإلا تفسد بالتكرار، وهو تفصيل خلاف المذهب -انتهى- .

وفيه أيضًا: هذا كل على قول بى حنيفة ومحمد، وأما على قول أبى يوسف، فلا تفسد صلاة الفاتح؛ لأنه قرآن، فلا يتغير بقصد القارى -انتهى- وتفصيل المرام فى هذا المقام على ما فى "جامع المضمرات" وغيره أن الكلام على ثلاثة أقسام: ما يكون عينه، ومعناه كلاهما كلامًا، وهذا القسم يفسد الصلاة اتفاقًا، وإن قلّ، أو وقع سهوًا، وما لا

يكون عينه، ولا معناه خطابًا وكلامًا كالأذكار، وهذا القسم لا يفسد الصلاة مطلقًا، ولو وقع فى غير موقعه، كما إذا قرأ فى الركوع أو السجود، أو فى التشهد، نعم إن فعل ذلك سهوًا تجب عليه سجدة السهو، وما يكون عينه ذكرًا، ومعناه كلامًا بأن خرج مخرج الجواب أو التعليم.

وهذا هو محل الخلاف، فعندهما يفسد، وعند أبى يوسف لا يفسد؛ لأنه ذكر حقيقة، فلا يتغير بقصد الذاكر، فلو سمع اسم الله عزوجل، فقال فى الصلاة جل جلاله، أو سمع اسم النبى عليه الصلاة والسلام، فصلى عليه، أو سمع رعدًا، أو برقًا فسبّح، أو سمع خبرًا سارًا، فحمد الله تعالى تفسد صلاته فى جميع هذه الصور عندهما، خلافًا لأبى يوسف.

ومن هذا القبيل ما إذ أخبره أحد بموت أحد، فقال فى جوابه: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقيل: تفسد صلاته فى هذه الصورة اتفاقًا، والأصحّ أنه أيضًا على الخلاف، صرّح به إبراهيم الحلبى فى "غنية المستملى".

ومن هذا الجنس مسألة التشميت، فإنه لو أجاب المصلى عاطسًا، وقال: يرحمك الله تفسد صلاته عندهما، لا عند أبى يوسف ونظائرها كثيرة شهيرة.

وقال العينى فى "شرح الهداية": إن الصحيح فى جنس هذه المسائل قول أبى حنيفة ومحمد -انتهى- فظهر أن الصحيح هو فساد الصلاة فيما إذا فتح غير إمامه.

فإن قلت: كيف يصح قولهما بتغير الذكر عن كونه ذكر أبنية المتكلم، مع أنه لو استأذن المصلى أحدًا، فسبّح إعلامًا له، لا تفسد صلاته اتفاقًا، لورود الأثر فى ذلك، وهو قول النبى ﷺ: إذا نابت أحدكم نائبة فليسبح، رواه أصحاب الصحاح والسنن، فما الفارق بين التسبيح للرجال بقصد الإعلام وبين المسائل المذكورة، حيث لا يقولون: بالفساد فى الأول مع تغيير النية، ويقولان: بالفساد فى الثانى.

قلت: القياس أن تفسد الصلاة فى هذه الصورة أيضًا، لكنا تركناه لورود الأثر، فلا يقاس عليه غيره، كذا فى "مبسوط شيخ الإسلام"، واعلم أن خلاف أبى يوسف إنما ذكر فى المسائل التى ذكرناها آنفًا، وأما فى مسألة الفتح على غير إمامه، فلم يذكر فى عامة الكتب، فيقتضى أنها مسألة اتفاقية، لكنهم استخرجوا فيها الخلاف أيضًا قياسًا على نظائره، ولهذا قال فى "الذخيرة": قال بعض مشايخنا: ما ذكر من الجواب فى ما إذا أراد

به التعليم يجب أن يكون قول أبى حنيفة ومحمد، وأما على قول أبى يوسف فينبغى أن لا يفسد؛ لأنه قرآن، فلا يتغير بقصد القارى -انتهى- وهذا صريح فى أنهم لم يظفروا بتصريح الخلاف فى هذه المسألة، لكنهم قاسوها، وهذا هو الذى بعث صاحب "البحر الرائق"، فذكر الخلاف جزمًا، كما مر نقله.

ثم رأيت فى "غنية المستملى" قال الشيخ كمال الدين بن الهمام: وأقرب ما ينقض كلامه ما وافق عليه أبو يوسف من الفساد بالفتح على غير إمامه، فهو قرآن، وقد تغيّر إلى وقوع الفساد به بالعزيمة -انتهى-.

وهذا صريح فى أن المسألة التى نحن فيها اتفاقية، وهو الأصح، وأفاد قول الكمال أقرب ما ينقض الخ، أن قول أبى يوسف قد ينقض بغيره أيضًا، وهو ما ذكره قاضى خان فى فتاواه من أنه لو كان عنده رجل يسمى بـ "يحيى"، فقال المصلى: يا يحيى! خذ الكتاب بقوة، و كان هناك رجل مسمّى بـ "موسى"، فقال: وما تلك بيمينك يا موسى، إن قصد به قراءة القرآن لا تفسد صلاته بالاتفاق، وإن قصد به الخطاب تفسد فى قولهم جميعًا -انتهى-.

والحاصل: أن أبا يوسف لم يخالف الطرفين فى المسألة التى نحن فيها، فهى اتفاقية، ولو ثبت خلافه فيها كخلافه فى نظائرها، فهو منقوض بمسألة الخطاب بقوله: يا يحى حيث حكم أبو يوسف أيضًا هناك بالفساد، ومع قطع النظر عن كونه منقوضا لفتوى إنما هو على قول الطرفين، لا على قوله، كما ذكره العينى فى مواضع من "شرح الهداية".

بقى ههنا أمر آخر، وهو أنهم بأجمعهم ذكروا أن فساد صلاة الفاتح فيما نحن فيه، ونظيره إنما هو إذا أرد الفاتح الفتح، وأما إذا أراد قراءة القرآن لا تفسد صلاته، لعدم وجود التعليم، و لم يذكروا حكم صلاة الآخذ إن أخذ من الفاتح القاصد للقراءة هل تفسد أم لا. والحق هو الفساد؛ لوجود التعلم فى حقه، فإنه إنما لم تفسد صلاة الفاتح ههنا؛ لأنه لم ينو الفتح، بل نوى القراءة، فلم يوجد التعليم المفسد منه، ومناط فساد صلاة الآخذ إنما هو التعلم، وهو موجود على كل حال، لا يتغير بتغيير قصد الفاتح، فتفسد صلاته قطعًا، نعم لو حصل له التذكر من نفسه لا من قراءته، لا تفسد، كما مر تفصيله، وفى "كنز الدقائق" فى ذكر مفسدات الصلاة وفتحه على غير إمامه -انتهى-.

قال العلامة سراج الدين عمر بن نجيم المصرى فى "النهر الفائق" : هو شامل لفتح المقتدى على مثله، وعلى المنفرد وعلى غير المصلى، وعلى إمام آخر، ولفتح الإمام والمنفرد على أى شخص كان، إن أراد به التعليم دون التلاوة -انتهى- .

مسألة :

إذا فتح المصلى على غير إمامه، وهو مصل، سواء كان مصليًا بصلاته، أو بغير صلاته، فأخذ فتحه، تفسد صلاتهما، أما صلاة الفاتح فلما مرّ، وأما صلاة المستفتح فلوجود التعلم، كذا فى "النهاية" و "البناية"، وهكذا فى "الخلاصة" و "البحر" و "الدر المختار" وغيرهم، وفى "الذخيرة" : لا تفسد صلاة المستفتح فى هذه الصورة، وهو ما إذا لم تكن الصلاة واحدة، لم يذكر محمد فى شىء من الكتب، وذكر الشيخ الإمام الزاهد الصفار فى شرح كتاب الصلاة أنها تفسد؛ لأنه انتصب متعلّمًا؛ لأن المستفتح كأنه يقول لغيره بعد ما قرأه: فإذا نسِيتُ فذكّرنى، ألا يرى أنه فسدت صلاة الفاتح؛ لأنه انتصب معلّمًا -انتهى- .

قلت: ولا تصغ إلى ما فى "جامع الرموز" و "مجمع الأنهر" من أنه لا تفسد صلاة المفتوح عليه، فإنه مخالف لما اتفقت عليه كلمات عامتهم من أنه تفسد صلاة الفاتح والمستفتح كليهما؛ لوجود التعليم والتعلم.

مسألة :

لو سمع المؤتم ممن ليس معه فى الصلاة، ففتحه على إمامه تبطل صلاة الكل لوجود التلقين من خارج، كذا فى "القنية" نقلا عن الظهير المرغينانى، وأقر فى "النهر الفائق" و "الدر المختار" وغيرهما، ووجه أن المؤتم لما تلقن من الخارج بطلت صلاته، فإذا فتح به على إمامه وأخذ منه بطلت صلاته، وإذا بطلت صلاته بطل صلاة باقى المقتدين لا محالة.

مسألة :

حادثة الفتوى لو أخذ المؤتم من المصحف وهو بين يديه، وفتح به إمامه وأخذه هل تفسد صلاتهم، قد سئلت عنه مراراً، فأفتيت بأنه ذكر مولانا الهداد الجونفورى فى حاشية "الهداية" بأن الأخذ من المصحف كالأخذ من الغير، فصارت هذه الصورة نظير الصورة المذكورة فى "القنية"، فتفسد صلاة الكل بلا ريب.

وأما ما رواه الشافعى وعبد الرزاق فى "مصنّفه": أن عائشة كان يؤمها ذكوان عبدها من المصحف، وذكره البخارى أيضًا فى صحيحه فى باب إمامة العبد والمولى تعليقًا، فتأويله عندنا أنه كان يحفظ مقدار ما يقرأ فى الشفع بين الشفعين من المصحف، كذا ذكره الزيلعى فى "شرح الكنز"، وقد فصلتُ هذه المسألة بأحسن تفصيل فى رسالتى "القول الأشرف فى الفتح عن المصحف"، فلا حاجة إلى ذكرها ههنا.

مسألة :

لو أخذ من الطير تفسد صلاته لوجود التعلم من الخارج على قياس ما مرّ ذكره.

مسألة :

ينبغى للفاتح على إمامه أن ينوى الفتح على إمامه دون قراءة القرآن، هو الصحيح، كذا فى "الهداية"، قال فى "فتح القدير" احترازًا عن قول بعضهم: إنه ينوى القراءة، وهو سهو؛ لأنه عدول إلى المنهى عنه عن المرخص فيه بما روى: "أنه عليه الصلاة والسلام قرأ فى الصلاة سورة المؤمنين، فترك كلمة، فلما فرغ، قال: الم يكن فيكم أُبىّ، قال: بلى، قال: فهلا فتحت علىّ، فقال: ظننتت أنها نسخت، فقال عليه الصلاة والسلام: لو نسخت لأعلمتكم" -انتهى-.

وفى "شرح النقاية" لعلى القارى إذا فتح المأموم على إمامه ينوى الفتح، وقال بعض المشايخ: القراءة، والصحيح هو الأول؛ لأن الفتح مرخّص فيه، وقراءة المأموم منهى عنه -انتهى-.

قلت: هكذ ذكره غير واحد من فقهاءنا، وانظر إلى مولانا اله داد الجونفورى

كيف اختار مسلك الوحدة عنهم، فقال: معتزلا عن كلماتهم، قلت: بل الصحيح أن ينوى التلاوة دون الفتح؛ لأن الفتح مفسد فى نفسه؛ لأنه كلام معنى، إلا أنه عفى عنه للضرورة، فيجب الاحتراز عنه ما أمكن الاحتراز عنه فى النية وإن لم يكن فى الفعل، فصار كما إذا تترسوا بأسارى المسلمين، حيث يجب عليه الاحتراز عن قتل المسلم فى النية، بأن يرمى السهم إليهم ناويًا قتل الكافر دون المسلم، فكذا ههنا ينوى التلاوة التى ليست مفسدة بحال، ثم الفتح فى نفسه منهىّ عنه ومفسد، والتلاوة فى نفسها منهيّة، وليست بمفسدة، فنية ما هو منهىّ، وليس بمفسد أولى من نية الفتح الذى هو منهى ومفسد، ثم التلاوة عند الحاجة إلى الفتح ليست بمنهية كالفتح فاستويا، لكن نية التلاوة التى هى من أعمال الصلاة، وليست بمفسدة بحال أولى من نية الفتح الذى هو مفسد.

فإن قلت: الفتح مرخص فيه، والقراءة منهى عنها، قلت: من ضرورة الرخصة بالفتح الرخصة بالتلاوة لعدم تصور الفتح بدونها، فكان كل من الفتح والتلاوة مرخصًا فيه -انتهى كلامه ملخّصًا- ولا يخفى عليك ما فيه، فإن كله تطويل بلا طائل؛ لأن الغرض أنّ تلاوة القرآن من حيث هى تلاوة منهية عنها على زعم الحنفية لم يرخص فيها الشارع، بخلاف الفتح من حيث هو فتح، فإنه مرخص فيه، فنيته أولى.

وما قال: من أن الفتح كلام معنى، وإنما عفى عنه للضرورة الخ، ففيه أنه هب ما ذكرت صحيح، لكنه لما عفى عنه ورخص فيه للضرورة لم يبقَ حكمه حكم الكلام، والكلام بعد ثبوت الرخصة لا قبلها، فبعد ثبوت الرخصة الفتح والتلاوة سيان فى عدم كونهما مفسدين للصلاة، ثم الفتح من حيث هو فتح مرخص فيه، بخلاف التلاوة من حيث هى تلاوة، فكانت نيته أولى.

وما قال: إن التلاوة عن الحاج إلى الفتح ليست بمنهية الخ، ففيه أنه إن أراد أن التلاوة من حيث هى تلاوة عند الحاجة ليست بمنهية، فهو أول النزاع، وإثباته عسير جدًا، وإن أراد به مطلق التلاوة ولو فى ضمن غيرها ليست منهية، فهو صحيح، وهو بعينه مذهب الجمهور، ولا تلزم منه مساواة التلاوة والفتح، فإن الفتح من حيث هو فتح جوز للضرورة، كما تنطق به الأحاديث، وليس كذلك حال التلاوة من حيث هى تلاوة، وبهذا تظهر سخافة قوله: من ضرورة الرخصة بالفتح الرخصة بالتلاوة إلخ أيضًا - فافهم- فإنه دقيق وقبوله يليق.

خاتمة :

روى ابن حبان وأبو داود وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صليتم خلف أئمتكم فأحسنوا طهوركم، فإنما يرتج على القارى قراءته بسوء طهر المصلى خلفه.

قال العلقمى تلميذ السيوطى فى حاشية "الجامع الصغير" ناقلا عن "المصباح". ارتجت الباب ارتجاج، أغلقت، ومنه ارتج على القارى إذا لم يقدر على قراءته، كأنه منع منها، وهو مبنى للمفعول -انتهى-.

وروى النسائى فى "المجتبى" عن محمد بن بشار عن عبد الرحمن عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن شبيب بن أبى روح عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ صلى صلاة الصبح فقرأ الروم فالتبس عليه، فلما قال: ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور، فإنما يلبس علينا القرآن أولئك.

قلت: لعل السر فيه أن الناس إذا اجتمعوا فى موضع كالمسجد، أو عرفات، أو منى، أو غير ذلك ينعكس شعاع الأبرار على الفجار -فيغفرهم الله- وينعكس شعاع الفجار على الأبرار، فيخفون من خبثهم، وهذا هو الحكمة فى مشروعية الجماعة، فإذا اقتدى رجل لم يحسن طهوره بأن لم يتوضأ كاملا ونحو ذلك، ينعكس خبثه على الإمام، فيكون سببًا لتسلط الشيطان، فيرتج عليه -والله أعلم، وعلمه أحكم-.

فائدة :

ذكر السيوطى فى كتابه "الوسائل إلى معرفة الأوائل": أن أول من أحدث الفتح على الإمام زياد، وكان يؤم الناس، فأمر رجلا يفتح عليه، أخرجه محمد بن عثمان بن أبى شيبة وابن عساكر عن إبراهيم النخعى -انتهى-.

قال المؤلف عفا الله عنه: وليكن هذا آخر الكلام فى هذه الرسالة، والحمد لله على هذه العجالة، وكان الفراغ منها ليلة الجمعة الزهراء الثامنة والعشرين من ليالى شهر شعبان من شهور سنة ست وثمانين بعد الألف والمائتين من الهجرة الأحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، ولله الحمد على ذلك بكرة وعشية.

فهرس الموضوعات

خاتمة الطبعة الأولى

اللهم نحمدك على ما أعطيتنا من نعمة الإخلاص والتوحيد، ونشكرك على نزهتنا من رجس الشرك والتنديد، ونتقرع إليك أن نصلى على سلطان الأنبياء والمرسلين، وناسخ الأديان وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد خير مَن قام بوصف الهداية والاهتداء أئنكم لتشهدون، ولهذا الذى لو كان موسى حيّا فى زمانه ما وسعه إلا الاتباع والاقتداء، وعلى آله وأصحاب الذين من اقتدى بأحد منهم اهتدى ونجى، ومن أشاح بوجهه منه، وترك سبيلهم ضلّ وغوى.

أما بعد: فهذه رسالة شريفة، وعجالة نافعة المسمّى بـ" قوت المغتذين بفتح المقتدين" محتوية على دلائل الإعجاز، ومنطوية على النكات والأسرار، محتوية على إفادات شامخة يستريح بذاك الفؤاد، وينكشف الأمر على وفق الارتياد، ومشحونة على غرائب نكته تنعطف لسماعها الآذان، ومحلاة بحلى لم ترَها عين الزمان، كيف لا فإن مصنفها فريد الدهر أوحد الأعصار، أعلم بعلم الكتاب والسنة من علماء الأمصار، محط رجال الأفاضل، وموضع أمان الأماثل، منبت شجرى الفروع والأصول، منبع بحرى المعقول والمنقول، قدوة المتكلمين، زبدة المتألهين، مرجع كافة البشر والعقل، نخبة الإجلاء الأعيان، مشكاة مصباح علم الدين، قطب فلك الإسلام، ونقطة دائرة الاحترام، كشّاف معضلات الحقيق، ومفتاح مقفلات التدقيق، المتوّج بتاج العلم والكمال، ومكلّل بإكليل الفضل والجلال، رب الفقه والاجتهاد، قامع بنيان الكفر والإلحاد، والعالم العلامة، والفاضل الفهّامة المولى الأثيل ذو المجد الأثيل، الحبر الشريف العريف، والنحرير الغطريف، مولانا المعظم، مطاعنا الأفخم الحاج المولوى أبو الحسنات محمد عبد الحيى - أدخله الله دار النعيم -.

ولما كانت هذه العجالة فى هذا الباب بغاية الإفادة، ومصباح مسالك الهداية، فتوجه لطبعها مرة أولى من هو ذات مظهر الإفادة والإحسان، منبع الجود والامتناع عبد الواحد خان صانه الله عما شانه فى المطبع المصطفائى المنسوب إلى مصطفى خان -أدخله الله فى غرف الجنان- ومرة أخرى فى مطبع شوكت الإسلام لشيخ محمود على -صانه الله عن شرور الغوى- بأمر المولوى محمد يوسف -حفظه الله عن التلهّف- ختن المصنف المرحوم، وكان ذلك فى شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٠هـ.



للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر



الطبعة الأولى : . . . . ١٤١٩ هـ

الصف والطبع والإخراج : . . . . بإدارة القرآن كراتشي

اعتنى بإخراجه الفني وتصميمه على الكمبيوتر . . . . نعيم أشرف نور أحمد

أشرف على طباعته : . . . . فهيم أشرف نور

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D/ ٤٣٧ گاردن ايسٹ كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف : ٧٢١٦٤٨٨ فاكس : ٧٢٢٣٦٨٨-٠٠٩٢٢١

E. Mail: quran@diggicom.net.pk

ويطلب أيضا من :

المكتبة الإمدادية . . . . باب العمرة مكة المكرمة - السعودية

مكتبة الإيمان . . . . السمانية، المدينة المنورة - السعودية

مكتبة الرشد . . . . الرياض - السعودية

إدارة إسلاميات . . . . انار كلي لاهور - باكستان



حامدًا لخالق الإنس والجان، وشكرًا للذى خلق الإنسان وعلّمه البيان، أشهد أنه لا له إلا هو، وحده لا شريك له، شهادة تنجينا من عذاب الدخان، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد أفراد الإنسان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما دار القمران، وبعد: فيقول المحتاج إلى رحمة ربه القوى أبو الحسنات محمد عبد الحيى اللكنوى بن مولانا محمد عبد الحليم -أدخله الله فى دار النعيم-: هذه رسالة نافعة، وعلالة رائعة، مسمّاة بـ

«ترويح الجنان بتشريح حكم شرب الدخان»

مشتملة على حكم بدعة حدثت بعد انقراض القرون المتطاولة، ومضت عليها قريب من ثلاث مائة سنة، قد أخذتها بالقبول الأيدى المتناولة، والذى بعثنى على ذلك أن العلماء من وقت حدوثه إلى هذا الآن قد اختلفوا فى حكم شربه، فمن مفرط ومن مفرط ومن سالك مسلكًا وسلطانى ما هنالك، وكلهم قد نصبوا الآيات العظمى على آراءهم، وأقامو الطامة الكبرى على مخالفيهم، فكم من رسائل فيه صنفت، وكم من دفاتر فيه ألّفت، وكم من كتب المذهب بذكره وشحت.

وقد سئلتُ عنه بعد مرة: هل هو فى درجة الإباحة أم دخل فى حيزّ الحرمة؟ وعلى تقدير الإباحة هل فيه كراهة تنزيهية أو تحريمية أم إباحته مجردة عن الباقية؟ فأجبت كل مرة: أن من حرّمه فقد أفرط، و من أباحه إباحة مطلقة، فقد فرط.

وعندى أنه مباح مع الكراهة، وهو المسلك الوسط، ثم طالعت الرسائل التى صنّفت فى هذه المسألة، ووقفت على ما ذكره المانعون من الأدلة، فإذا فيها ما يعجب

الناظر، ولا يفهم المناظر، فأردت أن أضع رسالة أذكر فيها ما صفا، وأرد ما كدر، وألخّص فيها جميع ما ذكره المفرّطون والمفرطون، بتلخيص صاف عن الكدر، ثم أحقق الحق، وأبطل الباطل، إيقاظا للخامل الجاهل، وتفريحًا للفاضل الكامل، واللهَ أسأل أن يجنّب من الخطأ والزلل أقدامى، ومن السهو والخلل أقلامى، وأن يتقبل هذه الرسالة وسائر تصانيفى بفضله وجوده وكرمه.

وها هذه الرسالة مرتبة على مقدمة وأبواب خمسة وخاتمة، المقدمة فى ذكر ابتداء شرب الدخان والتنباك، وذكر منفعته ومضرته، والباب الأول: فى إيراد روايات الفقهاء منعًا وإباحةً، والثانى: فى تحرير وجوه المانعين والمبيحين مع ما لها وما عليها، والثالث: فى حكم شرب الدخان حالة الصوم، وفيه أدرجت رسالتى "زجر أرباب الريان عن شرب الدخان"، وهى مرتبة على مقصدين وخاتمة، والرابع: فى فوائد متفرقة متعلقة بالحلة والحرمة، والخامس: فى حكم استعاط التنباك وزراعته وماءه وغير ذلك، والخاتمة فى حكم شرب القهوة، المقدمة فيها فصلان، هما لدرك المقاصد أصلان.

الفصل الأول
فى زمان ابتداء شرب الدخان التنباك

اعلم أنه لم يوجد له أثر فى الأزمنة السابقة، ولم يدر له خبر فى الأعصار السالفة، ولذلك ترى كتب السلف عن حكمه ساكتة، وإنما كان شيوعه فى القرن الحادى عشر، واختلف فيه علماء ذلك العصر، فمنهم من حرمه، ومن كرهه، ومنهم من جوّزه، وصنفت فيه الرسائل لتحقيق المقاصد والوسائل.

قال إبراهيم اللقانى المالكى[1] فى "عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد": قد حدث فى أوائل القرن الحادى عشر وقبيلة بمدة قليلة شرب دخان شيء يعبر عنه الناس بعبارات مختلفة، فبعضهم يقوله: التنباك، ومنهم من يعبر بالتتن -بالتائين الفوقانيتين- وبعضهم يتفوه بطابغى، وشرمة بطيغا، وقال العلامة الزاهد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن: إنه ظهر فى بلادنا شيء مسمّى بـ "تنبكه" فى السنة الخامسة بعد الألف، وهى أوراق شجرة مسمّاة بـ "طبقا"، وقد ابتلى الله المسلمين بتدخينه وشرب الدخان منه -انتهى حاصل ما ذكره اللقانى-.

وذكر العلامة عبد الرحمن المرشدى فى تذكرته اسمين آخرين تنباكو وطابه -انتهى- كذا فى "تحفة الإخوان فى منع شرب الدخان" للحاج محمد هاشم السندى الحنفى، ألفه فى سنة ألف ومائة وأربعة وثلاثين.

---

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن على اللقنى نسبة إلى لقانة -بالفتح- قرية من قرى مصر المالكى، مؤلف "جوهرة التوحيد" فى العقائد وشروحه الثلاثة، و"قضاء الوطر من نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر" و"نصيحة الإخوان باجتناب شرب الدخان" وغير ذلك من التأليفات النافعة، وذكرها محمد بن فضل الله الدمشقى فى "خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر"، ذكر أنه كان أحد الأعلام المشار إليهم فى الفقه، والحديث، والتبحر فى الكلام.

ومن مشايخه: عمر بن نجيم الحنفى صاحب "النهر الفائق شرح كنز الدقائق"، وعلى بن غانم المقدسى الحنفى، والشيخ محمد السنهورى المالكى، والشيخ طه المالكى، والإمام محمد الرملى الشافعى شارح "المنهاج"، وكانت وفاته وهو راجع من الحج سنة إحدى وأربعين وألف. (منه)

وفى كتاب الأشربة من "الدر المختار شرح تنوير الأبصار"[(١)]: قال شيخنا النجم الغزى: والتتن الذى حدث، وكان حدوثه بدمشق فى سنة خمسة عشر بعد الألف يدعى شاربه أنه لا يسكر، وإن سلم له فإنه مفتر وهو حرام، الحديث أحمد عن أم سلمة قالت: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسلم ومفتر، قال: وليس من الكبائر تناولة المرة والمرتين، ومع نهى ولى الأمر عنه حرم قطعًا على أن استعماله ربما أضر بالبدن، نعم الإصرار عليه كبيرة كسائر الصغائر، انتهى بحروفه.

وفى "الأشباه" فى قاعدة الأصل الإباحة والتوقف: ويظهر أثره فيما أشكل حاله، كالحيوان المشكل أمره، والنبات المجهول سميته -انتهى-.

قلتُ: فيفهم منه حكم النبات الذى شاع فى زماننا المسمى بـ"التتن" فتنبه، وقد كرهه شيخنا العمادى فى هديته إلحاقًا له بالثوم والبصل بالأولى، فتدبّر[(٢)] -انتهى كلام صاحب "الدر"-.

وفى رسالة الشيخ محمد عبد الباقى الرومى المكى الحنفى المسمّاة بـ"الحسام القاصم": قد أبدع النصارى من أهل القرن الحادى عشر منتنًا كريهة الريح والمنظر ونوعوا

---

(١) هو لعلاء الدين محمد بن على بن محمد بن على بن عبد الرحمن الحصكفى الأصل الدمشقى الحنفى مؤلف شرح "تنوير الأبصار" المسمّى بـ"خزائن الأسرار"، ومختصره "الدر المختار"، وشرح الملتقى المسمّى بـ"المنتقى"، وشرح المسمّى بـ"إفاضة الأنوار" وتعليقات على صحيح البخارى، وغير ذلك، كان عالما محدّثا نحويا كثير الحفظ جيّد التقرير والتحرير، أخذ عن والده وعن محمد المحاسنى خطيب دمشق تلميذ الشرنبلالى، ولازمه حتى أجازه سنة ١٠٦٢، وارتحل إلى رملة، فأخذ بها عن خير الدين الرملى صاحب "الفتاوى الخيرية"، وسافر إلى الروم، فولى تدريس بعض المدارس، ثم صار مفتى الشام إلى أن توفى سنة ١٠٨٨ فى شوال بدمشق، وعمره ثلاث وستون سنة.

والحصكفى -بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح الكاف بعدها فاء- نسبة إلى حصن كفا على خلاف القياس، والقياس الحصنى، وهى بلدة من ديار بكر، كذا فى "خلاصة الأثر". (منه)

(٢) ذكر صاحب "التبيان": أن وجه التدبر، بل وجه التنبيه أيضًا أنه ما اجتمع محرم ومبيح إلا غلب المحرم، فمنع التفسير والتحذير ونهى وفى الأمر وللافتراء، وأنه من جمل مابه التعذيب وغيرها من الإصراف، والبدعة السيئة يحرم استعماله، وكيف يلحق بالبصل والثوم -انتهى- ولا يخفى على المطلع على ما سنذكره فى الباب الثانى. (منه)

هيئات شربه، كما سوّل لهم الشيطان، وأملى لهم، وشيعوه فى بلدان الإسلام حتى أهل الحرمين، فأول من جلبه إلى البر الرومى النصارى، وأول من حدثه بأرض المغرب اليهود، وأول من أخرجه ببلاد السودان المجوس، ثم شاع ببلاد الإسلام، وعمّت به الفتن المتنوعة، وترتبت عليه الأضرار الدينية والعقلية والبدنية والمالية والعرضية، انتهى كلامه على ما نقله الشيخ إسحاق بن عبد الوهاب[1] فى رسالته المسمّاة بـ "نصيحة عباد الله وأمة رسوله"، وستطلع فى أثناء الأبواب على عبارات تفيد حدوثه بعد تمام الألف بلا ارتياب.

الفصل الثانى
فى تحقيق حقيقة التنباك

قال الحكيم السيد محمد مؤمن الحسينى فى رسالته "تحفة المؤمنين" المؤلّفة سنة ألف وثمانين على ما نقله صاحب "التبيان فى الزجر عن شرب الدخان"[2]: أن تنباكو قسم من أقسام مَاهِيزَهرَج الجبلى الذى يسمى قُلُومُس؛ لأنه تشبه فى الماهية بالقسم الثالث من القُلُومُس، وفى السمية تشبه مَاهِيزَهرَج؛ لأن الطباء عرفوا القسم الثالث من الأقسام الخمس من القُلُومُس أن ورقه كورق الكرنب، لكن أطول منه مع رطوبة قليلة متشتة، وساقه أكبر، وبذره يميل إلى السواد.

ولأنه وقع الوباء فى زمان بقراط الحكيم، فقرر نباتًا بأن يحرق فى الخندق الذى

(١) هو تلميذ الشيخ عبد الغنى، وهو تلميذ الشيخ وجيه الدين العلوى، فرغ من تأليف "النصيحة" سنة ١٠٤٧ فى بلدة بروج من بلاد الهند -بفتح الباء وسكون الراء وفتح الواو ثم جيم- كذا فى "التبيان فى الزجر عن شرب الدخان". (منه ح)

(٢) هو الفاضل محمد حسين بن العلامة المعمر محمد مراد الأنصاى السندى النقشبندى، ذكر فى ديباجته أنه ظفر برسائل: منها: البرهان فى تحريم الدخان المولّفة سنة ١٠٦٥ للعلامة أبى طالب بن على الحنفى، ومنها: الحجة البالغة له أيضًا، ومنها: تحفة الإخوان فى منع شرب الدخان المؤلفة سنة ١١٢٤ للحاج محمد هاشم السندى الحفى، ومنها: رسالة للشيخ عبد الرحيم الحنفى السندى وغير ذلك، وكان تحفة الإخوان أحسنها، وكان بالفارسية فترجمها بالعربية، وزاد عليها زيادات، وذكر أيضًا أنه شرع فى تأليفه فى بندر جدة فى رجب سنة١١٩٨. (منه)

حول البلد، ويدخن به ودخانه صار باعثا لعدم وصول الوباء وتأثيره لأحد ممن في البلد، والنبات كان قسمًا من قُلُومُس، وهذا الأثر موجود في تدخين التنباك، وفي كل بلدة شاع فيها الدخان قل الوباء فيها بالتدريج حتى انعدم الوباء، وهو حار يابس في آخر الثالثة معطش مخفف سم لأقسام الحيتان، ودخانه مصلح لفساد الهواء، وسق للرطوبات الدماغية، ومحركها لوجع الأسنان الرطوبي ورماده لجراحات الدواب، ومع دهن الورد للجرب المتفرح، وهو يضر القلب والدماغ ويغلظ الدم، ويورث السدود والخفقان، ويكدر حواس المحرورين والسوداوين -انتهى-.

وقال صاحب "التحفة" أيضًا عند ذكر قُلُومُس: إنه لغة يونانية بمعنى أذان الدب، وهو خمسة أصناف، ومَاهِيزَهرَج نوع منه، ثم عرف الأصناف الخمسة إلى أن وصل إلى الخامس منه، فقال: إن ماءه يقتل الحيتان، وجميع أقسامه حارة يابسة، وعروقه في الأفعال قائم مقام مَاهِيزَهرَج، وهو يضر الكلى.

وذكر في مَاهِيزَهرَج: أنه فارسي يسمّى بالعربية سم السمك، وهو قسم من قُلُومُس حار يابس في الثالثة، وإذا دق وطرح في الماء يخدر الحيتان، ويفترها حتى تطغو ميتًا، وهو يضر الأمعاء -انتهى ملخّصًا-.

وقال اللقاني: لا أعلم أحدا تكلم على خصوص هذا الدخان من الطباء والحكماء الذين يعتمد على قولهم إلا أن ما أخبرني به الثقات والمعتبرون أنه يحدث شرب هذا الدخان في ابتداءه بعضًا من المنافع في البدن حتى يداوم عليه، فحينئذٍ يحدث الغشاوة في البصر، والثقل في الأعضاء والإمساك في الهاضمة، وعلى هذا لا ريب لأحد من العقلاء في تحريمه مطلقًا -انتهى-.

قال الفاضل حسين بن الشيخ مراد الأنصاري السندي النقشبندي في رسالة له في هذه المسألة، سمّاها بـ"التبيان في الزجر عن شرب الدخان" -فرغ منها في سلخ رجب سنة تسعين بعد الألف والمائة، وشرع فيها في الحادي والعشرين من الشهر المذكور من السنة المذكورة وكان كل ذلك في بندر جدة-[1]: عدم علم الشيخ اللقاني لأحد تكلم

---

(١) هو موضع على مرحلتين من مكة -بضم الجيم- والعامة تقول: بكسرها، وفي القاموس: الجداد -بالضم- ساحل البحر بمكة كالجدة وجدة موضع منه، كذا في "سلوة الغريب" لعلي بن أحمد بن

على خصوص هذا الدخان من عدم وصول "التحفة" إليه؛ لأن تأليف "التحفة" في سنة ألف وثمانين من الهجرة وتأليف عمدة اللقاني، بل إفراغها في تاسع عشرة بعد الألف منها، فالغدر بين على المتأمل مع أنه كم ترك الأول للآخر -انتهى-.

وفي "مخزن الأدوية" للطبيب محمد حسين[1] ما معربه: أن تنباكو -بفتح التاء وسكون النون وفتح الباء وألف وضم الكاف وسكون الواو- يقال له بالتركية: النتن، وهو من الأدوية الجديدة، وجد من نحو ثلاث مائة سنة، وشاع من نحو مائتي سنة، قالوا في باعث شهرته في بلاد الإيران والتوران والهند: إن طائفة من النصارى أخرجته من الأرض الجديدة، وأتى بورقه، وبذره في بلد الهند وغيره، فشاع بحيث لم يبقَ بلد وقرية لا يستعملانه فيها بشرب دخانه، أو أكل جرمه أو السعوط به، وقيل: إن بدو شيوعه في إيران كان في عهد الشاه عباس الثاني، وفي الهند في آخر عهد السلطان أكبر وأوائل عهد جهانگير.

وذكر الحكيم محمد مؤمن في "تحفة المؤمنين": أن الظاهر أنه قسم من مَاهِيزَهرج جبلي الذي يسمّى بـ "قُلُومُس"؛ لأنه مشابه في الماهية بالقسم الثالث من قُلُومُس، والسمي مشابه لَماهِيزَهرَج، فإنه عرفوا القسم الثالث أن ورقه كورق الكرنب، وأطول منه مع رطوبة قليلة متشبتة وبذره أحمر مائل إلى السواد، والمؤيد الثاني أن الحكيم بقراط قرر في زمانه لرفع الوباء نباتا يحرق في خندق بأطراف البلدة ليكون دخانه باعثًا لعدم وصول الوباء إلى البلدة، وكان ذلك النبات قسمًا من أقسام القُلُومُس، وهذا الأثر موجود في تنباكو -انتهى معربًا ملخصًا-.

وفي "مخزن الأدوية" أيضًا بعد ذكر أقسامه وأنواع الانتفاع به: أنه حار يابس معطش مجفف مضر للقلب والدماغ، مورث للسدود والخفقان، وتكدر الحواس مغلظ للدم، ودخانه مصلح فساد الهواء الوبائي منقّ للرطوبات الدماغية -انتهى-.

معصوم الشيرازي ثم المكي. (منه)

(١) هو الطبيب الحاذق السيد محمد حسين بن السيد محمد هادي العلوي الخراساني ثم الشيرازي فاضل كامل من رجال القرن الثاني عشر، له تصانيف في الطب ألّف بعضها في السنة الحادية والثمانين بعد ألف ومائة. (منه)

وفيه أيضًا في "حرف القاف" : قُلُومُس -بضم القاف واللام وسكون الواو وضم الميم في آخره سين مهملة- لفظ يوناني بمعنى أذان الدب، نبات منقسم على خمسة أقسام: منها: مَاهِيزَهرَج -بفتح الميم والألف وكسر الهاء وفتح الراء المهملة بعد الزاء المعجمة- معرب ماهي زهره فارسي بمعنى سَمّ السّمك لكونه قاتلا له -انتهى معربًا ملتقطًا- وإن شئت التفصيل في تحقيق أحوال قُلُومُس ومَاهِيزَهرَج والنتن فارجع إليه، فإنها لكشف أحوال الأدوية مخزن حسن.

الباب الأول
فى ذكر روايات الفقهاء فى شرب الدخان منعًا وحرمة وكراهة وإباحة

قال الشرنبلالى[١] فى "شرح منظومة ابن وهبان" فى فصل الكراهة والاستحسان: مسألة مهمة أحببت ذكرها لمناسبة الحشيش؛ فإنه سألنى بعض العظماء عن شرب الدخان الذى حدث فى هذا الزمان، فقلت: أن الذى يستعمل شرعًا، ويصل إلى الجوف إما غذاء أو دواء الغذائية فيه منتفية، والدواء إن ظن به، فلا يدام عليه لانعكاسه للضد، وهو لا يجوز.

وإن لم يكن غذاءً ولا دواءً، فهو نوع من العبث، وأنه لا يجوز، وهذا مع قطع النظر عن الأمور الخارجية، كإتلاف المال بشراءه بما لا يرضاه أهل الصلاح والرشد وغيره، كأذيته بنتن فمه كل من قابله، وقد منع آكل الثوم والبصل من حضور المساجد بنص الحديث، وإحراق من يمر على غفلة بنار شاربه كشيطان بيده شعلة نار، خصوصا عند الغروب والفجر، وجمعهم متقابلون بهذه النصيحة، وقلت:

ويمنع من بيع الدخان وشربه وشاربه فى الصوم لا شك يفطر
ويلزمه التكفير لو ظن نافعا كذا رافعا شهوات بطن فقرروا

وقد يشتمله قوله عزوجل: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ انتهى

وقال صاحب "تحفة الإخوان" بعد نقله محصله: إنه لم يجز شرب الدخان، كما لا يخفى، وقد سبق عن الإمداد وغيره أن شرب هذا الدخان بدعة حدثت فى هذا الزمان -انتهى-.

---

(١) هو حسن بن عمار بن على أبوالإخلاص المصرى الحنفى مؤلف "نور الإيضاح"، وشرحه "مراقى الفلاح"، وستين رسائل فى متفرقات المسائل، كان من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره، ومن سار ذكره فانتشر أمره، أخذ عن عبد الله النحريرى، محمد المجنى وعلى بن خاتم المقدسى، ودرّس بالجامع الأزهر، ومات يوم الجمعة حادى عشر رمضان سنة ١٠٢٥، وعمره خمس وسبعون سنة، والشرنبلالى -بضم الشين مع الراء وسكون النون وضم الباء ثم لام ألف بعدها لام- نسبة إلى شرابلولة طويلة علو غير قياس بلدة بسواد مصر، كذا فى "خلاصة الأثر". (منه)

وقال ابن العماد[1] فى هديته : يكره الاقتداء فى الصلاة بمن هو معروف بأكل الربا، أو شىء من المحرمات، أو بإصرار على شىء من البدع المكروهة، كالدخان المبتدع فى هذا الزمن -انتهى-.

وفى "عمدة المريد" للقانى : سئل عبد الرحمن المسيرى الذى كان رئيس الحنفية فى زمانه من حكم هذا الدخان، فشاهدت بأنه منع عن شربه، وسئل الشيخ[2] سالم السنهورى المالكى عن شرب الدخان، فأفتى بحرمته، ولم يزد عليه شيئًا، ثم سئل عنه الشيخ خالد السويدى المالكى، فحكم بمنعه مطلقًا أيضًا.

سئل عن الشرب العلامة الفاضل القاضى محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، فقال : إنه لمن غش الشيطان وتزيينه للناس الذين يلعب بهم، وتلبيسه عليهم؛ لأنهم يظنون فيه الدواء للأمراض مع أنه يتولد فى أجوافهم وبطونهم من تكاثف الدخان ودرن وعكر، ويورث الأمراض فى آخر الأمر بدليل قول جالينوس الحكيم، حيث قال : اجتنبوا من الثلاثة : الغبار والرائحة الكريهة المنتنة والدخان، وأن تكرار الدخان يسود

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن عماد الدين الحنفى الدمشقى مؤلف الهدية فى العبادات ومنسك الحج المسمّى بـ"المستطاع من الزاد" لأفقر العباد وابن العماد، ورسائل كثيرة، كان أحد أفراد الدهر وأعيان العلم، مات والده، وعمره سبع سنين.
وأخذ عن الحسن البورينى ومحمد بن محب الدين وغيرهما، وبرع فى كل العلوم، وحج سنة ١٠١٤، فأخذ بالمدينة عن السيد صبغة الله البروجى، ولما رجع إلى دمشق، ولى تدريس المدرسة الثلبية سنة ١٠١٧، ثم المدرسة السليمية سنة ١٠٢٣، أثر ولى الإفتاء بالشام سنة١٠٣١، وتوجه إلى الحج سنة ١٠٣٣، واشتهر ذكره كبر صيته، وله نظم رائق، تُوفى بدمشق فى الجمادى الأولى سنة ١٠٥١، وولادته كانت سنة ٧٥هـ، كذا فى "خلاصة الأثر". (منه)

(٢) هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين أبو النجار السنهورى المصرى المالكى الإمام الكبير المحدث الحجة الثبت مفتى المالكية ورئيسهم، وهو شيخ البرهان اللقانى، وله مؤلفات : منها حاشية على مختصر خليل، ورسالة فى ليلة النصف من شعبان، توفى الجمادى الأخرى سنة ١٠١٥.
ومن تلامذته : الشيخ خالد بن أحمد بن محمد المالكى الجعفرى المغربى ثم المكى صدر المدرسين فى عصره بالمسجد الحرام، المتوفى سنة ١٠٢٣، كذا فى "خلاصة الأثر".

الشيء المقابل به، فيتولد منه الحرارة، ثم يوجب مرض الباطن -انتهى ملخّصًا-.

وفي "الوسيلة الأحمدية شرح الطريقة المحمدية" للشيخ رجب بن أحمد الحنفي[1] في آخر المبحث الثالث من مباحث الإسراف عند قول المصنف: ومن الإسراف ما صرف إلى المعاصي والمناهي... إلخ، ومن الإسراف الذي صرف إلى المعاصي والمناهي شراء الدخان وشربه الذي ظهر في هذا الزمان من قبل الكفرة العدوة لأهل الإيمان، وابتلي به كافة الأنام من الخواص والعوام، فإنهم يشترون بثمن غالٍ، فيدخل في الإسراف المحرم مع نتن رائحته وأذيته للذين يتبعون النبي عليه السلام.

وقد جاء في الحديث[2]: «كل مؤذٍ في النار»، ولذا قال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه الشجر المنتنة فلا يقربنّ مسجدنا لأن الملائكة تتأذى ممّا تتأذى منه الإنس»، واسم الإشارة الواقعة فيه إشارة إلى جنس ما له رائحة كريهة، وقد ثبت في "صحيح مسلم": «أن النبي ﷺ كان إذا وجد من رجل ريح البصل والثوم أمر به فأخرج إلى البقيع».

ولهذا قال الفقهاء: كل من وجه وفيه رائحة كريهة يتأذى به الإنسان يلزم إخراجه ولو بحر من يده، أو رجله دون لحيته وشعر رأسه، فعلى هذا يلزم إخراج كثير من الأئمة والمؤذنين من المسجد والجامع في هذا الزمان؛ لوجود الرائحة الكريهة فيهم بسبب مداومتهم على استعمال الدخان الكريه الرائحة، بل إنهم إذا استعملوه عند دخول المسجد والجامع يكون الكراهة في حقهم أشد.

---

(١) قال صاحب "كشف الظنون عن أسامي الكتب أو الفنون": عند ذكر شروح الطريقة وشرحها المولى رجب ابن أحمد شرحًا مفيدًا، وهو معتبر عند الأسانيد، سمّاه بـ"الوسيلة الأحمدية والذريعة السرمدية"، وقال: تمّ تبييضه في غرة الربيع الأول سنة ١٠٨٧. (منه)

(٢) هذا الحديث أورده السيوطي جلال الدين عبد الرحمن الشافعي في "الجامع الصغير في الحديث البشير النذير" رامزًا إلى الخطيب وابن عساكر من حديث علي: قال علي العزيزي في شرحه "السراج المنير": أي كل من آذى الناس في الدنيا يعذّبه الله بنار الآخرة -انتهى-.

وذكر السيوطي في "البدور السافرة في أحوال الآخرة": أنه أخرج الطبراني من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعو بأسانيد جياد، قال العزي في تأويله وجهان: أحدهما أن كل من آذى الناس في الدنيا، فهو يعذبه في النار يوم القيامة، الثاني: أن كل من آذى من السباع وغيرها في المعارض لعقوق أهل النار -انتهى-. (منه)

وقال جالينوس : اجتنبوا ثلاثة ، عليكم بأربعة ، ولا حاجة لكم إلى الطب ، اجتنبوا الدخان والغبار والنتن ، وعليكم بالدسم والحلو والطيب والحمام .

وقال ابن سينا : لولا الدخان والقتام -أي الغبار- لعاش ابن آدم ألف عام

وقد كتب بعض المالكية في "الديار الحجازية "جوابًا عن سؤال يتعلق بالدخان : وهو أن استعمال الدخان حرام كأصله ؛ لأن أصله الخشب والنار ؛ لكونه أجزاء من الخشب ممزوجة بأجزاء النار ، فهو من حيث أجزاءه النارية التي فيه يحرم استعماله لقوله تعالى : ﴿إن الّذِينَ يَأكُلُونَ أمْوَالَ اليَتَامى ظُلمًا إنّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا﴾ فدل النص على حرمة النار ، فيحرم الدخان الحاصل منها .

وأيضًا أنه تعالى جعل الدخان مما يعذّب ، حيث قال : ﴿فَارتَقِبْ يَومَ تَأتِي السَّمَاء بدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغشى النّاسَ هذَا عَذَاب ألِيم﴾ والمراد بالدخان في هذه الآية حقيقة الدخان[1] على قول ، وعلى هذا القول يكون النظم الكريم صريحًا في كون الدخان عذابًا أليمًا ، وما به التعذيب يحرم استعماله ، فإن الفقهاء قد اتفقوا على وجوب الفرار من محل العذاب ، كبطن محسر ، فإنه من التحسير على لفظ اسم الفاعل وادٍ أهلك الله فيه أصحاب الفيل ، فإذا وجب الفرار من محل العذاب فوجوبه مما به العذاب أولى وأحرى .

ثم إن المستعملين له ، تراهم يُخرجونه من أنوفهم وحلوقهم ، وفيه تشبه بأهل النار وبالذين يهلكون في آخر الزمان من الأشرار ، كما جاء في الحديث : أن يكون في آخر الزمان دخان يملأ الأرض ، يقيم على الناس أربعين صباحا ، أما المؤمن فيصير منه كهيئة الزكام ، وأما الكافر فيخرج من منخريه وأذنيه وعينيه ، حتى يكون رأس أحدهم كالرأس الحنيذ -أي المشوي- .

---

(١) ذكر في "التفسير الكبير" : أن فيه قولان : الأول : إن النبي ﷺ دعا على قومه بمكة لما كذّبوه ، وقال : اللهم اجعل سنيهم كسني يوسف ، فارتفع المطر واجدبت الأرض ، وأصابت قريش شدة المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب ، فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان ، وهذا قول ابن عباس في بعض الروايات ، ومقاتل ومجاهد وهو قول ابن مسعود ، وكان ينكر أن يكون إلا هذا الذي أصابهم من شدة الجوع ، كالمظلمة في أبصارهم .

والقول الثاني : إنه دخان يظهر في العالم ، وهو إحدى علامات الساعة ، وهو المنقول عن علي والمشهور عن ابن عباس . (منه)

فلا ينبغى للمؤمن أن يتشبه بأهل العذاب، ولا أن يستعمل ما هو من نوع العذاب، وما هو من ملابسات أهل العذاب، وقد ذكر فى "نصاب الاحتساب" وغيره من الرسائل التختم بالحديد والصفر والرصاص حرام على النساء والرجال جميعًا؛ لما جاء فى الحديث أنه من حلية أهل النار -انتهى كلامه-.

وفى موضع آخر من الوسيلة: أما الدخان الذى ظهر فى هذ الزمان من قبل الكفرة العدوة لأهل الإيمان، ابتلى به كافة الأنام من الخواص والعوام، فقد فصّلناه فى المبحث الثالث من الإسراف مما لا مزيد عليه -انتهى-.

وفى "مجالس الأبرار"[1] فى المجلس الثلاثين: الدخان الذى ظهر من قبل الكفرة العدوة لأهل الإيمان، وابتلى به كافة الأنام من الخواص والعوام، هل يفسد الصوم أم لا؟

فالجواب فيه أن قول الفقهاء فى عامة الكتب، وإن كان نصّا على أن مطلق الدخان إذا دخل الحلق، لا يفسد الصوم، لكنهم قالوا فى تعليله؛ لأنه لا يمكن الاحتراز عنه، فإن الصائم لا يجد بد لهن فتح فمه عند التكلم، فيدخل الدخان حلقه.

والقياس أن يفسد صومه، لوصول المفطر إلى جوفه بفعله، وكونه مما لا يتغذّى لا ينفى الفساد، كالتراب والحصاة، وهذا التعليل يقتضى أن يكون ذلك الدخان مفسدًا للصوم؛ لأنه يصل إلى جوفه بفعله، ويدل عليه ما قال قاضى خان فى فتاواه.

وإن صبّ الماء فى أذنه اختلفو فيه، والصحيح هو الفساد؛ لأنه وصل إلى جوفه بفعله، فانظر كيف اعتبر الوصول إلى جوفه بفعله فى فساد صومه، فإنه لو اغتسل فدخل الماء فى أذنه، لا يفسد صومه، فعلم من هذا أن لفعله دخلا فى فساد صومه، بل لو نظر إلى ما ادعاه مستعملوه من أنه دواء يلزم وجوب الكفارة؛ لأن الأصل فى وجوبها وصول لغذاء أو الدواء إلى الجوف من المسلك المعتاد فى نهار رمضان على التعمّد، وهذا المعنى على تقدير صدق دعواهم يكون موجودًا فيه.

ثم إنه فى غير حال الصوم حلّ استعماله أم لا؟ قد كثر فيه الأقاويل، والحق الذى عليه التعويل أن الفعل الاختيارى الصادر عن المكلف إن لم يترتب عليه فائدة دينية أو

---

(١) هو كتاب نفيس على مائة مجلس فى شرح مائة حديث يدل على تبّحر مؤلفه، وهو لأسعد الرومى على ما قيل، وسمّاه فى "كشف الظنون" بـ "أحمد الرومى". (منه رحمه الله تعالى)

دنيوية، فهو دائر بين العبث واللعب واللهو، ولم يفرّق بين هذه الثلاثة فى كتب اللغة، ولا بد من الفرق لعطف بعضها على بعض فى القرآن، وهو على ما ذكره بعض الفحول، وكان حقيقا بالقبول أن العبث الذى ليس فيه لذة ولا فائدة، وأما الذى فيه لذة بلا فائدة فهو لعب، ومثله اللهو، إلا أن فيه زيادة حظ النفس بحيث يشغل به عما يهمه، والكل حرام؛ لأنها لم تذكر فى القرآن إلا على طريق الذم، فلما علم حرمة اللعب واللهو والعبث حرم استعمال ذلك الدخان؛ لدخوله أما فى اللعب أو اللهو أو العبث، بل هو بالعبث أنسب لخلوه عن اللذة التى فى اللهو واللعب.

اللهم إلا أن يستلذه نفوس بعض المسلمين له بتسويل شيطانى، فحينئذٍ يخل فى اللعب أو اللهو، لكن لا يكون فيه شيء من الفائدة أصلا، لا من الفائدة الدينية، وهو ظاهر ولا من الفائدة الدنيوية؛ لأنه لا يصلح شيء من الغذاء أو الدواء أصلا، بل هو مضر لاطباق الأطباء على أن مطلق الدخان مضر.

قال ابن سينا: لو لا الدخان والقتم لعاش ابن آدم ألف عام، وقال جالينوس: اجتنبو ثلاثة، وعليكم بأربعة، ولا حاجة لكم إلى الطب، اجتنبوا الدخان والعناد والنتن، وعليكم بالدسم والحلوى والطيب والحمام.

وذكر فى "القانون": أن جميع أصناف الدخان مجفف بجوهره الأرضى، وفيه نارية يسيرة، قال بعض الفضلاء: فإذا كان مجففًا للرطوبات البدنية، فيؤدى إلى حصول أمراض كثيرة، فلا يجوز استعماله؛ لوجوب صيانة النفس عن الضرر، وقد ذكر فى "نصاب الاحتساب": أن استعمال المضر حرام.

فإن قيل: بعض الأطباء يعالجون بعض الأمراض ببعض أصناف الدخان، ويشاهد نفعه، فكيف يصح المنع عن استعمال جميع أصنافه؟

فالجواب: إنهم يعالجون لخطة يسيرة لا على الدوام، حتى يحصل ما ذكر من التجفيف.

فإن قيل: ما ذكر من التجفيف لا يضر فى البلغمى لكثرة رطوباته، وانتفاعه بتخفيفها، فما وجه المنع؟

فالجوب: أن حد الانتفاع مجهول، فلابد فى معرفة ذلك من طبيب حاذق عارف

بالأمزجة، والقدر الذى ينتفع به، وإلا فالإقدام عليه غير جائز أصلا، لوقوع التردد بين السلامة وعدمها، فإن العدول ممن كانوا استعملوه اختلفوا فيه، فمنهم من يقول بضرره، ومنهم من يقول بعدم ضرره، ومنهم من يشك فيه، لكن الفريق الأغلب الذى جانب الحق إليه أقرب، يقول: إنه فى ابتداءه يحدث قوةً فى الجسم، وحدةً فى البصر، وهضمًا فى الطعام، ونشاطًا فى الأعضاء، فإذا حصلت المداومة يورث غشاوةً فى البصر، وثقلا فى الأعضاء، وإمساكًا فى الهاضمة، وضعفًا فى البدن، وذلك لأنه كما قال الأطباء: مجفف مع نوع حرارة، فيفعل فى ابتداءه ما ذكروه أولا، وفى انتهاءه ما ذكروه ثانيًا.

على أنه لو تحقق نفعه فبعد النفع يمنع من استعماله؛ لأنه حينئذٍ يكون دواء، ولا يجوز استعمال الدواء بعد زوال المرض؛ لأنه إذا لم يوجد مرضا يزيله يأخذ من البدن، فيؤدى إلى الضرر، وما يؤدى إلى الضرر يمنع من استعماله وإن كان فيه نفع، ألا ترى أن الخمر المحرمة بالنص قد أخبر القرآن بنفعها، ولكن جانب النفع إذا قابله جانب الضرر يحمى جانب الضرر، حتى قال الفقهاء: لو كان فى شيء وجوه شتى توجب الحل والجواز، ووجه واحد يوجب الحرمة وعدم الجواز، يرجح جانب الحرمة احتياطًا.

فإن قيل: إن المستعملين له يدعون أنهم يجدون عقب استعمالهم خفة فى البدن، فكيف يصح القول بعدم النفع فيه؟

فالجواب: على ما ذكره بعض المتناولين لتجربة نفعه وضرره أن المستعملين له يحصل لهم حال استعماله ألم شديد، فعند فراغهم منه ينجون من ذلك الألم، ويحصل لهم الراحة، فيظن هؤلاء المساكين أن تلك الراحة حصلت من استعماله، ولا يدرون أنها حصلت من خلاصهم عن استعمالهم له.

ثم إن لنا فى معرفة حرمة الأشياء وإباحتها وجهًا حسنًا يرجع إلى الأصول، وهو أن الحق فى الأشياء قبل البعثة أن لا يكون فيها حكم، وبعد البعثة اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال: الأول: أنها متصفة بالحرمة، إلا ما دل دليل الشرع على إباحته، والثانى: أنها متصفة بالإباحة، إلا ما دل دليل الشرع على حرمته.

والثالث: وهو الصحيح أن يكون فيه تفصيل، وهو أن المضار متصفة بالحرمة بمعنى أن الأصل فيها الحرمة، وإن المنافع متّصفة بالإباحة لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم ما

فِي الأَرْضِ جَمِيْعًا﴾ فإنه ذكره فى معرض الامتنان، ولا يكون الامتنان إلا بالنافع المباح، فكأنه قال: هو الذى خلق لأجل نفعكم جميع ما فى الأرض من المنافع لتنتفعوا بها.

وعلى هذا القول الثالث: الصحيح يخرج حكم هذا الدخان أيضًا، فإنه لو كان نافعًا لكان الأصل فيه الإباحة، لكن قد ثبت بأخبار الحذاق من الأطباء، أنه مضر ولو فى الآجل، فيكون الأصل فيه الحرمة.

بل لو وقع الشك فيه لغلب جانب الحرمة، كما هو القاعدة الشرعية، فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحرم يوشك أن يقع فيه».

واختلف العلماء فى حكم هذه الشبهات، فذهب بعضهم إلى حرمتها؛ لأنه ﷺ قد أخبر فى هذا الحديث بأن من ترك ما اشتبه عليه حكمه، ولم ينكشف أمره يكون دينه سالمًا مما يفسده أو ينقصه، ونفسه ناجيًا مما يعيبه ويلام عليه، ومن لم يتركه بل فعل، يقع فى الحرام، وهذا الدخان مما اشتبه عليه حكمه ولم ينكشف حقيقة أمره، فمن تركه ولم يستعمله يكون دينه سالمًا من الفساد أو النقصان، ناجيًا من العيب، و اللوم بين الأنام، ومن لم يتركه بل استعمله، يقع فى الحرام.

وذهب بعضهم إلى كراهتها؛ لما جاء فى حديث آخر أنه عليه السلام قال: «الأمور ثلاثة أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك عيبه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، ولا شك أن أمر الدخان مما أراب وأوقع فى الاضطرار، وأقل مراتبه الكراهة.

ولا يظن أنه ينتهى إلى درجة الإباحة بتعلل كثير ممن يتعاطاه أنه نافع لكل داء، وأنهم وجدوا فى استعماله دواء لأمراضهم؛ لأن ذلك من تلبيس إبليس عليهم وتزيينه لهم، حتى يتولد من تكاثفه عاقبة أمره داء لا دواء له، فإن تكراره يسود ما يقابله، فيتولد منه الحرارة، فيكون فى عاقبة أمره داء لا دواء.

ثم يلزم على دعوتهم أن يكون الناس كلهم مرضى، وأن يكون مرضهم فى جميع الفصول الأربعة من نوع واحد، وأن يكون معالجتهم فيها بشىء واحد على كيفية واحدة،

وبطلانه غير خفي على أحد من العقلاء .

ثم فيه إضاعة المال ؛ لأنه يشترى بثمن غالٍ ، فيدخل فى الإسراف المحرم مع نتن ريحه ، وأذية الذين لا يستعملونه ، وقد روى أنه عليه السلام قال : «كل مؤذٍ فى النار» .

وقال الكناسى : الرائحة المنتنة تحرق الخياشيم ، وتصل إلى الدماغ ، وتؤذى الإنسان ، ولذلك قال النبى ﷺ : «من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مسجدنا يؤذينا بريحه» ، والمراد من هذه الشجرة كل ما له رائحة كريهة يتأذى منها الإنسان بدليل تعليله .

والمعنى أن من أكل شيئًا مما له رائحة كريهة يتأذى بها الإنسان ، فلا يقربن مسجدنا ؛ لأنه يؤذينا برائحته الكريهة .

وقد ثبت فى " صحيح مسلم " : " أنه عليه السلام كان إذا وجد من رجل ريح البصل أو الثوم أمر به فأخرج إلى البقيع " .

ولهذا قال الفقهاء : كل من وجد فيه رائحة كريهة ، يلزم إخراجه من المسجد ، ولو بجره من يده ورجله دون رأسه ولحيته ، فعلى هذا يلزم إخراج كثير من الأئمة والمؤذنين من المسجد فى هذا الزمان لوجود رائحة كريهة فيهم بسبب مداومتهم على استعمال الدخان الكريهة الرائحة ، بل هم قد يستعملونه فى داخل المسجد الجامع ، فيكون الكراهة فى حقهم أشد وأكثر .

وقد كتب بعض المالكية فى " الديار الحجازية " جوابًا عن سؤال يتعلق بالدخان : أن استعمال الدخان حرام كأصله ؛ لأن أصله الخشبة والنار لكونه أجزاء من الخشب ممزوجة بأجزاء النار ، فهو من حيث أجزاءه النارية التى فيه يحرم استعماله لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ ، فدل النص على حرمة النار ، فيحرم الدخان الحاصل منها .

وأيضًا أنه تعالى جعله مما يعذب به ، حيث قال فى حق قوم يونس : ﴿لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا﴾ ، فالعذاب المكشوف عنهم كان دخانًا .

وقال فى آية أخرى : ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس﴾ ، والمراد بالدخان معناه الحقيقى على قول ، وعلى هذا القول يكون النظم الكريم صريحًا فى كون الدخان عذابًا أليمًا ، وما به التعذيب يحرم استعماله ، فإن الفقهاء قد اتفقوا على

وجوب الفرار من محل العذاب كبطن محسّر، فإنه على لفظة اسم الفاعل من التحسير اسم وادٍ أهلك الله فيه أصحاب الفيل، فإذا وجب الفرار من محل العذاب، فوجوب الفرار مما به العذاب أولى.

ثم إن المستعملين له تراهم أنه يخرج من حلوقهم وأنوفهم نار، وفيه تشبه بأهل النار، وبالذين يهلكون فى آخر الزمان من الأشرار، كما جاء فى الحديث: «أنه يكون فى أخر الزمان دخان» الحديث.

فلا ينبغى للمؤمن أن يتشبه بأهل العذاب، ولا أن يستعمل ما هو من نوع العذاب، ولا ما هو من ملابسات أهل العذاب.

وقد كره جمع من العلماء التختم بالحديد والنحاس؛ لما ثبت فى الحديث: «أنهما حلية أهل النار».

وصح على ما ذكره الهلالى فى "مختصر الإحياء": "أنه عليه السلام كان يكره الطعام المسخن، ويقول: إن الله لم يطعمنا نارًا»، فهذا الدخان أولى بالكراهة؛ لأنه مختلط بأجزاء نارية، كما مر، فلو لم يكن فى استعماله إلا تسويد الثياب والأبدان وكراهة الرائحة، لكفى زاجرًا للعاقل عن استعماله، بل لو لم يكن فى استعماله إلا إحياء سنة الكفار الذين أخرجوه وأظهروه فى بلاد الإسلام توصلا إلى إضرار أهل الإسلام، لكان باعثًا للعاقل على اجتنابه، ومانعًا عن ارتكابه -انتهى كلامه-.

وذكر الشيخ إسحاق الهندى فى رسالته "النصيحة"، والشيخ حسين السندى فى "التبيان" فتاوى جماعة من العلماء حكموا بالحرمة أو الكراهة فى جوابهم، حين سئل عنهم، نقلا عبارات الأسئلة والأجوبة بحروفها، ونحن نذكر عبارات أجوبتهم لتباين مسالكهم ومستندهم، وأما عبارات الأسئلة فهى متقاربة ليس فى نقلها كثير فائدة.

فمنها جواب عبد الباقى الحنفى: الحمد لله الهادى للحق الحق حرمتها، وتحقيقها مأخوذ من الكتاب الشريف والحديث النبوى، والقواعد الشرعية والنصوص المحررة المرعية، إذ ترتبت عليها أمور مفسدة كالاشتغال عن الطاعات والدعوة إلى الفساد بالتمييل إلى الفسق، ونفى المروءة ووقوع الحريق العام فى المحلات، وغلو الأسعار، والنتن المستقذر، فيتحقق الخبث فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿ويحرم الخبائث﴾، وقال

تعالى: ﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾، فإذا صح دعوى الخبث فيها، فلا مجال لإنكار فاحشيتها وإثميتها، وقد شهدت الثقات فى المؤلفات على أنها بدعة محدثة شنيعة قبيحة منكرة.

وقد قال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور» الحديث المشهور، ولا تصور لإنكار منكريتها، والمنكر حرام.

ولا قدرة لدعوى نفعها أيضًا لنص الحكماء الراسخين على شدة الضرر فيها، بل لا يصح دعوى عدم ضررها لإطباق الأطباء على أن أصناف الدخان مجففة.

وفرع العلماء على ذلك أنها تكون مؤذية لحصول أمراض كثيرة، وبعد تمام التجفيف يحترق القلب والدماغ.

وإن قطع النظر عن ضررها، فعدم نفعها محقق، وهو عبث صرف، وتضييع المال لشربها صرف، وهو حرام قطعي.

وضررها تدريجي غالبًا، ولهذا لا يظهر لشاربيها فلا يدركونها ويزين قبحها لهم إبليس، ويلبس عليهم بأنها المؤثرة لما قد يحصل من غيرها من دفع البلغم والباسور، بل ضررها متوفر يتوهمون نفعها من جهته، وضررها من جهات، وتضر بالدين لترتب المفاسد عليها، كما تقدم، وبالفعل لزيادة التجفيف واستعمال المضر حرام.

ومن لم يتب فقد ظلم نفسه، فيجب تعزير مباشريها وبائعيها، وبائعى آلاتها، ورد شهادتهم وعزلهم عن المناصب، ورفعها عن أسواق المسلمين على ولى الله الآمر أيده الله.

وهو الذى شهد لها العلماء المعتبرون والفقهاء المعتمدون السالمون عن الميل إلى الهوى والبدعة، ولا التفات إلى مخالفة من خالف من المقارفين لها المنهمكين فيها، وما ذلك إلا بوسوسة الشيطان، وهو الهوى وشهوة النفس.

وقد ردت شبهتهم العاطلة، ودعاويهم الكاذبة الباطلة فى جزء سميته بـ "المدافع البرهانية فى مدافع المناكير الدخانية" يسر الله تحصيله، فعليك بالحق، فما ذا بعد الحق إلا الضلال –والله الموفق وهو أعلم–. (كتبه الفقير إلى لطف ربه الخفى محمد عبد الباقى بن سنبل تابع مصلى محمد بن محمد الرومى المكى الحنفى)

جواب آخر : الذى يقتضى قواعد أئمتنا فى باب الأطعمة حرمتها إذا أدت إلى إسكار وإضرار بالعقل، أو بالبدن؛ لأن استعمال المسكر محرم لإسكاره واستعمال المضر بالعقل، أو بالبدن محرم لإضراره.

ثم ما ينبغى لتنبيه عليه ما يكاد أن يغفل عنه، وهو أنه لا فرق فى حرمة المضر، سواء كان مما نحن فيه أو من غيره بين ضرره دفعيًا أو تدريجيًا، فليتنبه له، فإن التدريجى هو الأكثر وقوعًا، ولذا عم الابتلاء باستعمال المضر للعقل أو البدن.

وبالجملة فاللائق بذى المروءة والدين اجتنابه، حيث لا ضرورة تدعو إليه اقتداء بقول نبيه ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وما أظن عاقلا يرتاب فى ما ذكر -والله أعلم-. (كتبه المفتقر إلى ربه الغنى عمر بن عبد الرحيم الحسينى الشافعى[1])

جواب آخر : هو محرم الاستعمال شرعًا قطعًا لخبثه، وإضراره العقول السليمة والأبدان، وإسراف شاربيه، وقواطع الكتاب والسنة والقواعد الفقهية واضحة الدلالة على حرمة تعاطيه، كما لا يخفى على كل من أنصف، وقد ذكرت ذلك فى رسالة مستقلة، فنسأل الله السلامة.

ويجب على كل من بسطت يده فى الأرض المنع من استعماله، والزجر عنه بيده ليرتدع بذلك أهل المعاصى والشرور.

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، وكثيرًا ما كان يستشهد إمامنا مالك بن أنس بهذه الآية الشريفة ﴿فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلا الضَّلالُ﴾. (كتبه خويدم نعال بنى الوفاء السادات محمد بن محمد فتح الله بن على المغربى الأصل السكندرى المولد المالكى المذهب المدنى الدار)

جواب آخر : قواعد الشرع الشريف على المذاهب الأربعة مقتضية لتحريم استعمال الدخان المشهور أن أضر بدين أو عقل، كما ورد فى الدخان وضرره، وذكره فى الطب النبوى.

---

(١) هو عمر بن عبد الرحيم البصرى الحسينى الشافعى نزيل مكة، أخذ عن عبد الله السندى، وعلى العصامى، وعلى بن جار الله، والسيد مير بادشاه، وفاق فى الفنون. وألف شرح "ألفية السيوطى" وغيره، وكانت وفاته بمكة فى الربيع الثانى ١٠٣٧، كذا فى "خلاصة الأثر".

وقد أجمع الأطباء الراسخون والحكماء المتقدمون على ذلك، وعلى أنه مجفف، فتحقق الضرر بالعقل، ثم بالبدن فيحرم، ويترتب عليه أمور خارجة مفسدة، وذلك مقتضى التحريم.

وقد صرح الشيخ ذو الاختصاص العلامة محمد بن الصديق الزبيدى الحنفى فى إفتاءه: بأنه لا شك أنه بدعة محدثة شنيعة مستقبحة منكرة لا أصل له، وهو أيضًا عبث، فإضاعة المال له إسراف، وذلك حرام، فلا يجوز الإطلاق بإباحته مطلقًا.

وزعم من زعم نفعه مبنى على الوهم المحض بتزيين إبليس خذله الله لهم، وتلبيسه عليهم بأنها هى المؤثرة -والله أعلم- . (نمقه المحتاج إلى عفو ربه الجلى محمد الرومى الحنفى خويدم العلم الشريف فى الحرم المكى الحنفى)

جواب آخر: القول بحله غير مقبول لإجماع العلماء على منكريته، وتوفر ضرره، وترتب مفاسد مقتضية للتحريم عليه وشهادة مفاهيم الكتاب الشريف، وتصريح الحديث النبوى المنيف.

وقد جزم العلامة سيد المحققين صبغة الله الحنفى[1]، والمفتون الأعظمون بالدولة العثمانية محمد بن سعد الدين وأخوه أسعد الحنفيان[2] والشيخ خالد المالكى[3]، والمفتى

---

(١) هو السيد صبغة الله بن روح الله بن جمال الله البروجى نزيل المدينة، كان أحد أفراد الزمان فى المعارف الإلهية، له الحاشية على "تفسير البيضاوى" و "كتاب باب الوحدة" و "إراءة الدقائق شرح مرآة الحقائق" وغير ذلك.

ولد بمدينة بروج من بلاد الهند، وأصله من إصفهان، انتقل جده منها إلى بروج، وأخذ صبغة الله عن العارف بالله وجيه الدين العلوى الهندى، وأكمل عنده الطريق، ثم حج سنة ١٠٠٥، وأقام بالمدينة يدرس الطلبة، ويربى المريدين إلى أن مات بها سنة ١٠١٥، كذا فى "خلاصة الأثر".

(٢) هو أسعد بن سعد الدين بن حسن جان التبريزى الأصل، القسطنطينى المولد، مفتى التخت العثمانى، اتفق أهل عصره أنه لم يكن له نظير فضلا وديانةً، ولى المناصب العظمى من التدريس والقضاء وغير ذلك، وولى الإفتاء بعد أخيه محمد سنة ١٠٢٣ إلى أن توفى بقسطنطينية سنة ١٠٣٤، كذا فى "خلاصة الأثر".

(٣) هو خالد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكى الجعفرى المغربى ثم المكى صدر المدرسين فى عصره بالمسجد الحرام، قرأ بالمغرب على شيوخ، ورحل إلى مصر، وأخذ عن الشمس الرملى وسالم السنهورى، ثم جاور بمكة إلى أن مات فى رجب سنة ١٠٤٣، كذا فى "الخلاصة".

بزبيد إبراهيم بن محمد جمعان الشافعي[١]، والفاضل من الشام النجم الغزى الشافعي[٢]، والشيخ إبراهيم اللقاني المالكي المصري، وأستاذه وشيخه الشيخ سالم، والشيخ محمد الحنبلي، والأكثرون من العلماء المعتبرين في البلدان المشتهرين بذلك، وقواعد الشريعة المطهرة قاضية بذلك -والله أعلم- . (كتبه الفقير إلى الله ذي اللطف الخفي محمد عبد الباقي بن سنبل الحنفي)

جواب آخر: الحق الخفي على كثير من الناس حرمتها على القواعد الشرعية؛ إذ فيها الخبث، ولا ينفك أيضًا ترتب المفاسد عليها، وهو يقتضي الحرمة، ولا يبرح صاحبها خادمًا للنار.

وفيه تشبه بالمجوس من الكفار، ولا إنكار أنها من اليهود والنصارى، ففيه تشبه واقتداء بهم وإطاعة لهم في ما يقصدونه من غشهم وإحياء سنتهم.

وقد نطق العلماء المعتبرون والحكماء المعتمدون على شدة ضرر الدخان، ولا التفات إلى أقوال غيرهم بنفعها، فهم يصادقون وقوع نفع بسبب غيرها بقدرة الله، فيزعمونه منها، وضررها متعاقب متوفر متنوع متعددة جهاته، وذلك يقتضي الحرمة، ولا مجال أيضًا للمكابرة في منكريتها، والمنكر حرام.

وإن قطع النظر عن ذلك، فهي بدعة دينية وذرعة شيطانية، وقد ورد النهي عن تعاطي المحدثات، وإذا تقرر ضررها، فبذل المال في شربها إسراف، وهو حرام، فيجب الحجر على فاعلها، وتعزيره مع بائعها وبائعي آلاتها. (كتبه المفتقر إلى رحمة الله أحمد الرومي الحنفي)

جواب آخر: الدخان المشهور لا يخفى على ذي غيبة وحضور أنه من محدثات الأمور، ولم يكن فيها سلف من العصور، وهو من البدع المذكورة بين كل مؤمن وكفور،

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم جمعان -بفتح الجيم وسكون الميم وفتح العين- بن يحيى بن عمر بن محمد بن أحمد بن علي العدناني الزبيدي الشافعي مفتي زبيد، كان على جانب عظيم من نشر العلم والتدريس محدثًا نقادًا، وتوفي سنة ١٠٣٤ بزبيد، وبنو جمعان قبيلة من صريف بن زوال بيت علم وصلاح، كذا في "الخلاصة".

(٢) هو صاحب "الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة" وغيره محمد بن محمد بن محمد أبو المكارم الغزي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ١٠٦١، وترجمته مبسوطة في "الخلاصة".

وقد نهى النبى ﷺ عن محدثات الأمور .

وقد ترتب عليه إسراف وإفساد فى كل غيبة وحضور ، ويكفى فى تحريمه عموم قول سيد المرسلين : «كل بدعة ضلالة» الشائع بين الأولين والآخرين ، وتعاطيه مما يسقط المروءة بين الأنام ، وتضييع المال بغير غرض شرعى حرام -والله أعلم- . (كتبه عامر الشافعى خادم الفقراء بالأزهر[1])

جواب آخر : لا شك فى حرمته بلا ارتياب ، ويجب على كل من بسطت يده فى الأرض الزجر عنه ، والمنع من استعماله ، وهذا الذى أدين الله وأعتقده إلى يوم المآب ، وفى ذلك ما يغنى عن مزيد الإطناب -والله أعلم- . (كتبه الفقير إلى غافر الزلات محمد بن محمد بن فتح الله المالكى)

جواب آخر : الدخان المشهور أن أضر فى عقل ، أو بدن ، فهو حرام ، وإلا فلا ، لكنه بدعة محدثة ، وقد قال الإمام أحمد : أكره كل محدث ، وتعاطيه على الهيئة الشائعة مخل بالمروءة -والله أعلم- . (كتبه منصور البهوتى الحنبلى[2])

جواب آخر : لا شبهة فى أن شرب الدخان أمر مبتدع مستحدث ، ولا يمترى ذو الإنصاف خالٍ عن الاعتساف فى أن شربه قبيح مستقبح .

وقد سمعت من عمى العارف بالله الشيخ أحمد بن علان الصديقى النقشبندى أن شرب الدخان المشهور تخشى الخاتمة على شاربه ، وذلك لأن الظاهر عنوان الباطن ، والدخان يسود ما يواليه كما هو مشاهد فى مواقد النيران ، وسواد الظاهر يخشى منه أن يؤدى إلى سواد الباطن المرتب عليه سوء الخاتمة ، وشرب الدخان بحسب أصله وذاته لا

---

(١) قال صاحب "الخلاصة" فى ترجمة عامر بن شرف الدين المعروف بـ"الشيراوى" الشافعى المصرى : الإمام الهمام الكبير الرحلة ، كان فى عصره من المشار إليهم بالفضل التامّ، وله بين علماء الأزهر الموقع العظيم ، روى الفقه عن الشمس الرملى والنور الزيادى ، وأخذ الحديث عن أبى النجا سالم السنهورى ، وأجازه شيوخه فى كثير من العلوم ، وصار أوحد وقته فى الفتيا ، وتوفى سنة ١٠٦٢ . (انتهى ملخّصًا)

(٢) هو منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن شيخ الحنابلة بمصر وخاتمة علمائهم . كان عالمًا عاملا ورعا متبحرًا ، له شرح الإقناع ، وشرح زاد المستقنع وغير ذلك . توفى فى الربيع الثانى سنة ١٠٥١ .

نفع فيه، فإن عرض ما يقتضيه رتب عليه حكمه.

وقد أفتى بتحريم شربه من أهل الشام النجم الغزى الشافعى، ومن أهل اليمن مفتى زبيد صاحبنا إبراهيم بن جمعان الشافعى وغيرهما من العلماء الأعلام. أما تقبيحه والحث على تركه، فاتفق عليه من عليهم الاعتماد ممن سلم من التعصب -والله أعلم-.

(كتبه الفقير إلى الله محمد على بن محمد علان الصديقى البكرى الشافعى[1] خادمًا تفسير كتاب الله وأحاديث رسوله منفردًا بتلك الخدمة بالحرم الشريف المكى)

جواب آخر: هو منكر لا معروف، بل من أشنع المنكرات العقلية، ولما انضم من المفاسد صار من المنكرات الشرعية أيضًا، ولا حسن فى شربه وقبحه يدرك بالبداهة بأصل الفطرة، ثم يثبت له القبح الشرعى، حيث صار من المنكر، وهو محدث مبتدع، لا معروف ولا مأثور، قاتل الله من أبدعه وأظهره، وضرره بين يشهد به الحس، ونصوص أئمة الطب فى مطلق الدخان، ولا له نفع محقق خلا ما يدعيه مستعملوها من النفع الموهوم.

وكيف يكون الاشتغال به معقولا ومشروعًا مع ما صرحنا به؟ بل هو فوق العبث، ولا يبعد القول بتحريمه إذا ثبت إليه من المفاسد الشرعية، والمضرات البدنية وغيرهما مما ذكرنا طرفًا منه فى الرسالة الموسومة بـ "تحذير الأمة عن ملابسة الغمة"، ولا يليق تعاطيها

---

(١) هو محمد على بن محمد علان بن إبراهيم بن محمد بن علان بن عبد الملك بن على بن مبارك شاه الصديقى المكى الشافعى محيى السنة بالديار الحجازية، ومقرئ "صحيح البخارى" من أوله إلى آخره مع شرب القهوة فى جوف الكعبة، أحد العلماء المفسرين والمحدثين، أخذ عن جماعة، منهم عمه شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علان إمام أهل التصوف فى زمانه، صاحب التصانيف فيه، المتوفى سنة ١٠٢٣ فى رمضان بمكة، ومنهم عبد الملك العصاصى ومحمد بن محمد بن جار الله بن فهد الهاشمى، وعمر بن عبد الرحيم البصرى الحسينى وغيرهم.

وأجاز له جماعة، وكان إمامًا ثقة من أفراد أهل زمانه معرفةً وحفظا، وصاحب كرامات، له تصانيف تزيد على الستين: منها: "فتح الكريم القادر بما يتعلق بعاشوراء من المآثر" و"تحفة ذوى الإدراك فى المنع من التنباك" و"إعلام الإخوان بتحريم الدخان" و"حسن النبأ فى فضل قبا" وغير ذلك، وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ١٠٥٧، وولادته فى صفر سنة ٩٩٦، كذا فى "الخلاصة".

لآحاد الناس ممن له طرف من عقل، فضلا عن ذوى الهيئات والمروءات، وإخلالها بالمروءة مما لا يتوقف فيه عاقل. (قاله وكتبه عبده الجانى الراجى إلى عفوه ولطفه محمد عبد العظيم المكى الحنفى[1])

جواب آخر: له لا يتوقف من مارس كتب الشرعية وقواعدها، ووقف على تنصيصهم فى بعض الأشياء مما لا تكاد تجد فى بعض إلا علة أو علتين أن هذه الخبيثة حكمها الحرمة لوجود مقتضيات التحريم فيها أضعافًا مضاعفةً باعتبار ما حكموا فيه من الحرمة من علم أو علتين، ولا يخفى أن الشىء قد يتصف بالحرمة باعتبار اقتران أمر خارجى به، وإن كان منصوصًا على إباحته فى الشريعة، وهذه الخبيثة وجوه التحريم فيها متوافرة. (قال ذلك المفتقر إلى رب ذى اللطف الخفى عبد العظيم محمد المكى الحنفى)

جواب آخر: استعمال الدخان حرام كأصله؛ لأن الخشب والنار، وكل منهما يحرم استعماله، وذلك لأن الدخان أجزاء من خشب ممزوجة بأجزاء من النار، فهو من حيث الأجزاء التى فيه يحرم استعماله؛ لقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا﴾، فدل النص على تحريم النار، ومن حيث مجموعه يحرم الدخان؛ لأن الله جعله مما يعذب به، وما به التعذيب يحرم استعماله لأذاه، قال الله تعالى: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا﴾، وكان المكشوف دخانًا، وقال الله: ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ على أحد التأويلين.

ولأن الفقهاء أجمعوا على الفرار من محل العذاب كبطن محسّر، وإذا فر من محل العذاب، فلأن يفر مما به العذاب أولى، ولأنه قد شوهد فى القضية التى هى آلة لاستعمال هذا الدخان الانسداد بشىء كالعلك يحدث من الدخان، وكما سد هذا المتولد من الدخان ثقبة القصبة، فكذلك يسد المجارى العروق التى هى مضاريب البدن، فيتعطل ما تحتها من وصول الغذاء إليه، وقد شوهد موت الفجأة لمتعاطيها، ولأنه يحرق

---

(١) هو مفتى أئمة الحنفية بالحرم المكى، له مآثر وتصانيف: منها: رسالة فى التقليد، ذكر صاحب إيقاظ النيام فى الائتمام بمقلد كل إمام، على ما أحفظ أنه توفى سنة ١٠٥٠ أو سنة ١٠٥٦ - الشك منى -.

الرطوبات التي في البدن، وذلك مقتضى الضرر، لا يقال: هذه العلة تنهض في غير البلغمي لكثرة رطوباته وانتفاعه بتجفيفها.

لأنا نقول: إن حد الانتفاع بها مجهول، فقد يزيد المستعمل على القدر المنتفع به ولا يشعر. لا يقال: هذا شك في المانع، والأصل إطراحه؛ لأنا نقول: هذا في المانع الذي لا يتحقق الضرر مع بقاءه ووجود، أما المانع الذي لو ترك لأضر، كما في مسألتنا، فإن الشك معتبر فيه في المنع -والله أعلم-. (قاله الفقير إلى الله خالد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكي الجعفري)

جواب آخر: الذي يتعين في هذا الشرب أنه خطأ غير صواب، والدلالة مأخوذة من قوله عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» الحديث. وقد ارتاب العلماء فيه، واجتنبوه ولم يرَ أحد منهم شربه.

ثم أكد هذا الحديث الحديث الآخر استفت قلبك، وإن أفتاك المفتون، فوجدنا بحمد الله قلوبنا منشرحة لتجنبه وبغضه، ومن أنكر هذا فلا نناظره، فإنه مكابر، ثم غير خفي على أرباب العقول أن هذا الشرب مجرد لهو ولعب، ومجرد عبث لا يسمن ولا يغني من جوع بشهادة الحس والعقل.

وهذا لأنا لو صوبنا هذا الفعل لصوبنا أيضًا لكل إنسان أن يفتح فاه على التنور، ويشرب ما طلع من دخانه؛ إذ لا فرق بين آلة وغير آلة، وهذا قبيح لا يرتضيه أحد، وإنما هو عبث، والله يقول: ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثًا﴾.

وقد صرح علماءنا بتحريم أكل الطين[1]؛ استدلالا بقوله ﷺ: «أكل الطين حرام

---

(١) علّله كثير من الفقهاء بكونه مضرًا، وقد ورد فيه عدة أحاديث، لكنها لا تخلو عن خدشة في سندها: منها حديث: «إن الله خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على ذريته»، أخرجه ابن عدى من حديث علي وجابر، وفيه جعفر بن عبد الله هو وضعه، ومنها: «من أكل من الطين فقد أكل لحم الخنزير»، ومنها: «من أكل من الطين واغتسل به فقد أكل من لحم أبيه آدم واغتسل بدمه». رواهما ابن عدى من حديث أنس من طريق علي بن عاصم، وعنه عبد القدوس بن عبد القاهر، واتهم ابن عدى بهما ابن عاصم، وبرأه الذهبي، واتهم بهما عبد القدوس.

ومنها حديث: «أقسم ربكم ليعذبن آكل الطين كعذاب شارب الخمر»، ومنها: «إن الله ليعذب العبد على أكل الطين لما غير من جسمه»، رواهما محمد بن عكاشة، وهو وضاع، الأول من

على كل مسلم»، ذكره السيوطى، وعلل ذلك بعض علماءنا بأن ذلك ليس من عمل العقلاء مع كونه أهون حالا من الدخان، وأقل مضاراً منه، فإن استدلالنا على كراهته ما نحن فيه بطريق الدلالة، فالجواب واضح، والدليل لائح، والجامع هو الضرر.

وقد اتفق علماء الأصول على أن الاستدلال بطريق الدلالة من الدليل متفق على قبوله، وإن العام المتفق على قبوله أولى من الخاص المختلف فى قبوله، ومن لم تكفِه الدلائل المختصرة لن تنفعه القناطير المقنطرة. (قاله العبد المفتقر إلى الله الغنى محمد بن صديق الخاص الحنفى الزبيدى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه)

جواب آخر: هو منكر كما وقع عليه الإطباق، ومن أنكر ذلك فقد أنكر شمس السبع الطباق، وكذلك أجمع على قبحه عامة العلماء، وبكراهته الكراهة التحريمية مع ترتب المفاسد عليه، والأولى بالاتفاق تركه مطلقًا، وشربه فى الليالى والأيام فعل

حديث ابن عباس، والثانى من حديث البراء، ومنها: «ألا من أكل الطين حاسبه الله على قدر ما نقص من لونه وقوته إلا من أكل الطين حشا الله بطنه يوم القيامة ناراً على قدر ما أكل من الطين»، أخرجه ابن الجوزى من حديث ابن عباس، وفيه صالح بن محمد الترمذى؛ وفيه أيضا عاصم بن زمزم البلخى، ومقاتل بن الفضل مجهولان.

ومنها: «من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه»، أخرجه الطبرانى فى "الكبير" من حديث سلمان من طريق يحيى بن يزيد الأهوازى، وهو كالمجهول، وابن عدى من حديث أبى هريرة، وفيه عبد الملك بن مهران مجهول، وتعقب بأن ابن حبان ذكرهما فى "الثقات"، وقال الذهبى فى "تلخيص الموضوعات": فى يحيى لم أرَ من ضعفه، وأخرجه البيهقى أيضًا فى "سننه".

ومنها: «أكل الطين حرام على كل مسلم فمن مات وفى قلبه مثقال ذرة من طين كبه الله على وجهه فى النار»، أخرجه ابن عدى من حديث أنس من طريق خالد بن غسان عن أبيه، وتابعه أبو عقيل حبيب بن عبد الله بن صالح الليثى عن غسان، وجاء من حديث ابن عمر أخرجه الديلمى من طريق أبى الشيخ.

ومنها حديث عائشة قال لها رسول الله: يا حميراء!: «لا تأكلى الطين فإنه يعظم البطن ويصفر اللون ويذهب ببهاء الوجه»، أخرجه ابن الجوزى من طريق يحيى بن عاصم وضعفه، وتابعه عمرو بن موهب العتكى، وأشعث السمان، أخرجهما أبو بكر الطريبيشنى فى جزء الطين، وأخرجه ابن عساكر من طريق آخر، وقال: حديث منكر، وقال البيهقى: أحاديث تحريم الطين لا يصح منها شىء، كذا فى "تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة" لابن عراق.

البهائم، ويخرم المروءة، ويسقط العدالة، وهو يقتضى الحرمة على كل حال، وشربه مفطر للصائم على جميع المذاهب والأقوال -والله أعلم- . (كتبه الفقير إلى الله ذى اللطف الخفى محمد عبد الباقى المكى الحنفى)

جواب آخر : شرب الدخان المذكور من الأمر المبتدع مذموم منكر، كما يشهد بذلك مؤلفات الأئمة الموثوق بهم فى مذمتها، وذم شربها حتى ترقى كثير منهم عن التقبيح والتذميم إلى التحريم والتأثيم.

وممن جزم بذلك صاحبنا مفتى زبيد العالم العلامة الشيخ إبراهيم بن جمعان الشافعى، وجمع من الشافعية بمصر، وآخرون من أرباب المذاهب الباقية، فهو منكر مستقبح، والترك والأعراض عنه حسن مستملح، وشربه مفطر للصائم -والله أعلم. (كتبه الفقير إلى الله محمد على بن علان البكرى الصديقى الشافعى)

جواب آخر : لا يخفى أن المسؤول من البدع المنكرة، فنقول: أما التنباك فهو كما ذكره السائل يستعمل أكلا وشمًا أى استعاطًا وشربًا لدخانه، وهى متفاوتة فى كراهة الريح، وإيذاء المؤمن وأعمها ضررًا، وأشدها لهوًا، وأكثرها ريبةً، شرب دخانه لكثرة إيذاءه من نتن رائحته وتغييره فم شاربه، ومحاسن لحيته ووجهه ويمينه إلى غير ذلك من الأمور المستقذرة طبعًا، المكروهة عقلا، المردودة شرعًا.

وهذا الاستعمال من الأمور المبتدعة حدثت فى هذه القرون المتأخرة، لا من الأمور المعتادة، فإنه من حيل الشيطان قطعًا فى الصد عن ذكر الله، وعن الصلاة والمساجد ومجالس الذكر والعلم.

وقد تكلم العلماء المتأخرون فى ذلك؛ لأنه لم يكن فى القرون السابقة، فمن مفرط فى ذمه حتى جزم بالحرمة، ومن مفرط فى مدحه، حتى جعله من الطيب وكل حزب بما لديهم فرحون.

وقد روينا عن النبى ﷺ حديثًا مسلسلا بالحنفية من طريق أبى حنيفة أنه قال: «حُبّكَ الشيءَ يُعمى ويصُم»، ومنهم من توسط، وقال: إنه مكروه تحريمًا، وهذا عندى أحسن الأقوال وأعدلها إذ لا قاطع لتحريمه.

نعم إذا انهمك فيه صاحبه، حتى صده عن ذكر الله، أو عن الصلاة، أو الصيام،

فإنه يكون حينئذٍ حرامًا ؛ لأن تعمد ما يوصل إلى ترك فريضة من فرائض الله حرام قطعًا، كما يشاهد فى الأسواق وللوسائل حكم المقاصد، وكل ما أدى إلى ما لا يجوز لا يجوز.

والانهماك فيه إنما يكون من الأراذل، وأما أهل المروءة المبتلون به من عبيد النفس، كعلماء السوء، فلا يستعملونه إلا فى أوقات خالية عن الطاعات الواجبة، ولا يصدهم ذلك عن ذكر الله، وعن الصلاة، ولكنه مكروه تحريمًا لنتن رائحته، وإيذاء جليسه.

فإن قلت: فكيف تقول: إنه مكروه، وقد ذكرت أنه نتن ومؤذٍ، وكل ما هذا شأنه، فهو حرام؟

ولهذا لا يجوز تناول الطعام المنتن باتفاق الفقهاء، ولا يجوز إيذاء المؤمن، قال الله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾.

قلت: ليس كل مؤذٍ ومنتن حرامًا، وإلا لكان أكل الثوم والبصل والفجل والكراث حرامًا، ولما جاز لبس الجلود المدبوغة لما فى ذلك من النتن والإيذاء.

وقد قال ﷺ: «من أكل ثومًا أو بصلا أو فجلا فلا يقربن مسجدنا»، وفى رواية: «فليعتزل مصلانا»، وأمر بالغسل يوم الجمعة لما كانت الناس تلبس الجلود، وتأتى إلى الصلاة فى الحر، فيحصل منهم العرق، فيشم من روائح الجلود نتن، حتى أذى بعضهم بعضًا، ولم ينههم عن لبس الجلود، ولأنه ليس فيه تلك الرائحة التى فى البقول؛ لأنه تزول بالغسل، وتلك لا تزول بالاستياك والغسل، والتنباك لا يخلو رائحته إما أن يكون كرائحة البقول، أو كرائحة الجلود المذكورة.

والذى يظهر لى أنه كالأول لا تزول بالغسل والاستياك، لكنه يمكن معه الصلاة والصوم والذكر والقراءة باللسان، فيكون أكثر كراهية من لبس الجلود المذكورة، فيكون مكروهًا كراهة مترددة بين الأول والثانى، هذا كله فى شرب دخانه، وأما أكله وشمه فهو مكروه تنزيهًا عندى؛ لأنها دون شرب دخانه فى ما ذكرناه.

وإذا كان مباح الأصل جاز التداوى بشرب دخانه، أو أكله، أو استعاطه إذا أخبره طبيب حاذق بأنه لا يفيد إلا ذلك.

وقد رأينا منفعة مضغه لتأكل الأسنان لبعض الناس ما لم يقم غيره مقامه، وما جاز للتداوى فى مثل هذا يتقدر بقدره، فإذا حصل الشفاء تركه.

وبالجملة أنه من البدع الضالة المحرمة، فإنه وإن لم يكن فيه خلاف مأمور به ومنهى عنه، لكنه قد يؤدى إلى ترك مأمور به من صلاة، أو صوم، أو نحوهما، وإذا تقررت كراهته لعدم القاطع عندى لحرمته سوى ما مر، فلا يكون مشروعًا؛ لأن المكروه ليس بمشروع، كما حقق فى موضعه.

وأما المداومة عليه فلا يجوز؛ لأن بذل المال لأخذه وشراءه إضاعة للمال، وإضاعة المال حرام للأحاديث المشهورة المتلقاة بالقبول.

وإذا كان البذل فيه حرامًا لكونه إضاعة للمال فى غير حقه، كان البذل فيه إسرافا، والإسراف فى المال حرام قطعى بنص الكتاب والسنة، فلا يجوز حينئذٍ شراءه لنفسه؛ لكونه إضاعة مال، وإسرافًا، وظلمًا أعنى بوضع الشىء فى غير محله ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، فتبين لك أن تحسين استعمال هذا الدخان من مكائد الشيطان، وقعوده على الصراط المستقيم للصد عن وروده.

فلو تأمل العاقل ما ذا يضيع عليه من الأموال فيه، ولا ثواب فى ذلك، بل يخشى عليه العقاب من ملازمته، وما فيه من تضييع الأوقات التى يستحب فيها الذكر والفكر لرأى أنه قد خسر الدنيا بإضاعة المال، والآخرة لحرمان الثواب، فكم من فقير ومحتاج يقف على رأس شارب التنباك لقضاء حاجته لا يلتفت إليه، وهو قد أضاع مال الله فى ما بين يديه، فهذا هو الخسران المبين، فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن بطن لا يشبع، وفى هذا القدر كفاية، والله ولى الهداية.

وقد تم تحرير الجواب تسويدًا يوم الاثنين لعله الحادى والعشرون من شعبان سنة أربع وتسعين بعد الألف والمائة لعناية الفاضل للعلامة الأديب النجيب الشيخ أحمد على بن الشيخ العلامة الفاضل المعمر محمد مراد الواعظ الأنصارى السندى كان الله له وفتح عليه. (قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه الفقير إلى الله سبحانه عبد الخالق بن على بن الزين المزجاجى الأشعرى نسبًا، الزبيدى بلدًا، النقشبندى طريقةً، الحنفى مذهبًا)

جواب آخر: أن جمهور أجلاء المالكية على تحريم هذه الحشيشة الخبيثة، وقد

قال شيخ الطريقة الشاذلية : ومعدن السلوك والحقيقة شيخ مشايخنا أبو العباس سيدى ناصر المالكى ، اتفق علماء الباطن ومحققو أهل الظاهر على تحريمها ، ولا يدخل فى هذه الطريقة من يتعاطاها إلا أن يتوب ويزجر القائل ، كتبه الفقير إلى الله حسين بن على الحسنى مفتى المالكية بمكة المشرفة .

جواب آخر : أن ما قاله الشيخ عبد الخالق بكراهته التحريمية والحرمة المقيدة فهو حق ، ولا يرتاب عاقل فى أن شربه بدعة سئية من مكائد الشيطان وإضلاله ، لكن أفتى بعض علماءنا بحرمته ، وعده من الكبائر ، وهو الصواب عندى ، وكان ظهوره وابتداءه فى زبيد حين حياة الوالد المرحوم ، فأراد الاحتساب على شاربه فى بعض ليالى رمضان بعد التراويح ، وتفحص ومشى فى البلد ، فما وجد القدرة أو الشيشة أو البورى مع الآلات إلا عند عجوزة ، فكسرها وزجرها ، ووبخها بحيث رزقها الله الانفعال ، كتبه الفقير إلى الله سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل .

وفى "التبيان" : سئل العلامة محمد جان السندى الحنفى بن العلامة عبد اللطيف بن المخدوم عثمان عن شرب الدخان ، فأجاب مع افتاء أبيه وجده أنه مكروه كراهة التحريم ، بل حرام والإصرار عليه كبيرة ، كسائر الصغائر وشاربه فاسق مبدع بغير ، ويسقط عنه العدالة لقواعد المذهب ، ورواياته ، وكتب أصاب فى الجواب ، أو فى ما أجاب أولا ارتياب فى ما أجاب فى التحرير نحو سبع وسبعين من فضلاء ذلك الوقت ، ولا أعرف إلى الآن وهو سنة ثمان وتسعين بعد الألف والمائة ، أن يتفوه بإباحة شرب الدخان أو يشربه من الفضلاء والصلحاء والأعيان بيد أن يشربه السوقية والفسقة والملامتية -انتهى ملخصًا- .

هذه فتاوى المانعين[١] ، وأما كلمات المجوّزين فمنها ما سيأتى نقل فى الباب الثالث

(١) ذكر الفاضل إسحاق فى "النصيحة" : أن القائلين بالتحريم والمانعين جماعة منهم وجيه الدين العلوى الهندى والأحمد أبادى الحنفى ، وتلميذه السيد صبغة الله البروجى ، وتلميذه أيضا عبد الغنى الصديقى الحنفى السنبهلى تلميذه أيضا مولانا حسن الحسينى ، وتلميذه أيضا الشيخ عبد اللطيف الهندى .

ومنهم مولانا يار محمد الحنفى الأحمد آبادى ، ومنهم مولانا حبيب الله الأحمد آبادى ، وكان مبتلى به ثم تاب عنه ، ومنهم مفتى مكة محمد عبد العظيم المكى الحنفى ، وكتب رسالة سمّاها

من "تنقيح الفتاوى الحامدية" لابن عابدين الشامى، ومنها ما فى "الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية" لعبد الغنى النابلسى الحنفى[1] صاحب التصانيف المشهورة، والتأليف المنشورة من ذلك أى من البدع العادية استعمال النتن والقهوة الشائع، ذكرهما فى هذا الزمان بين الأسافل والأعيان، والصواب أنه لا وجه لحرمتهما، ولا لكراهتهما فى

"تحذير الأمة"، ادعى فيها الإجماع على التحريم.

ومنهم عمر بن عبد الرحيم البصرى الشافعى، ومنهم أحمد بن عثمان الصديقى صدر المدرسين محمد على بن علان الشافعى، ومنهم مفتى الديار الرومية محمد بن سعد الدين وأخو أسعد، ومنهم سعد الندى بن سعد الدين محمد بن على الحنفى، قاضى المدينة المنورة، وكتب فى رسالة.

ومنهم مفتى زبيد إبراهيم بن جمعان، وتلميذه أبو بكر الأهدل الشافعى، وكتب رسالة سمّاها "تحذير الإخوان عن شرب الدخان"، ومنهم الشيخ محمد بن الصديق الخاص الحنفى العينى، وكتب إقامة الدليل البرهان على تقبيح البدعة المسمّاة بـ"شرب الدخان".

ومنهم الشيخ سالم السنهورى المالكى، وتلميذه البرهان اللقانى، ومنهم الشيخ خالد بن أحمد المغربى الجعفرى المالكى، ومنهم القاضى محمد بن عبد الرحمن المالكى من فقهاء السودان، ومنهم القطب الشهير بـ"أبى الغيث القشاش" المالكى، والشيخ صالح البلقينى الشافعى.

ومنهم الشيخ محمد بن محمد الملقب بـ"مولاة" المغربى الأصل إسكندرى المولد المالكى المذهب المدنى الوارد، كتب رسالة، ومنهم مفتى الديار الرومية مصطفى الكردى العمادى، وكتب رسالة.

ومنهم واعظ مكة الحاج سنة ١١٥ الشيخ عبد الرحمن، ومنهم مولانا عمر آفندى، وإمام مكة عيسى بن عمر والقاضى محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المالكى، ومهم محمد عبد الباقى الرومى ثم المكى الحنفى، وكتب رسالة، ونجم الدين بن بدر الدين العامرى بن أحمد بن محمد الخطيب الشافعى وغيرهم من علماء العرب والهند والسند وغيرها. (منه)

(١) هو الفاضل عبد الغنى بن صاحب "الأحكام" حاشية "الدرر" إسماعيل بن عبد الغنى بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل النابلسى الدمشقى الحنفى، وتمام نسبه يعرف فى ترجمة أبيه من "خلاصة الأثر".

وهو صاحب التصانيف الشهيرة: منها: الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، قد طالعته بتمامه، وذكر فى مواضع متفرقة كثير من تصانيفه، منها: نهاية المراد شرح هدية ابن العماد، والمطالب الوفية واللؤلؤ المكنون فى حكم الأخبار عما سيكون، وغاية الوجازة فى تكرار الصلاة على الجنازة، والنوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة، وإيضاح الدلالات بسماع الآلات، والصلح بين الإخوان فى إباحة الدخان، وكفاية المستفيد فى معرفة التجويد، ونفحات الأزهار على نسمات الأسحار، وغيرها، وكانت وفاته على ما فى بعض نسخ "كشف الظنون" سنة ١١٤٤.

الاستعمال، بل هما من البدع فى العادة.

ومن علل حرمتهما بشىء لزمه حرمة البدعة العادية، وهو خلاف ما على جمهور العلماء وأمر السلطان، ونهيه إنما يعتبر إن كانا على طبق أمر الله ونهيه، لا على مقتضى نفسه وطبعه، كما أن أمر النبى ﷺ ونهيه على طبق أمر الله ونهيه لا هو من تلقاء نفسه، ومقتضى رأيه، وحاشاه من ذلك، ولو فرضنا أن أمر النبى ﷺ ونهيه كانا من تلقاء نفسه لا من أمر الله ونهيه لما وجب علينا امتثال ذلك، فكيف يجب علينا امتثال أمر السلطان ونهيه الصادر من مجرد رأيه وعقله ما لم يكن موافقا لحكم الله إلا إذا ظلم السلطان، وجار وشدّد على الناس، وضيق عليهم فى النهى عن استعمال هذين المباحين، وخاف الناس على أنفسهم من شره، خصوصا إذا كان يستحل دماء المسلمين، ويوجب تعزيرهم فى رأيه بسبب ذلك، فلا يجوز أن يلقى أحد نفسه فى التهلكة، ويكف المؤمن عن استعمال ذلك بهذا السبب لا معتقد الحرمة أو الكراهة، بل حاقنا دمه وعرضه -انتهى كلامه فى بحث البدعة عند ذكر البدع العادية، وهو فى الفصل الثانى من الباب الأول من الطريقة-.

وفى "الحديقة" أيضًا عند ذكر الاقتصاد: وهو فى الفصل الثالث من الباب الأول من "الطريقة" أيضا: ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الآية، أى فى قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ أقوالا: أحدها: أن المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمون على أنفسهم أيام الحج.

والقول الثانى: وهو قول ابن عباس وقتادة: إن المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب.

القول الثالث: الآية على العموم، فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات إلا ما ورد نص بتحريمه، كذا قاله الخازن، وفى هذا دلالة واضحة على إباحة نحو القهوة والنتن مما تستلذه بعض الطباع، وتجد له نفعا، وليس هو من المسكرات، وليس فى حرمته نص آية، ولا حديث ولا قياس على ثابت بأحدهما، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم -انتهى-.

وفيه أيضًا فى موضع آخر: شرب النتن ليس بحرام، كما يزعمه بعضهم بالقياس

على أكل الثوم بجامع الخبث، وهو بعد تسليم الخبث فيه، والقياس تبطل حرمته ببطلان حرمة أكل الثوم، وإن كان أكل الثوم يقتضى المنع الإنسان من دخول المساجد، وكذلك شرب الدخان لا منتن عند من لم يعتد استعماله إذا كان يتضرر برائحته، يقتضى المنع من دخول المساجد من غير حرمة، وأما حيث اعتياد على شربه غالب المصلين فى المساجد بحيث لا يتضرّرون برائحته، فلا ينهى حينئذٍ -انتهى- .

وفى "الأشباه والنظائر" لابن نجيم[1] عند ذكر القواعد المندرجة تحت القاعدة الثالثة من القواعد المذكورة فى النوع الأول من الفن الأول: قاعدة: هل الأصل فى الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على عدم الإباحة، وهو مذهب الشافعى، أو التحريم حتى يدل الدليل على الإباحة ونسبه الشافعية إلى أبى حنيفة.

وفى "البديع المختار": أن لا حكم للأفعال قبل الشرع والحكم عندنا، وإن كان أزليًا لمراد به ههنا عدم تعلقه بالفعل قبل الشرع، فانتفى التعلق لعدم فائدته -انتهى- .

وفى "شرح المنار" للمصنف: الأشياء فى الأصل على الإباحة عند بعض الحنفية، ومنهم الكرخى، وقال بعض أصحاب الحديث: الأصل فيها الحظر، وقال أصحابنا: الأصل فيها التوقف، بمعنى أنه لا بد لها من حكم، لكنا لم نقف عليه بالعقل -انتهى- .

وفى "الهداية" من الحداد: أن الإباحة أصل -انتهى- ويظهر أثر هذا الاختلاف فى المسكوت عنه، ويتخرج عليها ما أشكل حاله، فمنها الحيوان المشكل أمره، والنبات المجهول سميته . . . إلخ.

قال السيد أحمد الحموى[2] فى حواشى "الأشباه": قوله والنبات المجهول إلخ، يعلم من حل شرب الدخان -انتهى- وقد مرّ كلام صاحب "الدر المختار" فى المقدمة

---

(١) هو مؤلف "البحر الرائق شرح الكنز الدقائق" و"فتح العقار شرح المنار" و"أربعين رسائل فى متفرقات المسائل" وغير ذلك العلامة زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم المصرى الحنفى، أخذ عن جماعة، منهم: شرف الدين البلقينى، وشهاب الدين الشلبى وأمين الدين بن عبد العال، وأفتى فى حيوة شيوخه، وانتفع به خلائق، وكانت وفاته سنة ٩٧٠، كذا فى "الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة" وغيره. (منه)

(٢) هو أحمد بن محمد الحموى نسبة إلى حماة، من رجال القرن الحادى عشر من تلامذة حسن الشرنبلالى، كما يعلم من مطالعة حواشى "الأشباه". (منه)

المتضمن لنقل نبذ من عبارة "الأشباه"، وتفريع فهم حكم النتن منه، وأن الشيخ العمادى كرهه إلحاقًا له بالثوم.

وقال السيد أحمد الطحطاوى فى حواشيه عليه: قوله: قلت: فيفهم منه حكم النبات... إلخ، وهو الإباحة على ما تقدم من الأصل الأول هذا الكتاب أو التوقف، قوله: وقد كره به شيخنا العمادى لا يخفى أن الكراهة تنزيهية بدليل الإلحاق بالثوم والبصل، والمكروه تنزيهًا يجامع الجواز. (أبو السعود بتصرف)

قوله: إلحاقًا بالثوم يؤخذ منه كراهة التحريم فى المسجد؛ للنهى الوارد فيهما، وهو ملحق بهما، والظاهر أن حكم حال القراءة يكره؛ لما فيه من الإخلال بتعظيم كلام الله -انتهى كلامه-.

وفى "رد المحتار على الدر المختار" لابن عابدين محمد أمين الشامى[1] عند العبارة المذكورة قوله والنتن... إلخ، أقول: قد اضطربت آراء العلماء فيه، فبعضهم قال: بكراهته، وبعضهم قال: بحرمته، وبعضهم: بإباحته، وأفردوا بالتأليف، وفى "شرح الوهبانية" للشرنبلالى: ويمنع من بيع الدخان وشربه، وشاربه فى الصوم لا شك يفطر.

وفى شرح العلامة الشيخ إسماعيل النابلسى والد سيد عبد الغنى[2] على "الدرر" بعد نقله أن للزوج منع الزوجة من أكل الثوم والبصل وكلما ينتن الفم، قال: ومقتضاه المنع من شربها النتن؛ لأنه ينتن الفم خصوصًا إذا كان الزوج لا يشربه أعاذنا الله منه. وقد أفتى بالمنع من شربه شيخ مشايخنا المسيرى وغيره -انتهى-.

للعلامة الشيخ على الأجهورى المالكى[3] رسالة فى حله نقل فيها أنه أفتى لحبه من

---

(١) هو من رجال هذه المائة الثالثة عشر، كما يعلم من مطالعة "رد المحتار"، وله تصانيف ورسائل: منها: "تنقيح الفتاوى الحامدية" المسمّى بـ "العقود الدرية"، و"منحة الخالق" حاشية "البحر الرائق" وغير ذلك، وكل تصانيفه دالة على سعة علمه وتبحره، وكذا السيد أحمد الطحطاوى محشى "الدر المختار" من رجال هذه المائة، كما يعلم من كتاب الإجارات من "رد المحتار".

(٢) ذكر له صاحب "الخلاصة" ترجمة طويلة، وذكر أنه أفضل وقعة فى الفقه، وله تصانيف كثيرة: أجلها "الأحكام شرح الدرر" فى اثنى عشر مجلدا، وهو تلميذ الحسن الشرنبلالى، والشهاب الشوبرى وغيرهما، وكانت ولادته سنة ١٠١٧، ووفاته سنة ١٠٦٢. (س)

(٣) هو أبو الإرشاد نور الدين على بن زين العابدين محمد بن أبى محمد [illegible] عبد الرحمن

يعتمد عليه من أئمة المذاهب الأربعة، قلت: وألف في حله أيضًا سيدنا العارف عبد الغني النابلسي رسالة سمّاها "الصلح بين الإخوان في إباحة شرب الدخان"، وتعرض له في كثير من تأليفه الحسان، وأقام الطامة الكبرى على القائل بالحرمة أو بالكراهة، فإنهما حكمان شرعيان، لا بد لهما من دليل، ولا دليل على ذلك، فإنه لم يثبت إسكاره، ولا تفتيره، ولا إضراره، بل ثبت له منافع، فهو داخل تحت قاعدة: الأصل في الأشياء الإباحة، وإن فرض إضراره للبعض لا يلزم منه تحريمه على كل أحد، فإن العسل يضر بأصحاب الصفراء الغالبة، وربما أمرضهم مع أنه شفاء بالنص القطعي، وليس الاحتياط في الافتراء على الله بإثبات الحرمة أو الكراهة اللذَين لا بد لهما من دليل، بل في القول بالإباحة التي هي الأصل.

وقد توقف النبي ﷺ مع أن المشروع في تحريم الخمر أم الخبائث، حتى نزل عليه النص القطعي الذي ينبغي للإنسان، سواء كان يتعاطاه أولا، كذا العبد الضعيف وجميع من في بيته إذا سئل عنه أن يقول: هو مباح، لكن رائحته تستكرهها الطباع، فهو مكروه طبعًا لا شرعًا إلى آخر ما أطال، وهذا الذي يعطيه كلام الشارح ههنا، حيث أعقب كلام شيخه النجم الغزي بكلام "الأشباه"، وبكلام شيخ العمادي، وإن كان في "الدر المنتقى" جزم بالحرمة، لكن لا لذاته، بل لورود النهي السلطاني عن استعماله -انتهى-.

وفيه أيضًا قوله: فيفهم منه حكم النبات، وهو الإباحة على المختار أو التوقف، وفيه إشارة إلى عدم تسليم إسكاره وتفتيره وإضراره، وإلا لم يصح إدخاله تحت القاعدة المذكورة، ولذا أمر بالتنبيه.

قوله: وقد كرهه شيخنا العمادي، أقول: ظاهر كلام العمادي أنه مكروه تحريمًا، ويفسق متعاطيه، فإنه قال في فصل الجماعة: ويكره الاقتداء بالمعروف بأكل الربا، أو

الأجهوري -بضم الهمزة وسكون الجيم- نسبة إلى "أجهور الورد" قرية بريف مصر، المالكي شيخ المالكية في عصره بالقاهرة، كان محدثًا فقيهًا رحلة كبير الشأن، طار صيته في الخافقين، له تصانيف كثيرة: منها: شروحه الثلاثة على "مختصر خليل"، وجزء في مسألة الدخان، وشرح رسالة ابن أبي زيد، وكانت ولادته سنة ٩٦٧، ووفاته سنة ١٠٦٦ بمصر، كذا في "الخلاصة". (منه)

شيء من المحرمات، أو يدام الإصرار على شيء من البدع المكروهة، كالدخان المبتدع فى هذا الزمان، ولا سيما بعد صدور منع السلطان.

ورد على سيدنا عبد الغنى فى "شرح الهداية" بما حاصله ما قدمناه، فقول الشارح إلحاقًا بالثوم والبصل -فيه نظر- إذ لا يناسب كلام العمادى، نعم إلحاقه بما ذكر هو الإنصاف، قال أبو السعود: فتكون الكراهة تنزيهية، والمكروه تنزيهًا بجامع الإباحة - انتهى-.

هذه عبارات الفقهاء المختلفة من أصحاب المذاهب المتفرقة، كم ترى فيها تصادم الآراء، وتخالف الأهواء، فمن مفرط ومن مفرط ومن متوسط، فعليك بترك الإفراط والتفريط، والأخذ بالمتوسط، وثمه عبارات أخر كثيرة لم أوردها حذرًا عن إطالة المورثة للملالة مع عدم الاحتياج إليها لاتحاد مفادها بمفادهما أوردناها.

الباب الثانى
فى تحرير الوجوه التى بنى المانعون منهم عليها مع ما لها وما عليها ، وتنقيح الوجوه التى بنى المجوزون جوازهم عليها

اعلم أن المانعين منهم المحرمون ، ومنهم الكارهون ، قد سلكوا مسالك شتى على ما لا يخفى على من تدبر فيما مضى ، وأكثرها لا تخلو عن خدشات واضحة وإيرادات قادحة ، وقد ذكر صاحب "تحفة الإخوان" وصاحب "التبيان" وصاحب "الجوهر" و "البرهان" وغيرهم وجوه المانعين بتفصيل حسن ، وأثبتوا مقدماتها على نمط أحسن ، فنذكرها ملخصًا من كلامهم المفصل ، ثم نعقب بما لها وما عليها على الوجه الأجمل .

المسلك الأول :

أن شرب الدخان ليس مما يتغذى به ولا يتداوى به ؛ لأن الفقهاء ما حكموا بوجوب الكفارة على الصائم بإدخاله وشربه إلا أن يعتاده ، وإن كان قابلا لأحدهما لحكموا بوجوب الكفارة على كل صائم اعتاده أولا ، وأيضًا عدم غذائيته ظاهر ؛ لأنه لو كان غذاء لمال إليه طبع الذين لا يعتادونه ، وأما عدم دوائيته فلأن استعمال الدواء والاستعلاج لا يكون إلا عند ظهور المرض أو خوفه ، فإذا ثبت أنه ليس بغذاء ، ولا بدواء لزم أن يكون حرامًا ؛ لما فى آسار "البحر" ، قالوا : إن حرمة الشىء قد يكون لفساد الغذاء ، كالذباب والتراب -انتهى- .

وفى "غاية البيان"[1] : أن كل نجس حرام ، ولا ينعكس ، فليس إن كل حرام نجس ؛ لأن حرمة الشىء قد تكون لعدم صلاحيته للغذاء ، كما أن الطين حرام ، وليس بنجس -

(١) ههو حاشية "الهداية" لأمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى الإتقانى ، نسبة إلى إتقان -بالكسر- قصبة من القصبات فاراب الحنفى ، ولد فى شوال سنة ٦٨٥ هـ ، ومهر فى العلوم فى بلاده ، وقدم دمشق سنة ٧٢٠ ، وروى وناظر فظهرت فضائله ودخل مصر وولى قضاء بغداد وتدريس مشهد الإمام ، وكان شديد التعاظم لنفسه شديد التعصب لمذهبه ، مات سنة ٧٥٨ ، كذا فى "الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" للحافظ ابن حجر العسقلانى ، وإن شئت البسط فى أخباره وأحواله فارجع إلى كتابى "الفوائد البهية فى تراجم الحنفية" . (منه)

انتهى - .

وفى "الكفاية"(١) : أن حرمة الأكل قد ثبت لفساد الغذاء، كالذباب والخنفساء والتراب؛ لأنه ما أبيح إلا للغذاء فى الأصل، فيصير الأكل بدونه عبثًا، أو للخبث طبعًا، كالضفدع والسلحفاة مما لا يعتاد الناس أكله، أو للنجاسة؛ لأن الله حرم أكل كل نجس بنفسه، كالخمر أو بمجاورة، كماء وقعت فيه نجاسة، أو للاحترام، كالآدمى -انتهى- .

وقد سبق عن شارح الوهبانية أن كل ما لا يتغذى به، ولا يتداوى به يكون أكله عبثا، فلا يجوز، ويؤيده ما فى "الهداية" فى باب ما يفسد الصلاة وما يكره فيها أنه يكره العبث بثوبه وجسده فى الصلاة؛ لأن العبث خارج الصلاة حرام، فما ظنك بالصلاة - انتهى - .

وقال عبد الغفور فى حاشية "الهداية" : أن مراد صاحب "الهداية" بالكراهة الكراهة التحريمية، فلا ينافى الحرمة -انتهى- .

ولا يخفى ما فى هذا المسك، إما أولا فلكون الصغرى ممنوعة؛ فإنه وإن لم يكن غذاء، لكن ما ذا أريد من نفى كونه دواء إن أريد نفيه مطلقًا بالنسبة إلى جميع الأمزجة فى جميع الأزمنة فممنوع، بل باطل، كيف لا وفيه منافع ومصالح من دفع الرطوبات الدماغية، وكسر الأوجاع الرياحية وغير ذلك مما لا يخفى على من نظر بعين الإنصاف، وتجنب عن الاعتساف، وكونه مضرًا لبعض الأمزجة، أو فى بعض الأزمنة، أو ببعض الخاصية لا يخرجه عن كونه دواء، فإنه ما من دواء إلا وفيه منافع ومضار، كما هو ظاهر لمن طالع كتب الأدوية الكبار، وما من نافع للكل فى جميع الأحوال، بل كثير من الأدوية ينفع جماعة ويكون سمًا قاتلا لجمع من الرجال، بل قد يكون مضرة لمن صارت له نافعة، وهذا كله ظاهر لا ينكره إلا مكابر، وإن أريد نفى دوائيته بالنسبة إلى البعض دون البعض فمسلم، لكنه غير متمم.

وأما ثانيًا فلأنا سلمنا أنه ليس بغذاء ولا بدواء، لكن ليس أن كل ما لا يكون غذاء

---

(١) هو حاشية "الهداية" لجلال الدين بن شمس الدين الخوارزمى الكرلانى، أحد من تضرب به الأمثال، وتشد إليه الرحال، وهو تلميذ لحسام الدين السغناقى صاحب "البناية"، كذا فى "طبقات الحنفية" لمحمود بن سليمان الكفوى، والتفصيل فى "الفوائد". (منه)

ودواء، فهو حرام، وليس حرمة الذباب والتراب لمجرد عدم كونه غذاءً، بل لكونه فاسدًا غذاءً وخبثًا.

فإن قلت: إن لم تسلم هذه الكلية عن النقض فهناك كلية أخرى سالمة عن النقض، وهى أن كل ما ليس بغذاء ولا دواء وهو مضر حرام، وشرب الدخان كذلك فهو حرام، قلت: هذا مسلك آخر، يأتى ما له وما عليه، فإن ضم هو معه يرد عليه ما يرد عليه.

فإن قيل: كل ما ليس بغذاء ولا دواء أكله عبث والعبث حرام؟ قلنا: هذا وإن مشى عليه طائفة من الفقهاء، لكنه لم يرتض به محققو الفضلاء، أما أولا فلعدم تسليم الصغرى؛ لأن العبث هو ما ليس فيه غرض صحيح، أو ليس فيه فائدة، أو نحو ذلك من العبارات المختلفة، مبنى المتحدة معنى، ومن المعلوم أن النفع والفائدة لا ينحصر فى الغذائية والدوائية حتى يلزم من نفيهما نفى الفائدة.

وأما ثانيًا فلعدم تسليم الكبرى، وإن ذكرها صاحب "الهداية" وغيرها، وقد قال العينى[1] فى "البناية شرح الهداية" عند قول صاحبها: لأن العبث خارج الصلاة حرام، فما ظنك بالصلاة فيه نظر، فإنه من عبث بثوبه، أو بلحيته خارج الصلاة يكون تاركًا للأولى، ولا يحرم ذلك عليه، ولهذا قال فى الحديث الذى ذكره[2]: كره لكم ثلاثًا،

---

(١) هو القاضى بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العينى، نسبة إلى "عين تاب" بلدة قريبة حلب لكون أبيه قاضيًا بها، وكانت ولادته بحلب سنة ٧٦٢، واشتغل ومهر وصنّف شرح "الهداية" وشرح "صحيح البخارى"، وشرح "الكنز" وغيرها، ومات فى ذى الحجة سنة ٨٥٥، كذا ذكره ابن حجر وغيره، وليطلب تفصيله من "الفوائد البهية فى تراجم الحنفية". (منه)

(٢) أى صاحب "الهداية" فى قوله: يكره للمصلى أن يعبث بثوبه أو بجسده، لقوله عليه السلام: «إن الله كره لكم ثلاثًا»، وذكر منها العبث فى الصلاة، ولأن العبث خارج الصلاة حرام... إلخ، وهذا الحديث رواه القضاعى فى "مسند الشهاب" عن طريق ابن المبارك عن إسماعيل بن عباش عن عبد الله ابن دينار عن يحيى ابن أبى كثير مرسلا مرفوعًا: «إن الله كره لكم ثلاثًا العبث فى الصلاة والرفث فى الصوم والضحك فى المقابر»، وذكره الذهبى فى "ميزان الاعتدال"، وعده من منكرات ابن عياش.

وقال ابن طاهر فى كلامه على أحاديث الشراب: هذا حديث رواه إسماعيل عن عبد الله بن دينار وسعيد بن يوسف عن يحيى، وهذا مقطوع، وعبد الله بن دينار شامى من أهل حمص، وليس بالمكى، كذا ذكره جمال الدين عبد الله الزيلعى فى تخريج أحاديث "الهداية"، وللعينى فى

وذكر منها العبث فى الصلاة، فلم يبلغه درجة التحريم فى الصلاة، فما ظنك بخارجها - انتهى-.

وفى "الغاية شرح الهداية" للسروجى[1] فيه نظر؛ لأن العبث خارجها بثوبه أو بدنه خلاف الأولى، ولا يحرم، والحديث قيد بكون فى الصلاة -انتهى-.

ومثله فى "غاية البيان" وغيره، وأما قول صاحب "تحفة الإخوان": إن العبث بثوبه ولحيته واقع من الإنسان اتفاقًا وأحيانًا، ومضطر فى فعله غالبًا، وأيضًا أن هذا العبث يسير مخفف فيه، خاج الصلاة بسبب تعذر الاحتراز عنه، أو بسبب القلة، بخلاف باقى أنواع العبث؛ لأن العمل فيها كثير، والاحتراز عنه ممكن، ففعلها حرام أو مكروه كراهة التحريم بلا شك -انتهى- فعجيب جدًا لعدم الفرق بين عبث وعبث، فإن حرمة العبث أن ثبتت لم تكن إلا لكونه عبثا، وهو شامل لما كان قليلا أو كثيرًا.

وأيضًا على هذا تفوت كلية الكبرى، وهى شرط فى الشكل الأول، فكيف تخرج منه النتيجة مع أن شرب الدخان مرة أو مرتين ليس بأزيد من العبث بالثوب أو اللحية مرة أو مرتين، فجواز أحدهما يستلزم جواز الآخر، وامتناع أحدهما يستلزم امتناع الآخر، فالحكم بجواز أحدهما دون الآخر فى غير موضعه، والفرق بينهما فى غير محله.

تنبيه: قال الشيخ إسحاق فى "النصيحة": أما كون العبث حرامًا فلقوله تعالى: ﴿أفحَسِبتُم أنّمَا خَلَقنَاكُم عبثًا﴾ والفقهاء استدلوا بهذه الآية الكريمة على حرمة كل ما كان عبثًا، قال فى "نصاب الاحتساب"[2] فى الباب الحادى عشر: ذكر فى الجامع الصغير الخانى: أما الشطرنج فما كان قمارًا فهو حرام بالإجماع، وما كان خاليًا عن القمار فهو عبث، وأنه حرام لقوله تعالى: ﴿أفحَسِبتُم أنّمَا خَلَقنَاكُم عبثًا﴾ أى لتعبثوا -انتهى-.

"البناية" كلام طويل فى توثيق رواة هذا الحديث، فليرجع إليه. (منه رحمة الله تعالى عليه)

(١) هو قاضى القضاة أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، نسبة إلى سروج -بالفتح ثم بالضم- بلدة بنواحى حران كان إمامًا فاضلا شيخًا فى المعقول والمنقول، تولى القضاء بمصر، ودرّس وأفتى وصنّف، ومات سنة ٧١٠، كذا فى "طبقات الحنفية" لعلى القارى وغيره، والبسط فى ترجمته فى "الفوائد". (منه)

(٢) هو كتاب نفيس للشيخ عمر بن محمد بن عوض الشامى الحنفى مشتمل على أربعة وستين بابًا، ذكره فى "الكشف". (منه)

وقال فى "الكافى"(1): كل لهو إن قامر به فهو حرام بالإجماع، وإن خلا عن القمار، فهو حرام أيضًا؛ لأنه عبث، قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ -انتهى- ولقوله ﷺ: «كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة انتصالك بقوسك وتأديبك فرسك وملاعبتك أهلك فإنهن من الحق»(2)، رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وفى "مواهب الرحمن" وشرحه(3): نحن نحرم ومالك اللعب بالشطرنج، وإن لم تفته الصلاة بسببه، ولم يقامر به، لعموم قوله ﷺ: «كل شيء من لهو الدنيا باطل» الحديث.

وقال فى النصاب فى ذلك الباب: ولقوله عليه السلام: «لهو المؤمن باطل إلا بالثلاث تأديبه فرسه ورميه من القوس وملاعبته مع أهله»، وفى رواية: كل لعب المؤمن حرام -انتهى- ولا يخفى على المصنف أنه إذا كان الفقهاء حكموا بحرمة اللهو كله مستدلين بهذه الآية وبهذا الحديث قائلين بأن اللهو عبث مع أن فيه تفريح الخاطر، ورفع الغم، فكيف شرب الدخان الخبيث الكريه الرائحة مع أنه لا نفع فيه أصلا، بل هو أضر الأشياء، فلعمرك لا يكون إلا حرامًا -انتهى كلامه-.

وأنت تعلم ما فيه، فإن الحكم بحرمة العبث مطلقًا فيه ما فيه، وإثباته بالآية المذكورة والروايات المسطورة بعيد عن التحقيق، وإن مشى عليه جمع من أرباب التحقيق.

---

(1) هو شرح "الوافى" كلاهما لأبى البركات حافظ الدين عبيد الله بن أحمد النسفى الحنفى مؤلف "كنز الدقائق" و"منار الأصول" وشرحه، و"مدارك التنزيل" وغيرها، المتوفى سنة ٧٠٠، كما ذكره صاحب "الكشف" وغيره، وقد بسطت فى ترجمته فى "الفوائد". (منه)

(2) وفى رواية النسائى من حديث جابر: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أن يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته وتأديب الرجل فرسه ومشى الرجل بين الفرضين وتعليم الرجل السباحة»، أورده السيوطى فى "الجامع الصغير"، قال شارحه العزيزى: إسناده حسن. (منه)

(3) كلاهما لإبراهيم بن موسى بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى نزيل القاهرة، المتوفى سنة ٩٢٢، وهو أيضًا صاحب "الإسعاف فى أحكام الأوقاف"، كذا فى "الدر المختار" فى كتاب الوقف، وترجمته مبسوطة فى "الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع" لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى. (منه)

المسلك الثانى :

أن شرب الدخان بدعة حادثة ، وكل بدعة ضلالة ، أخرجه مسلم وغيره من الأئمة ، وفيه أن البدعة على قسمين : بدعة لغوية وشرعية ، فالأول هو المحدث مطلقًا عادة كانت أو عبادة ، وهى التى يقسمونها إلى الأقسام الخمسة المباحة ، كاستعمال المنخل ، والمواظبة على أكل لب الحنطة ، والمستحبة كبناء المنارة والمدارس ، والواجبة كنظم الدلائل لإبطال شبه الملحدين والمبتدعين ، والمكروهة والمحرمة .

والثانى هو ما زيد على ما شرع من حيث الطاعة بعد انقراض الأزمنة الثلاثة بغير إذن من الشارع ، لا قولا ولا فعلا ، لا صريحًا ولا إشارةً ، وهى المراد بالبدعة المحكوم عليها بالضلالة ، فلا يتناول المعنى الثانى شيئًا من أنواع العادات ، كالملابس المخترعة والمساكن والمآكل وغير ذلك من الأمور العادية المبتدعة التى لا يقصد بها فاعلها ثوابًا ، بل مجرد تحصيل غرض دنيوى ، وإعطاء النفس سرورًا ، بل يتناول الاعتقادات والعبادات ، فالضلالة إنما هى البدعة الشرعية ، ومقابلها سنة الهدى المعبر عنها بالسنة المؤكدة ، وأما البدع العادية كالمنخل للدقيق والملعقة للأكل وغير ذلك ، فليس فعلها ضلالة من حيث كونها بدعة ما لم يثبت المنع عنها فى الشرع ، بل تركها أولى ، وفعلها ترك أولى ، كذا حققه الفاضل البركلى[1] فى "الطريقة المحمدية" وشارحه عبد الغنى النابلسى فى "الحديقة الندية" ، وإن شئت زيادة الضبط فى هذا المبحث ، فارجع إلى رسالتى "إقامة الحجة على أن الإكثار فى التعبد ببدعة" .

إذا عرفت هذا فنقول ما ذا أراد المستدل بقوله بدعة فى الصغرى إن أراد البدعة العادية ، أو مطلق البدعة ، فإن أراد بالبدعة فى الكبرى كذلك فكلتيهما ممنوعة ، وإن أراد فيها البدعة الشرعية ، فالحد الأوسط لا يتكرر ، فلا يحصل النتيجة ، وإن أراد فى الصغرى البدعة الغير العادية فصدقها ممنوع ، بل كذبها فى غاية الوضوح .

---

(١) هو الشيخ محمد آفندى الرومى البركلى نسبة إلى بركل ، نشأ فى طلب العلوم ، وبرع فيها ، ثم غلب عليه الزهد ، والصلاح بخدمة الشيخ عبد الله القرمانى ، وأمره شيخه بالعود إلى الاشتغال بالعلوم ، فانتفع به خلق كثير دينى ، له عطاء معلم السلطان سليم مدرسة لقصبة بركل ، وله تصانيف كثيرة ، توفى سنة ٩٨١ ، كذا فى "الحديقة الندية" . (منه)

فائدة :

قرّر صاحب " النصيحة " بأنه بدعة سيئة مصادرة رافعة لبعض السنن والفرائض موقعة فى بعض المكروهات والمحرمات ، وكل بدعة كذلك ، فهى محرمة ، أما كونه بدعة فلأنها فى الشرع ما استحدث بعد النبى ﷺ وخلفاءه من الأهواء والأعمال ، وقد حدث شرب الدخان فى القرن الحادى عشر ، وأما كونه رافعة لبعض السنن فلأنها مصادمة لسنية التعطر للحديث : من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح ، رواه الترمذى ، فإنها مثبتة لضد التعطر الذى هو البخر .

وأيضًا هى رافعة لسنية السواك ؛ لأن السواك إنما شرع لإزالة الرائحة الكريهة من الفم ، وتطهيره الموجب لرضى الرب ، وهى توجب تلويث الفم بالرائحة الكريهة ، فإذا كان السواك يوجب رضاء الرب ، فهذه البدعة توجب غضب الرب ؛ لأن الأشياء تعرف بالأضداد ، وأما كونها مصادمة لبعض الفرائض فلأنها رافعة للقوام الفرض الذى هو بين الإسراف والتبذير ، وأما كونها موقعة فى المنهيات ؛ فلأنها موقعة فى الإسراف المحرم ، وموقعة فى الغيبة وإيذاء الخلق من الجن والإنس والملائكة ، وفى التشبه بالكفار ، وفيه العبث ، ولا يخفى على المتفطن ما فيه من الخدشات .

الأولى : فى تعريفه البدعة الشرعية ، فإنها عبارة عما استحدث من حيث العبادة بعد الأزمنة الثلاثة بحيث لم يدل عليه دليل من الأدلة الشرعية ، شرب الدخان ليس كذلك ، نعم هو بدعة لغوية قطعا ، وهى ليست بسيئة مطلقًا .

الثانية : فى جعله مصادما للتعطر ، فإنه عبارة عن استعمال الطيب فى الثياب والأبدان ، وأى منافاة بينه وبين شرب الدخان ، ولا ينافى حصول البخر .

الثالثة : فى جعله رافعا لسنية السواك لعدم المنافاة بين استعماله وبين شرب دخان التنباك ، فإنه يمكن تطهير الفم عن الرائحة الحاصلة به باستعمال السواك .

الرابعة : فى جعله رافعًا للقوام فإنه ليس بينهما استلزام وكثيرًا ما يحصل بصرف فلس أو فلسين من دون أن يلزم أحد المنهيين .

الخامسة : فى جعله موقعا فى الإسراف والغيبة ونحو ذلك فإنه لا ملازمة بينه وبين ما هناك .

والحل أن هذا التقرير على تقدير تمامه إن استلزم الحرمة ، فإنما يستلزم حرمة شرب دخان يوجب البخر ، ويوقع فى الإسراف والغيبة وأصناف الشر ، فلو خلى عن ذلك كله لا سبيل إلى الحكم بحرمته ، فالتقريب غير تام ، والحكم غير عام .

المسلك الثالث :

أنه مضر ، وكل مضر حرام ، أما الصغرى فلقول ابن سينا وجالينوس المشتمل بأمر الاجتناب من الدخان ، ولما مر من وجوه ضرره فى فتاوى العلماء ذوى الشأن ، وأما الكبرى فلقوله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ وقد حكم صاحب "المحيط السرخسى"[1] وغيره بحرمة أكل الطين لكونه مضرّا ، وكذلك حكموا بحرمة الأشياء الخبيثة المؤذية لإيراثها ضرراً .

وفيه ما فيه ، فإن كونه مضرّا محضًا بجميع الأمزجة فى جميع الأزمنة فى حيز البطلان ، بل فيه منافع لبعضها ، وفى بعضها حسب ما شهد به أرباب الإتقان .

والإنصاف أن من أضره إضراراً بيّنا لزمه الاجتناب عنه ، ومن نفعه أو لم يضره لم ينفع لم يلزم له الاحتراز عنه ، فهو كسائر الأدوية التى هى نافعة للبعض ومضرة للبعض ، فالحكم الكلى بحرمته وإضراره خطأ أى خطأ .

فائدة :

قال الفاضل أبو طالب بن على الحنفى فى رسالته "البرهان على تحريم الدخان" المؤلف سنة خمس وستين بعد الألف لقد سمعنا مراراً من جمّ غفير من شاربيه يعد ما فيه من المضار منها نقصان حاسة البصر ، وضيق النفس ، ونقصان المنى ودهن الأعضاء ، وذهاب القوة من البدن ورداءة اللون والسعال والنوازل ، وسرعة الشيب ولزوم الرائحة

---

(١) هو برهان الإسلام رضى الدين محمد بن محمد بن محمد السرخسى ، المتوفى سنة ٥٤٤ ، وهو غير صاحب "المحيط البرهانى" محمود بن الصدر السعيد أحمد بن الصدر الكبير عبد العزيز ابن عمر بن مازه البخارى ، وكلاهما من تلامذة الصدر الشهيد عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازه ، كذا فى "طبقات الحنفية" للقطب المكى ، وقد بسطت فى ترجمتهما فى "الفوائد البهية فى تراجم الحنفية" . (منه)

الكريهة، والإيذاء برائحته.

وهذا ما يتعلق بالبدن ونسيان ذكر الله والجلوس مع الفسقة والإيناس معهم، وتوقير أهل البدع، وترغيب الناس فيه، وإنفاق المال في الإحراق واستعمال المال بوجه باطل، واستحلال المعصية، وتحقير الذنب والبدعة وسقوط العدالة، وقد ثبت أن من أصرّ على الصغيرة سقطت عدالته، والتفسيق ورد الشهادة وارتكاب البدعة واتباع الهوى، وعدم المبالاة به بأسًا، وهو حرام رأسًا، وغير ذلك -انتهى-.

وأنت تعلم ما فيه، فإن المضار البدنية التي ذكرها ليست عامة، وفيه منافع ومصالح لبعض الأمزجة خاصة والمضار الدينية التي ذكرها بعضها غير قادحة، كارتكاب البدعة لكونها بدعة في العادة دون العادة، وبعضها غير لازمة كليًا، فلا يصح الحكم بالحرمة كليًا.

المسلك الرابع:

أنه مسكر، وكل مسكر حرام، وفيه خدشة ظاهرة يعلمها الخاص والعام، فإن ادعاء كونه مسكرًا، محتاج إلى بيان تام ودونه كخرط القتاد، أو كجمع القتام.

المسلك الخامس:

أنه مفتر ومخدر للعقل، وكل ما هو كذلك فهو محرم بالنقل، وهو قول أم سلمة: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر، أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والمراد بالمفتر كل شيء يورث الفتور والخدر في الأطراف، كما يحصل في بعض أنواع القنب، وهو دون الإسكار، وقريب منه في الانتشار، وهما سواسيان في كونهما موجبين للحرمة، حتى حكى أن رجلا من العجم قدم القاهرة وطلب دليلا على تحريم الحشيشة، فعقد لذلك مجلس حضرة علماء العصر، فاستدل الحافظ الزين العراقي بهذا الحديث، فأعجب الحاضرين الحجة، كذا في "السراج المنير شرح الجامع الصغير"[1].

وأنت ما فيه فإن كونه مفترًا ومخدرًا من حيث طبعه غير مسلم، وكونه مخدرا

---

(١) ولعلي بن أحمد بن محمد العزيزي نسبة للعزيزية من شرقية بمصر الشافعي كان محدّثًا فقيهًا مصنفًا ذكيًا، شارك النور الشبراملسي كثير شيوخه، وأخذ عنه ودرس وصنّف، ومات ببولاق سنة ١٠٠٠، كذا في "خلاصة الأثر". (منه)

للبعض دون البعض غير متمم، وقد صرح من ادعى أنه مفتر أن الفتور الواقع فى يوجد فى أوائل الشرب لمن لا يعتاده أدنى من الفتور الواقع بالحشيشة، ولبنج وغيرهما، فعلى هذا لا يكون موجبا للحرمة إلا من الإضرار، وهو يختلف باختلاف المستعملين اختلاف الفصول والديار، مع أن الفتور الواقع منه كالفتور الواقع من الأدوية التى فيها حدة، وحرقة لمن لا يعتادها وهو غير موجب لحرمتها.

المسلك السادس:

أنه موجب لتشبه الكفار وأهل النار، لما ورد من حذيفة رض مرفوعًا: "أن من علامات الساعة خروج الدخان فى آخر الزمان الذى يملأ ما بين الأرض، ويبقى أربعين يومًا وليلةً، ويدخل فى كل كافر من أنفه وأذنيه ودبره، وقرأ ﷺ ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾"، وفى رواية ابن جرير والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى وابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى رض نحو ذلك، وورد أيضًا فى الأخبار: أن أهل النار إذا دخلوا النار يدخل من أنوفهم وأفواهم الدخان، ويخرج من منافذ الأبدان، ومن المعلوم أن من يشرب الدخان، يخرج من حلقه وأنفه الدخان، فيكون متشبهًا بأهل النار والكفار، والتشبه بالكفار إن لم يكن حراما فهو مكروه قطعًا.

فإن قلت: التشبه بالكفار إنما يكون مكروهًا إذا كان التشبه بهم فى فعلهم الاختيارى المخصوص بهم، وخروج الدخان من منافذهم، ودخوله فى أبدانهم عذاب إلهى نازل عليهم من غير اختيارهم.

قلت: التشبه بهم كما أنه مكروه فى أفعالهم الخاصة، كذلك هو منهى عنه فى لهو وعذابهم، ويؤيده أن النبى ﷺ نهى من لبس خاتم الحديد عن لبس الحديد، وقال: إنها حلية أهل النار، أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وأحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان وغيرهم.

المسلك السابع:

أن شرب الدخان يحدث رائحة كريهة، فلا جرم يكون مكروهًا قياسًا على أكل الثوم والبصل المنهى عن أكلهما، كما ورد فى أحاديث صحيحة متعددة فى كتب معتمدة، وقد ذكره العينى فى "عمدة القارى شرح صحيح البخارى": أن ما وقع فى

الأحاديث من تخصيص النهى بالثوم والبصل من جهة أكلهما فى ذلك الزمان، وإلا ففى حكمها كل شىء له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها؛ لأن هذا الحديث معلل بإيذاء المؤمنين والملائكة -انتهى-.

ومثله فى "فتح البارى" للحافظ ابن حجر[1] و"المرقاة شرح المشكاة" لعلى القارى[2] و"شرح الموطأ" و"الطريقة المحمدية" وغيرها أن كل شىء له رائحة كريهة حكمه حكم الثوم والبصل، أخذًا من التعليل بتأذى الإنس والملائكة.

فإن قيل: من اعتاد شربه لا يجد له رائحة كريهة، ومن لم يعتد به يجد الرائحة، ومعلوم أن الرائحة الكريهة المنهيّة ما يكرهها جميع الناس أو غالبهم.

قلنا: المدار على كراهة الرائحة وعدمها قبل الاعتياد، وأما عدم استكراهها بعده، فلا يعبأ به عند أرباب الاعتماد، ألا ترى أن أصحاب الحرف المنتنة لا يجدون رائحة كريهة أصلا، ومن عداهم لا يقدرون على الوقوف عندهم أصلا.

وقال النابلسى فى "الحديقة الندية" موردًا على هذا المسلك بعد ما ذكر أحاديث النهى عن البصل والثوم مع ما لها وما عليها، وبهذا يظهر أن شرب النتن ليس بحرام، كما يزعمه بعضهم بالقياس على أكل الثوم، وإن كان أكل الثوم يقتضى مع الإنسان من دخول المساجد، وحضور مجامع الناس، فلا يلزم من ذلك الحرمة، وكذلك شرب النتن عند من لم يعتد استعمله إذا كان بحيث يتضرر برائحته، يقتضى المنع من دخول المساجد من غير حرمة، وأما حيث اعتاد على شربه غالب المصلين فى المساجد والحاضرين فى جامع الناس بحيث لا يتضررون برائحته، بل ربما يستلذونها ولا يستكرهونها، فلا يكون

---

(١) هو إمام الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى، ولد سنة ٧٧٢، وتعلم الشعر، فبلغ الغاية، ثم طلب الحديث، وتخرج بالحافظ زين الدين العراقى أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الأثرى، المتوفى فى شعبان سنة ٨٠٩، وبرع فى جميع فنونه، وانتهت إليه الرياسة فى الدنيا بأسرها، وألّف كتبًا نفيسةً: كـ"فتح البارى" و"مقدمة الهدى السارى" و"تهذيب التهذيب" و"تقريب التهذيب"، وغير ذلك، توفى سنة ٨٥٦، كذا فى "حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة" للسيوطى. (منه)

(٢) هو على بن سلطان محمد الهروى الحنفى نزيل مكة أحد صدور العلم، صاحب التصانيف المفيدة، المتوفى سنة ١٠١٢ فى شوال، كذا فى "خلاصة الأثر". (منه)

داخلا تحت النهى فيمن أكل ما هو كالثوم والبصل مما له ائحة كريهة عن دخول المسجد، إذ لا كراهة لرائحته حينئذٍ عند من اعتاده، فلا ينهى شارب النتن عن دخول المسجد، وحضور الجماعات.

وفى شرح الشرعة المسمّى بـ"جامع الشروح"، ولا يأتى المسجد وبه رائحة الشجرتين الخبيثتين أى المنتنين، وهما الثوم والبصل؛ لقوله عليه السلام: «من أكلهما فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما تتأذى منه الإنس»، وليس المقصود النهى عن الإتيان، بل عن الأكل وقت الإتيان، وقاس قوم على المساجد سائر مجامع الناس، وعلى أكل الثوم من معه رائحة كريهة، كالبخر وغيره، كذا فى "شرح المشارق"، فإن كانت رائحة النتن كريهة عند قوم مجتمعين فى المسجد أو غيره تكون كرائحة الثوم والبصل، وإن لم تكن كريهة فلا.

وقد أجمع الناس اليوم على استعمال النتن فى غالب المجالس بين العلماء والعوام من غير استكراه لرائحته، وإنما يستكرهه القليل الذين لا يشربونه، فلا يكون كالبصل والثوم؛ لأن المعتبر فى المقيس عليهما ما يستكرهه غالب الناس، وهذا لا يستكرهه غالب الناس اليوم، فليس هو من قبيل ذلك، ولا يقال الثوم، ولا يقال: الثوم والبصل إذا لم يستكرهه غالب الناس يلزم على هذا عدم النهى عن دخول المسجد برائحته؛ لأنا نقول ذلك ثابت بالأحاديث، وأما ما قيس عليه فمشروط باستكراه الرائحة، ومتى زال استكراهها، فلا قياس له عليه -انتهى كلامه-.

ولا يخفى عليك ما فيه، فإن أكل الثوم والبصل إنما صار ممنوعًا لعلة كراهة رائحته، فيكون شرب الدخان كذلك، لنتن رائحته، فإن اشتراك العلة يوجب اشتراك الممانعة، ويلزم أيضًا أنه كما أن أكل الثوم والبصل يمنع به الرجل من دخول المساجد والمجامع، كذلك كل ما له رائحة كريهة لاشتراك الجامع، ولا فرق بين ما إذا اعتاد الناس أو لم يعتدوه، كما أنه لا فرق فى المقيس عليه بينه وبينه على أن علة منع أكل الثوم والبصل من دخول المسجد ليس مجرد تأذى الناس، بل تأذيهم وتأذى الملائكة الحاضرين فى المسجد، كما أفادته رواية مسلم: من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى منه كما يتأذى بنو آدم، على هذا فلا يفيد الفرق بين اعتياد

الناس وعدم اعتيادهم، لبقاء تنفر الملائكة وتأذيهم.

وقد يقال: قياس شرب الدخان على أكل الثوم والبصل مع الفارق، والقول باشتراكهما فى نتن الرائحة غير رائق؛ لأن الرائحة الكريهة التى هى علة للكراهة من لوازم الثوم والبصل، إذا كانا نيئين غير مطبوخين، بل من ذاتياتهما لا صورة لدفعها إلا بطبخها، وأما شرب الدخان فليس كذلك، إذ لا رائحة كريهة فى نفس النتن، ولا فى نفس دخانه، وكذا فى نفس آلة شربه المعروفة بحقه، وإنما يحصل النتن فى الآلة وفم شارب الدخان منها بعوارض لاحقة خارجة عن أنفسها، كعدم الاحتياط فى تصفية الآلة وغسلها، وقلة الإتمام فى غسل فم شاربها، ولذلك ترى من نفيس الطبع منزّهًا عن هذا الجرح لا تجد فى فمه رائحة البتة، ولا توجد فى آلة شربه كراهة الريح بتة، فنظيره ما قد يجعل الريح الكريه بسبب عدم المضمة من أكل الأطعمة، وما يحصل فى بعض الأطعمة الموضوعة فى الآنية الغير الصافية، ومثل هذا الريح الكريه العارض لا يوجب الحكم بكراهة تلك الأشياء كل يؤمر بإزالة الريح بعد استعمال هذه الأشياء، نعم الشىء الذى يستلزم بنفس ذاته ريحًا كريهًا يقاس على الثوم والبصل، ويحكم بكونه مكروها، ولو سلم أن الرائحة الكريهة فيما نحن فيه كالرائحة الكريهة فى الثوم والبصل فى كونه من ذاتياته، فيقال: لا شبهة فى أنها دونها، فإن استلزمت الكراهة، فإنما تستلزم الكراهة التنزيهية لا التحريم ولا الكراهة التحريمية، فافهم واستقم.

المسلك الثامن:

أنه خبيث، وكل خبيث حرام، أما الصغرى فلأن الخبيث هو ما تستخبثها الطبائع السليمة، وشرب الدخان كذلك يستقبحها القرائح المستقيمة، وأما الكبرى فلقوله تعالى: ﴿ويحرّم عليهم الخبائث﴾ وقد استدل الفقهاء بهذه الآية على حرمة كثير من الأشياء القبيحة، فاستدل صاحب "مواهب الرحمن" وشرحه البرهان بها على حرمة الحشرات، كالزنابير والقنفذ واليربوع وغير ذلك، واستدل شراح الكنز بها على حرمة حيوانات البحر ما عدا السمك، ونظائره كثيرة فى كتب الفقه شهيرة.

وأنت تعلم ما فيه، فإن الخبيث على ما يعلم من تتبع كتب غريب الحديث واللغة يطلق على المعانى المتشتة منها المضر، كما يقال بعض الحشرات الخبيثة، ومنها النجس

كالخمر وغيره، ومنها المكروه طعمًا وريحًا، كالثوم ونحوه، ومنها المكروه من حيث الرداءة، كما فى حديث كسب الحجام خبيث، ومنها ما لا يوافق عادة واستعمالا، ومنه يقول: من لا يعتاد شيئًا ويكرهه، وإن كان فى نفسه طيبًا هذا خبيث إلى غير ذلك من المعانى المفصلة فى موضعها المشروعة فى محلها، فمجرد إطلاق الخبيث على الشىء لا يستلزم حرمته ما لم يبين كيفيته.

المسلك التاسع:

أنه مما يجتمع على الفساق كاجتماعهم على المحرمات، وما يكون كذلك فهو محكوم بكونه من المحرمات، أما الصغرى فيظهر صدقها بملاحظة مواضع شربه، ومحال استعماله، وأما الكبرى فلا يظهر من كلام صاحب "الهداية"، حيث قال: وهل يجد فى المتخذ من الحبوب إذا أسكر منه، قالوا: والأصح أنه يحد من غير تفصيل، وهذا لأن الفسّاق يجتمعون عليه فى زماننا اجتماعهم على سائر الأشربة، بل فوق ذلك انتهى مثله كثير، وفى كتب الفقه شهير.

ولا يذهب عليك ما فيه فإن مجرد اجتماع الفساق على شىء مباح فى أصله لا يوجب حرمته فى ذاته، نعم يحكم بالمنع عليهم، ويزجر عليهم سدّا للذريعة لئلا يفضى ذلك إلى المفسدة، وهذا هو مراد الفقهاء، حيث حكموا بذلك كما صرح به الشراح هنالك على أن شرب الدخان ليس مما يجتمع عليه الفاسقون فقط، بل معهم جماعة عالمون، فالحكم بحرمته ليس فى موضعه.

المسلك العاشر:

أنه عام البلية وشامل الفتنة، وما يكون كذلك فهو محكوم عليه بالحرمة، لما ذكر فى "شرح التمرتاشى" وغيره أن شمس الأئمة الكردرى[1] سئل عن البنج وحرمته، فقال: ما نقل عن أبى حنيفة وأصحابه شىء فى حله وحرمته، لكن لما عمت بليته، وشملت الأماكن فتنته، اختار أئمة ماوراء النهر بأسرهم تحريمه، وأفتوا بتأديب باعته

---

(١) هو محمد بن عبد الستار الكردرى، نسبة إلى كردر كجعفر قرية من ناحية خوارزم، تلميذ صاحب "الهداية" على بن أبى بكر المرغينانى، وقاضى خان حسن بن منصور وغيرهما، المتوفى سنة ٦٤٢ وليطلب البسط فى تراجمهم من "الفوائد البهية".

وزجر أكلته.

وفيه خطأ واضح، واجتراء فاضح فإنه على تقدير تمامه لا يستلزم حرمة ما نحن فيه بأصله، بل إذا كان مفضيا إلى بلية وفتنة، فيكون فى درجة الإباحة إذا خلى عن المفسدة.

المسلك الحادى عشر:

أنه يفسد العقل، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، أما الأول فلأنه إذا وصل الدخان إلى القلب، وعلا إلى الدماغ، فلا محالة يؤذيهما ويشوشهما، ومحل العقل الدماغ أو القلب، فيفسد العقل بفسادهما، وأما الثانى فأن من اعتاده قلّ أن يذكر ويصلى، بل كثيراً ما يشتغل به وكل ما كان كذلك، فهو حرام بالمعقول والمنقول.

وفيه فساد ظاهر، واختلال باهر، فإن فساد العقل والدماغ والقلب ليس من لوازمه وذاتياته، إنما هو من عوارضه اللاحقة، ومثل هذا لا يستلزم الحرمة العامة، وموت بعض من تناوله فجأة لا يثبت أنه مضر كلية، بل هو يختلف باختلاف المستعملين والشاربين، وكذا الصد عن ذكر الله ليس من لوازمه، فإن كثيراً من يعتاده يصوم ويصلى، فإن كان ذلك فى بعضهم، أو فى أكثرهم كان من عوارضه.

المسلك الثانى عشر:

أن الدخان آلة العذاب، وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع العقاب، فقال تعالى: ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وظل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾، وقال تعالى: ﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس﴾، وقال تعالى: ﴿انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب، والظل والنحاس واليحموم هو الدخان، وقال تعالى فى حق قوم يونس: ﴿لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا﴾، وكان ذلك الدخان، وما يكون كذلك، فاستعماله على وجه يكون هيئة العذاب حرام.

ألا ترى إلى ما أخرجه أبو داود وغيره عن بريدة رض: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وعلى خاتم من حديد، فقال: ما لى أرى عليك حلية أهل النار، ثم جاء وعليه خاتم من صفر، فقال: ما لى أجد منك رائحة الأصنام، فقال: يا رسول الله! من أى شىء اتخذه؟ قال: اتخذه من ورق"، ومن ثم شرح بعض الفقهاء بأن استعمال الحديد أكثر إثمًا من

استعمال الذهب والفضة؛ لكونه آلة لعذاب الفجرة، فإذا كان قال: الحديد هذا مع أن ما فيه نوع زينة فما بالك بالدخان المعدّ لعذاب الدنيا والآخرة.

وإنما قلنا: إن استعمال آلة العذاب على وجه يكون هيئة كهيئة أهل العذاب حرام؛ لئلا يرد أنه لو كان استعمال آلة العذاب حرامًا لما جاز الانتفاع بالحديد مطلقًا، مع أن فيه بأسًا شديدًا، ومنافع للناس، كما قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ ولما جاز الطبخ بالنار والبخور بالعود وغيره؛ لأن فيه استعمال الدخان والنار، وجه عدم الورود أن المحرم، إنما هو استعمال آلة العذاب على هيئة أهل العذاب، وأهل النار يعذبون بالبأس الحديد بالسلاسل والأغلال والإحراق بالنار، ودخول دخان فى المنافذ جزاء بما كسبوا من الأفعال، لا بأن يعطى لهم السيف، أو السكين، أو يطبخوا بالنار، ويبخروا بدخان مبين، فيكون لبس الحديد وإدخال الدخان فى النافذ حرامًا لا الانتفاع بهما مطلقًا، وفيه أن غاية ما يثبت منه بعد تمامه هو الكراهة، لا الحرمة القطعية.

المسلك الثالث عشر:

أنه مما يحصل به الإيذاء، وما كان كذلك فهو حرام بلا امتراء، أما الصغرى فلأن من لم يشربه إذا وجد منه الرائحة تأذى منه بحيث يحصل له منه صداع الرأس، وتنفر منه بحيث يصرف عنه الرأس وأشد من ذلك تأذى الملائكة برائحته القبيحة، وأما الكبرى فلقوله تعالى: ﴿والذى يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾ وقال ﷺ: «كل مؤذٍ فى النار»، والنصوص فى هذا متواردة متكاثرة، وفيه منع الصغرى لما حققنا سابقًا أنه ليس فى نفسه ما يحصل منه الإيذاء، فإن كان ذلك لعارض وجب دفع ذلك العارض، ولا يلزم منه حرمة أصله على أنه لو سلّم ذلك انتقض بأكل الثوم ونحوه، فإن بعض الظاهرية ذهبوا إلى تحريمه أخذًا من أحاديث منع حضور المسجد لأكله، وهو قول شاذ بلا نزاع، بل هو حلال بالإجماع، كما صرح به النووى فى "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" وغيره فى غيره، وإذا كان حال الثوم والبصل وغيرهما من الأمور المنهية نصًا هذا فما بالك بالدخان الذى ليس بمنصوص المنع مع كونه أخف من ذا.

المسلك الرابع عشر :

أنه مستلزم للإسراف ، وهو حرام بالنص ، وفيه بعد بعيد عن الإنصاف ، فإنه ليس بمستلزم له ، بل كثيرا ما يحصل بدونه .

المسلك الخامس عشر :

أن فيه تقبيح الصورة التى صورها الله عند شربه قد ورد دفع السعال ، ووضع اليد على الفم عند التثاؤب لذلك فكيف به ، وفيه خبط واضح وخلط لائح ، فإنه ليس فى التقبيح الممنوع ، وإن حصل ذلك فى بعض الأحوال ، فكونه موجبا للحرمة مقدوح .

المسلك السادس عشر :

أن فيه إدخال الدخان فى البدن ، وهو متولد من النار والنتن ، وأكل النار حرام لحديث : إن الله ما أطعمنا النار ، وفيه أن كون الشيء حرامًا لا يستلزم كون ما يترتب منه حرامًا .

المسلك السابع عشر :

فيه تشبه بشيطان بيده شعلة نار ، فإن من يعتاد شرب الدخان تراه فى أكثر الأوقات بيده شعلة نار ، والتشبه بالشيطان ممنوع بالنصوص الصريحة ، ولذلك نهى عن الأكل والشرب بالشمال ، والمشى فى نعل واحدة ، والشرب قائمًا والجلوس فى الظل والشمس والتخصر وغير ذلك من الأفعال الشيطانية .

وفيه أنه يستلزم أن يمتنع وضع شعلة من النار على يده لحاجة مع أن التشبه بإبليس إنما منع فى أفعال خاصة ثابتة بأحاديث وردت به ، لا فى الأفعال المشتركة بينه وبين غيره على أن تشبه كل من يشرب الدخان ممنوع ببناء حكم حرمته ، أو كراهة عليهم مقدوح .

المسلك الثامن عشر :

قد نهى عنه أولو الأمر أى السلاطين ونهيهم عن شيء موجب لحرمته على المسلمين ، وفى ما ذكر النابلسى وغيره بأمر المراد من أولى الأمر العلماء على الأصح ، كما ذكره العينى فى الرمز شرح الكنز ، وهل يثبت منع السلاطين الظلمة المصريّين على المصادرات ، وتضييع بيوت المال وإقرارهم القضاة وغيرهم على الرشوة والظلم حكمًا شرعيًا ، وقد قالوا : من قال لسلطان : زماننا عادل ، فهو كافر .

المسلك التاسع عشر:

قد اجتمعوا على الحرمة، والإجماع حجة من الحجج الشرعية، وفيه أن الإجماع الذى هو إحدى الحجج الأربعة هو إجماع المجتهدين، كما هو مصرح فى كتب الأصوليين، وقد صرّحوا بأن الاجتهاد المطلق منقطع من رأس الأربع مائة، وقيل: من رأس الخمس مائة، فأين وجود المجتهدين حين حدوث هذه البدعة فى المسلمين، وأما العلماء الذين أفتوا بتحريمه، فهم ليسوا من المجتهدين، حتى يجب تقليدهم المسلمين، بل أكثرهم ليسوا من أصحاب الاجتهاد فى المذب أيضًا مع أنهم أنفسهم مختلفون، فانتفى الإجماع رأسًا.

عجيبة:

قال بعض المتهوّرين: حرمته ثابتة بالأدلة الأربعة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ولا تسرفوا﴾ وأما السنة فقوله ﷺ: «كل دخان حرام»، وأما الإجماع فلاتفاق علماء عصر حدوثه على تحريمه، وأما القياس فعلى أكل الثوم ونحوه، ولم يدر هذا المسكين تجاوز الله عنه وعن جميع المسلمين، إن الآية لا تثبت شيئًا مما ذكر، كما مر، والحديث الذى ذكره موضوع لا يوجد له سند، لا موقوف ولا مرفوع، والإجماع منتفٍ بانتفاء المجتهدين مع اختلاف المفتين، والقياس من شأن المجتهدين.

فإن قلت: هذه الاستدلالات التى أوردها المانعون ليست بقياسات حتى يقال: إنه منتفٍ بانتفاء الاجتهاد، بل إدخال جزئى فى العمومات الكلية الثابتة من الآيات والأحاديث وقياسات أصحاب الاجتهاد، وهو ليس بمنقطع إلى يوم القيامة، وإن انقطع الاجتهاد من أزمنة طويلة، علا أن المنقطع إنما هو الاجتهاد المطلق الكلى، لا الاجتهاد الجزئى على الرأى الأصح التجزئ.

قلت: هب ولكن قد عرفت أن أكثر مسالكهم مخدوشة وبعضها إن كانت صحيحة لا تثبت الحرمة بل الكراهة، هذا كله كان كلامًا مع المانعين المحرمين والكارهين، وأما المجوزون فعمدة ما استندوا به أمور ثلاثة:

الأول: أن شرب الدخان لم يدل دليل من الأدلة الأربعة على حرمته، وما كان

كذلك، فهو فى حيز الإباحة.

الثانى: أن الأصل فى الأشياء الإباحة، فيندرج فيه شرب الدخان، ويبقى على أصل الإباحة.

الثالث: أن الأصل فى المنافع إباحة الاستعمال، وفى المضار التحريم، وشرب الدخان نافع ولو فى الجملة، فلا يدخل فى الأصل التحريم.

وبعد اللّتيا والّتِي نقول متجنبًا عن الإفراط والتفريط سالكًا الوسط الوسيط: أن ههنا اختلافين: الأول: فى الكراهة والإباحة، والثانى: فى الكراهة والخلو عن الكراهة، والحق فى الاختلاف الأول هو الإباحة ولا سبيل إلى إثبات الحرمة بدليل من الأدلة الشرعية، وفى الاختلاف الثانى الحق فى جانب الذاهبين إلى الكراهة أجود التشبه بأهل النار والأشرار واستعمال ما يعذب به أرباب الشقاق من الكفار والفجار، ولا يراثه الريح الكريه غالبًا، وإن لم يكن كليًا، ثم هل هو مكروه تحريمًا أو تنزيهًا اختلف فيه، فمن قائل الكراهة التحريمية، ومن قائل بالكراهة التنزيهية، وأنا إلى الآن متوقف فى الجزم بذلك، وذلك لأن علة الكراهة أمور: أحدها: التشبه بالأشرار، وثانيها: استعمال ما يعذب به أهل النار، وثالثها: حصول الرائحة الكريهة فى أفواه الجماعة المعتادة.

أما الأول فإن نظر إلى أن الفقهاء كثيرًا ما حكموا بكراهة الأشياء تحريمًا بالتشبه حكم بكونه كذلك، وإن نظر إلى أنهم حكموا فى بعض ما فيه التشبه بالكراهة التنزيهية، حكم بذلك، وأما الثانى فهو أيضًا من حيث الاعتبار ببعض نظائره مفيد للكراهة التحريمية، ومن حيث اعتبار الفرق بينهما وبين مفيد للتنزيهية.

وأما الثالث فهو أيضًا مفيد للتنزيهية عند أرباب البصيرة، وإن ظنه جماعة موجبًا للتحريمية، نعم إن كان اجتماع وجوه عديدة للكراهة التنزيهيية موجبًا للتحريمية لكفى ذلك فى ثبوت المرام، لكنه محتاج إلى سند تام، فتأمل فى هذا المقام، فإنه من مزال الأقدام.

وخلاصة المرام فى المقام: أنه لا شبهة فى إباحته وعدم تحريمه ولا ريب فى كراهته، فإن كانت كراهته تحريمية؛ كان الارتكاب من الكبائر؛ لأن المكروه تحريمًا قريب من الحرام على ما صرح به جمع من الأعلام، وإن عدّه بعضهم من الصغائر، وإن كانت

تنزيهية كان ارتكابه صغيرة، لكن يكون بالإصرار عليه، واعتياده كبيرة، فظهر أن شرب الدخان موجب لارتكاب الكبيرة على رأى أكثر العلماء ذوى الشأن، وهو الذى يدل عليه البرهان، ومن ذهب إلى الإباحة مع الخلو عن الكراهة، فقوله لا يخلو عن شذوذ وخسران.

لطيفة:

مما يناسب المقام ما ذكره محمد بن فضل الله الدمشقى فى "خلاصة الأثر" فى ترجمة السيد محمد بن محمد بن برهان الشهير بـ"العلامة الحميدى" الأصل القسطنطينى نقيب الأشراف بممالك الروم، المتوفى سنة ١٠٤٣ قال: حكى ولدى قال: أخبرنى المولى الشهاب الخفاجى، وأنا بمصر فى سنة ستين وألف أنه كان فى يوم من الأيام فى مجلسه الرفيع العالى المقام مع جماعة من الفضلاء، فاحتجب الشهاب عن المجلس لأجل الدخان، وكان المنع قد حصل من حضرة السلطان، ولما عاد إلى المجلس أنشد هذين البيتين، وهما نظم وقتهما من غير بين:

إذا شرب الدخان فلا تلمنا وخذ بالعفو يا روض الأمانى

تريد مهذبًا من غير ذنب وهل عود يفوح بلا دخان

فأجاب صاحب الترجمة فى الحال على سبيل الارتجال

إذا شرب الدخان فلا تلمنى على نومى لأبناء الزمان

أريد مهذبًا من غير ذنب كريح المسك فاح بلا دخان

-انتهى-.

الباب الثالث
فى حكم شرب الدخان فى حالة الصيام
حسب ما صرّح به الأعلام

وقد ألفت فيه من قبل فى السنة الرابعة والثمانين بعد الألف والمائتين من الهجرة رسالة نفيسة سميتها " زجر أرباب الريان عن شرب الدخان " ، مرتبة على مقصدين ، وخاتمة ، المقصد الأول فى وجوب القضاء بشرب الدخان ، والثانى فى وجوب الكفارة به ، والخاتمة فى بيان قدر من حكم شرب الدخان ، فأحببت أن أجعلها جزء من هذه الرسالة ، وأدرجها فى أثناء هذه العجالة ، لكونها كافية بالمراد ، وافية بالسداد ، وهى هذه :



للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد

الناشر

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

الطبعة الأولى: .... ١٤١٩ هـ

الصف والطبع والإخراج: .... بإدارة القرآن كراتشي

اعتنى بإخراجه الفني وتصميمه على الكمبيوتر .... نعيم أشرف نور أحمد

أشرف على طباعته: .... فهيم أشرف نور

من منشورات

إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

D/ ٤٣٧ گاردن ايست كراتشي ٥ - باكستان

الهاتف: ٧٢١٦٤٨٨ فاكس: ٠٠٩٢٢١-٧٢٢٣٦٨٨

E. Mail: quran@diggicom.net.pk

ويطلب أيضا من:

المكتبة الإمدادية .... باب العمرة مكة المكرمة - السعودية

مكتبة الإيمان .... السمانية، المدينة المنورة - السعودية

مكتبة الرشد .... الرياض - السعودية

إدارة إسلاميات .... انار كلي لاهور - باكستان

بســــم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذى أوضح لنا ما ينفعنا وما يضرنا نهاية الإيضاح، وهدانا إلى طريق به نجاة الأرواح، نشهد أنه لا إله إلا هو، لا شريك له خالق الصور والأشباح، والصلاة والسلام على من بذكره تتروح الأرواح، وبتوسله تفتح أبواب الرحمة من المولى الفتّاح، وعلى آله وصحبه الذين هم هداة الخلق أرباب الكرم والفلاح.

أما بعد: فيقول المعتصم بالحبل القوى أبو الحسنات محمد المدعو بـ "عبد الحيى" اللكنوى -تجاوز الله عن ذنبه الجلى والخفى- ابن من هو علامة الدهر، فهّامة العصر، فخر أرباب التحقيق، مرجع أصحاب التدقيق، شيخى وأستاذى مولانا الحاج الحافظ المولوى محمد عبد الحليم -أبّد الله فيضه العميم-[1]: إن هذه رسالة عجيبة لم يسبقنى إلى مثلها أحد، سميتها:

«زجر أرباب الريان عن شرب الدخان»

كان الباعث على تأليفها، أنى سمعت من الناس أن بعض أبناء الزمان: يجوز شرب الدخان المروج فى هذا الزمان حالة الصوم فى شهر رمضان، ويقول: لا يفطر الصوم شرب الدخان لتصريح الفقهاء بعفو دخول الدخان.

فقلت: ما أغفله أو لم يفرْق بين الدخول والإدخال ما أجهله، أو لم يسمع ما قاله علماء المقال، فأردت أن أكشف الغطاء عن هذا المقصد الأقصى، وجاء أن يخلصنى الله تعالى من عذاب الدخان، وينجينى من النيران، ورتبته على مقصدين وخاتمة، داعيًا لحسن الخاتمة.

---

(١) كان رحمه الله حيًا حين تأليف هذه الرسالة، وتوفى بعد ذلك فى شعبان سنة ١٢٨٥. (منه رحمه الله تعالى)

المقصد الأول
فى وجوب القضاء بشرب الدخان

اعلم أن مفسد الصوم هو إدخال شيء من الخارج عمدًا[١]، سواء كان ذلك الشيء مما يمكن الاحتراز عنه أولا، وأما الدخول فلا يفسد منه إلا دخول ما يمكن الاحتراز عنه، فإن دخل ما لا يمكن الاحتراز عنه، لا يفسد به صومه أصلا.

وعليه يتفرع مسائل:

منها: أنه إذا قاء الصائم لا يفسد صومه، فإن عاد إلى جوفه، فهو على وجهين: إن كان ملء الفم، وأعاده فسد فى قولهم جميعًا؛ لأن ملء الفم بمنزلة الخارج، فإعادته بمنزلة الأكل ابتداء، وإن عاد بنفسه فسد فى قول أبى يوسف؛ لأنه عاد فى جوفه ما له حكم الخارج، ولا يفسد صومه فى قول محمد رحمه الله، وهو الصحيح؛ لأنه لما لم يمكن الاحتراز عن خروجه، كذلك لا يمكن الاحتراز عن عوده ودخوله، فجعل عفوًا، كذا ذكره قاضى خان[٢] فى "فتاواه".

ومنها: أنه لو دخل دمعه، أو عرقه، أو دمه فى فمه فسد صومه؛ لأنه يمكن الاحتراز عنه، ذكره فى "الخانية"، وفصله فى "البزازية"[٣] حيث قال: دخل عرق الصائم فمه أودمعه إن كان قليلا كالقطرة والقطرتين لا تفسد، وإن كثر حتى وجد طعمه فى حلقه، أو اجتمع شيء كثير فى حلقه، فابتلعه فسد لإمكان التحرز -انتهى-.

وفى "الفتاوى الظهيرية"[٤]: إذا نزل الدموع من عينيه إلى فمه فابتلعها يجب

---

(١) قيّد به لأن السهو والنسيان عفو. (منه)

(٢) هو حسن بن منصور بن محمود الأوزجندى عدّه من المجتهدين فى المسائل، له تصانيف معتبرة، وكانت وفاته سنة ٥٩٦ فى رمضان، كذا فى "طبقات الحنفية" للكفوى. (منه)

(٣) هو لحافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب البزازى الكردرى، المتوفى سنة ٨٢٧، ذكره فى "الكشف" وترجمته مبسوطة فى "الفوائد". (منه)

(٤) هو لظهير الدين محمد بن أحمد البخارى، المتوفى سنة ٦١٩، كما فى "طبقات الكفوى" وغيره نسبته إلى ظهير الدين الكبير على بن عبد العزيز المرغينانى، المتوفى سنة ٥٠٦، كما صدر عن على

القضاء بلا كفارة، وفى متفرقات الفقيه أبى جعفر[١]: إن تلذذ ابتلاع الدم يجب القضاء مع الكفارة.

ومنها: أنه لو دخل فى فمه ذباب، أو غبار، أو دخان، أو طعم الأدوية لا يفسد، ذكره فى "مجمع البحرين"[٢]، وعلّله ابن ملك[٣] بعدم إمكان الاحتراز عنه، وفى "البحر الرائق": لا غبار الطاحونة كالدخان.

ومنها: أنه لو اكتحل فوجد أثر الكحل فى فمه وحلقه فسد صومه عند مالك، وعندنا لا يفسد، وكذا إذا وجد أثر الكحل فى بزاقه لا يفسد صومه عند عامة المشايخ، ذكره فى "التاتارخانية"[٤].

وفى "النهاية"[٥]: لو اكتحل لم يفطر وإن وجد طعمه فى حلقه، وكان ابن أبى ليلى يقول: إذا وجد طعمه فى حلقه فطره لوصول الكحل إلى باطنه، ولنا أن ما وجده من طعم الكحل أثر الكحل لا عينه، كمن دق شيئًا من الأدوية يجد طعمه فى حلقه، فهو قياس الغبار والدخان، ولئن وصل الكحل عينه، فهو من المسام لا من المسالك، إذ ليس بين العين إلى الحلق منفذ، فهو نظير الصائم يغتسل فى الماء البارد، فيجد برودة الماء فى

القارى فى "طبقات الحنفية" خطأ، وكذا نسبت إلى ظهير الدين الحسن ابن على بن عبد العزيز المرغينانى أستاذ الظهير البخارى، وقد أوضحت كل ذلك مع تراجمهم فى "الفوائد البهية فى تراجم الحنفية". (منه)

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد البلخى الهندوانى، إمام كبير توفى سنة ٣٦٢ ببخارى، ذكر الفقيه أبو الليث نصر السمرقندى فى آخر "كتاب النوازل". (منه)

(٢) هو لأحمد بن على بن ثعلب مظفر الدين المعروف بابن الساعاتى البغدادى إمام العصر، المتوفى سنة ٦٩٤ فى تاريخ اليافعى، وقد سطت فى ترجمته فى "النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير" و "الفوائد البهية". (منه)

(٣) هو عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين ابن فرشتا صاحب "شرح المنار" و "شرح المشارق" و "شرح الوقاية" وغيره، ذكره السخاوى فى "الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع"، وليطلب البسط فى ترجمته من "الفوائد البهية"، ومن "معدة السعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية". (منه)

(٤) للإمام الفقيه عالم بن علاء الحنفى صفة باسم الخال الأعظم تاتار خان، كذا فى "طبقات على القارى". (منه)

(٥) لحسام الدين حسين بن على السغناقى، نسبة إلى سغناق -بالكسر- بلدة بتركستان، توفى سنة ٧١٤ بحلب، ذكره فى "مدينة العلوم"، والبسط فى "الفوائد". (منه)

كبده، وذلك لا يضر، كذا فى "المبسوط" -انتهى ملخّصًا-.

ومنها: ما رأيته فى "شرح الهداية" للعينى عن "السليمانية": أن من تبخر بالدواء، فوجد طعمه فى حلقه يقضى الصوم لوجود فعله، وإدخاله الدخان.

ومنها: أنه لو دخل فى فمه المطر والثلج اختلفوا فيه، فقيل المطر يفسد والثلج لا، وقيل: بالعكس، والأصح أنه لو دخل فى فمه مطر أو ثلج أفطر، ذكره فى "ملتقى الأبحر"[1].

وقال فى "غاية البيان": هو قول العامة، وصححه فى "البزازية"، وفى "مجمع الأنهر": هو الصحيح لحصول المفطر معنى، والإمكان الاحتراز عنه إذ آواه سقف أو خيمة، كما فى "العناية"[2] -انتهى-.

وفى "البحر الرائق": لو وصل إلى حلقه دموع، أو دم رعاف، أو مطر، أو ثلج فسد صومه، لتسير طبق الفم وفتحه أحيانًا مع الاحتراز عن الدخول، ثم قال: والتعليل بما ذكرنا أولى مما ذكر فى "الهداية"[3] و"التبيين"[4] من التعليل بإمكان أن يأويه خيمة أو سقف، فإنه يفضى إلى أن المسافر الذى لا يأويه سقف ولا خيمة ليس حكمه بغيره، وليس كذلك.

ومنها: أنه لو وجد فى حلقه ريح العطر لا يفسد لعدم إمكان الاحتراز عنه، وهو مثل الدخان، وطعم الأدوية ذكره فى "التاتارخانية".

ومنها: أن لو خاض فى النهر، فدخل الماء فى أذنه لا يفسد؛ لأنه لا يمكن الاحتراز

---

(١) هو لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبى الخطيب، المتوفى سنة ٩٥٦ ذكره صاحب "مجمع الأنهر". (منه)

(٢) هو شرح "الهداية" للشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرتى الرومى، خاتمة المحققين صاحب "شرح المشارق" و"شرح أصول البزدوى" وغير ذلك، المتوفى سنة ٧٨٦، ذكره السيوطى، والتفصيل فى "الفوائد". (منه)

(٣) هو شرح "الهداية" المتن والشرح كلاهما لشيخ الإسلام برهان الدين أبو الحسن على بن أبى بكر المرغينانى، المتوفى سنة ٥٩٣ والبسط فى ترجمته فى رسالتى "مقدمة الهداية". (منه)

(٤) هو "شرح الكنز" للفخر عثمان بن على الزيلعى، نسبة إلى الزيلع -بالفتح- بلدة بساحل بحر الحبشة، مات بالقاهرة سنة ٧٤٣، ذكره السيوطى فى "حسن المحاضرة"، والبسط فى "الفوائد". (من)

عنه، ولو أدخله، ففيه خلاف، فنقل الزاهدى[1] فى "المجتبى" عن الصدر الشهيد: عدم الفساد، واختاره فى "الدر المختار"، وجزم به فى "تنوير الأبصار"[2]، وصححه فى "المحيط"، وفى "الولوالجية"[3]: أنه المختار، واختاره فى "الهداية" لانعدام صلاح البدن، والوصول إلى الجوف من المنفذ المعهود، بخلاف الدهن حيث يفسد بإدخاله فى أذنه اتفاقًا، لوجود صلاح البدن، والحق أنه يفسد بإدخال الماء دون الدخول صححه قاضى خان، ومثله فى "البزازية"، واستظهره فى "البرهان"، وقال ابن الهمام[4]: الحق الأصح فى الماء التفصيل الذى ذكره قاضى خان.

ومنها: أنه لو تمضمض فوصل الماء فى حلقه وهو ذاكر للصوم أفطر؛ لأن التقصير جاء من قبله.

إذا علمت هذا كله عرفت أن الفقهاء قد فرّقوا فى مواضع عديدة بين الدخول والإدخال، فحكموا بالفساد عند الإدخال دون الدخول، وبه يثبت المرام؛ لأنهم قد عللوا عدم فساد الصوم بدخول الدخان بعدم إمكان الاحتراز عنه، فإذا شرب الدخان فقد أدخل عمدًا ذاكرًا للصوم، فيفسد لا محالة، ويجب القضاء حتمًا، وقد نبه عليه بعض الفقهاء أيضًا، فقال الشرنبلالى[5] فى شرحه "مراقى الفلاح" لمتنه "نور الإيضاح": أو دخل فى حلقه دخان بلا صنعه، وفيما ذكرنا إشارة إلى أن من أدخله بصنعه فى حلقه بأى صورة كان، فسد صومه، سواء كان دخان عنبر أو عود أو غيرهما حتى إن من تبخر ببخوره، فآداه إلى نفسه، وشمَّ دخانه ذاكرا للصوم، أفطر لإمكان التحرز عن إدخال

---

(١) هو مختار ابن محمود نجم الدين الغزمينى، نسبة إلى غزمين -بالفتح- قصبة من قصبات خوارزم، المتوفى سنة ٦٥٩، ذكره القارى وغيره، ويطلب من "الفوائد". (منه)

(٢) للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن بن التمرتاشى الغزى، صاحب التصانيف السائرة، المتوفى سنة ١٠٠٤ وترجمته مبسوطة فى "الخلاصة". (منه)

(٣) و لعبد الرشيد ابن أبى حنيفة بن عبد الرزاق ظهير الدين الولوالجى، نسبة إلى ولوالج -بفتح الواو وسكون اللام وفتح الواو ثم ألف ثم اللام المكسورة ثم جيم- مدينة ببدخشان، المتوفى بعد سنة ٥٤٠، ذكره الكفوى. (منه)

(٤) هو كمال الدين محمحمد بن عبد الواحد إسكندرى صاحب "فتح القدير" وغيره، المتوفى سنة ٨٦١، ذكره الكفوى وغيره، والبسط فى "الفوائد". (منه رحمه الله تعالى)

(٥) هو الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى، المتوفى سنة ١٠٦٩ تسع وستين وألف. (منه)

المفطر جوفه ودماغه، وهذا مما يغفل عنه كثير من الناس، فليتنبه ولا يتوهم أنه كشم الورد وماءه والمسك لوضوح الفرق بين هواء تطييب بريح المسك وشبه وبين جوهر دخان وصل إلى جوفه بفعله، وسنذكر الكفارة بشربه -انتهى-.

وقال شيخ زاده[1] فى "مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر" عند قول الماتن: وإن دخل حلق غبار، أو ذباب، أو دخان لا يفطر، والقياس أن يفطر لوصول المفطر إلى جوفه، وإن كان لا يتغذى به.

وجه الاستحسان أنه لا يقدر على الامتناع عنها، فإذا أطبق الفم لا يستطاع الاحتراز عن الوصول إلى الألف، فصار كبلل يبقى فى فيه بعد المضمضة، وعلى هذا لو دخل حلقه فسد صومه حتى أن من تبخر ببخور، فاستشم دخانه، فأدخل حلقه ذاكرا لصومه أفطر؛ لأنهم فرّقوا بين الدخول والإدخال؛ لأن الإدخال عمله، والتحرز عنه ممكن، ويؤيده قول صاحب "النهاية": إذا دخل الباب جوفه لا يفسد صومه؛ لأنه لم يوجد ما هو ضد الصوم، وهو إدخال الشيء من الخارج إلى الباطن، وهذا مما يغفل عنه كثير من الناس، فلينبّه له -انتهى-.

وقال الحصكفى[2] فى "الدر المختار": مفاده أنه لو أدخل حلقه الدخان أفطر، أى دخان كان ولو عودًا أو عنبرًا، لو ذاكر الإمكان الاحتراز عنه، فلينبّه له، كما بسطه الشرنبلالى -انتهى-.

وفى "رد المحتار": به يعلم حكم شرب الدخان -انتهى- فقد بان لك دراية ورواية فساد الصوم بشرب دخان التنباك المعروف فى هذا الزمان، ولم يبقَ للمنكر مع ذلك إلا الضلال والطغيان.

---

(١) هو قاضى القضاة بالعساكر الرومية عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن سليمان، المتوفى سنة ١٠٧٨ ثمان وسبعين بعد الألف، ذكره فى "الكشف". (منه)

(٢) هو الشيخ علاء الدين الفقيه عصكفى، المتوفى سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانين بعد الألف.

المقصد الثانى
فى وجوب الكفارة بشرب الدخان فى حالة الصوم،

اعلم أن الكفارة تجب بالتغذى؛ واختلفوا فى معناه، هل هو أن يميل الطبع إليه، وتنقضى شهوته البطن به، وقيل: هو ما يعود نفعه إلى إصلاح البدن، وفائدته تظهر فى ما إذا مضغ لقمة، ثم أخرجها، ثم ابتلعها، فعلى القول الثانى: تجب الكفارة، وعلى الأول لا تجب، وهو الأصح، وعلى هذا الورق الحبشى والحشيش والقطاط، فعلى القول الثانى: لا تجب الكفارة له؛ لأنه لا نفع فيه للبدن، وربما يضره، وينقص عقله، وعلى القول الأول تجب؛ لأن النفس تميل إليه، وتنقضى شهوة البطن منه، كذا فى الجواهر النيرة شرح القدورى"[1].

وفى "التاتارخانية": الصائم إذا أكل ما يتداوى به، أو ما يؤكل عادة إما مقصود بنفسه أو تبعًا بغيره، يلزمه الكفارة بأكله، وما لا يتداوى به ولا يؤكل عادة لا مقصودًا ولا تبعا لغيره لا يلزم الكفارة بأكله، وما يصلح للدواء والغذاء يجب بأكل الكفارة قصد الدواء والغذاء، أو لم يقصد -انتهى-.

إذا علمت هذا، فنقول: إن دخان التنباك المروج فى زماننا بعضهم يشربونه نفسًا، وبعضهم يشربونهقضاءً لشهوة النفس، ويميل طبعهم إليه، فيجب الكفارة بشربه، وقد نبّه عليه الشرنبلالى، فقال فى "مراقى الفلاح" بعد ما ذكر ما نقلته عن "الجوهرة": قلت: وعلى هذه البدعة التى ظهرت الآن وهو شرب الدخان فى لزوم اللكفارة، نسأل الله العفو والعافية -انتهى- وقال: هو ناظمًا فى شرحه للوهبانية:

ويمنع من بيع الدخان وشربه ... وشاربه فى الصوم لا شك يفطر
ويلزمه التكفير لو ظن نافعًا ... كذا دفع شهوات بطن فقرروا

-انتهى

قلت: ولو فرض أنه لا يكون نافعًا ولا دافعًا للشهوة، فيجب الكفارة بالإصرار

(١) هو "مختصر السراج الوهاج" شرح "مختصر القدورى"، كلاهما لأبى بكر بن على الحدادى، المتوفى سنة ٨٠٠، ذكره القارى فى "طبقات الحنفية". (رحمة الله تعالى عليه)

على شربه؛ لأنهم قد صرّحوا بأن ما يجب بفعله القضاء فقط فى الصوم لو فعله الصائم مرارا، وأصر عليه يحكم بوجوب الكفارة، ففى "مجمع الأنهر" لو اعتاد أكل الطين الذى يغسل به الرأس والحصاة والزجاج وجبت الكفارة -انتهى-.

وفى "منية المصلى"[1]: لو ابتلع الحصاة مثلا مرارًا، كفّر زجرا، وعليه الفتوى - انتهى- وفى "الدر المختار": اعلم أن كل ما انتفى فى الكفارة محله ما إذا لم يقع مرة بعد أخرى بقصد المعصية، فإن فعله وجبت زجرا له، وبذلك أفتى أئمة الأعصار، وعليه الفتوى قنية، وهذا أحسن -انتهى- فإذن ثبت أنه تجب الكفارة بشرب الدخان لو ظنه نافعا أو دافعا للشهوة، أو أصر عليه واعتاده، وذلك ما أردناه.

خاتمة

ولنذكر ههنا نبذا من حكم شرب الدخان، اعلم أن شرب الدخان التنباك لم يكن فى زمن النبى ﷺ، ولا فى زمن الصحابة ولا فى زمن من بعدهم، وإنما حدث بعد الألف من الهجرة، ولذلك ترى كتب السلف ساكتة عن حكمه، وقد اختلف الخلف فى حله وحرمته، فمنهم كالفاضل الشرنبلالى والشيخ إبراهيم القانى، المتوفى سنة ١٠٤١ إحدى وأربعين بعد الألف فى رسالته "نصيحة الإخوان باجتناب الدخان" وغيرهما من أفتى بتحريمه، ومنهم من أفتى بتحليل، وإليه مال العلامة الحموى، والحق أنه إن شرب بحيث أسكر، أو أضره فحرام، وإلا فلا وجه لتحريمه، نعم لا يخلو عن كراهة.

والاستدلال على تحريمه بقوله تعالى: ﴿ولا تُسرِفُوا﴾ بعيد كل البعد، وكذا القول بأنهم أجمعوا على تحريمه؛ لأن المعتبر من الإجماع إنما هو إجماع المجتهدين، وقد انقضى زمان المجتهدين قبل حدوث هذه البدعة بكثير، وما اشتهر من أن النبى ﷺ قال: كل دخان حرام، فمما لا يصغى إليه، ولقد أنصف الفقيه على بن محمد بن عبد الرحمن الأجهورى المالكى، المتوفى سنة ١٠٦٦ ست وستين بعد الألف فى رسالته: "غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان"، فلتطالع.

---

(١) سديد الدين الكاشغرى، ذكره فى "الكشف". (منه)

ورأيتُ فى "تنقيح الفتاوى الحامدية"[1] للعلامة ابن عابدين ما نصه: مسألة: أفتى أئمة أعلام بتحريم شرب الدخان المشهور، فهل يجب علينا تقليدهم وإفتاء الناس بحرمته أم لا؟ فلتبين ذلك بعد ما حقق أئمة أصول الدين.

قال شارح "منهاج الوصول إلى علم الأصول" للإمام أبى عبد الله أبى القاسم بن عمر البيضاوى: ويجوز الإفتاء للمجتهدين بلا خلاف، وكذا المقلد المجتهد، واختلف فى جواز تقليد الميت المجتهد، فذهب الأكثرون إلى أنه لم يجز، والمختار عند الإمام والقاضى البيضاوى الجواز، واستدل عليه الإمام فى المحصول بانعقاد الإجماع على جواز العمل بهذا النوع من الفتوى، إذ ليس فى زمان مجتهد -انتهى-.

وكلام الإمام صريح فى أنه لم يكن فى زمانه مجتهد، فكيف فى زماننا الآن، فإن شروط الاجتهاد لا تكاد توجد لهؤلاء الأئمة الذين أفتوا بتحريم التنباك إن كان فتواهم عن اجتهاد، حتى يجب علينا تقليدهم، فاجتهادهم ليس بثابت، فإن كان عن تقليد غيرهم فإما عن مجتهد آخر حتى سمعوا من فيه مشافهة، فهو أيضًا ليس بثابت، وأما عن مجتهد ثبت إفتاءه فى الكتب، فهو أيضًا كذلك، إذ لم يرد فى كتاب ولم ينقلوا عن دفتر فى إفتاءهم ما يدل على حرمته، فكيف ساغ لهم الفتوى، وكيف يجب علينا تقليدهم.

والحق فى إفتاء التحليل والتحريم فى هذا الزمان التمسك بالأصلين الذين ذكرهما البيضاوى فى "الأصول"، ووصفهما بأنهما نافعان فى الشرع:

الأول: أن الأصل فى المنافع الإباحة والمأخذ الشرعى، آيات الأولى قوله تعالى. ﴿خَلَقَ لَكُم ما فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ واللام للنفع، فتدل على أن الانتفاع بالمنتفع به مأذون به شرعًا، وهو المطلوب.

الثانية قوله تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده﴾ والزينة تدل على الانتفاع.

الثالثة قوله تعالى: ﴿أُحِلّ لكُمُ الطّيّباتُ﴾ والمراد بـ﴿الطّيّباتُ﴾ المستطابات طبعًا، وذلك يقتضى حل المنافع بأسرها.

والثانى: أن الأصل فى المضار التحريم والمنع؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: لا

---

(١) هو للمولى حامد بن محمد القونوى المفتى بالروم، المتوفى سنة ٩٨٥، ذكره فى "الكشف" وتنقيحه، صح بالعقود والدراية. (منه)

ضرر ولا ضرار في الإسلام، وأيضًا ضبط أهل الفقه حرمة التناول إما بالإسكار، كالبنج، وإما بالإضرار بالبدن، كالتراب والترياق، أو بالاستقذار، كالمخاط والبزاق، وهذا كله في ما كان طاهرا.

وبالجملة إن ثبت في هذا الدخان إضرار صرف عن المنافع فيجوز الإفتاء بتحريمه، وإن لم يثبت إضراره، فالأصل الحل، مع أن الإفتاء بحله فيه دفع الحرج عن المسلمين، فإن أكثرهم مبتلون بتناوله، فتحليله أيسر من تحريمه، وما خيّر رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما، وأما كونه بدعة فلا ضرر، فإنه بدعة في التناول لا في الدين، فإثبات حرمته أمر عسير لا يكاد يوجد له نصير، نعم لو أضر ببعض الطبائع، فهو عليه حرام، أو نفع بعض، وقصد التداوي فهو مرغوب، هذا ما سنح في الخاطر إظهارًا للصواب من غير تعنّت ولا عناد في الجواب، كذا أجاب الشيخ محيي الدين أحمد بن محي الدين بن حيدر الكردي الجزري رحمه الله تعالى -انتهى كلام ابن عابدين-.

فرع:

ذكر الفقهاء يمنع من دخول المسجد آكل الثوم والبصل لورود النهي عنه، وكذا كل مؤذ ورائحة كريهة، وعليه فلا يبعد أن يقال: يمنع من يعتاد كثرة شرب الدخان بوجود الرائحة الكريهة في فمه، والملائكة تتأذى منها، ومن العجائب ما نقل عن بعض العلماء أنه شرب الدخان في المسجد على المنبر -والله أعلم- بما أراد بهذا الفعل.

وفي "الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية" للعلامة عبد الغني النابلسي: شرب النتن ليس بحرام، كما يزعمه بعضهم بالقياس على أكل الثوم بجامع الخبث، وهو بعد تسليم الخبث فيه والقياس تبطل حرمته بطلان حرمة أكل الثوم، وإن كان أكل الثوم يقتضي منع الإنسان من دخول المساجد، وكذلك شرب الدخان المنتن عند من لم يعتد استعماله إذا كان بحيث يتضرر برائحته، يقتضي المنع من دخول المساجد من غير حرمة، وأما حيث اعتاد على شربه غالب المصلين في المساجد بحيث لا يتضررون برائحته، فلا ينهى حينئذ -انتهى كلامه-.

قلت: هذا التفصيل إنما يستقيم لو كان علة منع الدخول في المساجد تأذي الناس، وأما لو كانت تأذي الملائكة الحاضرين في المسجد، كما يستفاد من بعض الأحاديث، فلا

مجال لهذا التفصيل، بل الحق منع شارب الدخان مطلقًا زجرًا له -فافهم-.

ترهيب: اعتياد مجاورة هذه الرائحة الكريهة موجبة لحرمان زيارة النبي ﷺ البتة، وقد سمعت من أثق بخبره يحكي أن رجلا كان يكثر شرب التنباك، فرأى يوما في المنام رسول الله ﷺ وحوله أصحابه، فأراد في المنام أن يقرب منه، ويتشرّف بقربه، فمنعه الأصحاب، وقالوا هذا شارب الدخان، فلما استيقظ الرجل تاب من صنعه، ومثل هذه الحكاية على تقدير صدقها لا يستغرب وقوعها -فلتحفظ- والله أعلم.

قال مؤلّفه: هذا آخر ما تيسر لي في هذا المقام، ولله الفضل والإنعام نهار يوم الجمعة سابع شهر رمضان من شهور سنة ١٢٨٤ أربع وثمانين بعد الألف والمائين من هجرة رسول الثقلين ﷺ ومن الله أرجو حسن الخاتمة.

الباب الرابع
في فوائد متفرقة في الحلة والحرمة

فائدة:

قد ثبت بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة أن شرب الدخان لا يخلو عن إثم، أي إثم، فإنه إن كان حرامًا فهو كبيرة اتفاقًا، ولو مرة واحدة يفيق به مرتكبه، وترد شهادته، وإن كان مكروهًا تحريمًا، فهو أيضًا كبيرة على المذهب الراجح، لكنها دون كبيرة ارتكاب الحرام الواضح، وإن كان مكروها تنزيهًا فهو وإن كان صغيرة، كما أنه كذلك على تقدير الكراهة التحريمية عند جماعة، لكنه بالإصرار والاعتياد يكون كبيرة، وبالجملة فمداومته والإصرار عليه لا يخلو عن ارتكاب كبيرة، أعاذنا الله منها ومن أمثالها، وأما القول بالإباحة المطلقة الخالية عن مطلق الكراهة فقلّ من ذهب إليها، وقول محكوم عليه بالشذوذ من جملة الأقوال الغير المعتمد عليها.

فائدة:

ذكر صاحب النصيحة كثيرًا من المنامات الدالة على أنه من المستقبحات، وقد

تكلم به الموتى بعد حصول الإحياء، فمن ذلك ما وقع في بلدة بروج سنة أربعين بعد الألف أن رجلا كان شاربًا للدخان، وكان اسمه محمود، مات فاشتغل أقرباءه بالتجهيز والتكفين، إذ أحياه الله تعالى، وتكلم، فقال: أين يذهبون بأخي، وكان أخوه مريضًا، لكن يدور في البيت، فمات في الساعة وسألوه عن حاله فقال: جاءني رجلان مهيبان، فذهبا بي إلى موضع مفروش بفراش أخضر، فإذا أنا برجال ونساء يقرأون القرآن، وإذا أنا بجماعة من أقربائي، فقلت لهم: أنا جائع، فجاء واحد منهم بطبق مملوء بأنواع الثمار، فأكلت ثم عطشت، فقلت لهم: أنا عطشان فجاء واحد منهم بقدح مملوء بدم، فقال لي: إشرب فقلت: والله أشربه فتركتهم، وقمت باكيا متحيرًا، فإذا أنا برجل على صورة العرب، فقال: لم تبكي؟ فقلت: إني ضللت طريق بيتي، فقال: أذهب بك إلى بيتك وآمرك أن آمر الناس أن يتركوا شرب الدخان، وأن يتميّزوا بين الكافرين والمسلمين في اللباس، فقلت له: يا سيدي إن لم يقبلوا قولي فقال: بلّغ وما على الرسول إلا البلاغ.

وحكي أن رجلا شريفا كان يشرب الدخان، فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: أنت شريف وتشرب الدخان، هذا العجيب.

وحكي أن رجلا عالمًا كان يشرب الدخان، فرأى صديقه في المنام النبي ﷺ فقال له: قل لصديقك: إنك تدرس وتشرب الدخان الخبيث.

وحكي أن امرأة وضعت ولدًا، فغلب عليها المرض، وغشي عليها، فقالت: أيها الناس شاربو الدخان يعذبون، ثم ماتت بعد زمان قليل.

وحكي أن رجلا كان مدّاحًا للنبي ﷺ، وكان يشرب الدخان، فرأى في ما يرى النائم كان النبي ﷺ يقول له: إنك إذا قرأت المولد أحضر المجلس وإذا جاء[1] الدخان فيه اتركه واذهب.

وحكي أنه وقع في بروج سنة ألف وتسعة وثلاثين قحط شديد، فرأت في المنام امرأة صالحة السيد كمال الدين الحسيني، فقالت له: يا سيدي متى يرفع عنا هذا البلاء،

---

(١) هذا هو أصل ما تعارف في بلاد الهند من أن الناس إذا حضروا في مجلس المولد يحضر بين يديهم الدخان، ويشتغلون بشربه إلى أن حان أوان شروع قارئ المولد في المولد، فعند ذلك يرفعونه.

(منه)

فقال : تسألني عن رفع القحط ، ولم يترك الناس شرب الدخان .

وحكى رؤية كثير من الصلحاء النبى ﷺ وجماعة من الأولياء أنهم يمنعون عنه .

وحكى صاحب "النصيحة" عن نفسه أنه رأى فى المنام كان شابًا حسنًا مليحًا يقول له : ثلاثة لهم عذاب شديد : الزانى وشارب الدخان ، ومثل هذه الحكايات كثير ، ونظيرها شهير .

وقد حكى محدث الهند ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى فى رسالته : "الدرّ الثمين فى مبشرات النبى الأمين" عن والده أنه قال : كان رجل من أصحابنا ، لا يعتاد شرب التنباك ، ولكنه قد هيّأ القدرة لأضياف ، فرأى النبى ﷺ فى النوم ، أو فى اليقظة لا أدرى أى ذلك ، كان مقبلا إليه ، ثم أعرض عنه ، وخرج من ذلك المكان ، قال : فدنوت إليه ، فقلت : يا رسول الله ، فقال : فى بيتك القدرة ونحن نكرهها .

وحكى أيضًا عن والده أنه كان رجلان من الصالحين : أحدهما عالم عابد ، والآخر عابد ليس بعالم ، فرآيا النبى ﷺ فى ساعة واحدة على صورة واحدة ، وكأنه أذن للعابد أن يدخل فى مجلسه ، ولم يأذن للعالم ، فسأل العابد بعض القوم عن ذلك ، فقال : هو يمرن التنباك ، والنبى ﷺ يكرهه ، فلما كان الغد دخل الغابد على العالم ، فوجده يبكى لما رأى الليلة ، فأخبره عن السبب فتاب من ساعة ، ثم رآيا النبى ﷺ من الليلة الآتية على صورة واحدة كأنّه أذن للعالم ، وقرّبه منه .

فإن قلت : هذه الحكايات والمنامات لا تفيد شيئًا من الأحكام من الحلال والحرام ، لما قال على القارى المكى فى رسالته "المقدمة السالمة فى خوف الخاتمة" : لا اعتماد على رؤية المنام فى حق غير الأنبياء عليهم السلام ، فلو فرض أن أحد رأى النبى ﷺ وأمره بفعل شىء ، أو تركه على خلاف قواعد الإسلام ، فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع العلماء الأعلام -انتهى ملخّصًا- .

وقال على القارى أيضًا فى "الحرز الثمين شرح الحصن الحصين" : إن الأحكام المنامية والأحوال الكشفية لا اعتبار لها فى الأمور الشرعية -انتهى ملتقطًا- .

قلت : هب أن منام غير النبى لا يثبت شيئًا من الحلة والحرمة ، لكنه يقع مؤيدا لما ثبت بالأدلة ، فهذه الحكايات والمنامات إن لم تثبت باستقلالها قبح الدخان ، لكن لا ريب فى جعلها مؤيدة لما دل عليه البرهان ، لا سيما رؤيا من رأى النبى ﷺ أنه يكرهه

ويستقبحه، فإنه إن شاء الله لرؤيا حق لحديث: من رأى فقد رأى الحق، ويؤيده قول العارف ابن أبي جمرة[1] الأندلسي المالكي في "بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري": من رأى ﷺ في صورة حسنة فذلك حسن في دين الرائي، وإن كان في جوارحه شين أو نقص، فذلك خلل في الرائي من جهة الدين، وكذلك يقال في كلامه في النوم: إنه يعرض على سنته، فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في السمع الرائي وبصره، وهذا خير ما سمعت في ذلك -انتهى-.

وفي "نسيم الرياض شرح شفاء عياض" للشهاب أحمد الخفاجي الحنفي[2]: سئل النووي عمن رآه في منامه يأمره بأمر، هل يجب عليه أم لا؟ فأجاب بأنه إن لم يخالف الشرع، وكان له خاصة في نفس، ينبغي العمل به، وإنما لم يجب لأن النائم لا يضبط ما قيل له، وربما لم يضمه أو يكون إشارة تحتاج إلى التأويل -انتهى- وفي المقام تفصيل أوردنا قدرا منه في تعليقاتنا على "نزهة الفكر في سبحة الذكر" المسمّاة بـ "النفحة على النزهة".

فائدة:

يتفرع على الحرمة والإباحة والكراهة وعدم الكراهة استعماله للتداوي، فمن أباحه بلا كراهة إباحة للتداوي بلا مزاحمة، وكذا من أباحه بكراهة تنزيهًا إجازة للتداوي ضرورة، وأما من حرّمه أو كرهه تحريمًا منعه مطلقًا إلا بشروط مذكورة في موضعها،

(١) هو عبد الله بن أبي جمرة المقرئي المالكي البارع الناسك، قال ابن كثير: كان قوّالا بالحق، أمّارا بالمعروف، مات سنة ٦١٥ بمصر، وقال صاحب "التبصير": الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة المغربي نزيل مصر، كان عالمًا عابدًا شهير الذكر، شرح منتخبًا له من البخاري، وهو من بيت كبير بالمغرب، كذا في "شرح المواهب اللدنية" لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، وذكره عبد الوهاب الشعراني في "طبقات الأولياء"، وأرّخ وفاته سنة ٦٥٥. (منه)

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي من أفراد الدنيا المجمع على جلالته وبراعته، وكان في عصر بدر سماء العالم، ويترافق النثر والنظم، وتآليفه كثيرة ممتعة: منها: شرح الشفاء، وحواشي تفسير البيضاوي، وطراز المجالس، وغير ذلك، وكانت وفاته في رمضان سنة ١٠٦٩، كذا في "خلاصة الأثر". (منه)

ولذا قال صاحب "النصيحة" : وهو ممن اختار الحرمة.

اعلم أنه إذا ثبت حرمته بالدلائل المذكورة فلا يجوز شربه للتداوى، إذا أمر به الطبيب المسلم الحاذق، وله شروط مقررة فى الفقه، قال فى النصاب: التداوى بالخمر أو بحرام آخر إن لم يتيقن فيه الشفاء لا يجوز بلا خلاف؛ لأن الحرمة بيقين لا تترك بالشك، وإن تيقن بالشفاء، وله دواء سواه، لا يجوز أيضا لعدم تحقق الضرورة، وإن تيقن الشفاء ولا دواء سواه، قيل: لا يجوز لقول ابن مسعود: إن الله ما جعل شفاءكم فيما حرم عليكم، وقيل: يجوز قياسا على شرب الخمر حالة العطش، والجواب أن لم يبقَ محرما للضرورة، فلا يكون الشفا فى الحرام، فللمحتسب أن يبعث إلى الأطباء أمينا ليستوثق عليهم أن لا يأمروا مريضا بالتداوى بالمحرمات إلا بما ذكر من الشروط -انتهى ما فى "النصاب".

ثم إذا أمر الطبيب المسلم الحاذق بشرب الدخان للتداوى، فلا يجوز للشارب أن يحضر عقيب الشرب بلا فصل فى المساجد والمجالس، بل يغسل فاه ويزيل منته، ثم يحضر، وأشد قباحة وأقوى حرمة أن يشرب الدخان الخبيث فى المجالس أو المساجد؛ لأنه وإن جاز شربه لضرورة التداوى، لكن لم يجز شربه فى المساجد والمجالس، إذ لا ضرورة فى شربه هناك -انتهى كلامه-.

فائدة:

قال اللقانى فى "شرح الجوهرة" : الاختلاف المذكور فى حرمة الدخان وكراهته إذا كان الشرب خاليًا عن سائر المحرمات الشرعية حتى إن كان الشرب باختلاط النساء والأمارد، أو بمجامع السفهاء والأراذل، أو بوجه مخل للمروءة والعدالة، أو بتناوله بآلات محرمة، كقصب الذهب والفضة و أوانيهما، وبطريق إدارته على هيئة تشبه بأصحاب الخمر، فلا شبهة حينئذ فى حرمة استعماله على هذا الطريق قطعا -انتهى-

فائدة:

من رأى فى المنام أنه يشرب الدخان، كان ذلك دليلا على ظلمة وبلية خصوصا إذا

كان الرائى ممن لا يعتاده، لما دلت الأدلة على أن الدخان عذاب، ونقمة على ما ذكره جل ذكره فى مواضع من كتابه، وأما قول بعض الشاربين: إن من رأى فى المنام شرب الدخان ينال فرحًا وسرورًا، فهو غير مستند إلى برهان.

الباب الخامس
فى حكم استعاط التنباك وزراعته وبيعه وماءه وغير ذلك

مسألة:

هل يجوز إسعاط[1] التنباك فى الأنف؟ اختلف فيه: فذكر صاحب "التبيان فى الزجر عن شرب الدخان" عن الفاضل هاشم السندى أنه قال: يجوز للتداوى وبدونه لا ينبغى أن يفعل، ولو فعله أحد فى الصوم أفطر[2]، ولم يلزم الكفارة -انتهى-.

وذكر أيضًا نقلا عن الشيخ عبد الرحيم الشهيد النقشبندى السندى أنه قال: هو مكروه تحريمًا بدليل إنّى ولمّى، أما الأول فلما فى "الدر المختار": يكره النتن، وأما الثانى فلقوله تعالى: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ وفى "الهداية" وشرحها: الخبيث ما استكره الطبع السليم، ولا شك أن التنباك فى الأنف لا يحبه إلا رجل فسد طبعه، واعتاد استعماله، كحب الدباغين ونحوهم نتن الجلود، فكان الاستعاط به خبيثا، والخبيث

---

(١) أى إدخاله فى الأنف، يقال سعط الدواء كمنعه ونصره، وأسعطه إياه سعطة وإسعاطة أدخله فى أنفه، فاستعطه والسعوط -بالفتح- ذلك الدواء الذى يصب فى الأنف، كذا فى القاموس، وفى "مجمع البحار" وغيره: السعوط ما يجعل من الدواء فى الأنف، وقد يروى الضم، واستعط أى استعمل السعوط، وذكر الأقسرائى وغيره أن السعوط ما يقطر فى الأنف من دهن أو ماء، والنشوق ما يستنشق. (منه)

(٢) وأما انتقاض الوضوء إذا عاد خارجًا، فقال بعض العلماء: إنه إن خرج من الفم انتقض وضوءه، وإن من الأذن أو الأنف لا، مستندًا بما فى "خزانة المفتين" و "الظهيرية" وغيرهما، لو استعط ثم خرج من الفم ينتقض وضوءه، وإن خرج من الأذن لا - انتهى-.
ورد بأن السعوط نازل من الرأس، وهو غير ناقض، وإن خرج من الفم، كما ذكره صاحب "الهداية" فى بحث القيء، وأيضًا أكثر ما يخرج به البلغم، وهو لزج لا يتخلّله النجاسة، وما يتصل به النجاسة قليل، وهو غير ناقض ولو فى القيء. (منه)

ممنوع منع تحريم بنص القرآن، ولقوله تعالى: ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾ ولقوله تعالى: ﴿فليُغيرنّ خلقَ الله﴾ ولا شك أن الإنسان مفطور على الاحتياج إلى أمور، كأكل وشرب ولباس وغيرها من الستة الضرورية، وعلى الاستغناء من أمور كدخان النتن المنتن، وإدخال عينه فى الأنف استعاطا، وكأكل الأفيون والحشيشة ونحوها، فمن جعل طبعه محتاجًا إلى شىء لم يحتج إليه الإنسان بفطرة الله فهو مغير لفطرته، فكان داخلا فى من يفعل قطع الأذان وحلق اللحى ونحوهما.

ولأن هذا الفعل مخالف لغرض الشريعة البيضاء؛ لأن غرض الشريعة تنظيف الأنف ولو عن الظاهر الخلقى، كالمخاط والشعور النابتة فيه مثلا، ولذا سن الاستنشاق والاستنثار، فلو دخل شيئًا خارجًا فى الأنف ونحوه مما لا نظافة فيه بلا غرض شرعى كالتنباك ونحوه، فهو مضار لغرض الشريعة.

والغالب على ظن هذا العبد الضعيف أن هذا الفعل أشد من شرب الدخان، إذ الريح أخف من الغين، وأما قول بعض أهل العلم من تته وغيرها أن هذا ترك الأولى، فلا أدرى له وجها مع أن قول الرسول ﷺ: «كل بدعة ضلالة»، و«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وغيرهما يشمل هذا الفعل الشنيع.

ولو قيل: إن عين النتن طاهر، قلنا: إن اللبن والرب[1] المعروفة فى بلادنا طاهران، لكن الأنف ليس سبيلا لهما ونحوهما بحسب ما خلقه الله نعم من له مرض سابق لم ينشأ من هذا الفعل القبيح، فله أن يتداوى بقول طبيب حاذق، أو بغلبة الظن ونحوهما، لكن يخفى عن الناس، ويستحيى عنهم، كأكل الحائض فى رمضان -انتهى ملخصًا-.

قال صاحب "التبيان" بعد نقله مؤيّدًا له: أقول كما إن غرض الشريعة المطهّرة تنظيف الأنف ولو عن الطاهر الخلقى الأصلى، ولذا سنّ الاستنشاق والاستنثار كذلك عرضها تنظيف الجسد والفم والأنف عن الرائحة الكريهة، ولذا سنّ الغسل فى بعض الأمكنة، وندب فى بعضها، وسن السواك ويندب الإصفرار سن وتغير رائحة، فمن أدخل شيئًا خارجًا فى الفم أو الأنف مما لا نظافة فيه بلا غرض شرعى، كالدخان ونحوه، فهو مضاد للشريعة -انتهى- وقد مر فى الباب الأول عن عبد الخالق الزبيدى أنه أفتى بكراهة الاستعاط بالتنباك تنزيهًا.

---

(١) هى لفظة سندية، يقال لها بالعربية: الكشك، وبالفارسية: آش، كذا قيل. (منه)

ولا يخفى على من له ممارسة فى الفروع والأصول، بل على من له أدنى مسكة فى المعقول والمنقول أن كل ذلك غير منقول، فإن الكراهة تحريمًا كان أو تنزيهًا حكم شرعى من الأحكام الخمسة، لا يثبت إلا بدليل صريح، أو مأخوذ من الأدلة الأربعة، وهو ههنا غير موجود، بل فى حكم المفقود، ولنعم ما قيل: من جهل شيئًا عاداه، ومن كره شيئًا جافاه، أو ما علموا أن عين النتن طاهر بالاتفاق، ولا رائحة له فى نفسه كريهة تكون موجبة لحرمة استعماله على الإطلاق، أو ما فهموا أن الكراهة فى شرب دخان النتن إنما جاءت من حصول التشبه بالأشرار، واستعمال ما يعزب به أهل النار، وهو ليس بموجود فى الاستعاط على الوفاق مع أن النتن فى نفسه ليس بمضر مطلقًا، ولا هو خبيث شرعا، ولا هو مكروه طبعا، وليس فى مطلق استعماله ولو بالاسنعاط بلية أو فساد عقل، أو صد عن ذكر الله أو مصادمة نقل أو تشبه بالشيطان وأعوانه، أو استعمال ما يعذب به إخوانه إلى غير ذلك من الوجوه التى ذكروا فى حرمة شرب دخانه أو كراهته، فإن كلها ههنا منتفية قطعًا، فمن أين يكون مكروها تنزيهًا أو تحريمًا.

وأما كلام عبد الرحيم السندى المتضمن للدليل اللمّى والإنّى ففيه خدشات واضحات، نذكرها قولا بقول.

قوله: أما الأول فلما فى "الدر المختار" إلخ، فى أنه لم يذكر فى "الدر المختار" كراهة استعمال النتن مطلقًا، بل استعمال دخانه شربا، كما مر نقله فى ما مر.

قوله: وأما الثانى فلقوله تعالى... إلخ، الاستدلال بهذه الآية على تحريم شرب الدخان وسعوط التنباك عجيب، لا يخفى فساده على لبيب، فإن الخبيث يستعمل لمعان متعددة هى فى كتب اللغة مفصلة، وقد ذكرنا سابقا قدرا منها، وكل ذلك لا يوجب الحرمة، بل بعضها كيف وكم من أشياء تستكرهه جماعة تستحسنه جماعة، بل كثير من الأشياء قد اختلف فى خبثها وطيبها العقول السليمة، فهل يصح الاستدلال بهذه الآية على تحريمها، كلا والله هذا لا تجوزه العقول المستقيمة.

ثم يلزم على ما ذكره حرمة الثوم والبصل وغيرهما من الأغذية والأدوية التى لا رائحة غير طبيعية يستقبحها طبائع سليمة، وهو خلاف لإجماع بلا نزاع، والذى ينبغى أن يعول عليه هو أن المراد بالخبائث فى هذه الآية المضار، كما أن المراد بالطيبات فى قوله

تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ المنافع، كما أشار إليه الإمام فخر الدين الرازى[1] فى تفسيره وغيره من يعتمد عليه، فتكون هاتان الآيتان، واللتين على أن الأصل فى المنافع الحلة إلا بدليل منفصل، وأن الأصل فى المضار الحرمة إلا بدليل منفصل، ، فيرجع الكلام إلى كون النتن مضرّا أو نافعا، ومن المعلوم أنه ليس مضرّا محضًا حتى يحرم استعماله مطلقًا، بل فى بعض أنواع استعماله كالاستعاط به وأكله، ودلكه على أسنانه منافع كثيرة شهدت به الرباب تجارب صحيحة، فإذًا لا مخلص إلا بأن يقال: من أضر له حرم حرم عليه، ومن نفعه حل له.

قوله: وفى "الهداية" وشروحها. . . إلخ: هذا المعنى الذى أورده لم يفهم المفقود منه، فإن ظنّ أن الاستكراه فى أعم من أن يكون لنتن رائحة، أو لمضر أو لغير ذلك من وجوه نفرة، وليس كذلك، فإن الخبث الذى هو علة التحريم ليس عبارة عن الاستكراه على التعميم، بل هو الاستكراه لكونه مضرّا للطبيعة، ومؤذيًا للقريحة.

قوله: لا يحبه إلا رجل فسد طبعه إلخ، كذلك الثوم والبصل ونحوهما لا يحبها إلا من فسد طبعه، وغلب عليه أكله، فيلزم أن يكون خبيثًا، فيلزم أن يكون حرامًا، واللازم باطل بإجماع من يعتد به بالإجماع.

قوله: ولا شك أن الإنسان مفطور على الاحتياج إلخ، لا شبهة فى أن الإنسان مفطور على الاحتياج إلى ما ينفع، وميلان طبعه إلى ما يصلح، والاستغناء عن أمور تفسد عقله أو تضره النتن فى استعماله أصناف منفعة، فلا يكون استعماله تغيير فطرة، بل فى عدم استعماله يكون تغيير فطرة.

قوله: ولأن هذا الفعل مخالف لغرض الشريعة البيضاء إلخ، ليس هذا الفعل مخالفا للشريعة، إذ لم يرد منع من الاستعاط بأشياء طاهرة نافعة فى الشريعة، نعم عدم غسل الأنف، وترك استنثار ما نزل إليه يكون مخالفًا لغرض الشريعة، وهو أمر آخر،

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين البكرى الرازى سلطان المتكلمين أحد المبعوثين على رأس المائة السادسة لتجديد الدين، ولد فى رمضان سنة ٥٤٤ هـ، واشتغل على والده ضياء الدين عمر من تلامذة البغوى وغيره، وأيقن علوما كثيرة، وتقدم رسالة، وصنّف تصانيف كثيرة: كـ"التفسير" و"المحصول" و"الأربعين" وغير ذلك، ومات بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦، كذا فى "طبقات المفسرين" لشمس الدين محمد بن على الداودى المالكى. (منه)

وليس الكلام فى جوازه، بل فى أمر آخر.

قوله: مما لا نظافة فيه إلخ، ما ذا أراد من النظافة إن أراد الطهارة، فليس بصحيح؛ لأن النتن طاهر باتفاق العلماء، وإن أراد حسن رائحته وكون الطبع إلى استعماله، فليس بنجيح للزوم حرمة استعمال ما له رائحة كريهة، وهو باطل عند أجلة الفضلاء.

قوله: فهو مضادّ للشريعة إلخ، يلزم عليه أن لا يجوز شرب الأدوية البشعة وأكل الأغذية الكريهة، لما ورد فى الشرع من تطهير الفم عن الأشياء الخبيثة، فإن جوز استعمالها لنفعها، جاز استعمال التنباك أيضًا بأصنافه لنفعها.

قوله: والغالب على ظن إلخ، هذا ظن سوء، ولعمرى كيف يكون أشد من شرب الدخان، فإن فيه تشبهًا بالكفار، واستعمال ما يعذب به الإشرار، واعتياده مورث للرائحة الكريهة، ولا كذلك فى الاستعاط به، أو أكله، فإنه ليس فيه مفسدة من المفاسد المذكورة، فليس هو مثله أيضًا فضلا عن أن يكون أشد بل هو دونه.

قوله: فلا أدرى له وجهًا، عدم درايته لا يستلزم عدم صوابه، والظاهر أن ذلك المجيب لما رأى أن عين النتن ليس فيه نجاسة ولا كراهة ولا فى الاستعاط به مشابهة وبلية أجاب بالجواز، لكن أحب الاحتراز لما ينشأ من اعتياده وكثرة استعاطه تلويث الأنف بقطرات النزلة، ولا يلتفت معتاده إلى تنظيفه، ولو فى الجملة، وهذا أحسن الوجوه عند التأمل الصادق لا يرد إلا من تعرى عن الفكر الفائق.

قوله: يشمل هذا الفعل الشنيع إلخ، هذا شنيع جدًا لما عرفت سابقًا أن عموم الحديث بالنسبة إلى البدع الشرعية، والبدع العادية خارجة عنه قطعًا، فمن حكم بابتداع شيء بمجرد حدوثه من دون نظر إلى كونه عادة، أو عبادة، ومن دون تأمل فى أن له أصلا فى الشرع، أو هو قابل للطرح، فهو بعيد بمراحل عن فهم الحديث وورده.

قول: لكن يخفى . . . إلخ، لا حاجة إلى الإخفاء لكون استعماله مباحًا بلا امتراء.

وقول صاحب "التبيان": كذلك غرضها تنظيف الجسد والفم والأنف عن الرائحة الكريهة إلخ، جوابه أنه لا يثبت منه إلا لزوم تنظيف الأنف لمستعطه لئلا يبقى ريح كريه فى أنفه، لا أن يمنع من استعماله بكله، وبالجملة فلا دليل يدل على حرمة الاستعاط بالنتن أو كراهته تحريمًا أو تنزيهًا، فهو باقٍ على إباحته الأصلية قطعًا.

مسألة :

يجوز أكل التنباك اختلفوا فيه، فمن كره الاستعاط به تحريمًا كره أكله كذلك أيضًا، ومن جعله تنزيهًا جعله تنزيهًا، والحق أنه لا وجه لهذا ولا لذلك، فلا يبقى إلا الإباحة فى ما هنالك، كيف وفى أكله خصوصًا مع الورق المأكول فى ديارنا منافع كثيرة يعلمها مستعملوها بطباع سليمة، نعم من يكثر أكله ولا يغسل فمه، ولا يستاك أسنانه يوجد فى فمه رائحة كرية، وهى من عوارض لاحقة، فيلزم دفعها والاهتمام برفعها، لا أن يكره الأكل بها.

فائدة :

ومن ههنا يعلم جواز أكل ورق التنبول المتعارف فى بلاد الهند مع قدر من النورة والنتن وغيرهما لإباحة أكل النتن بلا كراة، وإباحة استعمال النورة أيضًا إذا كانت قليلة، كما قال فى "نصاب الاحتساب" فى الباب العاشر: أكل الطين مكروه.

وذكر الحلوائى: إن كان يضر يكره، وإن كان يتناول قليلا، أو يفعله أحيانًا، فلا بأس به، قال العبد -أصلحه الله-: ويقاس على هذا أنه يباح أكل النورة مع الورق المأكول فى ديار الهند؛ لأنه قليل نافع، فإن الغرض المطلوب من الورق المذكور لا يجعل بدونها -انتهى- ومثله فى "خزانة الروايات" نقلا عن "النصاب" و "إقليم الإسلام".

مسألة :

قال صاحب "البرهان" فى تحريم الدخان: ثم اعلم أن زرع التنباك ينبغى أن يكون مكروهًا كبيع الخمر من شاربه، والأمرد من فاجر، والأسلحة من أهل البغى والفساد -انتهى- وفيه مبالغة واضحة لا تخفى على من نظر الوجوه السابقة.

مسألة :

قال شيخ الإسلام[1] الشهير بـ "بيرزاده" فى رسالته "رفع التباك فى حكم تعاطى

---

(١) ذكر صاحب "الخلاصة" إبراهيم بن حسين بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بيرى أحد أكابر فقهاء الحنفية بمكة، له مؤلفات كثيرة: منها: حاشية الأشباه والنظائر المسمّى بـ "عمدة ذوى البصائر"، وكانت ولادته بالمدينة فى نيف وعشرين وألف، وتوفى فى شوال سنة١٠٩٩ -انتهى ملخّصًا-.

شجرة التنباك" المؤلفة سنة ستة وستين بعد الألف: وهل ينكر على من يتعاطاها أم لا، نعم لمنكريتها بما سبق، وزجراً للعوام، لكن قال علماءنا: إنما يجب الأمر بالمعروف إذا كان مقطوعا به، لا مختلفًا فيه، والأمر في محل الاختلاف لا يجوز، فعلى هذا لا يجوز الإنكار إلا إذا اتفق على المنع، ولم يقع في ما علمنا، وأما بيعها وشراءها فيجوز لإمكان الانتفاع في غير الشرب بدليل تقييد الأصحاب عدم الجواز في مثلها بما لا ينتفع به، وكون استعمالها محظوراً لا يوجب عدم جواز بيعها، وإن قيل بعدم جواز بيع نظيرها لكونه محظوراً لا يشترى إلا للهو، وهو محظور، وأما زراعتها فلم تظفر في كلام الأصحاب -انتهى-.

مسألة:

ماء التنباك الذي يقال له ماء القدرة، وهو ما يجعل في آلة شرب دخانه المعروفة في ديارنا بحقة قيل نجس، ولا وجه له، فإن إلحاقه بالماء المنتن بطول المكث المتفق على طهارته أولى من الكل لبقاء اسم الماء فيهما، وقد صرح علماءنا بأن المشقة تجلب التيسير. وجعلها في "الأشباه" قاعدة، وذكر لها فروعا مما تعمّ به البلوى، وحكم في بعضها بالطاهرة، وفي بعضها بالعفو؛ لعموم البلوى، فينبغي أن يكون ماء التنباك على تقدير تسليم استحالته ونجاسته، إما طاهراً ومعفواً عنه لعموم البلوى، وذكر في المبتغي وغيره الأرواث كلها نجسة إلا رواية عن محمد أنها طاهرة، وفيها توسعة لأرباب الدواب، فقلّ ما يسلمون عن التلطخ بالأرواث والأخثاء، وقاس المشايخ على قول محمد طين بخارى مع أن التراب مخلوط بالعذرات دفعًا للبلوى، وعموم البلوى في ماء التنباك أتم منه في الروث وغيره، ومشقة الاحتراز عنه أعظم من مشقة الاحتراز في غيره، كذا قال بعضهم.

ورده بعضهم بأن إلحاقه بالماء المنتن فاسد؛ لأنه إذا تكرر استعماله زال عنه طبع الماء، وإطلاق اسمه، وبأن كون الماء المنتن بالمكث متفقا على طهارته خطأ، لنقل بعض الشروح بقوله قيل: إنه ليس بطاهر، وظاهر حديث: خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غيّر لونه، أو طعمه، أو ريحه، يقتضي تنجسه بالغير، قال شارح "مختصر القدوري": وعزا بعضهم إلى داود الظاهري، وبأن جعله مما تعم به البلوى مناد على

(منه)

عدم علم قائله بتعريف عموم البلوى، فليعلم أن الأمر الذى تعم به البلوى هو ما يحتاج إليه الخاص والعام، ذكره شمس الأئمة، وذكر فى "الكشف": أنه ما تمس به الحاجة فى الأحوال الأكثرية، وذكر بعضهم أنه ما لا يمكن الاحتراز عنه، وبعبارة أخرى: ما عسر الاجتناب عنه.

إذا عرفت هذا، فلا وجه لجعل تعاطى تلك الشجرة المنتنة فوق الفرش الغالية مع إمكان الاحتراز عنها، وعدم لحوق الحرج فى تركها مما تعم به البلوى، ولو فرض صحة ذلك للزم إباحة فعل المنكرات التى عمّت به البلوى، كالغيبة وأكل الربا، واستماع الملاهى وغير ذلك من الأمور المنهية، وبأن ظنّ أن المشقة فى الاحتراز عن الماء المذكور أتم من مشقة الاحتراز عن الروث وغيره مردود على قائله؛ لأن تكليف أرباب الدواب وغيره بالاحتراز عن الأرواث مشقةعظيمة، وفى الاحتراز عن ماء التنباك هى منتفية؛ لأن تعاطيه أمر اختيارى لا ضرورى، كذا فى "رفع التباك فى حكم تعاطى شجرة التنباك" و"التبيان فى الزجر عن شرب الدخان".

ولا يذهب عليك أن الرد بجميع شعبه مردود، والقول المردود غير مردود، أما قوله إلحاقه بالماء المنتن فاسد ففاسد، إذ لا شبهة أن باستعماله مرات عديدة لا يخرج عن الطبيعة المائية، وإنما يخرج عنها إذا استعمل بمرات كثيرة، وهذا غير خاص بما نحن فيه، بل حكم كل منتن كذلك لا ريب فيه.

قوله: خطأ ليس بقادح؛ لأن عدم طهارة الماء المنتن أمر مهجور لم يعتد به الجمهور، كيف لا ولم يوافقه لا دليل عقلى ولا نقلى، ومثل هذا القول فى الإجماع غير قادح، وقد جرت عادة الفقهاء على إطلاق الإجماع على قول الأكثر الأظهر من دون اعتبار القول الشاذ الندر بلا نزاع.

وقوله: يقتضى تنجسه بالتغيير إلخ، جوابه أن الظاهر متروك باتفاق من يعتد به من دون عبرة غيره، وقد صرح شرّاح "الهداية": أن معنى إلا ما غيّر إلا شىء نجس غير طعمه، أو لونه أو ريحه، وأما رد العينى عليهم بأنه تخصيص من غير مخصص فمردود عليه، لوجود المخصص، وذلك أن من البيذ وإن وصف الشىء لا يزول إلا بورود ضده لا سيما الوصف الأصلى، ووصف الطهورية للماء أصلى، فلا يزول إلا بورود ما يضاده، فلابد أن يفيد المغير بالنجس ليصح نجاسته.

وقوله: وإذا عرفت هذا فلا وجه إلخ، له وجه صحيح، فإن مجرد إمكان الاحتراز عنه ليس بمنكر، لكنه لما شاع استعماله فيهم، وعم ابتلاءهم عسر الاحتراز عنه، وأشكل الاجتناب منه، فإدخاله فيما تعم به البلوى رأى نجيح.

قوله: للزم إباحة إلخ، جوابه أن عموم البلوى إنما يؤثر فى باب الطهارة والنجاسة، لا فى باب الحرمة والإباحة صرح به الجماعة.

وقوله: لأن تعاطيه أمر اختيارى، جوابه أنه وإن كان اختياريًا، لكن لشيوع استعماله صار عدم التحرز عن ماءه اضطراريًا.

الخاتمة

فى حكم القهوة

وهو نظير استعمال التنباك فى حدوثه بعد المدة، وفى شيوعه فى الأطراف والأكناف، وفى اختلاف العلماء فى حله وحرمته، والحق فيه أيضًا هو الحل كشرب الدخان إلا أن حله خالى عن الكراهة أيضًا، بخلاف حل شرب الدخان.

قال صدر الدين على بن نظام الدين أحمد بن معصوم الشيرازى ثم المكى[1] فى كتابه "سلوة العريب وأسوة الأريب": الذى ذكر فيه وقائع سفره من مكة إلى حيدر آباد الدكن -نقاها الله عن البدع والفتن- عند ذكر وصوله بالمخاوزرت بالمخاضريح السيد أبى

---

(١) هو الفاضل الأريب الكامل اللبيب صدر الدين على بن نظام الدين أحمد بن محمد بن معصوم بن نظام الدين بن أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن عماد الدين بن صدر الدين محمد بن إسحاق عز الدين بن على ضياء الدين بن عربشا فخر الدين بن عز الدين أبى المكارم بن الأمير خطير الدين بن الحسن شرف الدين أبى على بن الحسين بن أبى جعفر بن على بن أبى سعيد بن زيد بن على بن أبى شجاع الزاهد بن محمد بن على بن الحسين بن جعفر بن أحمد نصير الدين بن جعفر أبى عبد الله الشاعر ابن محمد أبى جعفر بن محمد بن زيد الشهيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، كذا ذكر نسبه عند ذكر زيد الشهيد فى أثناء ذكر اليمن.
وذكر أن أول من انتقل من أجدادنا إلى شيراز المحروسه على أبو سعيد النصيبى، وأول من انتقل إلى مكة من شيراز السيد محمد معصوم، وذلك بعد انتقال عمه، وختنه الأمير نصير الدين، وكان هو إماما فاضلا مجتهدًا مبرزًا فى العربية غالبًا عليه الزهد والصلاح، وكانت وفاته بالطائف سنة ١٠٢٣، وانتقل إلى مكة - انتهى-.
وذكر أيضًا فى مفتتح السلوة ما محصله: أنه قد انتقل بعده من مكة إلى حيدر آباد الدكن سنة ١٠٥٤ بطلب ملكها شاهنشاه عبد الله بن محمد قطب شاه، فأكرمه الملك غاية الإكرام، وروج ابنته خطب أهله وعياله من مكة، فوصل صاحب "السلوة" مع أعزته إلى حيدرآباد، وذكر أنه كان خروجنا من مكة فى شعبان سنة ١٠٦٦، ودخولنا فى قلعة گلكنده فى الربيع الأول -انتهى ملتقطًا-.
وذكر صاحب "الخلاصة" لابن معصوم ترجمته طويلة، وذكر فى نسبه أحمد بن محمد معصوم بن نصير الدين بن إبراهيم المقلب نظام الدين والد السيد على بن معصوم صاحب "السلاحة"، وكانت وفاته سنة ١٠٩٦ بمدينة حيدر آباد. (منه)

الحسن على بن عمر الشاذلى، وعليه قبة عظيمة معتنى بها غاية الاعتناء، وهو من أولاد السيد أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار الحسنى الشاذلى الكبير المدفون بالحمراء.

قال فى القاموس: شاذلة قرية بالمغرب، أو هى بالذال المعجمة، منها السيد أبو الحسن أستاذ الطائفة الشاذلية من صوفية الإسكندرية -انتهى ما فى القاموس-.

وفى "تاريخ اليافعى": أن أبا الحسن الشاذلى المذكور يعنى الكبير مبدؤ ظهوره بشاذلة على القرب من تونس، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء: لم يدخل فى طريق القوم حتى كاد يعد للمناظرة، وكان متضلمًا بالعلوم الظاهرة جامعًا لفنونها من تفسير، وحديث، ونحو وأصول، وأدب، وكانت له السياحات الكثيرة، ثم جاء بعد ذلك العطاء الكبير والفضل الغزير، واعترف لعلو منزلته من أكابر العلماء والأولياء، وقيل له: من شيخك؟ قال: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش بالشين المعجمة مكررة، وبينهما مثناة من تحت، وفتح الميم من أوله، ثم قال: وأنا لا أنتسب إلى أحد.

قلت: والشيخ عبد السلام المذكور هو أحد أجدادى من قبل الأم، وهو من أكابر صوفية المغرب، وتوفى الشيخ أبو الحسن الشاذلى المذكور سنة ست وخمسين وستمائة، وأما أبو الحسن المدفون بالمخا فلم أقف له على ترجمة، والإجماع على أنه الذى أظهر القهوة المتعارفة فى هذا الزمان التى طبقت شهرتها العالم، والقهوة فى الأصل من أسماء الخمر، ثم أطلقت الآن على ما يطبخ من البُن أو قشرة قيل: وسبب ابتداءه إليها أنه كانت له نفحة يسرّهما كل يوم للرعى، فكانت ترعى ثمرة هذه الشجرة، فاستطاب لبنًا طعمًا، وخاصيته فتبعها، فرآها ترعى هذه الثمرة، فجنى منها شيئًا، وقلاه واستعمله فأحدث فى نفسه نشاطًا، فواظب على استعماله، ثم طبخه، فرآه أجدى من استعماله مقليًا، فلم يزل الأمر على ذلك حتى بلغ هذه الشهرة، وقرأت بخط بعض فقهاء اليمن أنها حدثت فى القرن الثامن والتاسع، قال بعضهم: إنها تطيب النكهة، وتصفّى البدن وتعين على العباده، وأخبرنى بعض الأصحاب أنه وقف على رسالة لبعض فضلاء اليمن على الكلام على تحليلها وخواصها ومنافعها.

قلت: وهى على مقتضى ما ذهب إليه جماعة من الإمامية ومعتزلة بغداد حرام؛ لأنهم ذهبوا إلى تحريم الأشياء التى ليست اضطرارية قبل ورود الشرع، وجنح إلى هذا الشيخ أبو على ابن أبى هريرة من فقهاء الشافعية، وذهب معتزلة بصرة وباقى الإمامية

إلى الإباحة، وتوقف الأشعرى، واختلف فى معنى توقفه، والحق الإباحة، والمسألة أصولية يطلب تحقيقها من مظانها، وبالجملة فلم يتوقف أحد فى استعمال هذه القهوة لا معتزلىّ ولا أشعرىّ ولا غيرهما، والأشاعرة أرغب فيها من غيرهم.

وقد تلقتها الأمة بالقبول، والأطباء مختلفون فيها، فمنهم من مدحها وعدّ منافعها، ومنهم من ذمّها حتى إنى رأيت بعض أطباء العجم ينهى عن استعمالها، وينفر عنها غاية التنفير، وقد ذكر الشيخ داود فى التذكرة خواصها، فقال: البن ثمر شجرة باليمن يطول نحو ثلاثة أذرع على ساق فى غلظ الإبهام، ويزهر زهرا أبيض يخلف حبّا كالبندق، وربما تفرطح كالباقلا، وإذا قشر انقسم نصفين وأجوده الاصفر، وأرداه الأسود، وهو حار فى الأولى، يابس فى الثانية، وقد شاع برده ويبسه، وليس كذلك؛ لأنه مر، وكل مر حار، ويمكن أن يكون القشر حارًا، ونفس البُنّ إما معتدل أو بارد فى الأول، والذى يعضد برودته عفوصته، وبالجملة فقد جرّب لتخفيف الرطوبات والسعال البلغمى والنزلات وفتح السدود وإدرار البول.

وقد شاع الآن اسمه بالقهوة، إذ مُصّ طبخ بالغًا، وهو ليكن غليان الدم، وينفع من الجدرى والحصبة، ولكنه يجلب الصداع ويهزل جدًا، ويورث السهر ويولد البواسير، ويقطع شهوة الباه، وربما أفضى إلى الماليخوليا، فمن أراد شربه للنشاط، ودفع الكسل، فله كثر معه من أكل الحلو ودهن الفستق والسمن، وقوم يشربون باللبن، وهو خطأ يخشى منه البرص -انتهى ما فى "التذكرة"-.

وقد أكثر الشعراء من النظم فى القهوة، فمن ذلك للفاكهى:

اشرب القهوة صرفًا تجد الصفو مزاجًا ... واذكر الله عليها تشهد الإنس سراجًا

وقلت: إنما هو من أول شعرى:

يا قهوة قشرية حكمت النضار بلونها ... جليت على مصونة بزفافها وبصونها

وقال آخر:

هات أسقنى قهوة قشرية فضحت ... بكر المدام وشنف فى الفنا جينا

لو أن ألفا أحاطوا نحو ساحتها ... قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

وأنشد الشيخ البهائى فى الكشكول لبعضهم:

يقولون لى قهوة البن هل تباح وتسلم آفاتها
فقلت نعم هى مأمونة وما العجب إلا مصافاتها

وفى تذكرة العلامة جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين قال: حدثنى صديقى إمام المسجد الحرام النبوى الشيخ إبراهيم بن الشيخ يحيى بن الشيخ أحمد بن الشيخ جلال الدين الخجندى قال: قرأت على باب قهوة بالشام هذين البيتين على لسان القهوة هذا:

أنا المعشوقة السمراء وأجلى فى الفناجين
وعود الهند عطرنى وذكرى شاع فى الصين

وذكر السيد الأديب محمد كبريت المدنى فى رحلته يحكى أن بعض الصالحين قال لمسيح باشا، وقد أمر بإبطال القهوة بأمر السلطان مراد أن القهوة لا تبطل أصلا. قال: ولم قال لأن حسابها موافق لاسم الله القوى، يعنى أن كلا منهما له من العدد مائة وستة عشر. فلها منه الاستمداد، فأمر وشأنها فكان الأمر كذلك -انتهى.

وقال أيضا: لفظ جبالا أعرف له أصلا إلا أنه يستعمل فيها بمعنى الهبة، فكأنه يقول: خذها هبة لك منى، قال: واستخرج بعضهم لطيفة من ذلك، وهى أن لفظ جبا عددها ستة، فكان القائل يقول: جلبت لك الصفا من الست الجهات، وجباه هبة منى لك وفيه -انتهى-.

قلت: لم أسمع فى عمرى بأسمح من هذه النطيفة، ولا يخفى غموض هذا الاستنباط، والذى بلغنى فى هذا المعنى أن الشيخ الشاذلى كان له غلام يهيئ له القهوة فى كل يوم، وكان اسم الغلام جبا، فإذا أتى بالقهوة إلى الشيخ قرع باب الخلوة، فيقول الشيخ: من هذا، فيقول: جبا، فبقى ذلك سنة إذا جيء بالقهوة قيل: جبا، وهذا ألطف ما سمعت به فى هذا المعنى -والله أعلم-.

وللمفتى أبى السعود:

أقول لأصحابى عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا فى مجلس هى فيه
ولا فاك عن بغض ولا عن كراهة ولكن غذت مشروب كل سفيه

انتهى ما فى "سلوة الغريب وأسوة الأريب".

وفى "تحفة الإخوان فى منع شرب الدخان": أما حكم القهوة التى هى من قشر

البن أو من نفس فكان ابتداء ظهورها فى أوائل المائة العاشرة، وقبيلها بمدة، واختلف العلماء المتأخرون فيها، فالبعض قائل بتحليلها، وبعض آخر بتحريمها، والحق أنه ليس الإسكار ولا فساد العقل فى القهوة بنفسها مع ما فيه من الفوائد البدنية، فيباح تناولها لا أن يكون مقارنًا بالمحرمات الخارجية، كالإدارة على هيئة الفسقة، أو تناولها فى الأوانى المحرمة وغير ذلك، كما فى "شرح الجوهرة" للقانى، وفى "عمدة الصفوة فى حل القهوة": أنه قد أفتى بحل القهوة من العلماء الحنفية الشيخ شهاب الدين الشلى، وشمس الدين المصرى وغيرهما، وإن الشيخ العلامة عليّا القارى حكم بحلّية القهوة فى "شرح المشكاة" قبيل كتاب الفتن، فقال: لا يصح استدلال من هو قائل بتحريم القهوة - انتهى - .

وفى "النور السافر فى أخبار القرن العاشر" فى ترجمة شهاب الدين أحمد بن الطيب الطبنداوى البكرادى الشافعى، المتوفى فى عشر الخمسين بعد تسمائة، قال فى بعض رسائله التى ألفها فى حل القهوة: قد سمعت شيخ الإسلام المجمع على تجديده للقرن التاسع زكريا الأنصارى أنه كتب إليه المالكية بتحريم شرب القهوة، وساعده من لا بصيرة له على ذلك، ومنع الناس من شربها، فانتشر الخبر إلى مصر والقاهرة، فكتب المولعون بها سؤالا إليه، فكان جوابه أن قال: أحضروا إلى جماعة من المتعاطين بها، فسألهم عن عملها، فذكروا أنه لا عمل سوى التقوى، فأراد الاختبار، فأحضر قشر البن، ثم أمرهم بشربها ثم فاتحهم بالكلام، فراجعهم ساعة، فلم يرَ منهم تغيرًا ولا طربًا فاحشًا، بل وجد منهم انبساطًا قليلا، ثم زاد فلم يؤثر فصنف فى حلها مصنفًا.

قلت: لله دره لم يقدم على التحريم بمجرد ما نقل إليه، بل اختبرها واستدل وقد أفتيت قديمًا بحلها استدللت بذلك بدليل أجمع عليه الأصحاب، وهو أن الشىء إنما يحرم تناوله وأكله وشربه إما لإضراره كالسم، أو لإسكاره كالخمر، أو لنجاسته كالبول، أو لتخديره كالبنج والحشيشة، أو لاستقذاره كالمخاط والبزاق المنفصل من الآدمى، فإنه يحرم بلعه بعد إخراجه من الفم والأنف، وليس فى القهوة شىء من ذلك، وقد كنت كتبت هذا الجواب قديمًا، وأنا باقٍ عليه مقرر له.

فإن قيل: بعض الناس يضره شرب القهوة، أو الإكثار منها، فالجواب: أن نقول: إنها محرمة فى حقه؛ لأن حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالى قال فى كتب متعددة أن

الشيء المجمع على أكله كالعسل قد يحرم في حق من غلبت عليه الحرارة، وشهد علماء الطب بأنه يضره، فكذلك القهوة من باب أولى نقول بتحريمها حيث أضرت، لكن في حقه فقط -انتهى-.

وفي "شرح الجوهرة" للقاني: حاصل الكلام أنه قد اختلف العلماء الأعلام في حرمة الدخان وكراهته، وأقل درجات الكراهة، ومع وجود عدة من العوارض لا ينتهى إلى درجة الإباحة أصلا، ولا يقاس على القهوة، كما توهم البعض؛ لأن شبهة أهل العذاب لا تخلو عن كراهة، بخلاف القهوة، فإن ليس فيها هذا التشبه، وأيضا فيها منافع بلا شك بخلاف الدخان -انتهى-.

وفي المقام بسط بسيط قد صنّف في كل صنف من المصنف وجيز وبسيط ووسيط، ولنكتف بهذا القدر، فإن خير الكلام ما قل ودل وما طال أو قصر، فقد أمّل وأخل، وكان الفراغ من تحرير هذه الرسالة في غاية العجلة وأنا عازم لسفر الحجاز، ومشغول بتدبير أسبابه في كل عشية وغدوة يوم السبت الخامس عشر من شهر رمضان من شهور السنة الثانية والتسعين بعد الألف والمائتين من الهجرة على صاحبها ألف صلوات وتحية وأنا مقيم عند ذلك بحيدر آباد صين عن الشر والفساد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

لرسالتي : « ترويح الجنان» و «زجر أرباب الريّان»

****



للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي
ولد سنة ١٢٦٤هـ. وتوفي سنة ١٢٠٤هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه
نعيم أشرف نور أحمد

الناشر
إدارة القرآن والعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أزال أمور الجاهلية ببعثة خير البرية، وجعل لمن تبعه، وسلك مسلكه الدرجات العلية، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمّدًا عبده ورسوله، شهادة تنجينا من الدركات الدنية، وأصلى وأسلم عليه وعلى آله وصحبه الهادين إلى السنن المرضية القامعين للبدعات الردية، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم حساب الأعمال الجلية والخفية.

وبعد: فيقول الراجى عفو ربه القوى أبو الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى: هذه رسالة وجيزة وعجالة مفيدة مسمّاة بـ:

«ردع الإخواع الإخوان عن محدثات آخر جمعة رمضان»

ألّفتها حماية للسنة المحمدية، ونصرة للطريقة الأحمدية، سائلا من الله تعالى أن يجعلها ويجعل سائر تصانيفى نافعة للبرية، وموجبة لفوزى بالمراتب السنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنهم قد أحدثوا فى اخر جمعة شهر رمضان أمورا مما لا أصل لها، والتزموا أمورا لا أصل للزومها، فأردت أن أكشف القناع عنها، وأحقق ما لها وما عليها، وأبيّن ما جاز منها وما لم يجز منها، مع الإنصاف الذى خير الأوصاف والتجنب عن طريق الإفراط والتفريط الموجبين للاعتساف

فمنها القضاء العمرى، حدث ذلك فى بلاد خراسان وأطرافها، وبعض بلاد اليمن وأكنافها، ولهم فى ذلك طرق مختلفه ومسالك متشتة، فمنهم من يصلى فى آخر جمعة رمضان خمس صلوات قضاء بأذان وإقامة مع الجماعة، ويجهرون فى الجهرية ويسرون فى السرية، وينوون لها بقولهم: نويت أن أصلى أربع ركعات مفروضة قضاء لما فات من الصلوات فى تمام العمر مما مضى، ويعتقدون أنها كفارة لجميع الصلوات الفائتة فما مضى.

ومنهم من يصلى أربع ركعات نفلاً مع الجماعة تداعيًا، وينوون بقولهم: نويت أن أصلى أربع كعات تقصيراً وتكفيراً لقضاء ما فات منى فى جميع عمرى صلاة النفل، ومنهم من زاد نغمة واعتقد أنها كفارة لفوائت آباءه وأجداده أيضاً، وقد نقلوا لإثبات ما فعلوا عبارات، وذكروا فيه روايات.

ففى "زاد اللبيب": ذكر نماز كفارت نمازها كه قضاء شده باشند از نسخه" شيخ الإسلام والمسلمين رئيس الأولياء ومقتدى الأوتاد وشيخ ركن الدين قدس الله سره كه

برای سلطان قطب الدين تبرك وهديه آورده بودند واسناد اين نماز از حضرت رسالت پناه ﷺ منقولست هر كرا نمازها قضاء شده باشند ونمانند كه اعداد چند است بايد كه روز جمع چار ركعت نفل بيک سلام بگذارد ودر هر ركعت بعد فاتحة آية الكرسی هفت بار ﴿إنا أعطَيْنا. . .﴾ پانزده بار بخواند.

وأمير المؤمنين على رضی الله عنه گفت از پيغمبر ﷺ شنيده ام اگر هفت صد سال نماز وی قضا شده باشد كفارة شود ياران گفتند يا رسول الله! عمر آدمی هفتاد يا هشتاد سال است چندی صفت چيست رسول الله ﷺ فرمود نمازی كه او قضا كرده باشد ونماز ما در وپدر ونمازها كه از فرزندان او قضا شده اند همه قبول افتند ونيت اين نماز اين ست نويت أن أصلی أربع ركعات تقصيراً، وتكفيراً لقضاء ما فات منی فی جميع عمری صلاة نفل -انتهی-.

ومثله فی أنيس الواعظين، وحاصله ما فيه معربًا أن النبی ﷺ قال: «من فاتته صلوات ولا يدری عددها فليصل يوم الجمعة أربع ركعات نفلا بسلام واحد ويقرأ فی كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسی سبع مرات و ﴿إنا أعطَيناكَ الكَوثَرَ﴾ خمس عشرة مرةً».

قال علی بن أبی طالب: سمعت رسول الله ﷺ إن فاتته صلوات سبعمائة سنة كانت هذه الصلاة كفارة لها، قالت الصحابة: إنما عمر الإنسان أی من هذه الأمة سبعون سنة أو ثمانون، فقال رسول الله ﷺ: «كانت كفارة لما فاته وما فات من الصلوات من أبيه وأمه ولفوات أولاده ونية هذه الصلاة أن يقول نويت أن أصلی أربع ركعات تقصيراً وتكفيراً لقضاء ما فات منی فی جميع عمری صلاة نفل متوجّهًا إلی الكعبة».

وفی "أوراد راحة العابدين": در مصابيح مذكور ست هر كه در آخر روز جمعه از ماه رمضان چار ركعت نماز گذارد پيش از نماز ظهر كه آن را قضای عمری نامند گويند در جميع عمرش كه نماز ناغه شد باشد بجامی افتد، وازين نماز ادا شوند بيشک گفته اند اتفاقی ست، وكدامی از أهل سنت وجماعت در وی اختلاف نكرده اند ونخواهند كرد وهر كه ابا كند ضال ومضل ست واز دائرهٔ اسلام خارج، وأما در ادا كردن بجماعت اختلاف است ميان علماء بعضی می گويند بجماعت مكروه ست گذاردن وی كه او ای نفل بامامت مكروه ست، وبعضی می گويند كه گذاردن بوصف مذكور مكروه نيست كه درين نماز مدخل فوات است وبرين قول گذاردن فوات بجماعت صحيح غير مكروه

است چنانچه در کتب فقه مشهور است وبرين فتوى داده خلف بن أيوب كه يكى از تلامذهٔ إمام أعظم ست، ودر فتاوى واجد الدين نسفى در باب نوافل ست كه در بلاد عجم عرب أولى آنست كه يگان يگان گذارند كه ايشان در كلام وزبان فصاحب وبلاغت دارند وقراءة قرآن بخوبى ميكند أما در بلاد عجم على الخصوص در عهد مايان أصح وأولى آنست كه بجماعت گذارند كه أكثر عجم از قدر قرآن قدر ما يجوز به الصلاة ندانند ومخارج حروف نشاند -انتهى-.

وحاصل ما فيه معربًا: مَن صلّى فى آخر جمعة من رمضان أربع ركعات قبل الظهر، وهو المسمّى بـ"القضاء العمرى"، كانت كفارة لفوائت جميع عمره، قالوا: وهذا لا شبهة فيه، وهو اتفاقى لم يختلف فيه أحد من أهل السنة والجماعة، ولا يختلفون، ومن أنكر فهو ضال مضل، وخارج عن دائرة الإسلام، وأما أداءها بالجماعة ففيه اختلاف:

قال بعضهم: أداءها بالجماعة مكروه؛ لأن أداء النفل بالجماعة مكروه، وقال بعضهم: لا يكره أداء الصلاة المذكورة بالوصف المذكور بالجماعة؛ لأن فيه دخلا للفوائت وأداء الفوائت بالجماعة صحيح غير مكروه على ما فى كتب الفقه، وبه أفتى خلف بن أيوب أحد تلامذة الإمام الأعظم، وذكر فى فتاوى واجد الدين النسفى: أن الأول فى بلاد العرب أن يؤدوها فرادى، لكونهم فصحاء وبلغاء، ويقرءون القرآن بأحسن وجه، وأما فى بلاد العجم، لا سيما فى زماننا فالأصح والأولى أن يؤدوها بالجماعة؛ لأن أكثرهم لا يعرفون مخارج الحروف، ولا يقرءون القرآن على الوجه الحسن.

وفى "مفتاح الجنان": فضيلت نماز ها كه قضا بسيار شده باشند وعدد آن نداند روز جمعه پيش از نماز جمعه يا هر وقتى كه تواند چار ركعت نماز بيک سلام بگذارد، ودر هر ركعت بعد از فاتحه آية الكرسى يك بار وسورة الكوثر پانزده بار بخواند أبو بكر صديق رضى الله عنه گفت، من شنيدم از رسول ﷺ هر كه اين نماز بگذارد دوبست سال نمازها كفاره شوند، وبروايت عمر رضى الله عنه چار صد سال نماز قضا كفارت شوند، وبروايت عثمان رضى الله عنه شش صد سال نمازها كفارت شوند، وبروايت على رضى الله عنه هفت صد سال نمازها كه قضا شده باشند كفارت شوند، ياران پرسيد يا رسول

الله ﷺ عمر آدمی هفتاد وهشتاد سال باشد چندی نماز چیست فرمودند نمازهای مادر وپدر وجد وخویش وفرزندان کفارت شوند، وقبول افتد -انتهى-.

وحاصله معربًا: أن من فاتت له صلوات كثيرة ولا يعلم عددها فليصل يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة، أو أى وقت شاء أربع ركعات بتحريمة واحدة، ويقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وسورة الكوثر خمس عشرة مرة، قال أبو بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ: من صلى هذه كانت له كفارة لصلوات اثنتين وعشرين سنة، وفى رواية عمر رضى الله عنه لصلوات أربعمائة سنة، وفى رواية عثمان لصلوات ستمائة سنة، وفى رواية على رضى الله عنه لصلوات سبعمائة سنة، قالوا: يا رسول الله إنما عمر الإنسان سبعون أو ثمانون، فقال: تكون هذه الصلاة كفارة لصلواته الفائتة وفوائت أمه وأبيه وجده وأبناءه وصهره.

وهذ العبارة قد أوقفنى عليها الفاضل النبيل العالم الجليل المولوى أبو الطيبات أحمد بن المولوى عبد الله السكندر فورى الهزاروى حين حضر عندى لتكميل بقية كتبه لشرح ملخص الچغمينى وغير ذلك، وأقام فى مجالس درسى مدة، وحصل عندى ما حصل عندى ما حصل برهة، وهو الذى أثر عنى التأليف رسالة فيما هنالك، وذكر لى أن عوام أطراف بلدته بل بعض خواص أكناف مستقر يهتمون بهذه الصلاة غاية الاهتمام، ويؤدونها بالالتزام، بل منهم من يقضى صلاته عمدًا ظنًا أنه يصلى القضاء العمرى فى جمعة رمضان، فيكون ذلك كفارة.

وأقول معتصمًا بحبل الله المتين: كل ما يفعلونه ويعتقدونه من حركات الغافلين، أما صنيعهم من ترك الصلاة عمدًا معتمدًا على القضاء العمرى فهو من أقبح القبائح، فقد ورد عن النبى ﷺ: «بين الرجل والكفر ترك الصلاة»، أخرج أحمد، وفى رواية مسلم: «بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة»، وفى رواية أبى داود والنسائى: «ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة»، وفى رواية الترمذى: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة»، وفى رواية الطبرانى: «من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر جهارًا»، وفى رواية ابن ماجة والبيهقى: «من تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة»، وعند البزار بسند حسن: «من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان»، وعند البزار: «لا سهم فى الإسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له»، وفى الباب أخبار كثيرة، وآثار شهيرة.

قال ابن حجر المكى الهيثمى فى "الزواجر عن اقتراف الكبائر" بعد ذكر كثير : منها اختلف العلماء ومن بعدهم فى كفر تارك الصلاة، وقد مرّ فى الأحاديث الكثيرة السابقة التصريح بكفره وشركه، وخروجه عن الملة منه ذمة الله ورسوله، وبأن يحبط عمله، وبأنه لا دين له، وبأنه لا إيمان له، ونحو ذلك من التغليظات، وأخذ بظاهره جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فقالوا : من ترك صلاة متعمدا حتى خرج جميع وقتها، كان كافراً مراق الدم، منهم عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبوهريرة وابن مسعود وابن عباس وجابر وأبو الدرداء ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعى وابن عيينة وأيوب السختيانى وأبو داود الطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وغيرهم، فهؤلاء الأئمة كلهم قائلون بكفر تارك الصلاة وإباحة دمه.

وقال محمد بن نصر المروزى : قال إسحاق : صح عن النبى ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وأما الشافعى وآخرون فإنهم وإن قالوا بعدم كفره إذا لم يستحل الترك، لكنهم قائلون بأنه يقتل بترك صلاة واحدة، فإذا أمر بها فى وقتها حتى خرج ولم يصلها، ثم قيل له : صلّها فأبى ضرب عنقه بالسيف -انتهى-.

وأما اعتقادهم فى أن صلاة رمضان وإن كانت فريضة فضلا عن غيرها تعدل كثيراً من الصلوات، فهو قبيحة ثانية، قال فى "الفتاوى البزازية" : لا يصلى إلا فى رمضان لا غيره، ويقول : اين خود بسيار است أو يقول : صلاة فى رمضان تعدل سبعين صلاة يكفر -انتهى-.

وفى "الفصول العمادية" : رجل يصلى فى رمضان لا غير، ويقول : اين خود بسيار است، أو يقول : زيادت ميآيد؛ لأن كل صلاة فى رمضان يساوى سبعين صلاة يكفر -انتهى-.

ومثله فى "جامع الفصولين"، وفى "خزانة المفتين" : رجل يصلى فى رمضان لا غير، ويقول : اين خود بسيار ست، أو صلى إلى غير القبلة متعمّدًا، فوافق ذلك القبلة، أو صلى بغير وضوء متعمّدًا، أو صلى إلى غير القبلة على وجه الاستهزاء والاستخفاف، صار كافرًا فى الفصول كلها -انتهى-.

وفى "كشف الوقاية" : رجل صلى فى رمضان لا غيره، ويقول اين خود

بسيارست، أو يقول: زيادت مى آيد؛ لأن كل صلالة فى رمضان يساوى سبعين صلاة يكفر -انتهى-.

وفى الفتاوى العالمكيرية: رجل يصلى فى مضان لا غير، ويقول: اين خود بسيار است، أو يقول: زيادت ميآيد؛ لأن كل صلاة فى رمضان تساوى سبعين صلاة يكفر -انتهى-.

فإن قلت: كيف هذا قد أخرج العقيلى وضعفه وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى والخطيب والأصبهانى فى الترغيب عن سلمان الفارسى قال: "خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان، فقال: يا أيها الناس! قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعًا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه" الحديث، ذكره بطوله الحافظ السيوطى فى "تفسير الدر المنثور".

قلت: هذا أمر آخر، فإنهم لا ينكرون فضل صلاة رمضان وبلوغ فرضه ثوابًا إلى سبعين فريضة فى غير رمضان، بل غرضهم إبطال قول من يقول: إن صلاة رمضان تعدل سبعين صلاة معادلة حقيقية يقوم مقامها، وأنها مجزية من سبعين صلاة، وإنما حكموا بكفر من اعتقد هذا، وترك الصلوات متعمدًا متعمدًا على هذا لا يكفر من اعتقد حصول زيادة الثواب، فإنه فضل العزيز الوهاب.

ولهذا قال على القارى فى "المرقاة شرح المشكاة" عند المبحث فى مضاعفة الثواب فى مسجد مكة والمدينة: ثم المراد بالتضعيف السابق فى الأجر دون الإجزاء باتفاق العلماء، فالصلاة فى أحد المساجد الثلاثة لا يجزئ عن أكثر من واحدة إجماعًا، وما اشتهر على ألسنة العوام من صلى داخل الكعبة أربع ركعات يكون قضاء الدهر باطل لا أصل له -انتهى-.

وأما ظنهم بأن صلاة واحدة أو صلوات خمسة تجزئ عن جميع فوائت عمره، فهو شناعة ثالثة لوجوه:

أحدها: أن هذا أمر لم يعهد نظيره فى الشرع، فلم يرد فيه عبادة تكون قائمة مقام عبادات كثيرة ومجزئة عنها.

وثانيها: أن القضاء دين من ديون الله فى ذمة عباده، وقد تقرر فى مقره إن الدين لا

يسقط عن ذمة المديون إلا بالأداء أو الإبراء، ومن المعلوم أن أداء صلاة واحدة أو صلوات خمسة ليس بأداء لصلوات كثيرة، ولم يوجد الإبراء، فكيف يصح الأجزاء.

وثالثها: أن القضاء عبارة عن تسليم مثل الواجب، كما نصت عليه أئمة الأصول، والمثلية بين صلاة واحدة، أو صلوات خمسة لصلوات كثيرة غير معقول، ألا ترى أنه لو أدى من عليه أربع ركعات ثلاث ركعات، أو خمس ركعات لا يكون ذلك مجزئًا، فكيف يكون في ركعات عديدة أجزأ عن آلاف ركعة.

ورابعها: أن قضاء الفرض فرض بالنص، ومن المعلوم إن الفروض متزاحمة، فلابد من تعيين ما يريد أداءه، حتى تبرأ ذمته، فإن فرضا من الفروض لا يتأدى بنية فرض آخر، كما نص عليه في التبيين، فكيف يمكن أن تتأدى صلوات كثيرة غير معينة بصلاة واحدة.

وخامسها: أنه ذكر في "الظهيرية" و"البحر الرائق" وغيرهما: أنه لو كانت الفوائت كثيرة فاشتغل بالقضاء يحتاج إلى تعيين الظهر والعصر، وينوى أيضًا ظهر يوم كذا، فإن أراد تسهيل الأمور ينوى أول ظهر عليه، أو آخر ظهر عليه -انتهى- فكيف يمكن أن تبرأ الذمة بالواحدة أو الخمسة عن الكثيرة الغير المتعينة.

وسادسها: أنه ورد في الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، أخرجه البخاري في بدء صحيحه، وفي كتاب الإيمان والعتق والهجرة والنكاح والأيمان والنذر وترك الحيل، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي وغيرهم، ولم يخرجه مالك في "موطئه"، وقد تبع فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني، حيث قال في "فتح الباري" وغيره: كذلك، فإن هذا الحديث موجود في "موطأ مالك" برواية محمد بن الحسن، وقد أوضحت ذلك في حاشيتي عليها المسمّاة بـ "التعليق الممجد على موطأ محمد"، وهذا الحديث يدل على أن ثواب الأعمال أو صحة الأعمال موقوف على النية، وأن المرء لا يحصل له إلا ثواب ما نوى أو صحة ما نوى لا غيره، فكيف يمكن أن تتأدى فوائت كثيرة لصلاة أديت بنية النفل، فإنما لكل ما نوى، وقد ذكر في "فتح القدير" في باب الوتر عن "التجنيس" وغيره: أن الفرض لا يتأدى بنية النفل، ويجوز عكسه -انتهى-.

فإن قالوا: نحن ننوى معه قضاء عمريًا فتتأدى به؟ قلت: هذه النية لا مثل لها في

الشرع، وهل ذلك إلا كمن نوى بصيام واحد أداء صيامات متعددة، أو بحج واحد حجات كثيرة.

وسابعها: إنه أخرج الثورى فى جامعه عن إبراهيم النخعى قال: من ترك صلاة واحدة عشرين سنة لم يعد إلا تلك الصلاة الواحدة، وذكره البخارى فى صحيحه تعليقًا، وأخرج البخارى عن أنس رضي قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسى صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»، وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة رضي: من نسى الصلاة فليصليها إذا ذكرها، فإن الله يقول: ﴿أقم الصلاة لذكرى﴾، وفى رواية له عن أبى قتادة فى حديث طويل أما إنه ليس فى النوم تفريط إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك، فليصلّها حين ينتبه لها، وفى رواية له عن أنس مرفوعًا: «من نسى صلاة فليصلّها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»، وفى رواية له عنه: «من نسى صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصلها إذا ذكرها»، وفى رواية له عنه: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلّها إذا ذكرها»، وكذلك أخرجه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم بألفاظ متقاربة.

فهذه الأخبار الصحاح شاهدة على فساد ما يعتقدونه؛ لأنها دالة على أن الفائتة لا تتأدى إلا بأداءها بنفسها، ولا كفارة لها إلا ذلك، وأن لا يقوم شىء آخر مقامها.

وأما ظنهم أن مثل هذه الصلاة تكون مجزية عن فوائت الآباء والأجداد والأولاد والأحفاد، فهو شناعة رابعة، بل هو أضحوكة للناظرين، ومزخرفة عند العاقلين، فإنهم إن أرادوا به أن ثوابها يصل إليهم، فهو ليس بصحيح، فإن ثواب العبادة إنما يكون لمن يكتسبها لا لغيره، بنص قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ ولذا لما ذهب بعض العلماء إلى أن ثواب عبادة الصبى يكون للولى، ردّه المحقّقون بأن الولى إنما يثاب ثواب التحريض والتسبيب، وأما ثواب نفس العبادة فكلا على ما هو مبسوط فى حواشى التلويح وغيرها، فإن قصدوا أن ثوابها يصل إليهم بإيصاله فهو، وإن كان صحيحًا، لكنه خارج عن البحث مع أنه ليس مختصًا بالآباء والأولاد، بل يصل ثواب العبادة أى عبادة كانت إلى من أوصل ثوابًا إليه، وإن كان أجنبيًا، وإن أرادوا به أن هذه الصلاة تكون مجزية وكفارة عن فوائت الآباء والأولاد، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ ولحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة

جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، أخرجه ابن ماجة ومسلم وغيرهما، ولقول الفقهاء: النيابة لا تجرى فى العبادات البدنية، بل فى المالية، وقد ذكر فى "الدر المختار" و "البحر الرائق" وغيرهما: لو قضاها ورثت بأمره لم يجز -انتهى-.

وقد أخرجه النسائى فى "السنن الكبرى" بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: لا يصلى أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، وروى عبد الرزاق مثله من قول ابن عمر ذكره ابن حجر فى "تلخيص الحبير بتخريج أحاديث شرح الرافعى الكبير".

وأما أداءهم هذه الصلاة وهى قضاء لكل فائتة عندهم فى المسجد فهو شناعة خامسة، لما قال فى "البحر الرائق" إذا فاتت صلاة عن وقتها ينبغى أن يقضيها فى بيته، ولا يقضيها فى المسجد -انتهى-.

وفى "الدر المختار": ينبغى أن لا يطلع غيره على قضاه؛ لأن التأخير معصية، فلا يظهرها -انتهى- وقال فى "رد المختار" تقدم فى باب الأذان أن يكره قضاء الفائتة فى المسجد، وعلّله الشارح البارع بما هنا أن التأخير معصية، فلا يظهرها، وظاهره أن الممنوع هو القضاء مع الاطلاع سواء كان فى المسجد أو غيره، كما أفاده فى المنح، قلت: والظاهر أن ينبغى ههنا للوجوب، وأن الكراهة تحريمية؛ لأن إظهار المعصية معصية -انتهى-.

وأما أداءها بالجماعة تداعيًا على تقدير كونها تطوعًا، كما تدل عليه بعض العبارات المذكورة، فهو شناعة سادسة لتصريح الفقهاء بكراهة جماعة التطوع تداعيًا، قال فى "الغنية شرح المنية": النفل بالجماعة على سبيل التداعى مكروه -انتهى-.

وفى "الدر المختار": ولا يصلى الوتر، ولا التطوع بجماعة خارج رمضان، أى يكره ذلك لو على سبيل التداعى، بأن يقتدى أربعة بواحد، كما فى "الدرر" -انتهى-.

وفى "البزازية": يكره الاقتداء فى صلاة رغائب وبراءة وقدر إلا إذا قال: نذرت كذا ركعة بهذا الإمام جماعة، ولا ينبغى أن يتكلف لالتزام ما لم يكن فى الصدر الأول، كل هذا التكليف لإقامة أمر مكروه، وهو أداء النفل بالجماعة على سبيل التداعى، فلو ترك أمثال هذه الصلوات تارك ليعلم الناس أنه ليس من الشعائر فحسن -انتهى- ومثله فى كثير من الكتب مسطور، وعلى ألسنة العلماء مذكور.

فإن قالوا: إن هذه الصلاة ليست بتطوع، بل قضاء لما فاته؟ قلنا: إن أرادوا به أنه

بنفسه قضاء لجميع ما فاته، فهو غير صحيح، لعدم صدق تعريف القضاء عليه، وإن أرادوا به أن الله تعالى يجعلها بفضله قضاء لما فاته، ويعطى بها ثوابًا يجزى عن ما فاته، فهو على تقدير ثبوته لا يخرجه عن التطوعية.

وبهذا يظهر سخافة قول من أفتى بعدم كراهة الجماعة فيه مستندًا بأن فيه دخلا للفوائت، فإنّ هذا لا يسلب عنه اسم التطوع، ولا يجعله خارجًا عن أفراد التطوع، كيف وقد ورد فى بعض النصوص التى ذكروها أن هذه الصلاة نفل، فيكره أداءه بالجماعة بلا شبهة.

وبالجملة فهذه الصلاة التى اخترعوها مشتملة على مفاسد كثيرة، وأداءها مع ما زعموا أنه قضاء لما فات خلاف المعقول والمنقول، ومضاد للفروع والأصول، والذى يدل على أن الصلاة المذكورة لا أصل لها خلو أكثر الكتب المعتمدة عن ذكرها، كالبزازية والخلاصة وفتاوى قاضى خان والمحيط والذخيرة وخزانة المفتين والواقعات والنوازل والهداية وشروحها الكفاية والبناية والعناية وفتح القدير ومعراج الدراية وغاية البيان والوقاية وشروح لصدرر الشريعة وللفصيح الهروى وغيرهما، ومختصر الوقاية وشروحه للبرجندى وإلياس زاده وكمال الدراية للشمنى والكنز وشروحه كـ "البحر الرائق" و "النهر الفائق" و "تبيين الزيلعى" و "الدر المختار" وحواشيه، ومواهب الرحمن وشرحه البرهان والجامع الصغير والكبير وشروحهما للصدر الشهيد وشمس الأئمة السرخسى وغيرهما، والمبسوط والزيادات وتصانيف الطحاوى وتصانيف الحاكم الشهيد والكرخى وغيرهما من المتون والشروح والفتاوى المشهورة.

وكذلك كتب الشافعية والمالكية والحنبلية خالية عن ذلك، ومن المعلوم أنه لو كان لها أصل لبادروا إلى ذكرها، وذكر فضلها، كيف لا وهذه الصلاة على ما زعموا من أفضل الصلوات، حيث يكون أداء ركعات عديدة كفارة بجميع فوات العمر، بل عن فوائت الأجداد والأحفاد، فالغفلة عن مثل ذه الصلاة غفلة عظيمة، وهذا صاحب "جامع الرموز" جامع كل رطب ويابس لم يتنبّه له، وصاحب "إحياء العلوم" مع اهتمامه بذكر العبادات الفاضلة وإن كانت رواياتها ضعيفة لم يتعرض له، وصاحب "خزانة الروايات" الجامع بين كل غث وسمين لم يذكره، وهذا كله أدل دليل على عدم العبرة به.

بقى الكلام فيما استندوا به من العبارات المذكورة والروايات المسطورة، فأقول: استنادهم بها مخدوش لوجوه:

أحدها: أن الكتب التى استندوا بها ليست من الكتب المشهورة المعتمدة، وقد ذكر ابن نجيم المصرى فى بعض رسائله، ونقله عنه الحموى فى حواشى "الأشباه والنظائر": أنه لا يجوز الافتاء من الكتب الغير المشهورة.

وفى "تنقيح الدرر الحامدية" نقلا عن "الرسائل الزينبية": لا يحل الإفتاء من الكتب الغريبة -انتهى-.

وثانيها: أن تجويز هذه الصلاة بتلك الكيفية لم ينقل عن أئمتنا أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد رحمهم الله، ولا عن تلامذتهم ومن يحذو حذوهم، فلا يجوز الإفتاء بها أخذًا من الكتب الغير المتداولة.

قال فى "القنية" نقلا عن "نوازل أبى الليث": قيل لأبى نصر: وقعت عندنا أربعة كتب، كتاب إبراهيم بن رستم، و"أدب القاضى" عن الخصاف، وكتاب المجرد والنوادر من وجه هشام هل يجوز لنا أن نفتى منها؟ فقال: ما صح عن أصحابنا فذلك علم مجتبى مرغوب فيه مرضى به، فأما الفتوى فإنى لا أرى لأحد أن يفتى بشىء لا يفهمه، ولا يتحمل أثقال الناس، فإن كانت مسائل قد اشتهرت وظهرت عن أصحابنا، رجوت أن يسمع الاعتماد عليها -انتهى-.

وقال على القارى فى "تذكرة الموضوعات": من القواعد المعلومة الكلية إن نقل الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية والتفاسير القرآنية لا يجوز إلا من الكتب المتداولة لعدم الاعتماد على غيرها من وضع الزنادقة وإلحاق الملاحدة، بخلاف الكتب المحفوظة -انتهى-.

وثالثها: أن هذه الكتب التى استندوا بها ليست من المتون المعتبرة، ولا من الشروح المعتمدة، وإنما هى من جنس الفتاوى، كالصحارى، وقد ذكر ابن نجيم فى رسالته "رفع الغشاء عن وقت العصر والعشاء" نقلا عن "أنفع الوسائل" أنه لا عبرة بنقول الفتاوى إذا عارضتها نقول المذهب، وإنما يستأنس بما فى الفتاوى إذا لم يوجد ما يخالفها من كتب المذهب -انتهى- وقد عرفت أن نقول: هذه الكتب فى تجويزه هذه الصلاة بتلك الكيفية مالفة لفروع المذهب المدونة وللأصول المقررة، فلا يصح الإفتاء بها.

ورابعها: أن الإفتاء بها موقوف على علم حال مصنفيها، وإنهم التزموا فيها نقل الأقوال الصحيحة، وبدون ذلك لا يحل الإفتاء، منها قال ابن عابدين فى "رد المحتار" فى "شرح الأشباه" لشيخنا المحقق هبة الله البعلى: قال شيخنا العلامة صالح الحسنينى: إنه لا يجوز الإفتاء من الكتب المختصرة: كـ"النهر" و"شرح الكنز" للعينى و"الدر المختار" و"تنوير الأبصار"، أو لعدم الاطلاع على حال مصنفيها: كـ"شرح الكنز" لملا مسكين، و"شرح النقاية" للقهستانى، أو لنقل الأقوال الضعيفة فيها: كـ"القنية" للزاهدى، فلا يجوز الإفتاء من هذه إلا إذا علم المنقول عنه، وأخذه منه -انتهى-.

وقال أيضًا فى "تنقيح الفتاوى الحامدية" فى بحث لبس الأحمر بعد ما ذكر ما يدل على كراهته على أن الذى يجب على المقلد اتباع إمامه: والظاهر أن ما نقله هؤلاء الأئمة هو مذهب أبى حنيفة لا ما نقل أبو المكارم، فإنه رجل مجهول، وكتابه كذلك، والقهستانى كجارف سيل وحاطب ليل خصوصًا، واستناده إلى كتب الزاهدى المعتزلى -انتهى- وقد ذكرت ما يتعلق بهذا البحث فى رسالتى "النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير"، وبسطت الكلام فيها فى ما يحل الإفتاء منه، وما لا يحل الإفتاء منه -فلتطالع-.

وخامسها: أن الاستناد بها موقوف على تحقيق حال مؤلفيها من أنهم من أى طبقة من طبقات الفقهاء، وإذ ليس فليس، وكونهم من أصحاب الأوراد والوظائف، أو من أرباب تصفية اللطائف لا يجوز الإفتاء، فلكل فن رجال، ولكل مقام مقال.

قال على القارى المكى فى رسالته "شم العوارض فى ذم الروافض": ثم اعلم أنه لابد للمفتى المقلد أن يعلم حال من يفتى بقوله، ومعرفة مرتبته فى الرواية ودرجته فى الديانة؛ ليكون على بصيرة وافية فى التمييز بين القائلين المتخالفين، وقدرة كافية فى الترجيح بين القولين المتعارضين، فقد قال ابن كمال باشا: إن للفقهاء سبع طبقات:

الأولى: طبقة المجتهدين فى الشرع، كالأئمة الأربعة ومن سلك مسلكهم فى تأسيس قواعد الأصول واستنباط أحكام الفروع عن الأدلة الأربعة على حسب تلك القواعد من غير تقليد للأحد لا فى الفروع، ولا فى الأصول.

الثانية: طبقة المجتهدين فى المذهب، كأبى يوسف ومحمد وسائر أصحاب أبى حنيفة القادرين على استخراج الأحكام من الأدلة المذكورة على القواعد التى قررها

أستاذهم، وهم وإن خالفوه فى بعض الفروع، لكن يقلدونه فى قواعد الأصول، وبه يمتازون عن المعارضين فى المذهب، كالشافعى ونظراءه المخالفين لأبى حنيفة فى الأحكام غير مقلدين له فى الأصول.

والثالثة: طبقة المجتهدين فى المسائل التى لا رواية لها عن صاحب المذهب، كالخصاف والطحاوى والكرخى وشمس الأئمة الحلوانى وشمس الأئمة السرخسى، وفخر الإسلام البزدوى، وقاضى خان وأمثالهم، فإنهم لا يقدرون على مخالفة الشيخ، لا فى الأصول ولا فى الفروع، لكنهم يستنبطون الأحكام فى المسائل التى لا نص فيها على حسب أصول قررها.

الرابعة: طبقة أصحاب التخريج من المقلدين، كأبى بكر الرازى وأضرابه، فإنهم يقدرون على تفصيل قول مجمل ذى وجهين، وحكم محتمل لأمرين.

الخامسة: طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين، كالقدورى وصاحب الهداية وأمثالهما، وشأنهم تفصيل بعض الروايات على بعض بقولهم: هذا أولى وهذا أصح رواية، وهذا أرفق بالناس.

والسادسة: طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوى والضعيف، ظاهر المذهب، وظاهر الرواية، والرواية النادرة كأصحاب المتون المعتبرة من المتأخرين مثل صاحب "الكنز"، وصاحب "الوقاية" و صاحب "المختار" وصاحب "المجمع".

والسابعة: طبقة المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر، ولا يفرقون بين الغثّ والسمين، ولا يميّزون الشمال عن اليمين، بل يجمعون ما يجدون كحاطب ليل، والويل لهم ولمن قلّدهم كل الويل -انتهى-.

وسادسها: أن الروايات الذى ذكرها هؤلاء المصنفون لم يذكروا سندها، ولا أسندوها إلى أحد من المخرجين، وقبول الحديث الذى لا أصل أى لا سند له ليس من شأن العاقلين، فإن بين النبى ﷺ وبين هؤلاء الناقلين مفاوز تنقطع فيها مطايا السائرين، فكيف يجوز الاستناد بمجرد قولهم: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فإن الرواية وعدلها إليهم وإلينا لا يمكن أن يكون الوسائط، فلا بد من تحقيق أحوال الوسائط وتشخيصهم، وكشف عدالتهم ليكتسب الحديث به صفة القبول إن وجدت فى رواته صفات القبول، أو صفة الرد، إن كانت فى رواتها صفات الرد بدون ذلك، فالاستناد به لا يليق بمن له أدنى

مسكة .

قال محمد بن عبد الباقى الزرقانى فى "شرح المواهب" : قال ابن المبارك : الإسناد من الدين ، ولو الإسناد لقال مَن شاء ما شاء ، وعنه : مثل الذى يطلب دينه بلا إسناد كمثل الذى يرتقى السطح بلا سلّم ، وقال سفيان الثورى : الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل ، وقال الشافعى : مثل الذى يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل ، وقال بقية : ذاكرت حماد بن زيد بأحاديث ، فقال : ما أجودها لو كانت لها أجنحة يعنى إسنادها -انتهى ملخّصًا- .

وقال على القارى المكى فى "تذكرة الموضوعات" : قد حكى الحافظ أبو بكر بن حذاء : اتفق العلماء على أن لا يحل لمسلم أن يقول : قال رسول الله ﷺ : كذا ، حتى يكون عنده ذلك القول مرويًا ، ولو على أقل وجوه الروايات -انتهى- .

فإن قلت : هذه الأحاديث من الأحاديث المشهورة ، فلا حاجة إلى تحقيق أسانيدها؟

قلت : إن أريد بكونها مشهورة شهرتها بالمعنى المصطلح عند الأصوليين فهو أيضًا موقوف على ثبوت طرقها والاستناد بها أيضًا موقوف على البحث عن رواتها ، وإن أريد به مطلق الشهرة ولو على ألسنة المتفقهة أو العامة ، فلا ينفع ذلك ؛ لأن مثل هذه الشهرة ساقطة عن الاعتبار فيما هنالك ، فكم من أحاديث اشتهرت على ألسنة العامة ، أو سطرت فى كتب المتفقهة ، ولا أصل لها فى الشريعة ، بل هى موضوعة وضعيفة ساقطة ، كحديث : لولاك لما خلقت الأفلاك ، وحديث : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل ، وحديث : يوم صومكم يوم نحركم ، وحديث : لسان أهل الجنة العربية والفارسية الدرية إلى غير ذلك ما لا يخفى على من طالع الكتب نقاد الحديث المصنفة فى هذا الباب كـ "موضوعات ابن الجوزى" و "اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة" و "الدرر المنتشرة فى الأحاديث المشهورة" كلاهما للسيوطى ، و "المقاصد الحسنة فى الأحاديث المشتهرة على الألسنة" للسخاوى ، و "تذكرة الموضوعات" لعلى القارى المكى وغير ذلك .

وقال محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" : المشهور يقع على ما يروى بأكثر من اثنين ، وعلى أنه اشتهر على الألسنة ، فيشتمل ماله

إسناد واحد فصاعداً، بل ما لا يوجد له إسناد أصلا، كعلماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل، وولدت فى زمن الملك العادل كسرى، وقد يشتهر بين الناس أحاديث هى موضوعة بالكلية، وذلك كثير جدّا، ومن نظر فى "الموضوعات" لابن الجوزى عرف الكثير من ذلك -انتهى- وقال أيضًا: لا اعتبار إلا بما هو مشهور عند أهل الحديث.

وبالجملة الشهرة الاصطلاحية وهى كون رواة الحديث فى الطبقة الأولى آحاداً معدودين، وكثرتهم بعد ذلك على ما ذكره أصحاب أصول الحنفية أو كون طرقه محصورة بأكثر من اثنين على ما ذكره علماء أصول الحديث مفقودة فى هذه الروايات؛ لكونها خالية عن الطرق والأسانيد، وأما الشهرة المطلقة بمعنى كونها مشهورة على ألسنة العامة فغير معتبرة، وإلا يلزم قبول كثير من الأحاديث الموضوعة.

فإن قال قائل: إنها مشهورة عند الفقهاء.

قلنا: ليس ذلك لخلو أكثر كتب الفقه من المذاهب الأربعة عن ذكرها، وإن ادعى أنها مشهورة عند المحدثين، قلنا: هذا المدّعى من الكاذبين، فإن أكثر كتب الحديث بل كلها لا أثر لها فيها، فإن قال قائل: نقل من نقل هذه الروايات لجلالة قدرهم، وبناحقة ذكرهم كان للاستناد به، قلنا: كلا! لا يقبل لحديث من غير إسناد، أو نقله معتمد، لا سيما إذا لم يكن الناقل من نقاد الأحاديث وجلالة قدره لا يستوجب قبول كل ما نقل، ألا ترى إلى نقل صاحب "إحياء العلوم" مع جلالة قدره أورد فى كتاب أحاديث لا أصل لها، فلم يعتبر منها، كما يظهر من مطالعة تخريج أحاديثه للحافظ العراقى، وهذا صاحب "الهداية" مع كونه من أجلة الحنفية أورد فيها أخباراً غريبة وضعيفة، فلم يعتمد عليها، كما يظهر من مطالعة تخريج أحاديثها للزيلعى وابن حجر العسقلانى.

وسابعها: أن آثار الوضع على هذه الروايات ظاهرة، وقرائن الاختلاق عليها قائمة، قال الحافظ زين الدين العراقى فى "شرح ألفية الحديث": قال ابن الصلاح: وإنما يعرف كون الحديث موضوعًا بإقرار واضعه، أو ما ينزل منزلة إقراره، قال: وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوى أو المروى، فقد وضعت أحاديث طويلة تشهد لوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها -انتهى-.

وروينا عن الربيع بن خيثم قال: إن للحديث: ضوء كضوء النهار تعرف وظلمة كظلمة الليل تنكر، وقال ابن الجوزى: اعلم أن الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب

للعلم، ويتنفر عنه قلبه في الغالب -انتهى-.

وقال السخاوى فى "شرح الألفية": وربما يعرف أى الوضع بالركة، أى الضعف عن قوة فصاحته ﷺ فى اللفظ والمعنى معًا، وكذا فى أحدهما، والركة فى المعنى كأن يكون مخالفا للعقل ضرورة واستدلالا، ولا يقبل تأويلا بحال، نحو الإخبار عن الجمع بين الضدين، قال ابن الجوزى: وكل حديث رأيته يخالف العقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع، فلا تتكلف اعتباره، أى لا تعتبر رواته، ولا تنظر فى جرحهم أو يكون مما يدفعه الحسن والمشاهدة، أو مباينا لنص الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعى، أو يتضمن الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر اليسير، أو بالوعد العظيم على الفعل اليسير، وهذا الأخير كثير موجود فى حديث القصّاص -انتهى-.

وقال: الحافظ ابن حجر فى "شرح نخبة الفكر": ومنها أى قرائن الوضع ما يوجد من حال المروى، كأن يكون مناقضًا لنص القرآن، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعى، أو صريح العقل -انتهى-.

وقال السيوطى فى "تدريب الراوى بشرح تقريب النواوى": ومن جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفًا للعقل بحيث لا يقبل التأويل، أو يكون مما يدفعه الحسن والمشاهدة، وأن يكون منافيا لأدلة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعى.

وقال ابن الجوزى: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، قال: وأما معنى مناقضة الأصول أنه يكون خارجًا عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة -انتهى ملخّصًا-.

ومثله فى مقدمة ابن الصلاح ومختصر ابن جماعة وخلاصة الطيبى وغيرًا من كتب أصول الحديث، وتفصيل هذا المبحث مفوض إلى رسالتى "ظفر الأمانى بشرح المختصر المنسوب إلى الجرجانى" وفقنا الله لختمه، كما وفقنى لبدءه.

ومن المعلوم أن هذ القرائن التى ذكروها لكون الحديث موضوعًا موجودة فى هذه الروايات التى سطروها، فإنها مخالفًا للعقول، ومبائنة للأصول، ومناقضة الصحيح المنقول، ولا أثر لها دواوين الحديث المشهورة المعتبرة الكافلة لجمع آثار الرسول، وفيها من ركاكة الألفاظ ما لا يخفى على المتبحر، ووعد كثير مبائن للعقل والنقل على الفصل

القليل المحتقر.

والذى أظنه ظنًا صحيحًا -إن شاء الله تعالى- أن أمثال هذه الروايات وضعها بعض المتعبدين الجاهلين ظنًا منهم أنهم يحسنون من غير علم أنهم فى ذلك ونقل عنهم جمع بعد جمع اعتمادًا عليهم، واغترارًا بحسن سيرتهم، ويشهد لذلك أنه لا يوجد أمثال هذه الروايات إلا فى كتب أصحاب الأوراد أو الوظائف، ورسائل من يقصد جمع الغرائب واللطائف من غير تنقيد وتسديد، ولو كان لها أصل لكان له أثر فى كتب الصحاح، أو السنن أو المسانيد وغيرها من تصانيف المحدثين، أو كان له ذكر فى كتب الفقهاء المعتبرين، وإذ ليس فليس.

فإن قال قائل: نقله هذه الروايات من الثقات ويستبعد عنهم نقل الخرافات والمكذوبات، قلنا: كونهم من المتدينين لا يستبعد به وقوع ذلك عنهم، ولا أقول أنهم نقلوا ذلك مع علمهم بكذب ذلك، بل وقع لهم الاغترار بقول غيرهم، فإنهم ليسوا من المحدثين، ولا أسندوها إلى أحد من الناقدين، والعبرة فى هذا الباب لهم لا لغيرهم.

وقد قال السخاوى فى "شرح الألفية": وأضرهم أى الوضاعين قوم لزهد وصلاح نسبوا، كأبى بشر أحمد بن محمد المروزى الفقيه، وأبى داود، والنخعى قد وضعوا الأحاديث فى الفضائل والرغائب للحسبة بمعنى أنهم يحتسبون بزعمهم الباطل، وجهلهم فى ذلك الأجر، وطلب الثواب، فقبلت تلك الموضوعات ركونًا إليهم، ووثوقًا بهم لما اتصفوا به من التدين -انتهى-.

وقال العراقى: وضرب يتدينون بذلك الترغيب الناس فى أفعال الخير بزعمهم وهم منسوبون إلى الزهد وهم أعظم الأصناف ضررا؛ لأنهم يحتسبون بذلك ويرونه قربة، فلا يمكن تركهم لذلك، والناس يركنون إليهم لما سنوا له من الزهد والصلاح، فينقلونها عنهم، ولهذا قال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت الصالحين أكذب منهم فى الحديث يريد -والله أعلم- بذلك المنسوبين للصلاح بغير علم يفرقون به بين ما يجوز لهم وما يمتنع عليهم -انتهى-.

وقد صرح جمع من المحدثين بكون أمثال هذه الروايات موضوعة، وبكون هذه الصلاة بدعة باطلة.

قال على القارى المكى فى "تذكرة الموضوعات" حديث: «من قضى صلاة من

الفرائض فى آخر جمعة رمضان كان ذلك جابراً لكل صلاة فائتة فى عمره إلى سبعين سنة»، باطل قطعًا؛ لأنه مناقض للإجماع على أن شيئًا من العبادات لا يقوم مقام فائتة سنوات، ثم لا عبرة بنقل صاحب "النهاية"، ولا بقية شراح "الهداية"؛ لأنهم ليسوا من المحدثين ولا أسندوا الحديث إلى أحد من المخرجين -انتهى- ومثله فى رسالة أخرى مختصرة له فى الموضوعات مسمّاة بـ"المصنوع فى معرفة الموضوع".

وقال القاضى الشوكانى فى "الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة": حديث «من صلى فى آخر جمعة رمضان الخمس الصلوات المفروضة فى اليوم والليلة قضت عنه ما أخل به من صلاة سنة»، هذا موضوع بلا شك فيه، ولم أجد فى شىء من الكتب التى جمع مصنفوها فيها الأحاديث الموضوعة، ولكنه اشتهر عند جماعة من المتفقهة بمدينة صنعاء فى عصرنا هذا، وصار كثير منهم يفعلون ذلك، ولا أدرى من وضعه لهم، فقبّح الله الكذابين -انتهى-.

وقال الشيخ عبد العزيز الدهلوى فى رسالته "العجالة النافعة" عند ذكر قرائن الوضع ما معربه: الخامس أن يكون مخالفًا لمقتضى العقل، وتكذبه القواعد الشرعية، مثل القضاء العمرى ونحو ذلك -انتهى-.

وفى "شرح المواهب اللدنية" لمحمد بن عبد الباقى الزرقانى المالكى نقلا عن "شرح منهاج النووى" لابن حجر المكى الهيتمى الشافعى المسمّى بـ"التحفة" بعد ذكر قباحة حفيظة رمضان، وسيأتى ذكرها، وأقبح من ذلك ما اعتيد فى بعض البلاد من صلاة الخمس فى هذه الجمعة عقب صلاتها زاعمين أنها تكفر صلوات العام، أو العمر المتروكة، وذلك حرام لوجوه لا تخفى -انتهى-.

ونقل بعضهم عن حماية الفقه: لا سبيل لقضاء الصلوات الخمسة فى آخر جمعة رمضان، كما قيل: من قضى صلوات خمسة فهى جابرة لسبعين سنة؛ لأن الأحاديث المروية فيه موضوعة عند المحدثين -انتهى-.

ونقل أيضًا عن "مواهب المنان شرح تحفة الإخوان" و "التبيين": وما اعتاده بعض أهل خراسان من قضاء الفوائت المتكثرة بقضاء صلاة يوم واحد فى الجمعة الأخيرة من رمضان خلف الإمام، فليس بشىء؛ لأن فيه مفاسد:

أحدها: أن من شروط الاقتداء اتحاد صلاة الإمام والمأموم اتحادًا شخصيّا، وهذا لا

يوجد فيهم يقينًا .

والثانى : أنهم يعتقدون أن هذه الصلاة تكفيهم عن جميع الفوائت ، وهذا الاعتقاد يقلع أصل الأحكام الإسلام .

والثالث : أنها إعلان وتشهير لكبائر نفوسهم ، وهو فسق .

الرابع : أنها اختراع بدعى وضلالة ما أجاز لهم الشارع لذلك لا دلالةً ، ولا إشارةً ، ولا قياسًا ، ولا إجماعًا ، وما رووه من حديث فى ذلك كذب لا ينبغى للمؤمن المحقق أن يصغى إليه ، كما حققه على القارى فى "التذكرة" ، والفاضل الگجراتى فى "مجمع البحار" وغيرهما فى غيرهما -انتهى- .

وقد بلغنى عن بعض الناس لما أرسلت إليهم عبارة القارى الدالة على الوضع أنه قال : لا اعتبار للقارى بحذاء صاحب "النهاية" ، فالمعتمد هو نقل صاحب "النهاية" لا حكم القارى ، وهذا قول أظن أن من صدر عنه جاهل لا يعرف مراتب المحققين ، ويعلم الفرق بين الفقهاء والمحدثين ، فإن الله تعالى خلق لكل فن رجالا ، وجعل لكل مقام مقالا ، ويلزم علينا أن ننزلهم منازلهم ، ونضعهم بمراتبهم ، فأجلة الفقهاء إذا كانوا عارين من تنقيد الأحاديث لا نسلم الروايات التى ذكروها من غير سند ، و لا مستند إلا بتحقيق المحدثين ، ونقله الأحاديث إذا كانوا عارين عن الفقاهة لا تقبل كلامهم فى الفقه كلام الفقهاء المعتبرين ، وقس على هذا صاحب كل فن بكل فن ، فصاحب "النهاية" وإن كان من أجلة الفقهاء ، لكن ليس ببالغ إلى مراتب المحدثين ، فلا نقبل رواياته بلا سند ، إلا إذا نص على اعتبارها جمع من المحدثين ، فإن العبرة فى هذا الباب كما مر غير مرة بهم لا بغيرهم .

هذا وخلاصة المرام فى هذا المقام أن الروايات فى باب القضاء العمرى مكذوبة وموضوعة ، والاهتمام به مع اعتقاد تكفير ما مضى بدعة باطلة ، وليس العمل به إلا كالعمل بأحاديث صلاة الرغائب ، وصلاة شعبان وغيرها مما صرّحوا بوضعها واختلافها ، وقد صرحوا بأن العمل بالحديث الموضوع ، وكذا ذكره من دون اقتران حكم وضعه محرم لا يفعله من له أدنى حلم .

ومن الأمور المحدثة الباطلة فى آخر جمعة رمضان كتابة حفيظة رمضان ، قال السخاوى فى "المقاصد الحسنة فى الأحاديث المشتهرة على الألسنة" : حديث : «لا الآء

إلا آلاءك يا الله إنك سميع عليم محيط به علمك كعسهلون وبالحق أنزلناه وبالحق نزل»، هذه ألفاظ اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب، إنها حقيقة رمضان، يحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الآفات، ويكتب فى آخر جمعة منه.

فجمهورهم يكتبونه والخطيب يخطب على المنبر، وبعضهم بعد صلاة العصر، وهى بدعة لا أصل لها، وإن وقع فى كلام بعضهم ورودها فى حديث ضعيف، وكان شيخنا ينكرها حدا حتى وهو على المنبر فى أثناء الخطبة حين يرى من يكتبها، كما بينت فى "الجواهر والدرر" -انتهى- ونقله عنه تلميذه القسطلانى فى "المواهب اللدنية" وأقره.

وقال الزرقانى فى شرحه نقلا عن "التحفة" جزم أئمتنا وغيرهم بحرمة كتابة وقراءة الكلمات الأعجمية التى لا يعرف معناها، وقول بعض: كعسهلون حية محيطة بالعرش، رأسها على ذنبها لا يعون عليه؛ لأن مثل ذلك لا مدخل للرأى فيه، فلا يقبل فى ما ثبت عن معصوم على أنها بهذا المعنى لا تلائم ما قبلها فى الحفيظة، وهو لا آلاء إلا آلاءك، بل هذا اللفظ فى غاية الإبهام، ومن ثم قيل: إنها اسم صنم أدخلها ملحد على جهلة العوام، وكان بعضهم أراد دفع ذلك الإبهام، فزاد بعد الجلالة محيط به علمك كعسهلون، أى كإحاطة تلك الحية بالعرش، وهو غفلة عما تقرر أن هذا لا يقبل إلا ما صحّ فيه عن معصوم وأقبح من ذلك ما اعتيد فى بعض البلاد من صلاة الخمس فى هذه الجمعة إلى آخر ما مرّ نقله سابقًا.

وقال ابن الحاج المالكى فى "المدخل": وينهى الناس عن كتبهم الحفائظ فى آخر جمعة رمضان فى حال الخطبة وذلك يمنع لوجوه:

أحدها: لما احتوت على من اللفظ العجمى، وقد قال مالك لما سئل عنه: وما يدريك لعل كفر.

وثانيها: أن فيه اللغو فى حال الخطبة.

الثالث: أنه يشتغل عن سماع الخطبة.

الرابع: أن يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الإصغاء حال الخطبة، هل هو فرض، أو سنة مؤكدة؟

الخامس: ما أحدثوه من بيعها وشراءها فى المسجد فينهى عن ذلك، ويزجر

فاعله، وبعض الناس يكتبها بعد العصر يوم الجمعة، وذلك بدعة أيضًا، لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها، إذ ليس ثم خطبة يشتغل عنها، ولو كتبها وأسقط عنها اللفظ العجمى لم يتخذ لكتابتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزًا -انتهى- .

ومن الأمور المحدثة تسميتهم الجمعة الآخرة من جمعات رمضان بجمعة الوداع، وهذه التسمية وإن لم يرد بها كتاب ولا سنة، لكن لا بأس بذلك أخذًا من تسمية آخر حجات النبى ﷺ فى السنة العاشرة من الهجرة بحجة الوداع، وليس فى أمثال هذه التسمية ابتداء غير مشروع واختراع أمر ممنوع.

ومن الأمور المحدثة ما شاع فى أكثر بلاد الهند والدكن وغيرهما من قراءة الخطباء فى خطبة آخر جمعات رمضان أشعارًا فارسية وهندية مشتملة على مضامين التحسر بذهاب رمضان، وهذا أمر يجب على العلماء الزجر عنه، فإن خلط الخطبة بغير العربية، وكذا قراءة كلها بغير العربية خلاف السنة المتوارثة من عصر حضرة الرسالة والصحابة ومن بعدهم من أرباب الجلالة، وقد حققت هذ المسألة مع ما لها وما عليها فى رسالتى "آكام النفائس فى أداء الأذكار بلسان الفارسي"، فلتطالع.

ومن الأمور المحدثة ما ذاع فى أكثر بلاد الهند والدكن وغيرهما من تسمية خطبة الجمعة الأخيرة بـ "خطبة الوداع"، وتضمينها جملا دالة على التحسر بذهاب ذلك الشهر، فيدرجون فيها جملا دالة على فضائل ذلك الشهر، ويقولون بعد جملة أو جملتين : الوداع والوداع، أو الفراق والفراق لشهر رمضان، أو الوداع والوداع يا شهر رمضان، ونحو ذلك من الألفاظ الدالة على ذلك.

ومنهم مَن يقرأ خطبة الوداع يوم عيد الفطر، وهذا المحدث لا يدرى من أى زمان حدث، وأين حدث، وكتب الفقه والحديث من المتقدمين والمتأخرين لا يوجد فيها أثر من ذلك، وقد اختلف أرباب العلم فى عصرنا، وشىء ممن قبلنا فى ذلك، فمن مفرط مسدد ومن مفرط غير مشدد،

وأما الفرقة الأولى فشددت فى منعها بالكلية وحكم بكونها ضلالة لوجوه:

الأول: إن مثل هذه الخطبة المشتملة على مثل هذه الكلمات الوداعية لم ينقل عن النبى ﷺ وأصحابه وتابعيهم وتبعهم، وكل ما لم يوجد فى القرون الثلاثة، فهو بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، وفيه أن البدعة فى الكبرى الأولى إن أريد بها البدعة

اللغوية، فإن أريد فى كبرى القياس الثانى: البدعة الشرعية: وهى لم يوجد بنفسه ولا بنظيره فى القرون الثلاثة، ولم يدل عليه دليل من الأدلة الشرعية فالحد الأوسط غير متكرر، وإن أريد بها اللغوية أيضًا فالكلية ممنوعة؛ لأن المحكوم عليه بكون كل فرد منه ضلالة، إنما هو البدعة الشرعية، وأما اللغوية فمنقسمة إلى أقسام خمسة: مباحة، وواجبة، ومحرمة، ومكروهة، ومندوبة.

وإن أريد بالبدعة فى الكبرى الأولى البدعة الشرعية، فهو فى خير المنع، فلا يفيد القياس النفع، وقد حققت هذا البحث وما يتعلق به فى رسالتى "إقامة الحجة على أن الإكثار فى التعبد ليس ببدعة"، وفى رسالتى "تحفة الأخيار فى إحساء سنة سيد الأبرار"، وفى رسالتى "التحقيق العجيب فيما يتعلق بالتثويب"، وفى رسالتى "ترويح الجنان بتشريح حكم شرب الدخان" وغيرها، فلتطالع.

وأيضًا: لو تمّ هذا الدليل لم يختص بخطبة الوداع، هل جرى فى كل خطبة صنفها العلماء، وقرأها الخطباء بعبارات جديدة لم تنقل عن حضرة الرسالة والصحابة ومن بعدهم ممن تبعهم.

والحل أن أصل وضع الخطبة لتذكير نعم الله والتخويف من عذاب الله، والمقصود منهما إنما هو الترغيب والترهيب وتعليم الأحكام، فكل ما اشتمل عليه يحصل به المرام، سواء كانت معانيه وألفاظ بعينها مأثورة، أو كانت مخترعة محدثة، فليس الاختراع فى مثل ذلك موجبا للضلالة، وإلا للزم حصر الخطب فى الخطب المسؤولة عن أصحاب القرون الثلاثة، ولم يقل به أحد من العلماء، فلم يزل الفضلاء يصنفون خطبا مشتملة على ألفاظ جديدة ومعانى غريبة، ولم يزل الخطباء ينحتون ترغيبات وترهيبات من غير قصر على الألفاظ المأثورة، نعم يجب أن لا يكون اختراع الألفاظ والمعانى مفوتا لأصل مقصود الخطبة، وأن لا يكون مغيرًا لوضع الخطبة، كالعبارات الفارسية والهندية وغيرها التى تغير وضعها، فإن وضعها إنما هو بالعربية لا غيرها.

الوجه الثانى: ما ذكره بعض أفاضل عصرنا فى منهيات رسالته الموعظة الحسنة بما يخطب به فى أيام السنة من أن تضمين معنى الحسرة على وداع رمضان غير مشروع؛ لأن إفطار الصوم أحد اسباب الفرحة؛ بدليل حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه»، أخرجه الشيخان، وقد شرعت

صلاة العيد يوم الفطر للاستبشار بختم شهر الصيام وحصول تأدية أمر الملك العلام، فلا وجه للتحزن وإظهار الحزن على انقضاء شهر رمضان.

وفيه: أن الفرحة بالإفطار المذكورة فى الحديث، إنما هو فرحة عادية طبعية لا فرحة شرعية، فإن النفس الإنسانية لما خلقت متألفة بالأكل والشرب وقضاء اللذات، وزيّن لها حب الشهوات لا بد أن تحصل لها الفرجة بمقتضى طبعها عند الإفطار، وهذه فرحة عادية دنيوية، والأخرى تحصل لها عند رؤية ربها الغفار، وأما الفرحة الشرعية فإنما هى فى الصوم لا فى فطره، ولذلك ترى النفوس القدسية يحصل لهم الفرح والنشاط فى حالة العبادة ما لا يحصل بانقضاءها، وشاهده قوله عليه الصلاة والسلام: «حبّب إلىّ من الدنيا النساء والطيب وجُعلت قرّة عينى فى الصلاة»، قال السخاوى فى "المقاصد": أخرجه الطبرانى فى "الأوسط" من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس رضـ به مرفوعًا، وإنما هو عنده فى الصغير، وكذا الخطيب فى "تاريخ بغداد" من هذا الوجه، لكن مختصرًا على جملة: وجعلت فقط.

ورواه النسائى فى "سننه" من حديث يسار عن جعفر عن ثابت عن أنس رضـ بلفظ الترجمة، وأخرجه الحاكم فى مستدركه بدون لفظة جعلت، وقال: إنه صحيح على شرط مسلم، ورواه موئل بن إهاب فى جزءه الشهير قال: نبأ سفيان عن جعفر به بلفظ: "وجعل قرة"، والباقى سواء، وأخرجه ابن عدىّ فى كامله من جهة سلام أنبأنا ثابت البنانى وعلى بن زيد كلاهما عن أنس بلفظ الترجمة، وهو عند الشافعى أيضًا من جهة سلام أبى المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ: «حبب إلىّ من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة»، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد، وأبو يعلى فى "مسنديهما"، وأبو عوانة فى مستخرجه الصحيح، والطبرانى فى "الأوسط"، والبيهقى فى "سننه"، وآخرون حسبما بيّنت موضحًا فى جزء أفردته لهذا الحديث، وقد عزاه الديلمى بلفظ: «حبب إلى كل شىء وحبب إلىّ النساء...» إلى آخره، للنسائى وغيره مما لم أرَه فيها - انتهى ملخّصًا-.

فالحاصل أن النفوس البررة شأنها الفرح بالعبادات مثل الصوم والصلاة والحج وغيرها، وكذلك ينبغى أن تكون قرة العين فيها وبانقضاءها، ومضى أيامها يحصل لهم الحزن، وإلا لم يتكدر طبعهم بانقضاء أيام البركة، ويعرض لها غم أى غم، وأى حزن

أعظم للبررة من مفارقة أيام رمضان المشتملة على أنواع الرحمة والغفران.

وقد عقد الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الدمشقى الحنبلى الشهير بـ "ابن رجب" من تلامذة ابن القيم تلميذ ابن تيمية فى كتابه "لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف" مجالس فيما يتعلق بشهر رمضان، وترجم المجلس السادس بقوله: المجلس السادس فى وداع شهر رمضان المعظم قدره وحرمته، وأورد فيه أحاديث مشتملة على فضائله وفضائل صيامه وقيامه، وقال فيه: كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يوم فرح وسرور، فيقال: صدقتم ولكنى عبد أمرنى مولاى أن عمل له عمله، فلا أدرى أيقبله أم لا؟

ورأى وهب بن الورد قومًا يضحكون فى يوم عيد، فقال: إن كان مولاهم تقبل منهم صيامهم، فما هذا فعل الشاكرين، وإن كانوا لم يتقبل منهم صيامهم، فما هذا فعل الخائفين.

وروى عن على رضى الله عنه أنه كان ينادي آخر ليلة من رمضان يا ليت شعرى من هذا المقبول فنهنئه، ومن هذا المحرم فنعزيه، وعن ابن مسعود أنه قال: من هذا المقبول فنهنئه، ومن هذا المحروم فنعزيه أيها المقبول هنيئًا لك أيها المردود جبر الله مصيبتك - انتهى -.

وقال أيضًا بعد ذكر قدر من بركاته ومناقبه عباد الله: إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبقَ منه إلا التليل، فمن كان منكم أحسن، فعليه التمام، ومن كان فرط، فليختمه بالحسنى، فالعمل بالختام، فاستمتعوا منه فيما بقى من الليالى اليسيرة والأيام، واستودعوه عملا صالحًا يشهد لكم عند الملك العلام، وودّعوه إلى فراقه بأزكى تحية وسلام:

سلام من الرحمن كل اوان ... على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه ... أمان من الرحمن أى أمان
لئن فنيت أيامك الغر بغتة ... فما الحزن من قلبى عليك بفان

لقد ذهبت أيامه وما أطعتم، وكتبت عليكم آثامه وما أطعتم، فكأنكم بالمشمرين فيه، وقد وصلوا وقطعتم قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن ومن ألم الفراق تئنّ:

وبال الفراق فما تصنع ... أتصبر للبين أم تجزع

إذا كنت تبكى وهم حيرة فكيف يكون إذا ودعوا

كيف لا تجرى للمؤمن على فراقه دموع وهو لا يدرى، بل بقى له فى عمره إليه رجوع:

تذكّرت أيامًا مضت ولياليها خلت فجرى من ذكرهنّ دموعى

الأهل لنا يومًا من الدهر عودة وهل لى إلى وقت الوصال رجوع

وهل بعد إعراض الحبيب تواصل وهل لبدور قد أفلن طلوع

أين حرق المجتهدين فى نهاره؟ أين قلق المتجدّين فى إسحاره، وإذا كان هذا جزع من ربح فيه، فما حال من خسر فى لياليه وأيامه ما ذا ينفع المفرط فيه بكاءه، وقد عظمت فيه مصيبته، وجل عزاءه، كم نصح المسلمين، فما قبل النصح كم دعى إلى مصالحة، فما أجاب إلى الصلح كم شاهد الواصلين فيه، وهو تباعد، وحاق به المقت، وندم على التفريط حيث لا ينفعه الندم، وطلب الاستدراك فى وقت العدم:

تترك من تحب وأنت جار وتطلبهم إذا بعد المزار

وتبكى بعد تأنيهم اشتياقًا وتسأل فى المنازل أين ساروا

تركت سؤالهم وهم حضور وترجو أن تخبرك الديار

يا شهر رمضان ترفق دموع المحبين تدفق، وقلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة للوداع تطفئ من نار التشوّق ما أحرق، عسى ساعة توبة، وأقلاع ترفو من الصيام كل ما تخرق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى من استوجب النار يعتق، عسى أسير الأوزار يعتق، عسى رحمة المولى للعاصين توفق -انتهى كلامه ملخصًا-.

الوجه الثالث: ما ذكره ذلك الفاضل أيضًا أن الأركان الخمسة الإسلامية تساوية الأقدام، ولا دليل على تخصيص الحزن بذهاب رمضان، ولم يرد به الشرع، ولو كان هذا بالقياس يلزم أن يظهر مثل هذا الحزن، وإلا لم يعد كل ركن من الصلاة والحج والزكاة ولا قائل به.

وفيه أن الزكاة ليس لأداءها وقت معين شرعًا، ولا يمكن أداءها فى وقت واحد جمعًا لاختلاف الناس فى أزمنة ملك النصاب، وتفاوتهم فى شروط الإيجاب، وليست الأوقات أداءها بركة معهودة شرعًا، ولا عرفًا، فلا يمكن الحزن وإظهاره عند ذلك، ولا يتصور التحسّر من ذهاب شيء فيما هنالك، بخلاف صيام رمضان، فإن له وقتًا معلومًا

بالنسبة إلى جميع المكلّفين، وله بركة عظيمة ومنقبة جسيمة للعالمين، فذهابه حسرة عظيمة، كيف لا وإدراك رمضان آخر بسبب امتداد الزمان أمر موهوم، بخلاف الصلاة فإن جميع أوقاتها ليست فى عموم المغفرة مثل تلك الأيام، وإدراك وقت آخر للصلاة أمر غير موهوم، وأما أوقات الحج فهى وإن كانت متبركة لكن هذه العبادة ليست شاملة فى وقت واحد لجميع المكلفين، بل خاص بأهل مكة ومن فيها من الآفاقيين، وبالجملة فالفرق بين ذهاب رمضان وبين ذهاب أوقات الصلاة والحج والزكاة ظاهر غير خفى على الماهر، فلا يلزم من عدم وقوع التحسر بذهابها عدم وقوع التحسر بذهاب هذا الشهر.

وأما الفرقة الثانية: فقد بالغت فى تجويز خطبة الوداع، والتزمته وقاسته على خطبة النبى ﷺ فى آخر شعبان المشتملة على بشارة مجيء شهر رمضان على ما مر ذكره من رواية سلمان، وفيه: إن جواز بشارة شيء وإظهار السرور بقربه لا يستلزم جواز إظهار التحسر بذهابه.

والإنصاف أن قراءة خطبة الوداع إذا كانت مشتملة على معانى صحيحة وألفاظ لطيفة لم يدل دليل على منعها، وليس فيها ابتداع وضلالة فى نفسها، لكن الأولى هو الاتباع لطريقة النبى ﷺ وأصحابه، فإن الخير كله فى الاتباع به لا سيما إذا وجد التزام ما لم يلتزم، وظنّ ما ليس من الشرع، من الشرع، وما ليس بسنة من السنة، وقد تقرر فى مقره أن كل مباح أدى إلى التزام غير مشروع، وإلى فساد عقائد الجهلة، وجب تركه على الكملة، فالواجب على العلماء أن لا يلتزموا على قراءة مثل هذه الخطبة لكونه مؤديا إلى اعتقاد السنية، وقد وقع ذلك من العوام، حيث اهتمو بمثل هذ الخطبة غاية الاهتمام، وظنوها من السنن المأثورة حتى إن من يتركها ينسبونه إلى سوء العقيدة.

ومن ثم منع الفقهاء عن التزام قراءة سورة الدهر وتنزيل السجدة فى صلاة فجر الجمعة مع كونه ثابتًا فى الأخبار المشهورة، وعن سجدة منفردة بعد صلاة الوتر وأمثال ذلك مما يفضى إلى ظن العوام أنه من السنة، وأن مخالفه بدعة ونظائره كثيرة فى كتب العلوم شهيرة، وقد بلغ التزام خطبة الوداع، والاهتمام بها فى أعصارنا وديارنا إلى حد أفسد ظنون الجهلة، فعلى أهل العلم الذين هم كالملح فى الطعام إذا فسد فسد الطعام أن يتركوا التزام هنا ما عندى، ولعل عند غيرى أحسن مما عندى.

وهذا آخر الكلام فى هذه الرسالة، وكان ذلك ليلة الاثنين السابع والعشرين من

صفر من السنة السابعة والتسعين بعد الألف والمائتين من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى تحية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

****

الإنصاف في حكم الاعتكاف

مع حاشيته

الإسعاف بتحشية الإنصاف

للإمام المحدث الفقيه الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي

ولد سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى بجمعه وتقديمه وإخراجه

نعيم أشرف نور أحمد



بسم الله الرحمن الرحيم [١]

لك الحمد يا من هو مستجمع لكمال الأوصاف، وأشهد أن لا إله إلا أنت، لا شريك لك فى أطراف العالم والأكناف، وأصلى وأسلم على حبيبك محمد المجتبى أحمد المصطفى، مخرج الأمة عن طريق الاعتساف، وعلى صحبه وآله الأخيار والأشراف.

أما بعد: فيقول من لا صناعة له إلا اكتساب الخطيئات والحسنات محمد المدعو بـ "عبد الحيى" اللكنوى وطنًا، الأنصارى الأيوبى القطبى نسبًا، الحنفى مذهبًا - تجاوز الله عن ذنبه الجلى والخفى -: قد جرى النزاع بينى وبين بعض الفضلاء[٢] سنة ١٢٨٢ اثنتين وثمانين بعد الألف والمائتين من هجرة رسول الثقلين، صلى عليه وعلى آله رب المشرقين، فى أن الاعتكاف[٣] هل هو سنة مؤكدة على الكفاية[٤]، أو على العين[٥]،

---

(١) بسم الله الرحمن الرحي .

الحمد لمن خلق الإنسان وعلّم البيان، أشهد أنه لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، خالق كل مكين ومكان، وأصلّى وأسلّم على رسوله محمد سيد الإنس والجان، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

وبعد: فيقول الراجى إلى رحمة ربه الشكور محمد عبد الغفور الرمضانفورى -حفظه الله عن الشر المعنوى والصورى-: هذه تعليقات متفرقة مشتملة على فوائد متشتة على رسالة المولى المحقّق الأستاذ المدقّق دام ظله على رؤوس المستفيدين والمسترشدين المسمّاة بـ "الإنصاف فى حكم الاعتكاف"، سمّيتها بـ "الإسعاف بتحشية الإنصاف"، وأرجو من الله تعالى أن يتقبلها بلطفه العميم، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

(٢) قوله: "قد جرى النزاع . . . إلخ" كان ذلك فى حيدر آباد من بلاد الدكن مشافهة ومكالمة، وذلك بعد ما عاد إليه الأستا د المصنف لا زالت شمس أفضاله بازغة، وأقمار فيوضه ساطعة عن حج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبى ﷺ مرةً أولى، وكان مشتغلا بتحصيل العلوم عند والده العلام المرحوم هناك.

(٣) قوله: "الاعتكاف" افتعال من عكف، وهو لازم من طلب، فمصدره العكوف، وهو اللزوم على

وعلى التقدير الأول هل هو سنة كفاية على أهل البلدة كصلاة الجنازة، أو على أهل كل محلة، كالتراويح بالجماعة، فتكلم كل منا بما خطر فى خاطره، من دون أن يتجسّس تحقيقه من كتب الفقه، فأردت أن أكتب فيه ما يسلك مسلك السداد، ويثبت ما هو المقصود والمراد، وسمّيتُه بـ:

«الإنصاف فى حكم الاعتكاف»

وأسأل الله تعالى قبوله بالتضرع والإلحاف.

فأقول: قد وقع الاختلاف فى أن الاعتكاف مستحب[1] أو سنة، وعلى الثانى، هل هو سنة مؤكدة أو غير مؤكدة[2]؟ وعلى الأول هل هو سنة مطلقًا، أو فى العشر

الشيء خيرا كان أو شرا، ومنه قوله تعالى: ﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ ومتعدى من ضرب، ومصدره العكف، بمعنى الحبس والمنع، ومنه قوله تعالى: ﴿والهدى معكوفًا﴾ ومنه الاعتكاف فى المسجد، لأنه حبس النفس ومنعه، سمى هذا النوع من العبادة؛ لأنه إقامة فى المسجد مع الشرائط.

وفى الشرع: اللبث والإقامة فى المسجد للعبادة من شخص مخصوص بنية بصفة مخصوصه، والأصل فيه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو من الشرائع القديمة؛ لقوله تعالى: ﴿أن طهّرا بيتى للطائفين والعاكفين﴾ وهو سنة فى العشر الأواخر من رمضان، واتفقوا على استحبابه فى غيره، ووجوبه إذا نذر، منجزًا كان أو معلّقًا، كما ستعرف.

(٤) قوله: "سنة مؤكدة على الكفاية" وهى التى يثاب إن أتى بها، ويلام لو تركوا جميعًا.

(٥) قوله: "أو على العين" أى ثابت على كل مكلف بعينه، ولا يسقط عن الآخرين بأداء البعض.

(١) قوله: "مستحب" السين والتاء زائدتان، أى المحبوب فيه، والمحبوب فى اللغة ضد المكروه، واصطلاحًا ما فعله النبى ﷺ مرة وتركه أخرى، فيثاب على فعله، ولا يلام على تركه، كما فى "شرح الملتقى".

(٢) قوله: "سنة مؤكدة أو غير مؤكدة" اختار فى "البحر" تعريفين للسنة: الأول: أنها الطريقة المسلوكة فى الدين من غير لزوم على سبيل المواظبة، الثانى: أن السنة ما واظب عليها النبى ﷺ، لكن إن كانت "لا مَعَ الترك"، فهى دليل السنة المؤكدة، وإن كانت "مَعَ الترك" أحيانًا، فهى دليل غير المؤكدة، وإن اقترنت بالإنكار على من لم يفعله، فهى دليل الوجوب، وإن لم تقترن به، فهى دليل السنة المؤكدة على الكفاية، وهذا فى غير الواجب المختصّ به ﷺ لما هو فقد لا ينكر على تركه مع وجوبه فى حقه كصلاة الضحى -فافهم- كذا فى "الطحطاوى".

وتفصيل تعريف السنة، وما وقع فيه من الاختلاف مع تنقيح الحق والإنصاف يطلب من رسالة

الأواخر من رمضان، وهل هو سنة كفاية أو عينًا، فلنذكر هنا ما يرفع الحجاب، عن وجه هذا الباب، مستعينًا بحبل المولى الوهاب، فهنا مقامات:

المقام الأول: هل الاعتكاف مستحب، أو سنة، أو مباح، أو واجب[١]؟

فذهب بعض المالكية إلى أن الاعتكاف أمر مباح، وهذا القول مما لا اعتداد به.

قال أبو بكر المالكى: قول أصحابنا[٢]: إنه جائز جهل، ولم أطلع على من قال: بوجوب الاعتكاف مطلقًا[٣]، بل قد ادعى النووى[٤] فى "شرح صحيح مسلم" الإجماع

الأستاذ العلامة المسمّاة بـ "تحفة الأخيار فى إحياء سنة سيد الأبرار"، وتعليقاته عليها المسمّاة بـ "نخبة الأنظار". (الإسعاف بتحشية الإنصاف)

(١) قوله: "أو واجب" قال ابن عابدين فى حاشية "الدر المختار": ما كان فعله أولى من تركه "مَع مَنع الترك" إن ثبت بدليل قطعى ففرض، أو بظنى فواجب، وبـ "لا منع الترك" إن كان مما واظب عليه الرسول ﷺ، أو الخلفاء الراشدون من بعده فسنة، وإلا فمندوب، وليطلب تفصيل هذا البحث من "السعاية فى كشف ما فى شرح الوقاية" للأستاذ.

(٢) قوله: "قول أصحابنا: إنه جائز" قال الحافظ ابن حجر فى "الفتح": ومن كلام مالك أخذ بعض أصحابه: أن الاعتكاف جائز، وأنكر ذلك عليهم ابن العربى، وقال: إنه سنة مؤكدة، وكذا قال ابن بطال: فى مواظبة النبى ﷺ عليه ما يدل على تأكده، وقال أبو داود عن أحمد: لا أعلم أحدًا من العلماء خلافًا أنه مسنون -انتهى-.

(٣) قوله: "مطلقًا" سواء كان فى العشر الأواخر من رمضان، أو فى غيره من الأزمنة.

(٤) قوله: "النووى" هو شيخ الإسلام يحيى بن شرف بن حسين محيى الدين النووى الشافعى، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وتوفى بعد ما زار القدس فى رجب سنة سبع وسبعين وستمائة، وقيل: ست وسبعين.

ومن تصانيفه: شرح صحيح مسلم وتهذيب الأسماء واللغات، وشرح المهذب والمنهاج، وكتاب الأذكار، ورياض الصالحين، والمناسك، والأربعون، والتبيان فى آداب حملة القرآن، وكتاب المبهمات، والتحرير فى ألفاظ التنبيه، ونكت التنبيه، والخلاصة والإرشاد، والتقريب، والتيسير مختصر الإرشاد، وتحفة الطالب، ونكت على الوسيط، وشرح الوسيط، وشرح قطعة من صحيح البخارى، وطبقات الشافعية، ورؤوس المسائل، ورسالة فى الاستسقاء، ورسالة فى استحباب القيام لأهل الفضل، وأخرى فى قسمة الغنائم. والأصول والضوابط، والإشارات على الروضة.

وإن شئت زيادة الاطلاع فعليك بـ "التعليقات السنية على الفوائد البهية" للأستاذ العلامة، وبرسالته المسمّاة بـ "فرحة المدرسين بذكر المؤلفات والمؤلفين".

على عدم وجوبه[١]، وأما أصحابنا الحنفية فيعلم من اختلاف عباراتهم أنهم تفرقوا فيه ثلاث فرق، فذهب[٢] القدورى فى "مختصره" إلى استحباب، حيث قال: ويستحب وغيره إلى أنه سنة مؤكدة.

قال المرغينانى[٣] فى "الهداية": الصحيح أنه سنة مؤكدة؛ لأن النبى ﷺ واظب عليه فى العشر الأواخر من رمضان[٤]، والمواظبة دليل السنية، هكذا ذكر فى "المحيط"[٥]

---

(١) قوله: "الإجماع على عدم وجوبه" أى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، حيث قال: وقد أجمع المسلمون على استحبابه، وأنه ليس بواجب - انتهى -.

(٢) قوله: "فذهب القدورى" هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسين الحنفى البغدادى القدورى - بضم القاف والدال المهملة وسكون الواو بعدها راء مهملة - قيل: إن نسبة إلى قرية من قرى بغداد، يقال لها: قدورة، وكل نسبة إلى بيع القدور، صنف المختصر المشهور، والتجريد، وشرح مختصر الكرخى فى سبعة أسفار مشتمل على الخلاف بين أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى.

كان ثقة صدوقا سمع الحديث وروى عنه الخطيب، وكانت ولادته سنة اثنين وستين وثلاثمائة، ومات فى رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد، والتفصيل فى "الفوائد البهية فى تراجم الحنفية" للأستاذ العلامة، و"فى فرحة المدرسين" له.

(٣) قوله: "المرغينانى" هو على بن أبى بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى، نسبة إلى مرغينان - بفتح الميم وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وسكون الياء بعدها نون ثم ألف بعدها نون - بلدة من بلاد فرغانة، جمع بين المختصر القدورى والجامع، وسمّاه بـ"هداية المبتدئ" وشرحه وسمّاه بـ"كفاية المنتهى"، ثم اختصره وسمّاه بـ"الهداية"، وصنف المنتقى، ونشر المذهب والتجنيس والمزيد ومناسك الحج، ومختارات للنوازل، وكتابًا فى الفرائض، توفى فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، والبسط فى "الفوائد البهية"، ومقدمة الهداية، ومقدمة السعاية، كلها للأستاذ العلامة.

(٤) قوله: "واظب عليه . . . إلخ" أخرج الأئمة الستة فى كتبهم، واللفظ للبخارى عن عائشة زوج النبى ﷺ: "أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاها الله، ثم اعتكف أزواج من بعده" ابن ماجة، فإنه أخرجه عن أبى بن كعب قال: "كان النبى ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عامًا، فلما كان العام القابل اعتكف عشرين يومًا"، وأخرجه أبو داود والنسائى أيضًا، ولفظهما: "ولم يعتكف عامًا".

(٥) قوله: "فى المحيط" المراد به حيث أطلق "المحيط البرهانى" غالبًا، وهو لمؤلف الذخيرة، وقد يراد به المحيط السرخسى محمد بن محمد الملقب بـ"رضى الدين السرخسى"، نسبة إلى سرخس -

و "البدائع"[1] و "التحفة"[2].

وقال الزاهدى فى "المجتبى"[3] : قال أستاذنا : الصحيح أنه سنة ولم أجد فى غير "مختصر القدورى" أنه مستحب، فالظاهر أنه أراد به السنة، كما أنه أراد أول الكتاب هذا، حيث قال : ويستحب للمتوضى أن ينوى الطهارة، ويستوعب رأسه بالمسح، فسماها مستحبة مع أنها من السنن -انتهى- .

بفتح السين والراء وسكون الخاء- بلدة قديمة من بلاد خراسان، وهو اسم رجل سكن هذا الموضع، وعمره، وأتم بناءه ذو القرنين، توفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وفى تحقيق عدد المحيطات وتعيين مؤلفيها اختلاف، ذكره الأستاذ العلام مدّ ظله فى "الفوائد"، إن شئت فطالعها، فلعلك لا تجد فى غيرها مثل هذه الفرائد. (الإسعاف)

(١) قوله : "والبدائع" لأبى بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين ملك العلماء الكاسانى، نسبة إلى الكاسان -بالكاف ثم الألف ثم السين المهملة ثم الألف ثم النون- بلدة وراء الشاش، وقد يقال : فى نسبة الكاشانى -بالمعجمة بدل المهملة- وفى المهملة مشبهة بالنسبة للذهبى، قاسان بلدة كبيرة بتركستان، خلف سيحون، وأهلها يقولون كاسان، وكانت من محاسن الدنياء، خربت باستيلاء الترك عليها، شرح تحفة الفقهاء.

وله كتاب السلطان المبين فى أصول الدين، مات فى عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة، ودفن بظاهر حلب، ومن شاء الاطلاع على أحواله بالتفصيل فليرجع إلى "الفوائد".

(٢) قوله : "والتحفة" لمحمد بن أحمد بن أبى أحمد أبى بكر علاء الدين السمرقندى، أستاذ صاحب البدائع، المتوفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

(٣) قوله : "قال الزاهدى فى المجتبى" -شرح مختصر القدورى- وهو المختار بن محمود بن محمد أبى الرجاء نجم الدين الزاهدى الغزبيني، نسبة إلى غزبين -بفتح الغين المعجمة وسكون الزاء المعجمة ثم الميم المكسورة ثم الياء التحتانية المثناة الساكنة ثم النون- قصبة من قصبات خوارزم، مات سنة ثمان وخمسين وستمائة، وقيل : سنة ست وخمسين وستمائة.

ومن تصانيفه : قنية المنية لتتميم الغنية والرسالة الناصرية، وزاد الأئمة والجامع فى الحيض، وكتاب الفرائض، والحاوى، وغير ذلك، كان معتزلى الاعتقاد، حنفى الفروع.

قال ابن عابدين صاحب "رد المحتار" فى "تنقيح الفتاوى الحامدية" : نقل الزاهدى لا يعارض نقل المعتبرات، فإنه ذكر ابن وهبان : أن لا يلتفت إلى ما نقل صاحب القنية مخالفًا للقواعد ما لم يصده نقل من غيره، ومثله فى النهر أيضًا، وإن شئت الاطلاع الكتب الغير المعتبرة، فارجع إلى "النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير" و "مقدمة عمدة الرعاية فى حل شرح الوقاية"، كلاهما للأستاذ.

وقال النسفى[١] فى "المنافع شرح الفقه النافع" : ثم قال فى الكتاب : إنه مستحب ، والصحيح أنه سنة لمواظبة النبى ﷺ على ذلك ، وقضاءه فى شوال حين ترك[٢] .

فهذا قولان ، وههنا قول ثالث ، وهو التفصيل بأنه سنة مؤكدة فى العشر الأواخر من رمضان ، ويكون واجبا بالنذر بلسانه[٣] ، ولا يكفى مجرد النية ، وبالشروع[٤]

---

(١) قوله : "قال النسفى" هو عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفى ، نسبة إلى نسف -بفتحتين- من بلاد السند فى ما وراء النهر ، وقيل : بكسر السين ، وفى النسبة تفتح .
والنافع هو الذى اشتهر بـ "المستصفى" ، وله تصانيف أخرى سوى ذلك : منها : الوافى وشرحه الكافى ، وكنز الدقائق ، والمصفى شرح المنظومة النسفية ، والمنار وشرحه كشف الأسرار ، والاعتماد شرح العمدة ، ودخل بغداد سنة عشرة وسبع مائة ، ومات فى هذه السنة ، وقد أرخ القارى وفاته سنة إحدى وسبعمائة .
وذكر أن من تصانيفه : المدارك فى التفسير وشرحان على المنار ، ورجاء الكشف ، والثانى ألطف منه ، وفى طبقات تقى الدين من حظ ابن الشيسنة أنه لا يعرف له شرح على "الهداية" .
والفقه النافع متن متين لناصر الدين بن يوسف أبو القاسم الشهيد الحسينى السمرقندى ، اسمه محمد بن يوسف ، كما صرّح به صاحب "الكشف" فى مواضع . لكن قد وقع منه الاختلاف فى تاريخ وفاته ، فقال عند ذكر مصابيح السبل والمنافع : إنه توفى سنة ست وخمسين وستمائة .
وقال عند ذكر الملتقط : إنه مات ست وخمسين وخمسمائة ، وفى "طبقات القارى" : أنه مات فى سنة ست وخمسين وخمسمائة ، ومن تصانيفه : خلاصة المفتى ، وكتاب الإخصاف أيضًا . (انتهى ملتقطًا من "الفوائد")

(٢) قوله : "وقضاءه . . . إلخ" لما أخرجه البخارى عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فكنت أضرب خباءً فيصلى الصبح ، ثم يدخله فاستأذنت حفصة وعائشة أن تضرب خباءً ، فأذنت لها ، فضربت خباء ، فلما رأت زينب بنت جحش ضربت خباءً آخر ، فلما أصبح النبى ﷺ رأى الأخبية ، فقال : ما هذا ، فأخبر ، فقال النبى ﷺ : البر ترون ، فترك الاعتكاف ذلك الشهر ، ثم اعتكف عشرًا من شوال .
قال الحافظ فى "الفتح" : وفى اعتكافه فى شوال دليل على أن النوافل المعتادة إذا لاقت تقضى استحبابًا ، استدل به المالكية على وجوب قضاء العمل لمن شرع فيه ، ثم أبطله ، ولا دلالة فيه لما سيأتى .

(٣) قوله : "بالنذر بلسانه" كقوله : لله على أن أعتكف ثلاثة أيام مثلا .

(٤) قوله : "وبالشروع" عطف على قوله : بالنذر ، ولكنه ضعيف حيث قال الحصكفى وغيره : فلو شرع فى نفل ثم ترك لألزم قضاءه على الظاهر ، وما فى بعض المعتبرات أنه يلزم بالشروع مفرّع

وبالتعليق[١] ذكره ابن الكمال[٢] ومستحب فى غير من الأزمنة، وهذا القول هو الذى صحّحه العينى[٣] فى "شرح الكنز"، حيث قال: قال الشيخ: إنه سنة، وقال القدورى: إنه مستحب، وقال صاحب "الهداية": الصحيح أنه سنة مؤكدة، قلت: الصحيح التفصيل، فإن كان منذوراً فواجب، وفى العشر الأواخر من رمضان سنة، وفى غير مستحب -انتهى-.

واختاره الزيلعى[٤] فى "شرح الكنز" حيث قال: الحق الانقسام إلى ثلاث أقسام:

على القول الضعيف.

(١) قوله: "وبالتعليق" عطف على قوله بالنذر قضاؤ، وهذا يقتضى أن صورة التعليق ليست بنظر؛ لأن العطف يقتضى المغايرة مع أنها نذر، فالأولى أن يقول: واجب بالنذر منجزا كان أو معلقا، وصورة التعليق أن يقول: إن شفى الله مريضى فلانا لأعتكفنّ كذا.

(٢) قوله: "ابن الكمال" هو أحمد بن سليمان الرومى الشهير بـ"ابن كمال باشا"، مات فى سنة أربعين وتسعمائة بقسطنطينية، وله مصنفات تزيد على مائة: منها: الإصلاح، وشرحه الإيضاح، ومتن فى الأصول سمّاه تفسير التنقيح، وشرحه ومتن فى الكلام، وشرحه ومتن فى المعانى والبيان، وشرحه مع فى الفرائض، وشرح، وحواشى على شرح المفتاح، وعلى "الهداية"، وعلى "تهافت الفلاسفة" لخواجه زاده، وغير ذلك. (الإسعاف بتحشية الإنصاف)

(٣) قوله: "الزيلعى" هو عثمان بن على بن محجن أبو محمد فخر الدين الزيلعى، نسبة إلى زيلع -بفتح الزاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية ثم اللام المفتوحة ثم العين المهملة- بلدة بساحل بحر الحبشة.

ومن مصنفاته: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، وهو المراد بالشارح فى "البحر الرائق"، وبركة الكلام على أحاديث الأحكام الواقعة فى "الهداية"، وسائر كتب الحنفية، وشرحان على "الجامع الكبير"، مات فى رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة.

واعلم أن صاحب الترجمة غير الزيلعى المخرج لأحاديث "الهداية"، فإن اسمه جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد، وقيل: ابن يونس بن محمد أخذ عن الزيلعى صاحب الترجمة، مات فى المحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة، هكذا حققه الأستاذ فى تصانيفه، ولقد أخطأ الفاضل القنوجى نزيل بهوفال فى "إتحاف النبلاء" حيث سمّاه بـ"يوسف"، وليطلب تفصيله من "إبراز الغيى الواقع فى شفاء العيى"، و"تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد" كلاهما للأستاذ العلام.

(٤) قوله: "ابن الهمام" هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين الشهير بابن الهمام السكندرى السيواسى، ولد فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وقيل: سنة تسعين وسبعمائة، ومات يوم الجمعة سابع رمضان سنة إحدى وستين وثمانمائة.

واجب وهو المنذور، وسنة فى العشر الأواخر من رمضان، ومستحب فى غيره، واختاره أيضًا ابن الهمام[١] فى "فتح القدير"، وجزم به الشرنبلالى[٢] فى "نور الإيضاح"، والتمرتاشى[٣] فى "تنوير الأبصار" إليه مال الحصكفى[٤].

ومن تصانيفه: فتح القدير شرح الداية إلى كتاب الوكالة، والتحرير فى الأصول، والمسايرة فى العقائد، وزاد الفقير مختصر فى مسائل الصلاة، ورسالة فى إعراب سبحان الله وبحمده، كذا فى "الفوائد".

(١) قوله: "الشرنبلالى" هو أبو الإخلاص حسن بن عمّار بن على الوفائى المصرى الشرنبلالى -بضم الشين مع الراء المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة ثم لام ألف ثم لام- نسبة إلى شرابلولة على غير قياس، بلدة تجاه المقيف بسواد مصر، صنّف كتبا كثيرة، أجلها شرح منظومة ابن وهبان.
قال الأستاذ مد ظله فى التعليقات: وقد طالعت من تصانيفه نور الإيضاح وشرحه "إمداد الفتّاح"، ومختصره "مراقى الفلاح"، وستين مسائل فى رسائل متفرقة -انتهى-.
يقول العبد: وقد طالعت من مصنفاته حاشية على "الدرر والغرر" أولها: "الحمد لله الذى أظهر فى هذه الدار ببديع قدرته . . . " إلخ، مات رحمه الله فى رمضان سنة تسع وستين بعد الألف.

(٢) قوله: "التمرتاشى" هو شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الخطيب بن إبراهيم الخطيب التمرتاشى الغزى نسبة إلى تمرتاش -بضم التاء المثناة الفوقية الأولى وضم الميم وسكون الراء المهملة- قرية من قرى خوارزم، كذا ذكر الطحاوى فى حواشى "الدر المختار"، وذكر ابن عابدين فى حاشية عليه نسبة إلى جده المسمى به، والغزى نسبة إلى غزة البلد المعلوم.
ومن تصانيفه: تنوير الأبصار، وشرح منح الغفار، ورسالة فى علم الصرف، ومنظومة فى التوحيد وشرحها، وشرح زاد الفقير لابن الهمام، وشرح قصيدة بدء الأمالى، وشرح مختصر المنار، وشرح المنار إلى باب السنة، وشرح قطعة من الوقاية، وشرح "الكنز" إلى باب الإيمان، وحاشية الدرر شرح "الغرر" إلى باب الحج، وتحفة الأقران منظومة فى الفقه وشرحها مواهب الرحمن، ورسالة فى خصائص العشرة المبشرة، ورسالة فى عصمة الأنبياء، ورسالة فى جواز الاستنابة فى الخطبة، ورسالة فى القراءة خلف الإمام، والنفائس فى أحكام الكنائس، ومسعف الحكام على الأحكام، ورسالة فى مسح الخفين، ورسالة فى دخول الحمام، ورسالة فى النكاح بلفظ "زوّجتك"، ورسالة فى أحكام الدرر وغير ذلك، وكانت وفاته فى رجب سنة أربع وألف، وليطلب البسيط فى ترجمته وترجمة مؤلف "الدر المختار" شرح "تنوير الأبصار" من "طرب الأماثل بتراجم الأفاضل" للأستاذ العلام، ومن "فرحة المدرسين" له.

(٣) قوله: "الحصكفى" هو علاء الدين محمد بن على بن محمد بن على بن عبد الرحمن الحصكفى الدمشقى الحنفى، والحصكفى -بفتح الحاء وسكون الصاد- وفى بعض النسخ: بالسين المهملة

قلت : لا يبعد أن يحمل الاستحباب في قول القدوري على استحبابه في نفسه ، والسنية في قول صاحب "الهداية" على الاعتكاف العشر الأواخر بمقتضى دليله ، فلم يبقَ حينئذ إلا قول واحد ، وهو الأصح .

المقام الثاني : هل هو سنة مؤكدة أو غير مؤكدة

وعرفت من المرغيناني والعيني والزيلعي تصحيح أنه سنة مؤكدة ، واستدلوا عليه بأن النبي ﷺ قد واظب عليه[1] ، رواه الشيخان .

وفتح الكاف بعدها فاء ، نسبة إلى حصن كيفا على خلاف القياس ، والقياس الحصني ، وهي بلدة من بلاد ديار بكر .

ألّف شرح "تنوير الأبصار" المسمّى بـ"خزائن الأسرار" ، ومختصر "الدر المختار" شرح الملتقى المسمّى بـ"المنتقى" ، وشرح المنار المسمّى بـ"إفاضة الأنوار" ، وتعليقات على "صحيح البخاري" وغير ذلك ، توفي في شوال سنة ثمان وثمانين بعد الألف بدمشق وعمره ثلاث وستون سنة .

(٤) العيني : هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود قاضي القضاة بدر الدين العيني ، نسبة إلى عين تاب ، بلدة كبيرة على ثلاث مراحل من حلب ، ولد بمصر ، وقيل : بحلب ، في نصف رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، ومات في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

ومن تصانيفه : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، وشرح معاني الآثار ، والبناية شرح "الهداية" ، ورمز الحقائق شرح "كنز الدقائق" ، وشرح المجمع وشرح "درر البحار" ، ومنحة السلوك ، شرح تحفة الملوك ، وطبقات الحنفية ، وطبقات الشعراء ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ، وشرح الشواهد الصغير والكبير ، وغير ذلك ، هكذا في الفوائد وغيره من تأليفات الأستاذ العلامة مد ظله . (الإسعاف بتحشية الإنصاف)

(١) قوله : "قد واظب عليه" قال الحافظ في "الفتح" : أورد المصنف ثلاثة أحاديث : أحدها : حديث ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، وأخرجه مسلم من هذا الوجه . وزاد قال نافع : وقد أراني عبد الله بن عمر المكان الذي كان سول الله ﷺ يعتكف فيه من المسجد . وزاد ابن ماجه من وجه آخر عن نافع أن ابن عمر كان يعتكف ما يطرح له فراش وراء أسطوانة التوبة .

ثانيها : حديث عائشة مثل حديث ابن عمر ، وزاد حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . فيؤخذ من أول اشتراط له ، ومن الثاني أنه لم ينسخ ، وليس من الخصائص ، انتهى قدر الحاجة .

فإن قلت : إن قوله : "قد واظب عليه" لم يخرجه الشيخان في "صحيحيهما" بهذا اللفظ ، وما أخرجاه فيهما لم يذكره المصنف العلام -أبقاه الله وأدامه- قلت : المواظبة إنما تفهم عن قول عائشة

فإن قلت : المواظبة دليل الوجوب؟ قلت : هذا إذا كان مع الإنكار على الترك ، وأما المواظبة مع عدم الإنكار على من تركه ، فهى دليل السنية[١] ، ولم يثبت إنكاره صلى الله عليه وسلم على من تركه من الصحابة .

فإن قلتَ : لو كان سنة مؤكدة لما تركه الصحابة[٢] مع أنه لم يعتكف الخلفاء الأبعة؟ قلت : إنما تركوا الوجه آخر ، وهو ما قاله الإمام مالك : لم يبلغنى أن أبا بكر وعمر وعثمان وابن المسيب ولا أحد من سلف هذه الأمة اعتكف إلا أبو بكر بن عبد الرحمن[٣] ، وأراهم تركوه لشدته[٤] ؛ لأن ليله ونهاره سواء .

قال السيوطى[٥] فى "التوشيح شرح صحيح البخارى" : قلت[٦] : وتمامه أن يقال :

رضى الله عنها : "كان يعتكف" بقرينة قولها : "حتى توفاه الله" ، وهذا من قبيل رواية بالمعنى .

(١) قوله : "فهى دليل السنية" واستدل ابن الهمام فى "فتح القدير" على عدم كون الاعتكاف واجبا بتركه ﷺ فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه واعتكافه ﷺ بدله عشراً من شوال ، واعترض عليه بحر العلوم فى "رسائل الأركان" بقوله : ففيه أن للقضاء بعد الترك دليل الوجوب ، قلت : قد مرّ من قبل كلام الحافظ ابن حجر ، أن القضاء فى شوال كان على سبيل الاستحباب ، ولو كان على سبيل الوجوب، لاعتكف مع نساءه أيضًا فى شوال -والله أعلم- .

(٢) قوله : "لما تركه الصحابة" لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا أشد الناس حرصا باتباع النبى ﷺ ، وكما كانوا تاركى سنة من سنته إلا ما منعوا عنه ، فلا يتصور أن يتركوا الاعتكاف مع كونه سنة مؤكدة .

(٣) قوله : إلا أبو بكر بن عبد الرحمن" تعقّب الحافظ ابن حجر فى "الفتح" قول مالك : أن لم يعتكف من السلف إلا أبو بكر بن عبد الرحمن ، وقال : لعله أراد صفة مخصوصة ، وإلا فقد حكى عن غير واحد من الصحابة أنه اعتكف .

(٤) قوله : "وأراهم تركوه لشدته" قال ابن بطال : مواظبة النبى ﷺ على الاعتكاف يدل على أنه من السنن المؤكدة ، وقد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه قال : عجباً للمسلمين تركوا الاعتكاف ، والنبى ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله تعالى -انتهى- .

وقد تقدم قول مالك : إنه لم يعلم أن أحدًا من السلف اعتكف إلا أبا بكر بن عبد الرحمن ، وإن تركهم لذلك ما فيه من الشدة ، كذا فى "الفتح" للحافظ .

(٥) قوله : "السيوطى" هو مجدد المائة التاسعة خاتمًا لحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الأسيوطى الشافعى ، المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وتصانيفه قد زادت على خمسمائة ، وشهرته تغنى عن وصفه .

(٦) قوله : "قلت" تعقب الأستاذ العلامة لا زالت شمس أفضاله طالعة فى تعليقه على "موطأ الإمام

مع اشتغالهم بالكسب لعيالهم، والعم فى أراضيهم، فيشق عليهم ترك ذلك، وملازمة المسجد -انتهى- .

قلت : ما يخطر بالبال هو أن الاعتكاف وإن كان سنة مؤكدة، لكنه سنة كفاية على ما سيجىء، فترك الخلفاء فى زمنهم لا يقدح فى شىء؛ لأن أزواج النبى ﷺ كن يعتكفن بعد انتقاله فى بيوتهن؛ لما أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر(١) من رمضان حتى قبضه الله تعالى، ثم اعتكفت أزواجه من بعده، فكفى اعتكافهن رافعًا للإثم اللازم بترك السنة المؤكدة -والله أعلم- .

قلت : ولم أر من صرّح من فقهاءنا أن الاعتكاف سنة غير مؤكدة إلا القدورى فى "مختصره"، حيث قال: إنه يستحب، وقد عرفت ما له وما عليه، وأطلق النسفى فى "الكنز"، حيث قال: سن لبث فى مسجد بصوم ونية، ولا يمكن أن يكون المراد السنة الغير المؤكدة؛ لأنه رد هو القول بالاستحباب فى المنافع، كما قد نقلته سابقا.

ثم رأيت فى "رسائل الأركان" لبحر العلوم(٢) ما نصه : اعلم أن لا شك فى مواظبة

محمد" قول السيوطى، قال: قلت: وهو مع تمامه ليس بتمام، لعدم كونه وجها لترك سنة من سنن النبى ﷺ، والأولى أن يقال: إن الاعتكاف فى العشر من رمضان وإن كان سنة مؤكدة، لكنه على الكفاية لا على العين، وقد كانت أزواج النبى ﷺ بعده يعتكفن، فكفى ذلك.

(١) قوله: "العشر الأواخر" قال النووى: المشهور فى الاستعمال تأنيث العشر وتذكيره أيضًا، لغة صحيحة الأيام أو الوقت أو الزمان، ووصفها بالجميع؛ لأنه تصور فى كل ليلة من ليالى العشر الأخير ليلة القدر. (الإسعاف بتحشية الإنصاف)

(٢) قوله: "لبحر العلوم" أى أبى العياش مولانا عبد العلى المرحوم، ولد بمحروسة لكهنوء، وتلمذ على أبى أستاذ أساتذة الهند مولانا نظام الدين السهالوى اللكنوى، فرغ عن تحصيل العلوم، وهو ابن سبع عشرة سنة، وله مصنفات كثيرة: منها: الأركان الأربع فى الفقه الحنفى، والشرع الفارسى للفقه الأكبر، والمنار النسفى، ولمثنوى المعنوى، وحواشى على الزواهد الثلاثة، وشرح المسلم مع منهيته، والعجالة النافعة مع منهيتها، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، وتكملة شرح أبيه على تحرير ابن الهمام، وحاشية على شرح الصدر الشهيد، ورسالة فى الصرف، ورسالة فى أحوال القيامة، ورسالة فى علم الكلام، ورسالة فى التوحيد وغيرها.

توفى فى رجب سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين بأرض مدراس، ودفن هناك، وليطلب البسط فى ترجمته من رسالة الأستاذ المؤلف المسمّاة بـ"خير العمل فى تراجم علماء فرنكى محل"، وهى أحد

النبى ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، لكن قد ثبت من الصحابة العظام ترك الاعتكاف، ومنهم الخلفاء الراشدون، فللاعتكاف نوع اختصاص به[1]، هو أنه يلقى جبريل فيدارسه القرآن، ومدارسة القرآن كانت مختصة به، فلذا كان للاعتكاف اختصاص به، فتارك الاعتكاف من الأئمة لا يلحقهم الإساءة، ولذا كان النبى ﷺ لا يؤكد فى الاعتكاف تأكيده فى غيره من السنن، ولا يعيب واحد من الصحابة على ترك الاعتكاف، فإن الاعتكاف إما سنة مختصة به غير مؤكدة على الأمة، بل بقى فى حقهم مثل السنن الغير المؤكدة، أو كان واجبا عليه مختصًا به، ففعله لامتثال الوجوب، فلا يكون على الأمة سنة، بل مندوبًا محضًا، وهذا غير بعيد -انتهى- قلت: هذا التحقيق كله من عند نفسه[2]، والحق عندى هو الذى ذكرت[3].

أجزاء رسالته "إنباء الخلان بأنباء علماء هندوستان".

(١) قوله: "فللاعتكاف نوع اختصاص. . . إلخ" أقول: ههذا غير صحيح من وجهين: الأول: لما عرفت من "الفتح" من أن الاعتكاف ليس من خصائص النبى ﷺ، والثانى: لما تحقق من أن مدار الاعتكاف لم يكن على التدارس؛ لأن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن فى الليالى كلها من رمضان، بخلاف الاعتكاف فإن النبى ﷺ كان يعتكف فى العشر الأواخر منه فقط، إلا العام الذى توفى فيه، فإنه اعتكف فيه عشرين، ولم يثبت استيعابه شهر رمضان بالاعتكاف قط.

فإن قلتَ: السبب فى أن العرض بالقرآن كان مرة فى رمضان، ولما كان العام الذى قُبض فيه عارضه به جبريل مرتين، وكذلك كان النبى ﷺ يعتكف فى رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى توفى فيه اعتكف عشرين؟

قلتُ: إن السبب فى ذلك أنه ﷺ علم قرب أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير، ليسن للأمة الاجتهاد فى العمل إذا بلغوا أقصى العمر ليلقوا الله على خير.

وقال ابن العربى: يحتم أن يكون سبب ذلك أنه لما ترك الاعتكاف فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه اعتكف بدله عشر من شوال اعتكف ذلك العام الذى يليه عشرين، لتحقيق قضاء العشر فى رمضان -انتهى-.

وأقوى ذلك أنه إنما اعتكف فى ذلك العام عشرين؛ أنه كان فى العام قبله مسافرًا، ويدل له ما أخرجه النسائى واللفظ له أبو داود وصحّحه ابن حبان وغيره من حديث أبيّ بن كعب أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عامًا فلم يعتكف، فلما كان العام المقبل اعتكف عشرون، كذا فى "الفتح".

٢) قوله: "من عند نفسه" لأن كون الاعتكاف مختصًا بالنبى ﷺ لم يثبت بعد، وأما كونه مندوبًا

المقام الثالث : هل هو سنة مؤكدة كفاية أم عيناً

فعامتهم على أنه سنة كفاية[١] ؛ لأن النبى ﷺ لم ينكر على من تركه من الصحابة ، بخلاف السنن المؤكدة ، فدل ذلك[٢] على أنه سنة كفاية ، وبه جزم الشرنبلالى فى "مراقى الفلاح" ، والعلاّمة الطرابلسى[٣] فى "البرهان شرح مواهب الرحمن" ، وتبعه الحصكفى وغيره .

قلت : ولم أرَ من صحّح القول بكونه سنة العين ، ثم رأيت أنه قال القهستانى[٤] فى "شرح خلاصة الكيدانى" عند تقسيم السنن : قد تنقسم السنة إلى سنة العين وسنة الكفاية ، كسلام واحد من جمع ، وقيل : منه الاعتكاف .

ورُدّ بأنه رواية شاذّة ، الحق أنه من سنة العين -انتهى- .

لكنه لم يعيّن الراد حتى يبحث عن حاله ، والحق أن قوله : الحق ، ليس بحق[٥] ، ثم

محضًا ، فخالفه لكلامهم .

(٣) يعنى أنه سنة مؤكدة كفاية ، ولا وجه للقول بالاختصاص به ، وقد بيّنتُ ما ذلك الكلام من الخلل لوجهه فى حواشى المتعلقة بـ "شرح الوقاية" لصدر الشريعة ، فلنطالع ، فإنها كافية لتحقق المهمات .

(١) قوله : "على أنه سنة" أى مؤكدة ؛ لأن النبى ﷺ لم يتركه إلا بسبب ما وقع من أزواجه ، لكنه اعتكف بدله عشرا من شوال .

(٢) قوله : "فدلّ ذلك" أى عدم إنكاره ﷺ على تاركى الاعتكاف على أنه أى الاعتكاف سنة كفاية ، إذا قام به البعض ولو فردًا ، سقطت للأمة ترك السنة المؤكدة عن الباقين .

(٣) قوله : "الطرابلسى" هو إبراهيم بن موسى بن أبى بكر بن على الطرابلسى الحنفى ، نزيل القاهرة مؤلف "الإسعاف فى حكم الأوقاف" و "مواهب الرحمن" وشرحه "البرهان" ، المتوفى بالقاهرة سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ، وترجمته مبسوطة فى "الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع" ، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى المصرى ، المتوفى سنة ٩٠٢ ، وقد أخطأ الفاضل القنوجى رئيس بهوفال فى "إتحاف النبلاء" ، حيث ذكر أن وفاته سنة ٨٦٠ .

(٤) قوله : "القهستانى" هو شمس الدين محمد الخراسانى القهستانى ، نزيل بخارا ، المتوفى سنة اثنين وتسعمائة ، وقيل : إنه مات فى حدود سنة خمسين وتسعمائة ، ومن تصانيفه : شرح خلاصة الكيدانى ، وشرح مختصر الوقاية ، المشهور بـ "جامع الرموز" ، قال المولى عصام الدين : فى فقه أنه يجمع فى شرحه هذا عن الغَثّ والسمين ، والصحيح والضعيف ، ومن غير تصحيح وتدقيق ، فهو كحاطب الليل ، جامع بين الرطب واليابس فى النبيل ، وهو العوارض فى ذم الروافض .

(٥) قوله : "ليس بحق" لأن الاعتكاف لو كان سنة العين لما تركه اللصحابة رضى الله عنهم ، ولأنكره

رأيت الدمياطي[١] قد نقل كلام القهستاني في حاشية "تعاليق الأنوار على الدر المختار"، والعجب أنه سكت عليه.

المقام الرابع : الاعتكاف على تقدير كونه سنة كفاية، كما هو الحق، هل هو سنة كفاية على أهل البلدة[٢]، كصلاة الجنازة[٣] أم سنة كفاية على أهل كل محلة، كصلاة التراويح بالجماعة[٤]

فظاهر عباراتهم يقتضي الأول، ففي "مجمع الأنهر"[٥] شرح "ملتقى الأبحر" عند ذكر الأقوال: وقيل: سنة على الكفاية حتى لو ترك أهل بلدة بأسرهم يلحقهم الإساءة، وإلا فلا، كالتأذين[٦] -انتهى-.

ﷺ على من تركه بغير عذر إنكار على تاركي السنن.

(١) قوله: "الدمياطي" هو عبد المولى الدمياطي، تلميذ السيد أحمد الطحطاوي الحنفي، له حاشية نفسية مسمّاة بـ "تعاليق الأنوار على الدر المختار"، شرع في تأليفها ليلة الأربعاء لخمس وعشرين مضت من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين بعد الألف والمائتين، وفرغ عنه يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية سنة ثمان وثلاثين بعد الألف والمائتين، ولم أطلع على تاريخ ولادته ووفاته، كذا في "التعليقات السنية على الفوائد البهية" للأستاذ العلامة.

(٢) قوله: "على أهل البلدة" حتى لو ترك أهل بلدة بأسرهم، أساءوا وأثموا جميعًا، وإلا فلا.

(٣) قوله: "كصلاة الجنازة" فإنها تسقط عن أهل بلدة بأداء البعض ولو تركوها يلحقهم الإساءة.

(٤) قوله: "كصلاة التراويح بالجماعة" قيل: إن الجماعة فيه سنة لأهل كل مسجد من البلدة، وقيل: لأهل مسجد واحد منها، وقيل: من المحلة فظاهر كلام صاحب "الدر المختار" الأول، واستظهر الطحطاوي الثاني، ومختار بن عابدين في "رد المحتار" الثالث لقول المنية حتى لو ترك أهل محلة كلهم الجماعة فقد تركوا أهل السنة وأثموا.

(٥) قوله: "مجمع الأنهر" لعبد الرحمن بن شيخ محمد بن سليمان المدعوّ بـ "شيخ زاده"، المتوفى سنة ثمان وسبعين بعد الألف، كما ذكره في "الكشف" وهو مشتمل رابع عشر من ذي القعدة الشريفة لسنة سبعين وألف، وكتب في خاتمة المجلد الثاني، وقد انتهى هذا الشرع، وتمّ بفضله تعالى ببلدة أدرنة قاضيا بعساكر في ولاية روم ايلي في ليلة الخميس في يوم التاسع عشر من جمادى الآخرة، ومن شهور سنة وسبعين ألف من هجرة العزّ والشرف -انتهى ملخصًا-.

(٦) قوله: "كالتأذين" فإنه ليس بواجب على الأصح، بل هو سنة كفاية بمعنى أن الواحد يكفي عن أهل البلد، لا عن البلاد كلها لعدم حصول الإظهار به.

فإن قلت: قد يستفاد من كلام محمد رحمه الله أنه واجب حيث نقلوا عنه أنه قال: لو اجتمع أهل بلدة

وقال الطحطاوى[١] فى شرح قول الحصكفى : أى سنة كفاية إذا قام بها البعض ولو فردًا سقطت عن الباقين -انتهى- ومثله فى "شرح النقاية" لعلى القارى[٢] وغيره.

المقام الخامس : هل هو سنة مؤكدة مطلقًا ، أم فى العشر الأواخر من رمضان؟

قولان نقلهما فى "مجمع الأنهر"، وقد مال إلياس زاده فى "شرح النقاية"[٣] إلى الأول، وتفصيل الزيلعى الذى دار عليه مدار الحق يقتضى أنه سنة مؤكدة فى العشر الأواخر من رمضان، ومستحب فى غيره.

وقال العلامة إله داد الجونفورى[٤] فى حاشية "الهداية" : لا شك أن الاعتكاف فى

على تركه قاتلتهم، ولو ترك واحد ضربته وحبسته، قلت : إن محمدًا رحمه الله لا يخص الحكم المذكور بالواجب، بل هو فى سائر السنن، كذا قال الطحطاوى.

(١) قوله : "الطحطاوى" أى السيد أحمد الطحطاوى محشّى "الدر المختار" من رجال المائة الثالثة عشر، كما يظهر من كتاب الإجارات من "رد المحتار على الدر المختار" لمحمد أمين بن عابدين الشامى المتوفى سنة ١٢٥٠ . (الإسعاف)

(٢) قوله : "لعلى القارى" ابن على بن سلطان محمد الهروى نزيل مكة المعروف بـ"القارى" الحنفى، مات بمكة فى شوال سنة أربع عشر بعد الألف، وقد عجب الفاضل القنّوجي رئيس بهوفال فى تصانيفه، حيث أرّخ وفاته فى موضع منها بسنة عشرة بعد الألف، وفى موضع آخر بسنة أربع عشرة، وفى موضع آخر منها بسنة أربع وأربعين، ولا عجب منه، فإنه غير ملتزم له لصحة جامع لكل يابسة ورطبة، كما أشهدت به أنصاره بارتضاءه، وأقر هو أيضًا به.

ولله در الأستاذ العلام حيث أظهر مكائده، وبيّن مفاسده فى تصانيفه كـ"إبراز الغيى" و"تذكرة الراشد" وغيرهما، ومن تصانيفه : فتح باب العناية فى "العناية فى شرح النقاية" وغير ذلك من التأليف النافعة المذكورة فى التعليقات السنية للأستاذ.

(٣) قوله : "شرح النقاية" لمحمود بن إلياس الرومى أتمه فى ذى الحجة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، كذا فى "كشف الظنون".

(٤) قوله : "إله داد الجونفورى" هو من مريدى راجى أحمد أحمد شا، وهو من مشايخ جونفور فى زمان السلطان إسكندر، وقد طلبه من جونفور إلى دهلى، أقام هناك مدة إلى أن توفى فى ربيع الأول سنة تسع وتسعمائة، وهو من تلامذة القاضى شهاب الدين الدولة آبادى بواسطة واحدة، كذا فى "أخبار الأخيار" للشيخ الدهلوى، وفى "سبحة المرجان" لغلام على آزاد البلجرامى، أنه

نفس الأمر مستحب، إنما السنة فى العشر الأواخر من رمضان.

المقام السادس : هل السنة استيعاب العشر الأواخر من رمضان بالاعتكاف، أم الاعتكاف فى جزء منه

الظاهر هو الأول؛ لأن النبى ﷺ فعل كذلك دائمًا، ثم رأيت فى حاشية "الهداية" للجونفورى قال: الظاهر أن السنة هو استيعاب العشر الأواخر من رمضان بالاعتكاف، لا الاعتكاف فى العشر، ولو فى جزء منه، روى به الإمام شهاب الملةوالدين نوّر الله مرقده[1]؛ إذ المواظبة من النبى ﷺ كانت على سبيل الاستيعاب، فيكون سنة مع وصف الاستيعاب.

ثم قال: ولقائل أن يقول: إنه وإن واظب بصفة الاستيعاب فالقول بسنية استيعاب العشر الأواخر من رمضان الاعتكاف يؤدى إلى الحرج؛ لظهور أن الرجال لو اعتكفوا المساجد، والنساء فى دورهن لم يكن من يقوم بأمر معاشهم، وفيه من الحرج ما لا يخفى، فلهذه الضرورة جعلنا السنة، وهو اللبث فى العشر ولو بجزء منه[2] دون الاستيعاب.

ثم قال: وما يقال: من أن السنة هى استيعاب العشر، لكن على وجه الكفاية،

من تلامذة عبد الله التلبنى مؤلف "بديع الميزان"، ومن مصنفاته: حاشية "الهداية"، والحاشية على "تفسير المدارك" وحاشية "البزدوى".

(١) قوله: "شهاب الملة والدين" هو ملك العلماء شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الزاولى الدولت آبادى، محلة من دهلى دار ملوك الهند، توفى فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وقيل: سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، ودفن بجونفور من تصانيفه: "البحر المواّج" تفسير بالفارسية، وشرح عقيدة بانَت سُعاد، وشرح الكافية، ومناقب السادات، وفتاوى إبراهيم شاهى وغيرها، كذا فى "سبحة المرجان"، وقد عد فتاوى إبراهيم من الكتب الغير المعتبرة، كما قال عبد القادر البدايونى فى معتبر التواريخ عن أستاذه العلامة أجلّ علماء العهد الأكبرى الشيخ حاتم السنبهلى، المتوفى فى سنة ثمان وستين بعد تسعمائة، كذا فى مقدمة "عمدة الرعاية" للأستاذ العلامة.

(٢) قوله: "ولو بجزء منه" لا يخفى على من تشرّف بمطالعة كتب الحديث أن النبى ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط فبدأ له أن يعتكف العشر الأواخر، فكان يعتكف فيها حتى فارق الدنياء، وأنه ﷺ اعتكف عشرة أيام من شوال لما ترك الاعتكاف فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه، واعتكف عشرين يومًا من رمضان عام قبض فيه، ولم يثبت استيعابه

حتى لو أقام بها البعض سقط عن الباقين، ففيه نظر؛ لأن القول بالكفاية إنما يصح إذا كان فعل البعض مؤديًا للمقصود من السنة أو الوجوب، والمقصود من الاعتكاف لا يحصل بفعل البعض، فلا معنى للقول بكونه سنة على وجه الكفاية -انتهى- .

قلت : الحق أن استيعاب العشر سنة كفاية، فلا يحصل الحرج، وما أورد من النظر ففيه نظر، إذ المقصود من الاعتكاف، وهو أداء حقوق المساجد، وذلك يحصل بفعل البعض، كما أن المقصود من صلاة الجنازة أداء حق المسلم، وذلك يحصل بفعل البعض، وإن كان فروا منهم -فليتدبر- .

فقد ثبت من هذه المقامات أن الاعتكاف في نفسه مستحب، ويجب بالنذر وغيره، وهو سنة مؤكدة كفاية في العشر الأواخر من رمضان على سبيل الاستيعاب .

فإن قلت[1] : ما السر في اعتكاف النبي ﷺ في العشر الأواخر استيعابًا دون غيره من الأزمنة؟

قلت : لأخذ فضيلة ليلة القدر[2]، فإنها في العشر الأواخر من رمضان على القول الأصح الأشهر .

وفي تعيينها اختلاف كثير على أكثر من أربعين[3] قولا بسطها الحافظ ابن حجر

شهر رمضان كله بالاعتكاف، والاعتكاف يوم فضلا عن بعض يوم . (الإسعاف)

(١) قوله : "فإن قلت" ما الحكمة في إخفاء ليلة القدر؟ قلت : لتحصيل الاجتهاد في التماسها بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها، كما في ساعة الإجابة يوم الجمعة، وهذه الحكمة مطردة عند من يقول : إنها في طوال السنة، أو في جميع رمضان، أو في جميع العشر الأخير، أو تارة خاصة، كذا في "الفتح" .

(٢) قوله : "ليلة القدر" -بفتح القاف وسكون الدال- سميت بذلك لعظم قدرها، أي ذات القدر العظيم؛ لأن القرآن قد نزل فيها، أو لأن الله تعالى قد وصفها في كتابه القديم بأنها خير من ألف شهر .

ولأن من أحياها بالعبادة يحصل له من القدر الجسيم، أو لأن الأشياء تقدر فيها ويقتضي، كما قال الله تعالى : ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾، وقيل : بفتح الدال على أنه مصدر قدر الله الشيء قدرًا، وفيه لغتان كالبحر والنهر، كذا في "إرشاد الساري" للعلامة القسطلاني، المتوفى سنة ٩٢٣ لا سنة ٩٢٠، كما صدر عنه غير ملتزم الصحة القنوجي البهوفالي في بعض تصانيفه، فإنه غلط صريح، كما أن قوله في "أبجد العلوم" : ابن حجر صاحب "فتح الباري" مات سنة ٨٥٨ غلط قبيح، فإن وفاته كانت سنة ٨٥٤ .

(٣) قوله : "على أكثر من أربعين" إن قال الحافظ في "الفتح"، وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا، قال ابن العربي : الصحيح أنها لا تعلم، وأنكر هذا النووي، وقال : قد تظافرت الأحاديث بإمكان العلم بها، وأخبر به جماعة من الصالحين، فلا معنى لإنكار ذلك، وبالجملة يحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولا، كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة، وقد اشتركا في إخفاء كل منهما يقع الجد في طلبها.

القول الأول : إنها رفعت أصلا ورأسا، حكاه المتولي في التنمية عن الروافض والفاكهاني في "شرح العمدة" عن الحنفية، وكأنه خطأ منه، والذي حكاه السروجي أنه قول الشيعة.

الثاني : إنها خاصة بسنة واحدة وقعت في زمن رسول الله ﷺ حكاه الفاكهاني أيضًا.

الثالث : إنها خاصة بهذه الأمة، ولم يكن في من قبلهم، جزم به ابن حبيب وغيره من المالكية، ونقله عن الجمهور صاحب "العمدة" من الشافعية ورجّحه.

الرابع : إنها ممكنة في جميع السنة، وهو قول مشهور عن الحنفية، حكاه قاضي خان وأبو بكر الرازي منهم.

الخامس : إنها مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه، وهو قول ابن عمر ومروى عن أبي حنيفة، وقال به ابن المنذر المحاملي وبعض الشافعية، ورجّحه السبكي وحكاه ابن الحاجب.

السادس : إنها ليلة معيّنة مبهمة، قاله النسفي في منظومته.

السابع : إنها أول ليلة من رمضان، حكى عن ابن أبي رزين العقيلي الصحابي، وروى ابن أبي عاصم عن أنس.

الثامن : إنها ليلة النصف من رمضان، حكاه شيخنا ابن الملقن في "شرح العمدة".

التاسع : إنها ليلة النصف من شعبان، حكاه القرطبي في "المفهم"، وكذا نقله السروجي عن صاحب "الطراز"، ثم رأيت في شرح السروجي عن "المحيط" : أنها في النصف الأخير.

العاشر : إنها ليلة سبع عشرة من رمضان، روى ابن أبي شيبة والطبراني من حديث زيد بن أرقم، وأخرجه أبو داود عن ابن مسعود أيضًا.

الحادي عشر : إنها مبهمة في العشر الوسط، حكاه النووي، عزاه الطبراني إلى عثمان بن أبي العاص والحسن البصري، وقال به بعض الشافعية.

الثاني عشر : إنها ليلة ثمان عشرة، قرأتُه بخط القطب الحلبي في شرحه، ورواه ابن الجوزي في "مشكله".

الثالث عشر : إنها ليلة تسع عشرة، رواه عبد الرزاق عن علي رضي الله، وعزاه الطبري إلى زيد بن ثابت، ووصله الطحاوي عن ابن مسعود.

الرابع عشر : إنها أول ليلة من العشر الأخير، وإليه مال الشافعي، وجزم به جماعة من أصحابه، ولكن قال السهيلي : إنه ليس مجزومًا به عندهم.

الخامس عشر : مثل الذى قبله إلا أنها كان الشهر تاماً ، فهى ليلة العشرين ، وإن كان ناقصاً ، فهى ليلة إحدى وعشرين ، وهكذا فى جميع العشر ، وهو قول ابن حزم ، ودليله ما رواه أحمد والطحاوى من حديث عبد الله بن أنيس .

السادس عشر : إنها ليلة اثنين وعشرين ، ودليله ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن أنيس مرفوعاً ، وروى ابن أبى شيبة عن معاوية ، ورواه إسحاق فى مسنده من طريق أبى حازم وعبد الرزاق عن معمر ، ومن طريق يونس بن سيف أيضاً .

الثامن عشر : إنها ليلة أربع وعشرين ، كما تقدم من حديث ابن عباس ، وروى الطيالسى من حديث أبى نضرة ، وروى ذلك عن ابن مسعود والشعبى والحسن وقتادة ، وحجتهم حديث واصلة ، وما رواه أحمد من طريق بن لهيعة .

التاسع عشر : إنها ليله خمس وعشرين ، حكاه ابن العربى فى العارضة ، وعزاه ابن العربى فى "المشكل" إلى أبى بكرة .

القول الموفى للعشرين : إنها ليلة ست وعشرين ، وهو لم أرَ صريحاً سوى ما قاله العياض .

الحادى والعشرون : إنها ليلة سبع وعشرين ، وهو الجارة من مذهب أحمد ، ورواية عن أبى حنيفة ، وبه جزم ابن كعب ، وحكاه صاحب "الحلية" من الشافعية عن أكثر العلماء .

الثانى والعشرون : إنها ليلة ثمان وعشرين ، وقد تقدم توجيهه قبل .

القول الثالث والعشرون : إنها ليلة تسع وعشرين ، حكاه ابن العربى .

الرابع والعشرون : إنها ليلة الثلاثين ، حكاه عياض والسروجى فى شرح "الهداية" ، ورواه محمد بن نصر والطبرى عن معاوية ، وأحمد من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة .

الخامس والعشرون : إنها فى أوتار العشر الأخير ، وعليه يدل حديث عائشة وغيرها ، وهو أرجح الأقوال ، وصار إليه أبوثور المزنى ، وابن خزيمة ، وجماعة من علماء المذهب .

السادس والعشرون : مثله بزيادة الليلة الأخيرة ، رواه الترمذى من حديث أبى بكرة ، وأحمد من حديث عبادة بن الصامت .

السابع والعشرون : ينتقل فى العشر الأخير ، قاله أبوقلابة ، ونصّ عليه مالك والثورى وأحمد وإسحاق ، وزعم الماوردى أنه متفق عليه ، ثم اختلفوا فى تعيينها على ما تقدم ، فمنهم من قال : هى محتملة ، نقله الرافعى عن مالك ، وضعّفه ابن الحاجب ، ومنهم من قال : بعض لياليه أرجى من بعض ، فقال الشافعى : أرجاها ليلة إحدى وعشرين ، وهو القول الثامن والعشرون ، وقى أرجاها الثالث والعشرون ، وهو القول التاسع والعشرون ، وقيل : أرجاها ليلة سبع وعشرين ، وهو القول الثلاثون .

الحادى والثلاثون : تنتقل فى جميع السبع الأواخر ، وقد تقدم المراد منه فى حديث ابن عمر ، ويخرج من ذلك القول الثانى والثلاثون .

العسقلانى[١] فى "فتح البارى شرح صحيح البخارى"، فعليك به -والله أعلم- .

الثالث والثلاثون : إنها تنقل فى النصف الأخير ، ذكره صاحب "المحيط" عن أبى يوسف ومحمد، وحكاه إمام الحرمين عن صاحب "التقريب" .

الرابع والثلاثون : إنها ليلة ست عشرة أو سبع عشرة، رواه الحارث بن أبى أسامة من حديث عبد الله بن الزبير .

الخامس والثلاثون : إنها ليلة سبع عشرة، أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين، رواه سويد بن منصور من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السادس والثلاثون : أول ليلة من رمضان آخر ليلة منه، رواه ابن أبى عاصم من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السابع والثلاثون : إنها أول ليلة أو تاسع ليلة، أو سابع عشرة، أو إحدى وعشرين، أو آخر ليلة، رواه ابن مردويه فى تفسيره عن أنس بإسناد ضعيف .

الثامن والثلاثون : إنها ليلة تسع عشرة أو إحدى عشرة، أو ثلاث وعشرين، رواه أبو داود من حديث ابن مسعود بإسناد فيه مقال، وعبد الرزاق من حديث على بسند منقطع أيضًا .

التاسع والثلاثون : ليلة ثلاث وعشرين، وهو مأخوذ من حديث ابن عباس، ولأحمد من حديث نعمان بن بشير .

القول الموفى للأربعين : ليلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، كما سيأتى من حديث عبادة بن الصامت .

الحادى والأربعون : إنها منحصرة فى السبع الأواخر من رمضان لحديث ابن عمر فى الباب الذى قبله .

الثانى والأربعون : إنها ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس عند أحمد .

الثالث والأربعون : إنها فى أشفاع العشر الوسط والعشر الأخير، قرأتُه بخط مغلطائى .

الرابع والأربعون : إنها ليلة الثالثة من العشر الأواخر أو الخامسة منه، رواه أحمد من حديث معاذ بن جبل، والفرق بينه وبين ما تقدم أن الثلثة يحتمل ثلاث وعشرين وليلة سبع وعشرين .

الخامس والأربعون : إنها فى سبع أو ثمان من أول النصف الاثنى، رواه الطحاوى من طريق عطية من عبد الله بن أنيس، هذا جملة ما ذكره الحافظ فى "الفتح"، أوردناه مختصرًا .

(١) قوله : "الحافظ بن حجر" هو إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى المصرى الشافعى، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة على ما ذكره السيوطى فى "حسن المحاضرة" .

وقال الأستاذ فى التحقيقات السنية : وقد طالعت من تصانيفه "الدرر الكاملة فى أعيان المائة الثامنة" و "المجمع المؤسس" و "تهذيب التهذيب" و "تقريب التهذيب" و "لسان الميزان" و

قال مؤلفه : هذا آخر ما ألهمنى ربى للتحرير فى هذا المطلب المنيف، ولم يسبقنى أحد فى تنقيح هذا البحث الشريف -فلله الحمد- وقد وقع الفراغ منه نهار الأحد تاسع شهر رمضان من شهور سنة ١٢٨٤ أربع وثمانين بعد الألف والمائين من الهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين.

تمّت

"الإصابة فى أحوال الصحابة" و "نخبة الفكر" وشرحه، و "تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث شرح الوجيز الكبير" و "تخريج أحاديث الأذكار" و "تخريج أحاديث الهداية واسمه "الدراية" و "بذل الماعون فى فضل الطاعون" و "القول المسدد فى الذب عن مسند أحمد" و "فتح البارى شرح صحيح البخارى" و "مقدمة الهدى السارى" و "الخصال المكفرة بالذنوب المقدمة والمؤخرة" ورسالة فى تعدد الجمعة ببلد واحد، وله نكت على "مقدمة ابن الصلاح" و "رجال الأربعة" و "تقريب المنهج بترتيب المدرج"، وغير ذلك -انتهى-.

وقد أخطأ بعض أفاضل قنوج فى بعض رسائله، وبعض علماء دهلى فى فتوى قنوت النوازل، حيث سمّيا تخريج أحاديث "الهداية" لابن حجر بـ "نصب الراية"، وقد تبعهما مهتمّ طبعه فى دهلى، مع أن هذا اسم لتخريج أحاديث "الهداية" للزيلغى، كما صرّح به السخّاوى وغيره - فليعلم- والله أعلم.

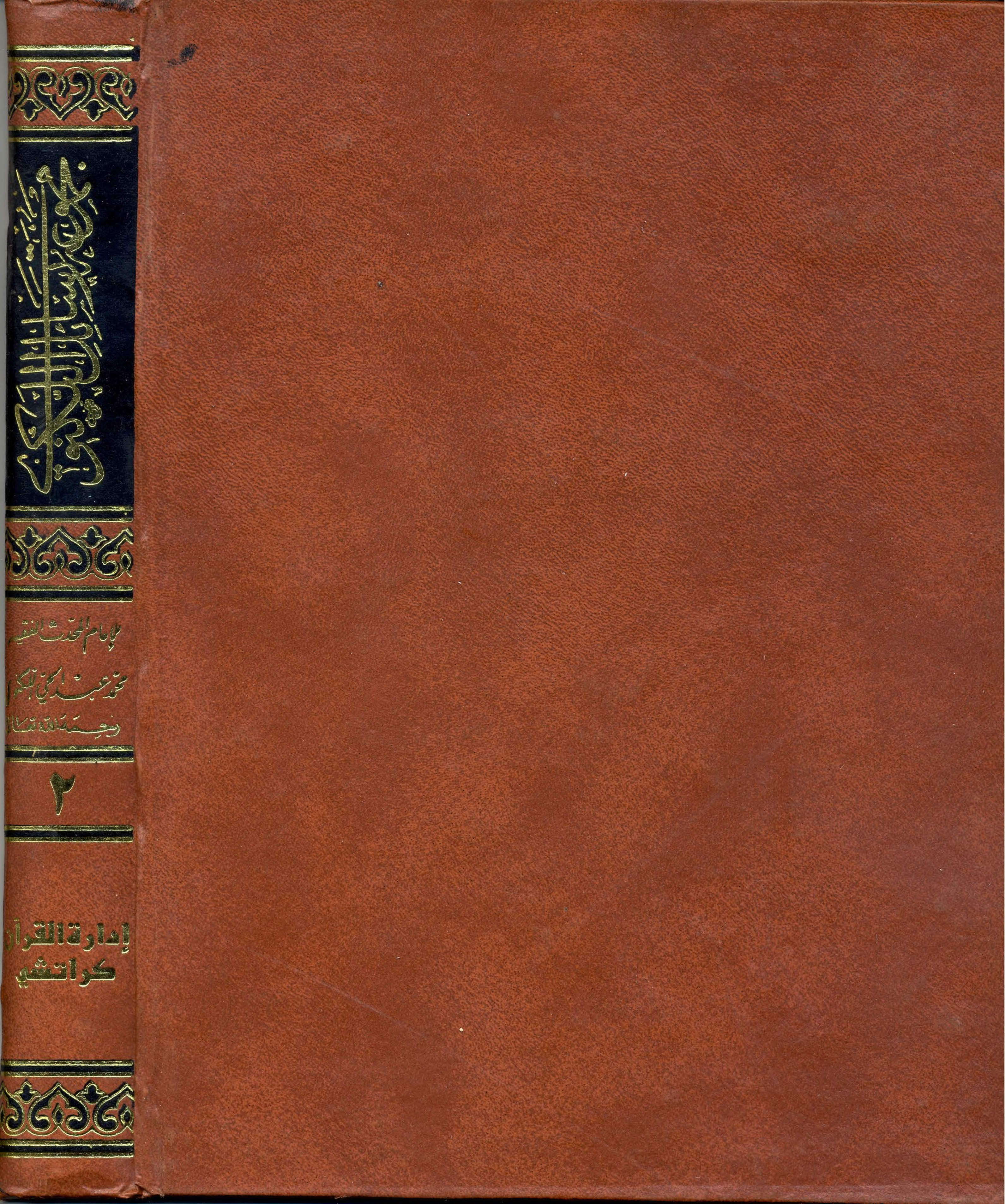
هذا آخر التعليقات على رسالة "الإنصاف فى حكم الاعتكاف" المسمّاة بـ "الإسعاف"، وكان الاختتام فى ربيع الأول من شهور سنة١٣٠٢.

فهرس الموضوعات

******







للإمام المحدث الفقيه
محمد عبد الحي اللكنوي
رحمه الله تعالى
٢
إدارة القرآن
كراتشي